AMERICAN UNIVERSITY
LIB[illegible]RY
OF [illegible]

N. MAKHOUL
BINDERY
1 SEP 1971
Tel. 260458

تقدمة اعتبار للفاضل فضل الله افندي ابي حلقة من محترمه

١٤ نيسان ١٩٢٤

الطرفة النقية

CA
270.
A79tA
C.1

من

تاريخ الكنيسة المسيحية

(استخلصه)

عن نخبة من ثقات المؤرخين النزهاء

وذيله

بفذلكة عن الكنائس الشرقية المستقلة والطوائف الشرقية المتحابة

الخوري عيسى ساعد

حق الطبع محفوظ

طبع في مطبعة حمص سنة ١٩٢٤

قلب الحكيم يعرف الوقت والحكم «الجامعة»

فكرت في الايام القديمة فقلت الان ابتدات انما الاحالة بيمين العلي اتذكر معجزاتك منذ القديم والهج بجميع اعمالك «زبور داود»

لو عرفت في يومك هذا ما هو لسلامك استاتي عليك ايام يحيط بك فيها اعداؤك ... لانك لم تعرفي زمن افتقادك «من خطاب السيد المسيح لاورشليم»

هذا وانكم عارفون الوقت ان ساعة استيقاظنا قد حانت «بولس»

التاريخ شاهد الازمنة ، ونور الحق ، وحياة الذكر ، ومدبر الحياة ، ورسول القدم «شيشرون»

التاريخ المقدس اعظم مصدر للحوادث البشرية . فمنه يصدر كل شيء واليه يرجع كل شيء منها . وهو التاريخ الوحيد الذي ليس فيه انقطاع في سلسلة الاخبار فيتكلم عن الانسان من اول ظهوره على الارض ويتتبع ذكر احواله في خلال الحوادث العظيمة الى الوقت الحاضر . فليس هو مجرد تاريخ شعب بل تاريخ عام للامم «دائرة المعارف»

ان ميزة التاريخ انما هي تدريب عقلية الانسان على معالجة المسائل العامة وفهمها ومشاركة بقية الامم في شعورها فان المعلومات التي يمدنا بها التاريخ لاقيمة لها بذاتها ما لم توجد فينا حالة فكرية جديدة «ماكولي»

تقدمة الكتاب

الى المطوب الذكر

الخالد الأثر

المطران اثناسيوس مطانة

اليك ايتها النفس الخالدة ارفع هذه الطرفة. لانها الفت بالروح التي بها لمعت في هذا العالم، وتمجدت في الآخر. وغاية ما ارجوه اجرة لجهادي هذا ان ينال مريدوك سهمين منها ليرى الآخرون فيهم

«تمسكاً بدون تعصب. وتساهلاً على غير ضعف في المبدأ»

مقدمة

الحمد لله الذي جعل اخبار الامم السالفة ؛ درساً ذا عبرة لبني العصور الطارفة . وبين بالتاريخ للمرء منزلته من الاروماة الانسانية ومكانة بيئته من الهيئة الاجتماعية . ليتعلم ما انتظم من عقد الامم وما انفرط ؛ ويدرك اسباب رقي من علا من الامم وانحطاط من هبط . بسلسلة من المواعظ والعبر . يتقي بها كبوات جياد الفكرة في من غبر .

وبعد فلما كان التاريخ الكنسي من اوسع انواع التاريخ ومن اكثرها تاثيرا في النفس ؛ لاستيعابه كل ما مر بالانسان من الشوؤن وتضمنه تطورات شرائع الكون وما عرض لنفسياته في كل الادوار التي مرت به من ضار ونافع وملغي وثابت . اهتم الاقدمون بتدوينه على صفحات الطروس ؛ وجاب بعضهم الاقطار النائية للاطلاع على ما وعته صدور الرواة الثقات فخلفوا من ثمرات قرائحهم ما اتخذه رجال اليوم نبراساً يستجلون به حنادس القدم وتركوا من مثل الفضل ما يتخذ انموذجاً لمن ملئت نفسه من حب الانسانية

غير ان تلك المؤلفات مع احتوائها على انفس ما يقال ويدون قد عراها ما سبب اعراض الناس عن مطالعتها . واهم تلك الشوائن ثلاث

١) عدم تنسيقها بحيث يستصعب الذهن تناولها

٢) الاقتصار على تدوين الحوادث دون تعليلها

٣) انقياد المؤلفين لروح التحزب الجنسي والتعصب المذهبي

فالمطالع لايكاد يتلو بضع صفحات من مثل تلك المؤلفات حتى يعروه السأم لتداخل المواضيع احدها في الاخر ولاختلاط التعاليق بالمتون اختلاط الحابل بالنابل بحيث لايستطيع المرء استخلاص المراد الا بشق النفس

فاذا تسنى له استجماع قواه العقلية لادراك جزء مما قرأه اصطدم بعقبة ثانية تذهب بجزء آخر من نشاطه . اذ يقرأ مادون من الحوادث دون ان يرى فيها اثراً لاستعمال الفكرة او ابداء رأي . لان الحوادث تذكر بدون تعرض لتعليل حدوثها ويغلب على المؤرخين القدماء ان يرجعوا باسباب ما يدونونه الى العلة الاولى (الله) دون ان يشيروا ولو من طرف خفي الى العلل الثانية . فيصبح المطالع احد رجلين اما متردد بصحة ما قرأ واما معرض عن التأسي بسط الحوادث بصورة ترفعها عن الطاقة البشرية . وكلاهما مذهب نشاط المطالع وميت فيه روح الاقتداء الذي هو غرض المؤرخ الاساسي

فاذا تجلد المطالع واحتمل الصدمتين الاولى والثانية جابهته الثالثة فتتضاءل عزة نفسه او تتلاشى بين ثنايا التحزبات الجنسية وانتفاخات التعصبات المذهبية . فان اكثر كتاب تلك الاعصر لا يجدون حسنة الا نسبوها الى من انتموا اليهم ولا معرة الا

الصقوها بمن يخالفهم في جنس او مذهب. وحسبك شاهدا ان القدماء سلبوا كل حسنة من ادريان وافريليوس وديو كاليتيان لانهم اضطهدوا المسيحيين. كما ان بعض المحدثين نسب كل حسنة للمصلحين. مع ان خطأ الاولين لا ينسي ما اتوه من نبل. واجتهاد الاخرين لا يحصر فيهم الفضل. وقد يغالي بعضهم في تعصبه فيذم شخصا لان خصمه يحبه ومن امثلة ذلك بطرس الرسول واوريجانوس بين فريقي المحبين والمخالفين

ذلك ما سبب اعراض الادباء عن مطالعة التاريخ الكنسي مع ما فيه من الفوائد العلمية والاجتماعية والاخلاقية. فدفعني الحرص على الزين ان يشان؛ الى استخلاص سفر تثق به تلك المحظورات وتستاصل به من الافئدة ما توارثته من ازدراء الاخرين وكرههم لمجرد التخالف بالجنس او المذهب وتبعث في نفوس المطالعين روح الاحترام للاخرين وجواز ابداء المحبة لهم

وقد درست لبلوغ امنيتي هذه مئات من المولفات مما كتبه الاسرائيلي والمسلم والمسيحي على تعدد مذاهبه ولم اهمل ما دونه الجاحدون انفسهم مقابلا بين ما ارتآه كل منهم ومستخلصاً من براثن الاغراض المتباينة ما اقتنع به وجداني. ومالم استطع الجزم بصحته او جرحه تركته لنظر سواي ممن اوتوا سعة الاطلاع ودقة الاختبار. على اني اعتمدت في الغالب على تحقيقات علامتين كبيرين اولهما البروتوايار يفس ايفوغراف سمير نوف الروسي الذي

طبع تاريخه لتاسع مرة في بطرسبرج (١٩١١) مصدقاً عليه من المجمع الروسي المقدس ليدرس في السمينارات الروحية . وثانيهما الارشمندريت (صارمطرانا) فيلاريتوس بافيديس مدرس التاريخ في مدرسة خالكي اللاهوتية الشهيرة الذي اعتمد في تاريخه على نخبة من اهم مؤرخي اوربا منهم بياندر وجيازيلر وآيمباك ومولر وريثار وكيرش وهاش ورانيس وبوتليس وشاشا وليفران وسواهم

وقد حاولت جهدي مضارعة بافيديس اليوناني بحسن اسلوبه وسميرنوف الروسي بفلسفته التاريخية؛ وفلوري الفرنسوي بعدم الغفلة عن نقائص الموافقين ؛ وروبرتسون الانكليزي بالصبر على المخالفين ؛ ومير الاميركاني باحترام آراء الاخرين .

والحقت بما ذكر ذيلاً في فصلين ضمنت الاول خلاصة تاريخ الكنائس الارثوذكسية المستقلة . والثاني زبدة ما تحسن معرفته عن الطوائف الشرقية المتحابة منقاة مما يجرح عاطفة او يوجد نفرة وموبدة فكرة من يهمه تبادل الولاء بين ابناء الشرق المتفرقين ولذلك سميت ما استخلصته

. الطرفة النقية

من

تاريخ الكنيسة المسيحية

وهو وان كان دون ما توخيته من بسط حوادثه استجلابا للذة المطالعين . لكنه طبق متمنيات محبي التنسيق وعشاق النزاهة

والمحققين. فان اصبت في ما رغبت فذلك غرض سعيي وإن اخطات فشافعي حسن قصدي والسلام

الطرفة النقية

هادي

من

تاريخ الكنيسة المسيحية

استخلصه عن نخبة من ثقات المورخين النزها.

الخوري عيسى اسعد

طبع في مطبعة حمص سنة ١٩٢٢

توطئة

ماهية التاريخ الكنسي – الكنيسة هي جماعة افراد الف بينهم الرب يسوع المسيح فاتحدوا بالايمان به كاله فاد لهم وحي واحد وعبادة ورئاسة روحية واحدة

والكنيسة كجماعة بشرية ظهرت في وقت معلوم وتعرضت لطواري عديدة يجب ان تربط الاحوال التي مرت عليها باوقاتها لتكون لها صورة تمثل هيأتها منذ تأسست الى الآن . والفن الذي يصور حياة الكنيسة في ترتيب معلوم ويربط حوادثها بعضها ببعض من البداية الى النهاية هو تاريخ الكنيسة

مواضيعه – الكنيسة كجماعة بشرية لابد لها من الامتداد تارة والتقهقر اخرى بالنظر لمماستها الجماعات البشرية الموجودة . ثم هي تحفظ تعليمها نقياً وتقيم عبادتها بترتيب لائق وتتاس برئاسة سامية لتنال مقصودها الاسمى اعني البلوغ الى الكمال الادبي . فحياة الكنيسة اذاً بوجهيها الخارجي والداخلي تنطوي على هذه المواضيع التي يجب ان يحيط بها التاريخ الكنسي :

١) الكنيسة في العالم

٢) التعاليم القويمة والشاذة

٣) المعارف الروحية

٤) الادارة والعبادة والتهذيب

مصادره – نوعان صامتة – كالايقونات والرسوم المختلفة والاواني واشباهها. وناطقة كالكتاب المقدس، وقرارات المجامع؛ والاوامر الملوكية؛ والمناشير الاسقفية؛ والتواريخ المعاصرة

ومما يعين على الوصول الى التاريخ الصحيح العلوم الاتية – الانتقاد؛ التحليل اللغوي، الجغرافيا؛ علم الوقت، التاريخ المدني العمومي

ادواره – تقسيم التاريخ الى قرون يضيع شيئاً من رونقه وينقص لذة مطالعته لارتباط الحوادث الموردة فيه بعضها ببعض وعدم انتهاء بعض الحوادث في القرن الذي تبتدي، فيه بل في القرن الذي يليه او ما بعده احياناً. لذلك يفضل ان يقسم التاريخ الى مدات تنتهي بحوادث عظيمة انتقلت فيها الكنيسة من حال الى حال والتصورات التي مرت بها الكنيسة يمكن حدها بستة ادوار الاول ينتهي بمنشور ميلان سنة ٣١٣ والثاني بمجمع ترولو سنة ٦٩٢ والثالث بالانشقاق العظيم سنة ١٠٥٤ والرابع بسقوط القسطنطينية في الشرق سنة ١٤٥٣ وظهور الاصلاح في الغرب سنة ١٥١٧ والخامس بمعاهدة وستفاليا في الغرب سنة ١٦٤٨ ومجمع اورشليم في الشرق سنة ١٦٧٢ والسادس بيومنا الحاضر

الدور الاول

منذ نشأة المسيحية الى انتصارها العظيم سنة ٣١٣ م

صفة هذا الدور

كان موقف الكنيسة في هذا الدور موقف جهاد بازاء العالمين اليهودي والوثني لان هذين لاعتقادهما بعدم صحة الديانة المسيحية اخذا يحاربانها بقوة؛ قصد ملاشاتها لكن الكنيسة بالرغم عن الاوامر القاسية الموجهة ضدها؛ والاضطهادات الدموية التي اصابتها مدة ثلاثة قرون متواصلة؛ لبثت ثابتة. بل انتشرت في المملكة الرومانية محور العالم السياسي آنئذ وامتدت منها الى سواها الى ان فازت نهائياً في ايام قسطنطين الكبير سنة ٣١٣ فتنازع البقاء بين الكنيسة من جهة والعالمين اليهودي والوثني من جهة اخرى هو الطور الاول من اطوار حياة الكنيسة التاريخية

الفصل الاول — الكنيسة في العالم

١) الاحوال الموافقة — انتشار المسيحية

الاستعداد للانقلاب — تعرضت الكنيسة في اول نشأتها لعقبات كثيرة حالت دون انتشارها ولكن وجدت في الحالات السياسية والدينية والادبية آنئذٍ عوامل كثيرة ساعدت على نمو المسيحية واعداد الناس لقبولها

ففي زمن ظهور المخلص كانت روميه عاصمة العالم اجمع واستأثر الرومان بالسيادة على اكثر شعوب المسكونة فاستبدوا بهم ما شاؤوا وتحولت الحكومة من جمهورية الى امبراطورية (١) فساعدها ذلك على الاستئثار بالمنافع بحيث تحول

(١) تاسست المملكة الرومانية سنة ٧٥٣ ق م وكانت ملكية الى سنة ٥١٠ ق م وجمهورية الى ٣١ ومن ذلك الوقت تحولت الى امبراطورية

الغنى العظيم الى الطبقات العالية في المملكة واقفرت منازل الطبقات الاخرى فاخذت تئن من الفقر والتعس وتتوقع منفذاً للخروج من هذه الحالة الحرجة ولم تكن الحالة في اليهودية باحسن من ذلك . اذ خسر اليهود استقلالهم النوعي الذي نالوه بواسطة المكابيين (١٦٧ — ٦٣ ق م) بسبب منازعاتهم الاهلية فاخضعهم الرومانيون لسطوتهم بواسطة القائد بومبيوس وضربوا عليهم جزية سنوية كانوا يؤدونها مكرهين . ثم اقاموا عليهم ملكاً هيرودوس الادومي المعروف بالكبير الذي ولد المخلص في ايامه ، هذا بشدته اخضع اليهودية للسلطة الرومانية ولكي يستميل اليه اليهود وسع حدود المملكة اليهودية وزين الهيكل ولكنه مع ذلك لم ينل محبة الشعب لقسوته ولادخاله بعض عادات رومانية وثنية الى اليهودية . فبعد موته نشبت الثورات وتسلح اليهود ضد الجنود وظهرت العصابات في جوار اريحا وقام اولاد هيرودس يطالبونهم بميراثهم فقسم اوغسطس بينهم المملكة اليهودية مانحاً ارخيلاوس نصف فلسطين والنصف الثاني لفيليب وانتيبا غير ان الاول اساء السياسة فنفي بعد تسع سنوات والاخيرين كانا راضيين بالاسم من الملك مكتفيين بقبض الراتب . ثم ابهظ عاتق اليهود كومونيوس النائب الروماني بالجزية الباهظة التي ضربها عليهم ولاجلها ثارت جماعة من محبي الحرية بقيادة يهوذا الجليلي ولكنهم فشلوا ازاء سطوة الجنود الرومانية . هذه الشدائد ادت الى تفرق اليهود في انحاء شتى وهيأتهم لقبول المسيحية

اما الشؤون الدينية . الادبية فكانت اسوأ حالاً فقد تعددت الفرق الوثنية واخذت تقاوم احداها الاخرى . فان الحكومة الرومانية ارادت تعميم ديانتها في كل موضع حلت فيه فاضطهدت ذوي الديانات الاخرى . فقام هؤلاء يظهرون فسادها فسقطت كلها . وانتبه الناس الى فساد العبادة الوثنية فاضحوا لا يتممون طقوسها الا ظاهرياً ومن نافرون منها بقلوبهم . وحلت محل الديانات الوثنية الفلسفة ولكن هذه لم تستطع الاستناد الى حقيقة ثابتة موحاة فانقسمت على ذاتها فظهرت الفلسفة الابيكورية التي اباحت كل شيء في سبيل الحصول على اللذة . والرواقية

القائلة بالقدر و بوجوب التقشف الصارم . والافلاطونية المعلمة ان اتحاد الانسان بمهندس الكون الاسمى هومصدر كل تقديس والنيو بلاطونية (الافلاطونية الحديثة) المؤكدة ان الحقيقة المجردة لا تنحصر في ديانة مابل هي موزعة في كل الاديان لذلك انشأ ذووها لانفسهم ديانة مأخوذة من كل المذاهب الموجودة وهكذا سقطت الاداب بتناقض الديانات والمذاهب الفلسفية وصح في الشعوب ما قاله الرسول بولس (رو ١ : ٢٩ — ٣١) . ولم يكن اليهود ارقى من هؤلاء فان التشتت الذي اصابهم بالسبي مراراً جعلهم ينتظرون من مسيا غير ما عين له وقد انقسموا هم ايضاً الى مذاهب شتى فمنهم الفريسيون (المعتزلون) الذين تمسكوا بكل التقاليد اليهودية القديمة علاوة على ناموس موسى و بلغت بهم الغيرة على تقليدات اسلافهم انهم اصبحوا لاجلها يهتمون في العرض من الدين و يتركون الجوهر . والصدوقيون الذين لاقتباسهم الفلسفة اليونانية كانوا يميلون الى التفسير العقلي للناموس ولذلك طرحوا كل التقاليد ، وانكروا خلود النفس والدينونة والروحيات والوحي . والاسينيون الذين مالوا للمعيشة الصارمة بغية الوصول الى الكمال الديني الداخلي خلافاً لتظاهر الفريسيين . ومن الفرق التي وجدت بين اليهود السامريون القاطنون بين الجليل واليهودية الذين اكتفوا باسفار موسى الخمسة ، كانت ديانتهم مزيجاً من اليهودية والوثنية . و بسبب تشتت اليهود بين الوثنيين اقتبسوا من اليونانيين شيئاً من علومهم وهؤلاء اخذوا عنهم الرجاء بمجيء المصلح العظيم وقد دان باليهودية كثيرون منهم فالمختتنون منهم دعوا دخلاء الحق وغير المختتنين دخلاء الابواب وهكذا ادت كآبة الحياة الاجتماعية والسياسية من جهة وانحطاط المبادئ الدينية والادبية من جهة اخرى الى انتشار التقليد القديم الديني بلزوم المداخلة الالهية لاخراج الناس من مأزقها الحرج واعادة العصر الذهبي و بالتالي اخذ العالم طراً ينتظر المنقذ الذي دعاه اليهود مسيا فلما ظهر تسابق الكثيرون الى الانتظام في سلك كنيسته من يهود ووثنيين

الخطوة الاولى — لما تجسد السيد المسيح دعا اليه كثيرين ولقنهم

تعليمه السماوي ثم اختار من المدعوين اثنى عشر شخصاً دعاهم رسلا (لو ٦ : ١٣) ووكل اليهم نشر المسيحية في كل العالم وتدبيرها ووعدهم بقوة علوية (اع ١ : ٤ — ٨) فبعد ما صعد الى السماء بعشرة ايام انجز لهم وعده اذ ارسل اليهم الروح القدس فجعلهم اهلاً لان يوطدوا الكنيسة وينشروها في اصقاع المسكونة

كانت اورشليم في عيد الخمسين ملاى باليهود المتشتتين الذين اجتمعوا من اقاصي المملكة الرومانية ليحضروا العيد ولكل فئة منهم لغة الجهة التى قطنوا فيها . لذلك حل الروح القدس على الرسل بشكل السنة نارية واستقرت على راس كل منهم . ومنحهم ان ينطقوا باللغات المتعددة الموجودة . ولما ادهشت هذه المعجزة اليهود الذين اجتمعوا لما سمعوا الصوت السماوي الذي سبقها حينئذ وقف بطرس خطيباً و برهن للحضور ان الصوت المشبه هبوب الريح العاصفة الذي سمعوه والالسنة النارية التي استقرت على رؤوس الاثنى عشر (وفيهم متياس المنتخب بدلا من يهوذا الاسخريوطي) وموهبة التكلم بلغات مختلفة كل ذلك انما كان اتماماً لنبوءة يوئيل النبي (٢ : ٢٨ — ٣٢) عن حلول الروح القدس على كل من آمن بمسيا الذي ظهر بشخص يسوع الناصري فقتله اليهود ظلما ولكن الله اقامه ومجده بالجلوس عن يمينه . فأثر هذا الكلام على السامعين وانضم الى الكنيسة في هذا اليوم ثلاثة الاف نفس

هذه هي الخطوة الاولى لتأسيس الكنيسة المسيحية ومن ذلك

الحين اخذ الرسل يجاهرون بعمل التبشير فتذكر اليهود ذلك المعلم الالهي ونخستهم ضمائرهم لقتلهم اياه ظلماً فاخذوا يفدون الى الكنيسة افواجاً افواجاً تسكيناً لتوبيخ ضمائرهم . وقد ازداد عدد المومنين عندما شفى الرسولان بطرس ويوحنا الاعرج عند باب الجميل وذاع امر هذه العجيبة في اورشليم فدهش الجمهور وآمن بسببها نحو خمسة آلاف رجل . فاثار هذا النجاح حسد الكهنة اليهود ولا سيما الصدوقيين منهم فقبضوا على الرسولين وسجنوهما ولكن لما كان اخفاء العجيبة امراً متعذراً لان الاعرج الذي شفي معروف من الجميع اكتفى السنهدريم بامر الرسولين ان يمتنعا عن التبشير بيسوع غير ان الرسل تابعوا كرازتهم بجرأة وايد الله اقوالهم بالمعجزات الغريبة لدرجة كان فيها بطرس وحده كافياً لشفاء المرضى المطروحين على طريقه وهكذا اقتيد الشعب الى المسيح وفيهم بعض الكهنة

المقاومة — ان ممثلي الامة اليهودية (رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ) حكموا على المخلص بالموت لتوقعهم اندراس تعاليمه بموته لذلك لم يضطهدوا الرسل بعد موته لان هؤلاء لم يكرزوا قبل حلول الروح القدس عليهم . واما امالهم اضطهاد الرسل بعد حلول الروح عليهم فناتج عن سببين اولهما ان اليهود كانوا ينضمون الى الكنيسة بسرعة عظيمة لم يستطع معها الرؤساء الانتباه اليهم وثانيهما ان انهماكهم في الانقسامات الحزبية شغلهم عن التدقيق

في كرازة الرسل ولا سيما التعليم عن قيامة الموتى والمعمودية . ولكن لما عرفوا اخيراً ان الرسل كانوا يكرزون بقيامة من صلبوه هم ؛ مجاهرين بانه مسيا الذي وعدوا به . غضبوا جداً فقرروا وضع حد لهذه الحركة. ففي بادىء الامر منعوا بطرس ويوحنا عن الكرازة ؛ فلما لم ينتهيا زجوهما مع سائر الرسل في السجن ففتح ملاك الرب ابواب السجن ليلاً واخرجهم (اع ٥ : ١٩) فعادوا يبشرون بيسوع فاثار ذلك في اليهود ثائرة الحنق فاضطهدوا عموم المؤمنين به اضطهاداً عنيفاً استشهد فيه كثيرون. منهم استفانوس اول الشمامسة (اع ٧ : ٥٩) سنة ٣٦ م وتشتت المسيحيون في جهات مختلفة من اليهودية والسامرة (اع ٨ : ١) ولم يبق في اورشليم احد سوى الرسل . وكان في مقدمة المضطهدين شاول (بولس) الذي اخذ رسائل من رؤساء الكهنة في اورشليم ليسوق اليها مسيحيي دمشق مكبلين. ولكن الرب ظهر له في الطريق وحوله من اعظم عدو الى افضل مبشر (٣٧) . على ان تشتت المسيحيين افاد الكنيسة جداً اذ ادى الى انتشار المسيحية في كل الجهات التي نزح المسيحيون اليها فتأسست كنيسة السامرة بواسطة فيلبس احد الشمامسة السبعة (اع ٨ : ٥ — ٤٠) ودمشق بواسطة حنانيا احد السبعين رسولا (اع ٩ : ١٠) وقيصرية بواسطة بطرس الرسول الذي ارشد اول اسرة وثنية (اسرة كرنيليوس قائد المئة) الى المسيح وفهم من الرؤيا التي اراه الله اياها انه لافرق عند الله بين

اليهودى والوثني (اع ص ١٠) وفي انطاكيه توطدت الكنيسة بواسطة برنابا

المجمع الرسولي — ان النجاح الذي صادفه المبشرون بين الوثنيين فتح باباً للمناظرة بين متنصري اليهود ومتنصري الوثنيين فان الاولين كانوا يعتقدون بوجوب اتمام الرسوم الموسوية وكانوا يزدرون مسيحي انطاكيه الوثني الاصل لعدم اتمامهم الطقوس اليهودية. وهؤلاء كانوا يبرهنون ان المسيحية اعفتهم من مثل هذه الواجبات وكان في جانب الاخيرين بولس الرسول. فلما تفاقم الخلاف قررت الكنيسة الانطاكية ارسال وفد الى اورشليم لاخذ رأي الرسل في هذا الموضوع. وانتدب لهذه الوفادة بولس وبرنابا فحضرا الى اورشليم وقصا على الرسل ما جرى. فحصلت محاورة طويلة تقرر لاجلها عقد مجمع فانعقد (سنة ٥١) مجمع رسولي للجزم في هذه القضية عرفنا من اعضائه بطرس وبولس ويعقوب ويوحنا وبرنابا وقسوس الكنيسة الاورشليمية. وبعد مفاوضات كثيرة حكم القديس يعقوب ممثل الكنيسة الاورشليمية بعدم اجهاد المتنصرين من الوثنيين بالفرائض الموسوية. وان يكتفى بمنعهم عن ذبائح الاصنام والزنى والمخنوق والدم. فقبل كلامه باجماع الاراء. وكتب المجمع رسالة ضمنها ما تقرر وبعث بها الى كل من كنائس انطاكيه وسوريا وكيليكية وهكذا انحلت القضية بقبول الوثنيين نهائياً ومن هذا الوقت اخذ الرسولان بولس وبرنابا يتباعدان

كرازتهما بين الامم باكثر حميه كما اخذ بطرس ويعقوب ويوحنا على عاتقهم تبشير اليهود

اعمال بولس الرسول — هذا الرسول ولد في مدينة طرسوس (كيليكية) من اسرة يهودية غنية فدرس وهو صغير الفلسفة اليونانية ثم ارسل الى اورشليم لتحصيل دروس الديانة اليهودية فالقنها عند غمالائيل الشهير ثم ارشده الرب الى المسيحية بطريقة عجيبة سنة (٣٧) وهو ذاهب لاضطهاد مسيحيي دمشق فانطلق (بعد ان وضع حنانيا عليه يده) الى العربية وبشر اهلها نحو ثلاث سنوات ثم عاد الى دمشق فاراد يهود دمشق الفتك به فنجا بواسطة المسيحيين وسافر الى اورشليم (٤٠) وهناك اخذ يبشر اليهود اليونانيين بعد ان عرفه بالمسيحيين برنابا . فحاول اليهود قتله فسافر الى قيصرية ومنها الى طرسوس وطنه الاصلي . ومن هنا دعاه برنابا الى انطاكية فاقام معه كنيستها

في سنة (٤٥) اتم سياحته الكبرى والاولى في اسيا الصغرى للتبشير بالمسيح وكان رفيقه في هذه الرحلة برنابا فانشأ كنائس انطاكية وبيسيدية وابقونية ولستره ودربة . وبعد ان عاد من المجمع الرسولي مع برنابا بدأ بسياحته الثانية (٥٢) وكان رفيقه فيها سيلا وتيموثاوس ولوقا فجال في سوريا وكيليكية وليكاونية وفريجية وغلاطية . من هناك دخل اوربا لاول مرة فكرز في مكدونيا وبلاد اليونان فاسس كنائس فيليبي وسلونيك وبيرية وبعد زيارته اثينا عرج على كورنثوس فاقام فيها سنة ونصفا مؤسسا الكنائس في اهم مدن اليونان آنئذ حضارة وغنى ومن كورنثوس هذه ارسل رسالتين الى اهل تسالونيكية ثم عاد الى اورشليم ومنها الى انطاكية . وبعد ان اخذ لنفسه قليلاً من الراحة باشر رحلته الثالثة بين سنتي ٥٤ و ٥٥ فزار اولاً الكنائس التي اسسها وبلغ افسس قاعدة اسيا الصغرى آنئذ اسنة ٥٦ فمكث فيها سنتين ومن هذه المدينة . بعث برسالته الى اهل غلاطية لتبلغه مبلغ مسيحييها الى الرسوم اليهودية و برسالة اخرى الى كورنثوس لوجود احزاب فيها . ثم ذهب من افسس الى ترواده فمكدونيا ومن

هنا كتب رسالته الثانية الى كورنثوس . ورسالته الاولى الى تيموثاوس ثم ذهب الى ايلاذة حيث بقي في كورنثوس ثلاثة اشهر . ومن هنا كتب رسالته الى رومية ثم عاد الى اورشليم سنة ٥٨ ليحضر عيد الخمسين فيها . ولما بلغها هاج عليه اليهود ولكانوا فتكوا به لو لم ينقذه من ايديهم قائد الكتيبة الرومانية ويرسله محفوراً الى قيصرية فلسطين فبقي هنا سنتين موثاقاً تحت نظر فيلكس الحاكم الروماني ولكن لما خلف هذا فستوس الذي شعر بولس بميله الى اليهود رفع دعواه الى قيصر روميه و بالنظر لانه تبعة رومانية لم يستطع الوالي مراجعته فحمل الى روميه (سنة ٦١) وهناك حكم عليه ان يعيش في بيت على حسابه الخاص فمكث فيها سنتين يبشر بيسوع . ومن هنا كتب رسائله الاربع الى اهالي كولوسي وافس وفليبي والى فيليمون

و بعد خروجه من روميه لا يعرف تماماً اذا كان قد توجه الى اسبانيا كما كان يفتكر (رو ١٥ : ٢٤) ام لا ولكن الارجح انه زار الشرق واسس كنيسة جديدة في كريت وفي هذه المدة كتب رسالته الى تيطس وفي سنة ٦٦ او ٦٧ ظهر ايضاً في روميه وفي هذه المرة سجن وحكم عليه بالموت وفي سجنه الاخير هذا كتب رسالته الثانية الى تيموثاوس ورسالته الى العبرانيين ثم ختم اعماله المجيدة بنيله اكليل الشهادة المجيد

الاثنا عشر رسولا – ظل الرسل بعد حلول الروح القدس في اورشليم الى سنة ٤٥ ثم جالوا في اصقاع شتى يبشرون بيسوع ويجمل مانعرفه عنهم مأخوذ من الكتاب المقدس وشيء قليل من الاخبار المنقولة بالتواتر وهذه خلاصتها

١) اندراوس – صياد سمك من بيت صيدا اتبع المسيح بارشاد يوحنا المعمدان ثم اقتاد بطرس اليه . والمعروف عنه انه بشر في كبادوكية وغلاطية و بيثينية وسكيثيا ونال اكليل الشهادة

في بترلس من اخائيه (نحو سنة ٦٢)

٢) بطرس — هو اخو اندراوس ونظيره في صناعة الصيد . كان من اكثر التلاميذ غيرة وحمية وتعين بعد العنصرة لتبشير اليهود وفي سنة (٤٤) ترك اورشليم خشية من هيرودس اغريباس الذي سجنه واراد قتله كما قتل يعقوب . وبعد المجمع الرسولي جال يلقي بذور التعليم الحقيقي بين اليهود المتشتتين في بنطس وغلاطية وكبادوكية واسيا وبثينية ومن هنا ارسل رسالته الاولى الجامعة ثم كرز مع رفيقه مرقس الانجيلي في بابل ثم في الاسكندرية حيث اسس مرقس كنيسته ثم زار كورنثوس بعد ان اسس بولس كنيستها ومنها سافر الى رومية في زمن نيرون الظالم حيث نال اكليل الشهادة سنة ٦٦ او ٦٧ وخلف رسالتين جامعتين

٣) يعقوب ابن زبدي — هذا اكبر اولاد زبدي اخو يوحنا الانجيلي اسس مع اخيه الكنيسة الاورشليمية والمرجح انه لم يفارق اورشليم بل بقي فيها حتى نال اكليل الشهادة من يد هيرودس اغريباس سنة ٤٤ (ولذلك يشك بصحة تقليد الكنيسة الاسبانية من انه بشر عندهم)

٤) يوحنا الانجيلي — هذا كرز بعد العنصرة في اورشليم وضواحيها مع بطرس ولم يستطع مغادرة اورشليم حتى توفيت والدة الاله (سنة ٤٨) احتفاظاً بوصية معلمه مع ان كل الرسل ذهبوا للكرازة (سنة ٤٥) ولكنه بعد المجمع الرسولي اخذ يتفقد كنائس

اسيا الصغرى التي حرمت بسجن بولس (سنة ٦٠) معينها الاعظم فاسس كما يظهر الكنائس السبع المذكورة في الرويا متخذاً افسس قاعدة لاعماله وفي سنة ٩٦ نفاه دوميتيان الى جزيرة بطمس ولكن نرفا (٩٦ - ٩٨) ارجعه من منفاه حيث عاش الى شيخوخة متناهية ومات في اول الجيل الثاني في ايام ترايان وكان ختام كلامه : يا اولادي حبوا بعضكم بعضاً : وقدخلف هذا الرسول انجيلا وثلاث رسائل جامعة وسفر الرويا

٥) فيلبس — كان من بيت صيدا مدينة اندراوس وبطرس ومن الموكد ان هذا الرسول اسس كنيسة في فريجية وعاش في مدينة ايرابوليس (بيوك قلعه سي) الى يوم وفاته (سنة ٨٠ على مايظن)

٦) برثولماوس او نثنائيل كان من قانا وحسب شهادات يوثق بها كرز في الهند وبلاد العرب (وظن بعضهم انه توفي سنة ٧١ في ارمينيا الخزرية التي كانت تدعى الهند)

٧) توما — هذا الرسول الذي سمح له المخلص بجس اثار المسامير في يديه ورجليه ليزيل الريبة من نفسه . كرز في الهند وبرثيا والجزائر المحيطة بها ونال اكليل الشهادة بمكاند البراهمة

٨) متى — يظن انه هو نفس لاوي العشار المذكور في الانجيل وحسب رواية افسابيوس (٣ : ٢٤) كرز بادي الامر بين اليهود ثم لما عزم ان يتركهم ليبشر الامم كتب لهم بشارته باللغة الوطنية والمظنون انه كان يبشر في مكدونيه وبرثيا وايثوبيه (الحبش)

ولا يعرف اذا كان قد استشهد ام قضى حتف انفه

٩) يعقوب (١) الصغير — لقب بالصغير تمييزاً له عن ابن زبدي الملقب بالكبير . هذا كان ابناً لحلفى وقد بشر بالانجيل في القسم الجنوبي من فلسطين وفي مصر حيث مات مصلوباً و يظن بعضهم انه هو الذي بشر في اسبانيا لا يعقوب الكبير

١٠) يهوذا الملقب لباوس اوتداوس — كان اخاً ليعقوب كرز في سوريا وارمينيا وحسب رأى البعض في ليبية وخلف لنا رسالة واحدة

١١) سمعان الغيور — هو اخو يعقوب و يهوذا لا نعرف شيئاً عن اتعابه الرسولية سوى انه كرز في الشرق

١٢) متياس — كان ملازماً الرسل في حياته ولذلك انتخب رسولاً بدل يهوذا الاسخريوطي ولا يعرف عن كرازته شيء سوى انه كرز خارج المملكة الرومانية

هؤلاء الرسل اقاماً لامر معلمهم الالهي جابوا اقطار المسكونة

---

(١) ظن بعضهم انه اخو الرب غير ان الراي الراجح انهما شخصان مختلفان بدليل ان الكنيسة تعيد لابن حلفي في ٩ تشرين الاول ولاخي الرب في ١٣ منه وهذه خلاصة ترجمته « هو احد اولاد يوسف من زوجة سابقة كان محبوباً من اليهود المتنصرين وذا كلمة مسموعة في مجمع الرسل وكان مهتماً بتوطيد الكنيسة الاورشليمية ولذلك يظن انه لم يخرج من اورشليم ونال اكليل الشهادة رجماً بالحجارة سنة ٦٢ في ايام حنانيا رئيس الكهنة لاقبال اليهود على المسيحية حبا به وخلف لنا رسالة واحدة »

للكرازة ولم يقف في سبيلهم لاجوع ولا عطش ولا اضطهاد ولا سجن ولا الموت نفسه فتاسست الكنائس في اهم مدن المملكة الرومانية : اورشليم . انطاكية . افسس . فيليبي . سالونيك . اثينا كورنثوس . اسكندريه . روميه . حتى ان المدن الحقيرة نفسها لم تكن خالية من جماعات مسيحية هذا الانتشار السريع بواسطة نفر من صيادي السمك الاسرائيليين ادهش المفكرين كافة ولاجل تقليل اهميته وضعوا له تعاليل كثيرة لم تكن جديرة بالمناقشة والصحيح ان هذا الانتشار السريع لم يتم بدون مداخلة قوة الهية ومما لا ريب فيه ان العجائب التي رافقت الكرازة الرسولية وآداب المسيحيين والرابطة الاخوية بين افرادهم واندفاعهم الى عمل الخير ليس لاخوانهم في المذهب فقط بل وللوثنيين ايضاً وسمو التعاليم المسيحية . كل ذلك رغب الناس في التنصر وجعل اليهود والوثنيين يشعرون بافتقار العالم الى المسيحية

الحجبة بعد الرسل — بعد الرسل وكل امر الكرازة لخلفائهم رؤساء الجماعات المسيحية الذين من اشهرهم اكليمنضوس الروماني ثالث اساقفة رومية (١٠١) واغناطيوس الانطاكي المتوشح بالله (١٠٧) وبوليكربوس اسقف اثينا (في اول الجيل الثاني) . هؤلاء ومن جاراهم من الرجال الرسوليين جهزوا للكرازة تلاميذ آخرين وكانوا جميعاً يعملون على اذاعة البشارة بعزيمة لاتفل وهكذا لم ينته القرن الثالث حتى انتشرت المسيحية في اوربا واسيا

وافريقيا العالم المعروف آنئذ

فني القرنين الثاني والثالث دخلت المسيحية في كل انحاء المملكة الرومانية . و بالنظر للعلاقات التجارية بين اسيا الصغرى وغاليا الجنوبية دخلت المسيحية الى هذه البلاد ايضاً وتأسست كنيستان في مدينتي ليون وفينا في النصف الثاني من القرن الثاني وتسقف على ليون بتعاقب القديسان بوثينوس ولرينـاوس تلميذا پوليكربوس . ثم امتدت المسيحية الى غاليـا لمخالطتها الكنيسة الرومانية . ومن غاليا انتقلت الى المانيا الشرقية بواسطة الوعاظ الاسيويين واشتهرت كنائس عديدة المانية في اواخر القرن الثالث في المدن الواقعة خلف الرين (كيـلين ، وتريرا ، وميتز) ومن غاليا او اسيا الصغرى انتقلت المسيحية الى بريطانيـا بواسطة مبشرين اسيويين بدليل وجود شبه بين ترتيب الكنيستين البريطانية والاسيوية

اما افريقيا فدخلتها المسيحية منذ اوائل القرن الثاني وفي زمان ترتليانوس بلغت ما فريطانيا (المغرب) ونوميديا (جزء من مقاطعة الجزائر) وقرطجنة (قرب تونس) اقصى مجدها حتى انه انعقد في اواسط القرن الثالث مجامع كبيرة من الاساقفة المحليين والمظنون ان افريقيا اخذت المسيحية من الكنيسة الرومانية بالنظر للعلاقات القوية بين البلدين كما اخذتها الكنيسة الاسبانية

وقد انتشرت المسيحية الى ماوراء حدود المملكة الرومانيـة فانتشرت من ايديس (اورفا) الى بلاد العجم ودخلت الى بلاد

الهند بواسطة بانتين استاذ المدرسة الاسكندرية الشهيرة . و بشر اور يجانوس في بلاد العرب بدعوة من احد امرائها الخاضعين للرومانيين

٢) الاعمال المضادة

المقاومة اليهودية — اول من قاوم المسيحية في بدء ظهورها انما هم اليهود الذين كانوا يميلون لابقاء القديم على قدمه . هؤلاء لما راوا ان ناموس موسى سيبدل بنظام جديد وان المسيحية تريد ان تحل محل اليهودية قاموا ضدها بكل قوتهم واول ضحية لهياجهم غير المرتب كان استفانوس اول الشهامسة . وكانت الكنيسة الاورشليمية عرضة لاضطهاد اليهود اكثر من سواها لكثرة احتكاكها باليهود و بالنظر لان الحكومة الرومانية كانت تجتهد بتخفيف تعصبهم لم يستطيعوا بادي بدء ان يحكموا بالموت على احد ولكن بعد وفاة طيباريوس قيصر (٣٧) استمال هيرودس اغريباس (حفيد هيرودس الكبير) اليه القياصرة فنال منهم لقب ملك واصبحت كل فلسطين تقريباً تحت سلطته وبواسطة هذا الملك تمكن اليهود من الفتك بالمسيحيين فثاروا عليهم اضطهادا عنيفاً (٤٣ أو ٤٤) استشهد فيه يعقوب بن زبدي ولكن بعد موت هيرودس هذا توقف الاضطهاد اذ عادت فلسطين الى ولاية يديرها حكام رومانيون يهمهم تلطيف التعصب اليهودي وشغل اليهود بالجوع والثورات ضد الرومانيين عن اضطهاد المسيحيين ولم يصر في مدة الحاكمين فيلكس (٥٢ م) وفستوس (٦٠ م) ما يجدر

بالذكر سوى القاء القبض على بولس وسوقه الى المحاكمة امام قيصر . ولكن في ايام الهين خليفة فستوس (٦٢) الذي اقام في الاسكندرية اغتنم حنانيا الاصغر رئيس الكهنة الفرصه واستولى على الاحكام واستعمل نفوذه ضد المسيحيين واستشهد في هذا الاضطهاد يعقوب اخو الرب رجماً بالحجارة لاعترافه بلاهوت المسيح

وفي سنة ٦٧ م ثار اليهود على الرومانيين فارسل فاسبسيانوس ابنه تيطس مع الجند الروماني لمعاقبتهم على عصيانهم فاستولت الجنود على اورشليم سنة ٧٠ بعد حصار طويل وهدموها مع الهيكل الى الاسس مصداقاً لنبوة المخلص (لو ١٩ : ٤١ — ٤٤) وهلك من اليهود نحو مليون نسمة واستعبد منهم الوف اما المسيحيون فنجوا اذ هجروا المدينه قبل الحصار الى بلاد احدى مدن سوريا بعد خراب اورشليم لم تقم لليهود قائمة فلم يصلوا الى المسيحيين بأذى غير انهم كانوا يشون بهم الى الحكومة الرومانيه

الاضطهادات الوثنية

اسباب الاضطهادات — قضت المسيحية بوجودها على اسباب معائش الكهنة وصناع التماثيل واصحاب الحانات والملاهي فثار هؤلاء في وجهها ولقي نداؤهم آذانا صاغية من الشعب والحكومة للاسباب التالية :

١) لان المسيحية تبغي ان تحل محل الديانة الوثنية التي هي الديانة الوطنية وكاهنها الاعظم الامبراطور نفسه ٢) توهموا ان المسيحيين كفرة لان ديانتهم تنافي كل الديانات الموجودة آنئذ ٣) اجتماعات المسيحيين الخصوصية السرية جعلتهم

موضع ريبة ولاسيما ان اليهود اخذوا يلفقون عنهم اشاعات كاذبة كقولهم انهم في اجتماعاتهم ينغمسون في الفحشاء ويذبحون الاطفال ويتآمرون على المملكة . هذه الاسباب جعلت العالم الوثني باسره يحارب المسيحية ويضطهدها لشعوره بانها تنازعه البقاء واضطهاد المسيحية مرّ بازاء طورين سياسيين الاول انتهى سنة ٢٤٩ واريد به الحيلولة دون نمو امتداد المسيحية ولذلك اغضى نيرون ودوميتيان وترايان وادريان عمن اراد بالمسيحية شراً واما مرقس اور يليوس فقد بذل المساعي باقناع المسيحيين بالتحول عن المسيحية الى الفلسفة الرواقية ثم تلا ذلك حظر التدين بالمسيحية . وفي الثاني الذي انتهى سنة ٣٠٥ حاول داكيوس وخلفاؤه اكراه المسيحيين على التضحية للاوثان ولكن ديوكليتيان امر باستئصال شافة المسيحية بالكلية

طور الاضطهادات الاول —

محاولة ايقاف المسيحية

الاضطهاد الاول (٦٥ — ٦٨) — في صدر المسيحية كان الامبراطرة الرومانيون يعاملون المسيحيين كاليهود لاعتبارهم المسيحيين فرعاً منهم وهذا كان اعتقاد طيباريوس (١٤ — ٣٧) الذي ظهرت المسيحية في اواخر ملكه وكايوس كاليغولا (٣٧ — ٤١) وكلافديوس (٤١ — ٥٤) الذي طرد المسيحيين من رومية معتبراً اياهم بعض اليهود الذين احدثوا هيجاناً في المدينة ولكن منذئذ فهم ان المسيحية ديانة مستقلة فصارت الحكومة تنظر اليها كما الى امة تريد ان تكسر القوانين الرومانية وتتغلب على الديانة الوطنية فاخذت تضطهدها بكل قوتها مدة قرنين ونصف واول من اضطهدها بصورة صارمة نيرون (٥٤ — ٦٨) وسبب هذا الاضطهاد ان نيرون احرق مرة نصف رومية ليرى بذاته كيف أحرقت نرودة ولما ثارت الخواطر ضده وخشي على مركزه اتهم المسيحيين باجراء الحريق بدعوى انهم اعداء المملكة وانزل عليهم اضطهاداً قاسياً ظل نحو ٣ سنوات (٦٥ — ٦٨) وانتهى بانتحاره ولكن شدة الاضطهاد يومئذ المسيحيين

انه لم يمت حقيقة بل انتقل الى ما وراء الفرات ليظهر كضد للمسيح وفي هذا الاضطهاد نال اكليل الشهادة كل من الرسولين بولس و بطرس الاول بقطع راسه والثاني بالصلب معكوساً اما خليفته فاسبسيان (٦٩ — ٧٩) وابنه تيطس (٧٩ — ٨١) فقدرا كا المسيحيين براحة

الاضطهاد الثاني (٩٤ أو ٩٥) — اثاره دومتيان الملك (٨١ — ٩٦) في اواخر ملكه لتوهمه ان احد انسباء المسيح سيأتي ليسلبه مملكته الارضية . لكنه لما ارسل فاستدعى ذرية داود من فلسطين الى روميه ولم يجد بينهم الا الفقير المعدم الذي لا يؤبه له هدأت شدة ثورته ولكنه في حال غضبه اودى بحياة كثيرين من المسيحيين ومنهم (نسيبه) ملاتيوس اكليمنضوس وقرينته دوميتلا والقى يوحنا الانجيلي في قدر زيت غال فلما لم يمت نفاه الى جزيرة بطمس واستشهد في هذا الاضطهاد انتيباس اسقف برغاموس محروقاً في ثور من نحاس

فلما مات دومتيان خلفه نيرفا (٩٦ — ٩٨) فابطل الاضطهاد ورد جميع المنفيين ومنع الوشايات على المسيحيين فعاشوا بامن في ايامه ولكن ظلت المسيحية ديانة غير مسموح بها

الاضطهاد الثالث (١٠٤) — اثاره الملك ترايان (٩٨ — ١١٧) وسببه انه خشي وجود مؤامرات ضد العرش فاصدر امراً سنة ٩٩ بمنع الاجتماعات السرية ولما لم ينقطع المسيحيون عن اجتماعاتهم اصدر امراً باضطهادهم سنة ١٠٤ فثار الجمهور ضد المسيحيين حتى ان بلينيوس الاصغر حاكم بيثينيا اضطر ان يستشير الامبراطور بشأنهم فيما اذا كان يجوز قتل المسيحيين لمجرد كونهم مسيحيين وان لم يرتكبوا جرماً فاجابه لايجوز التفتيش على المسيحيين ولكن اذا اتي باحدهم اليه وابى ان يسجد للاصنام فليقاصه . وهكذا وجد الوثنيون سبباً لقتل المسيحيين بجرم الى المحاكمة واظهار مسيحيتهم فيقتلون وقد استشهد في هذا الاضطهاد اكليمنضوس الروماني (١٠١) تغريقاً في البحر الاسود واغناطيوس الانطاكي بالطرح للوحوش المفترسة في الامفيتياتر وسمعان اسقف اورشليم صلباً (١٠٧)

الاضطهاد الرابع (١٢٦) — ادريانوس خلف ترايان في الملك (١١٧ — ١٣٨) وقد كان في اول ملكه يكف يد الرعاع عن المضطهدين ولكنه بسبب نيله رتبة دينية اعتبر نفسه محامي الوثنية الاعظم وسمح للرعاع ان يطاردوا المسيحيين و يفتكوا بهم حيث يجدونهم بلا محاكمة بخلاف الاوامر السابقة فاحتج الكتاب المسيحيون على هذه المعاملات الجائرة — ومنهم كدراتوس الاثيني وار يستيدس الفيلسوف — فاثرت احتجاجاتهم على الملك واصدر امراً بمقاصة الذين يفترون على المسيحيين بدعاوٍ يتضح للحاكم كذبها . وممن استشهد في هذا الاضطهاد افستاثيوس العظيم . فلما مات ادريانوس خلفه انطونيوس بيوس (١٣٨ — ١٦١) الذي حافظ على سياسة سلفه ولكن اجتاحت البلاد مصائب عديدة كالجوع وفيضان نهر التيبر في ايطاليا والزلازل في اليونان والحريق في مدن مختلفة زعم الوثنيون انها نتيجة غضب الالهة على كفر المسيحيين فثاروا ضدهم فاصدر الامبراطور امراً بالاكتفاء بالقوانين التي سنها اسلافه ضد المسيحيين فاحتج على ذلك يوستينوس الفيلسوف وفي زمان هذا الملك استشهد بوبليوس اسقف اثينا

الاضطهاد الخامس (١٦٢) — اثاره الامبراطور مرقس اوريليوس الفيلسوف الذي خلف انطونيوس بيوس (١٦١ — ١٨٠) وكان اشد مما سبقه من الاضطهادات على المسيحيين اذ كان في زمن اسلافه يؤتى بالمسيحيين الى المحاكمة اما في ايامه فكانت الحكومة نفسها تتعقب المسيحيين وسبب ذلك ان الملك اذ كان من المتعصبين للفلسفة الرواقية نظر الى المسيحيين كضالين وابغضهم لاستهانتهم في سبيل مذهبهم . ولما رأى انتشار المسيحية خشي ان تتغلب على المملكة وخيل اليه ان في ذلك خطراً على سلامة الامبراطورية . فافتكر بوجوب ارجاع المسيحيين عما زعمه ضلالا ولو الجأه الامر الى اكراههم على ذلك . فاصدر امراً بوجوب التفتيش على المسيحيين وتسليمهم الى العذاب اذا ابوا الاقتناع بالرجوع عن غيهم فاحتج المسيحيون على هذه الاوامر الجائرة ولا سيما ميليتون اسقف ساردس واثيناغوراس الفيلسوف لكن هذه الاحتجاجات لم تجد نفعاً بل امتد الاضطهاد بسرعة وعم كل

المملكة الرومانية وكان اشده في اسيا الصغرى (١٦٧) وغاليا (١٧٧) وممن استشهد في هذا الاضطهاد بوليكربوس اسقف ازمير وبوستينوس الفيلسوف مؤسس المدرسة المسيحية في روميه وبوثينوس الشيخ اسقف ليون وبونتيكوس الشاب واخته بلانديا

بعد موت اوريليوس كف الاضطهاد لان ابنه كومود (١٨٠ — ١٩٢) كان ضعيفاً لم يعبأ بامور المملكة فكانت حالة المسيحيين حسنة في ايامه

الاضطهاد السادس (٢٠٣) — بموت الملك كومود انتشبت حرب اهلية ظلت الى ان قبض على زمام الاحكام الامبراطور سبتيموس سفيروس (١٩٦ — ٢١١) هذا كان اول امره متمالا للمسيحيين لنيله الشفاء من مرض اصابه بواسطة عبد مسيحي اسمه بروكل ولكنه بسبب ثورة اليهود اصدر امراً (٢٠٣) تهدد فيه بالقتل كل من دان بالمسيحية فتجدد اضطهاد المسيحيين ولا سيما في شمالي افريقيا حيث استشهد ليونيدس الخطيب ابو اورجانوس الشهير . وبوتامينا البتول التي ادهشت الحضور بجسارتها وجمالها فاقدم احدهم المدعو فاسيليدس على الايمان ونيل الشهادة اعجاباً بها . ونال اكليل الشهادة في ليون ارينايوس خلفة بوثينوس في اسقفيتها . وفي قرطجنه ثلاثة من شجاعة المسيحيين فادهشت الخصوم وكان بين المستشهدين فتاة حسناء ذات نسب شريف اسمها « فيبيا » احلت مسيحيتها غير ملتفتة الى دموع والدها فطرحت الى الوحوش الضارية .

ولم تنته الاضطهادات بموت هذا الملك بل ظلت جارية مجراها في زمن ابنه كاراكلا (٢١١ — ٢١٨)

الاضطهاد السابع (٢٣٧) — وبعد موت كاراكلا استلم زمام الاحكام هليوكابل (٢١٨ — ٢٢٢) فارتاح المسيحيون في ايامه لان الملك لم يكن يعتقد بصحة الوثنية بل كان من اتباع فلسفة الايكلكتيك (الاختيار) ولذلك اختار لنفسه مذهباً سورياً ونوى ان يقرنه بالمسيحية التي كانت قد بدأت تظهر للملا كتذب النائم فيها واختبر الناس مبادئها الشريفة فملأ مالك اسكندر سيفيروس

(٢٢٢ — ٢٣٥) النيوبلاتوني المذهب نظر الى المسيحية نظرة اعتبار فضلا عن انه لم يكرهها واعتقد انها اقرب المذاهب الموجودة الى الحقيقة ولذلك وضع في هيكله صورة يسوع المسيح ، ولما حدث نزاع بين المسيحيين والوثنيين حكم للمسيحيين ورد لهم الكنيسة التي ادعى الوثنيون ملكيتها

ولكن راحة المسيحيين انتهت بخيانة مكسيمينوس التراكي لمولاه اسكندر اذ ثار عليه مع الجند فقتله وجلس مكانه (٢٣٥ — ٢٣٨) ولكي يستميل الوثنيين اخذ يضطهد المسيحيين الذين كان سلفه يكرمهم وكان هذا الاضطهاد موجهاً بنوع اخص لرعاة الكنائس ولم يكن عمومياً لكن زمن تسلط مكسيمينوس لم يطل لان قبائحه جعلته مكروهاً عند الشعب ففي ذات ليلة دخل عليه احد جنوده وقتله في خيمته

وبعد موته استلم زمام الاحكام غوارديانوس (٢٣٨ — ٢٤٤) وفيليبس العربي (٢٤٤ — ٢٤٩) فنال المسيحيون في ايامهما حظاً حسناً من الراحة اذ كانا يميلان الى المسيحيين ولا سيما الاخير منهما الذي قال كثيرون انه مسيحي والخلاصة ان المسيحيين حصلوا على راحة من زمن غالليوكابل (٢١٨) الى آخر حكم فيليبس العربي (٢٤٩) ولم يعكر صفوهم سوى مكسيمينوس التراكي (٢٣٥ — ٢٣٨)

طور الاضطهادات الثاني — محاولة استئصال المسيحية

الاضطهاد الثامن (٢٥٠) — كان الملك داكيوس (٢٤٩ — ٢٥١) يبغض المسيحيين بغضاً شديداً لمجرد كون سلفه فيليبس العربي احبهم واذ تسنم عرش الامبراطورية بارادة متعصبي الوثنيين واعتقد ان ثبات المملكة يتوقف على سلامة الديانة الوثنية اصدر امراً (٢٥٠) باستئصال المسيحية وارجاع المسيحيين الى الوثنية ، وهكذا ثار اضطهاد عنيف لم يشاهد مثله منذ ايام مرقس اورليوس (١٦١) فجزع المسيحيون وجبن بعضهم ففحي للاصنام وآخرون رشوا الحكام

واشتروا منهم شهادات بانهم ضحوا (مع انهم لم يضحوا) واخرون تظاهروا بالوثنية ولكن الاكثرين ثبتوا في الايمان فبعضهم خسروا املاكهم وحقوقهم المدنية واخرون نالوا اكليل الشهادة . وقد عم هذا الاضطهاد كل المملكة الرومانية واستشهد فيه رؤساء الكنائس العظمى فابيانوس الروماني وبابيلا الانطاكي والكسندروس الاورشليمي اما ديونيسيوس الاسكندري وكبريانوس القرطجني اللذان كفت الرعية تخشى عدم وجود من يخلفهما فنجوا الى البرية حيث كانا منها يديران شؤون طائفية . وممن اشتهر بحكمته في هذا الاضطهاد جاورجيوس اسقف قيصرية الجديدة هذا جمع رعيته وذهب بها الى القفر فلم يخسر من ابرشيته رجلا واحداً على ان هذا الاضطهاد لم يطل الا سنتين اذ قتل داكيوس في محاربته البرثيين فسكنت الاضطهادات مدة قصيرة

ولكنها عادت في ايام خليفته غالوس (٢٥٢ — ٢٥٣) الذي اضطهدهم لانهم لم يشاركوا الوثنيين بالتضحية للاصنام لرد المصائب عن البلاد واستشهد في هذه المدة كرنيليوس الروماني وخليفته لوكيوس

الاضطهاد التاسع (٢٥٧) — والريان الذي خلف غالوس (٢٥٣ — ٢٦٠) كان في اول امره عطوفاً نحو المسيحيين ولكن بسعي احد اصدقائه المتعصبين اصدر امراً (٢٥٧) بنفي الاكليروس العالي وحظر الاجتماع على العامة على ان هذا المنشور لم يجده نفعاً لان الاساقفة كانوا يديرون شؤون الابرشيات من منافيهم لذلك اصدر منشوراً آخر (٢٥٨) امر فيه بقتل الاساقفة وحرمان الفرسان المسيحيين من كل الحقوق المدنية ومصادرة املاك الاشراف وارسال نسائهم الى المنفى والموظفون الذين لم يرتدوا الى الوثنية يزجون بالقيود و يرسلون الى الاشغال الشاقة في الاملاك الامبراطورية . واستشهد في هذا الاضطهاد سكستس الثاني اسقف روميه مع اربعة شمامسة وكبريانوس اسقف قرطجنه وغيرهم

على ان هذا الاضطهاد لم يطل ايضاً اذ انتهى بوقوع هذا الملك اسيراً بيد الفرس (٢٥٩) ولما تولى ابنه غالين على العرش (٢٦٠ — ٢٦٨) اصدر امراً

بكف الاضطهاد عن المسيحيين واسترجع المنفيين معيداً لهم كل املاكهم ومن هذا الوقت اعترفت الحكومة الرومانية للمسيحيين بحق الاستملاك وبكونها جماعة دينية وامتدت ايام راحتها من هذا الوقت الى آخر القرن الثالث ولم يعكر صفوها سوى امر اصدره اور يليان (٢٧٠ — ٢٧٥) في اواخر ملكه لاجل اضطهاد المسيحيين ولكن المنية عاجلته ولم ينفذ منشوره فاخذت المسيحية تنتشر بسهولة وسرعة ودان بها رهط من عظماء الدولة . وصار المسيحيون يتممون خدماتهم الدينية على مرأى جمهور الوثنيين وفي هذه المدة ظهر تنازع البقاء بين الوثنية والمسيحية ظهوراً لم يكن اجلى منه في كل عصر سبق لذلك اشتد تعصب الوثنيين وعزموا ان يضربوا المسيحية الضربة القاضية لانهم تيقنوا ان في بقائها خطراً على الوثنية، التي زعموا ان سلامة المملكة تتوقف عليها

الاضطهاد العاشر (٣٠٣) — هذا الاضطهاد هو اعظم الاضطهادات واشأمها واشدها ضرراً بالمسيحيين ومن الغرابة انه حدث في مدة ملك اشتهر بعقله وحكمته وتحسينه حال المملكة الرومانية وبثه روح العدالة فيها . هذا الملك هو الامبراطور ديوكليتيان الذي ارتقى الى الاريكة الملوكية سنة ٢٨٤ وظل متربعاً فيها الى سنة ٣٠٥ ولما رأى تعدو هجمات البربر على مملكته الواسعه الاطراف اشرك معه في الملك احد قواده الابطال مكسيميانوس (٢٨٥) ومنحه لقب اوغسطس مفوضاً اليه تدبير القسم الغربي من المملكة ثم انتخب (٢٩٢) مساعدين آخرين قسطنديوس كلوروس وغاليريوس ومنحهما لقب قيصر موكلا الى الاول شؤون غربي اوربا وللثاني شرقيها

فكانت ثراكية ومصر واسيا تحت رعاية ديوكليتيان، ومكسيميان في ايطاليا وافريقيا ،وغاليريوس في ولايات الدانوب المعروفة وقتئذ بايليريا، وقسطنديوس كلوروس على ولايات الرين (غاليا) واسبانيا وبريطانيا . ثم اعطى ابنته لمساعده في الشرق غاليريوس ومن ذلك الحين لم تعد راحة المسيحيين متوقفة على الامبراطور ديوكليتيان بل على عدة اشخاص لكل منهم منهج ومقصد

ظل ديوكليتيان عشرين سنة لم يسئ فيها الى المسيحيين قط ولم يكن ينوي بهم سوءا مع انه كان وثنيا حراً لانه كان يهتم براحة رعيته التي كان المسيحيون جزءا منها بخلاف معاونه وصهره غالير يوس الذي اثرت عليه امه روكولا الوثنية فاصبح شديد الكره للمسيحيين . ومن هذا الشخص كانت الوثنية تامل النصرة وهو كان ينتظر الفرصة المناسبة لسحق المسيحيين بالسيف والنار وظلت امانيه هذه طي صدره مدة قوة ديوكليتيان فلما ادركه الكبر نال بغيته بمساعدة كهنة الاوثان و بعض المتعصبين فاستصدره امراً (٣٠٣) بهدم كنائس المسيحيين وحرق كتبهم المقدسة . فصعب الامر على المسيحيين الذين تعودوا الراحة مدة ليست بقصيرة فتهيج احدهم ومزق المنشور فكان لعمله هذا تاثير سيئ على الامبراطور وجعله يصدق وشايات صهره بان المسيحية تعلم التمرد على الحكومة . وساعد على توطيد هذه الوشاية فيه حدوث عدة حرائق في نيكوميديه وثورات في ارمينيا وسوريا نسبها الخصوم للمسيحيين فاصدر الامبراطور امراً ثانياً بالقبض على الاساقفة كمجرمين سياسيين ثم اتبعه بامر ثالث بالعفو عمن يضحي للاصنام من الاكليروس وتعذيب الباقي طمعاً بان يرتد الاساقفة و يرتد بارتدادهم سائر المسيحيين وفي سنة ٣٠٤ اصدر امراً رابعاً باجبار المسيحيين على السجود للاصنام وقتل من يعصي هذا الامر فبلغت آنئذ العذابات اشدها وعمت الاضطهادات كل المملكة عدا الاصقاع الخاضعة لقسطنديوس كلوروس الذي وهو وثني كان يحب المسيحية و يفضلها على ديانته وتفنن المضطهدون في التعذيب حتى ان النفس لتنقبض لمجرد ذكرها . فالوخز بالحراب ، ونزع الاظفار ، والكي بقضبان الحديد المحمية ، وتمشيط الجسم باظفار حديدية ، ودهن الجسم بالعسل وتسليمه لسمع الزنابير ، والشي على النار ، والقلي في المقالي ، والتقديد في الافران ، والطرح للوحوش الضارية والدببة والخنازير والثيران الجارحة ، والجلد ، والجوع ، وزج المسيحيين في البحر وفي ارجلهم حجار ثقيلة ، وتقطيع الاعضاء واحداً فواحداً والشق (بان يضم غصناً شجرتين متجاورتين وتربط بهما رجلا امرأة او رجل و يتركا تهويان

وقد انشق الشخص من وسطه) . والتعليق برجل واحدة ، او ضبط الرجل الحبل بيديه وتركه يلوح في الهواء ، او ربطه الى عمود عال فاذ لا موطئ لرجليه ترتكزان عليه يدخل الحبل في امعائه لثقل جسمه . ظلت هذه الاضطهادات عدت سنوات ، (٢ في الغرب و ٨ في الشرق) فاستشهد كثيرون وكان عدد المستشهدين يبلغ احيانا في اليوم الواحد وفي المدينة الواحدة نحواً من مئة نسمة وممن استشهد في هذا الاضطهاد اعاظم الشهدا جيورجيوس اللابس الظفر وديمتريوس التسالونيكي وثيودورس التيروني ، وبراسكيفي الايقونية وبربارة البعلبكية ، وكاترينا الشريفة الاسكندرية ، وغيرهم كثيرون يعدون بالالوف ، وكان يخيل الى الملوك ان المسيحية تلاشت لكثرة ما قتل من المسيحيين ولكنهم وهم كانوا يسفكون الدماء كانت الناس تشعر بافضلية الديانة المسيحية ، و يوثر عليهم منظر الشهداء فيقبلون عليها بشاشة ، ومن هؤلاء امرأة ديوكليتيان وابنته امرأة غالبريوس نفسه . وكما نووا ان يعيدوا لانتصار الوثنية واضمحلال المسيحية ، يجدون ان المسيحية عادت فزهت وصح القول المأثور :دماء الشهداء بذار الكنيسة

لكن هذه الحالة لم تطل فان الحوادث المؤثرة انهكت جسم ديوكليتيان فاعتزل الاحكام (٣٠٥) وعمل عمله مكسيميان فاستقل غالبريوس في الشرق وقسطنديوس كلوروس في الغرب فساءت حال الشرقيين بخلاف مسيحيي الغرب . لكن الانقلاب العظيم حدث بتسنم قسطنطين عرش الملك في بريطانيا موضع ابيه المتوفى (٣٠٦) وهو قد ورث عن ابيه الميل للمسيحيين ، فنال المسيحيون في الغرب في ايامه الراحة التامة بينما كان اخوانهم في الشرق يعانون الاهوال من غالبريوس المتعصب . لكن هذا نفسه كنت قوته وشعر بانه لاتوجد قوة بشرية تستطيع ملاشاة المسيحية . ولما اصيب بمرض عضال خشي معه الموت اناب عنه احد قواده الابطال ليسينيوس و بالاتفاق مع قسطنطين اغسطس الغرب اصدر الثلاثة منشوراً بكف الاضطهاد عن المسيحيين واعطائهم حرية العبادة على شرط عدم الاخلال بالنظام المدني ، وهو اقرار صريح بعجز الوثنية

فلما مات غاليريوس وجلس مكانه ليسينيوس ثار بعض الطامحين الى الملك المدعو مكسيميان ولم يجد هذا واسطة لاظهار تمرده بغير اضطهاد المسيحيين فاستشهد في ايامه بمفيليوس القيصري ، ولوكيانوس الانطاكي ، وبطرس الاسكندري وبهؤلاء انزع كأس الاضطهاد وعقبته الراحة المبتغاة

انتصار المسيحية

القرون الثلاثة الاولى كانت كافية لتعرف الوثنيين بالمسيحية وتقلل شيئاً من بغضهم لها فلما دخل القرن الرابع وظلت المسيحية ثابتة نامية رغم الاضطهادات العنيفة التي ثارت ضدها قام في ذهنهم انه توجد ضمن الكنيسة قوة الهية واثقة تحفظها من الاضمحلال وتسودها على الوثنية . اما الامبراطور قسطنطين فكرجل حكيم ينظر بعين البصيرة الى المبادئ المسيحية السامية والى نقاوة آدابها فقد كان يحترمها كل مدة وثنيته اخذ الميل اليها عن والديه قسطنديوس وهيلانة . وهذا الميل زاد فيه عندرؤيته شجاعة المسيحيين واقدامهم على الموت لاجل مبدأهم ومع انه كان وثنياً (٣٠٢) ومضحياً للاصنام (٣٠٨) لكن شكوكه بالوثنيين لم تكن تفارقه . اخيراً مال بكليته الى المسيحية ليس لسد الفراغ الديني الذي كان يشعر به في نفسه فقط بل لانه كعاقل رأى ان حلول المسيحية موضع الوثنية في المملكة يجعلها افضل مما سبق . فضلاً عن انه لا يسقطها كما زعم الامبراطرة اسلافه وقد اعجب خصوصاً في الرباط الاخوي الذي لا ينفصم الموجود بين المسيحيين . فرأى ان مملكة

تتألف من جماعة كهذه لايمكن ان تكون ضعيفة ؛ فعزم اخيرا على التنصر وشجعه على ذلك رؤيته جهاراً وهو ذاهب لمقاتلة مكسنتيوس (٣١٢) علامة الصليب في السماء مكتوباً عليها « بهذا تغلب » فلما فاز اعلن مسيحيته واتخذ الصليب شعارا وكان قبل ذلك علامة السخرية فصارت شرفاً وفخراً ؛ وفي سنة ٣١٣ اصدر منشوراً من مديولان بامضائه « وامضاء ليسينيوس اطلق فيه حرية الاديان . وسمح بالتنصر لمن يشاء بدون مانع ورد للمسيحيين كل مساوياتهم وهكذا فازت المسيحية على الوثنية

النزاع بين الفلسفة الوثنية والمسيحية

لم تكن الحكومة المدنية وحدها تعمل على مقاومة الدين المسيحي بل قام معها الفلاسفة الوثنيون ورجال العلم عندهم يبذلون ما في وسعهم لسحق المسيحية وتحقير مبادئها السامية . وبين هولاء ورجال لم يكن ينتظر منهم الانقياد للعواطف والاعراض عما يتجلى للعقل الصحيح والوجدان السليم ؛ وانك لا تكاد تصدق ان تاشيتوس المؤرخ (٥٥—١٢٠) وبليانيوس الاصغر (٦١—١١٦) يرسلان كلمتهما بدون تثبت فيدعوها الاول « خرافة مهلكة » والثاني « خرافة شنيعة » على أن الحملات العنيفة توجهت ضد المسيحية من فلاسفة ذلك العصر او بالحري طلاب الفلسفة لانهم لم يكادوا يصدقون سمعهم ان فئة ساذجة خرجت من اليهودية واخذت تفسر للناس المسائل الحيوية الدينية التي قضى اساطين الفلسفة زمناً طويلاً في كشف غامضها

فلم يحرزوا ما يروي الاوام ؛ واشهر الفلسفات التي قامت المسيحية ثلاث : الرواقية والابيكورية والافلاطونية التي تحولت مبادئها ودعيت اخيرا الافلاطونية الحديثة وقد قام في كل منها رجال اشربوا بغض المسيحية افرغوا آخر سهم من كنانتهم لاصمائها فلم يفلحوا وهذه اسماء الذين حاولوا ذلك :

الرواقيون — كان الرواقيون يحتقرون المسيحيين ويعتبرون استمساكهم بمبدأهم حتى الموت عناداً وتعصباً اعمى فان فلافيوس (في القرن الثاني) تلميذ ابيكتيتوس قال : « ان جنون المسيحيين اصبح فيهم ملكة يتعذر نزعها » ومرقس اوريليوس زاد على احتقاره اياهم بغضه الكاشح فضحى باضطهاده الوفاً بدون شفقة

الابيكوريون — الذين كانوا يعتقدون ان غاية الانسان انما هي اللذة وسخروا ليس من المسيحية فقط بل ومن الوثنية ايضاً واحدهم لوكيانوس السميساطي (١٣٧ — ٢٠٠) الف كتاباً دعاه « موت بيريغرين » سخر فيه بالمسيحية ما شاء اذ مثل فيه بطل الرواية (بيريغرين) رجلاً ساقط الاداب والمبادئ انضم الى المسيحية وبدهائه احرز بينهم درجة عالية حتى نال الاسقفية ولما احرز غنى وافراً تركهم ثم انتحر . واراد بذلك ان يظهر للملا ان المسيحيين قوم سهلوا الانخداع وان استشهادهم انما هو انتحار ثم تهكم جهده على الايمان بالله مصلوب والاعتقاد بحياة ثانية . على ان اشر الابيكوريين في مقاومة المسيحية كان شيلسوس الذي الف كتاباً

دعاه « كلمة الحق (١٥٠) جمع فيه كل مطاعن الوثنيين بالمسيحية واجتهد ان يدحضها باسلوب علمي لذلك درس الاسفار المقدسة واخلاق المسيحيين ولكنه لم يميز بين الاسفار الصحيحة والابوكريفا ولا بين الارثوذكس والهراتقة ؛ فسخر من قيامة المسيح وسائر عجائبه وهزى بالمبادى المسيحية ناسباً اياها الى الخرافات اليهودية ما عدا التعليم عن كلمة الله الاقنوم الثاني فانه استثناه مما سماه التعاليم الخرافية ولكنه نسبه الى الفلسفة الافلاطونية ؛ وانكر القول بتجسده لاعتقاده انه يقتضي تحول الاله وهذا غير ممكن والخلاصة ان شيلسوس لم يمس العقائد المسيحية فقط بل صورها خطراً على الانسانية .

النيوبلاتونيون — لم تكن الفلسفة الرواقية او الابيكورية بذات خطر على المسيحية وذلك للفرق البيّن بينهما وبين المسيحية ولكن الافلاطونية ونعني بها الافلاطونية الحديثة كانت اشد خطراً من كل الفلسفات القديمة لان ذويها كانوا قد اختاروا كثيراً من المبادى المسيحية واضافوها الى فلسفتهم ووضعوا يسوع بين مشاهير زعمائهم كسقراط وافلاطون وفيثاغورس وابولون الثياني ؛ ومؤسسها امونيوس ساك (+ ٢٤٣) كان مسيحياً في اول امره وتخرج عنده كثير من علماء المسيحية كاريناوس واوريجانوس وسواهما وكانوا يقولون انهم طلاب حقيقة لا يهمهم نيلها من اية فئة كانت . ويزعمون ان مذهبهم حوى كل الحقائق الموجودة في المبادى المنتشرة

وخلا من شوائبها ولذلك كان يخشى ان ينقاد المسيحيون اليه . ولكن زعماء المسيحية ابوا الاخذ بقولهم ولزموا الحياد وهذا ما ساء النيوبلاتونيين جداً ، ومع ان كثيرين من الامبراطرة اتباع هذا المذهب «الانتخاب» كغاليو كيل واسكندر سيفيروس وقسطنديوس كلوروس كانوا متساهلين مع المسيحية بحسب مبدأهم لكن نصراء النيوبلاطونية المتحمسين كانوا شديدي العداوة للمسيحية لرغبتهم في اعطاء المجتمع الانساني ديانة كاملة (بزعمهم) مختارة من جميع المذاهب الموجودة .

واول من حمل بشدة على المسيحية من هؤلاء هو برفيريوس الصوري (٢٣٣ — ٣٠٤) الذي الف ضد المسيحية ١٥ كتاباً اشهرها مؤلفاه «دحض المسيحية» و «فلسفة العرافين» اجتهد فيهما ولا سيما في الاول ان يبين فساد المسيحية ليكسب ثقة الناس فانتقد الكتاب المقدس بصورة علمية متخذاً مادة لكلامه بعض العبارات التاريخية والفلسفية ، ثم انتقل فجأة الى استنتاجات غير صحيحة زاعماً انه وجد في نفس السيد المسيح مناقضات داخلية وان تعليمه مناف لتعليم الرسل وان هؤلاء متناقضون . على انه لم ينكر قداسة مؤسس المسيحية (يسوع) لكنه انكر لاهوته وزعم انه (له المجد) لم يردان ينسب اليه اتباعه الالوهية

وفي زمن ديوكليتيان ظهر رجل آخر نيوبلاطوني الف كتاباً

في جزئين دعاه «كلمة حق على المسيحيين» حمل فيه على المسيحية حملة شعواء شحنه من السباب والكلام البذي، شأن زملائه الذين اذ لم يجدوا ما يعيبون المسيحية اقتصروا على الافتراءات . فهذا انحى باللائمة على الرسل بدون مستند وعاب حياة المخلص زاعماً انه دون ابولون التياني بسيرته ومعجزاته . هذه بعض الشذرات الوثنية التي حفظت من الضياع ونجت مما اتلفه امبراطرة القرنين الـ ٤ و ٥

على ان المسيحية لم تخل من نوابغ نالوا من العلوم الفلسفية حظاً وافراً وكانت فيهم الكفاءة ليس للاحتجاج على اعمال الملوك الجائرة فقط بل على افتراءات الكتاب الوثنيين ايضاً ، وقد قسمت مدافعات الكتاب المسيحيين الى نوعين : احتجاجات حقوقية ومدافعات علمية .

الاحتجاجات — فمن النوع الاول احتجاجات كدراتوس واريستيدس ويوستينوس الفيلسوف وميليتوس اسقف ساردس وكلافديوس ابوليناريوس اسقف ايرابوليس واتيناغوراس الفيلسوف وميلتياديس الكاتب ففي هذه الاحتجاجات برهنت صحة المسيحية ودفعت تهمات الخصوم بادلة محسوسة . ولكن هذه الاحتجاجات بطلت في اواخر القرن الثاني اذ لم تؤد الى نتيجة بالنظر لتعصب وعدم انصاف المضطهدين . واكتفى المسيحيون بشجاعتهم الفائقة وثباتهم العجيب ، تجاه الاضطهادات العنيفة والعذابات المرة

المدافعات — وقوة المسيحيين المعنوية ظهرت بنوع اخص في

المدافعات التي وضعها الكتاب المسيحيون ردا على افتراءات علماء الوثنيين والفلاسفة بحيث لم يدعوا افتراء بدن تفنيد عدا دحضهم الوثنية والفلسفات المنتشرة

ومنذ القرن الثاني اخذ ينبغ بين المسيحيين كتاب يضارعون اعظم علماء الوثنيين معرفة وفلسفة ومن هؤلاء يوستينوس الفيلسوف الذي عدا احتجاجيه اللذين قدمهما للحكومة الف كتاب « تخطئة اليونانيين » فند فيه الوثنية وبرهن صحة المسيحية بعبارات علمية فلسفية ومنهم كلافديوس ابوليناريوس وملتيادس الكاتب وغيرهم كتبوا ردودا على اليونانيين اما اثيناغوراس الفيلسوف فبرهن قيامة الموتى في مؤلفه المعنون بهذا الاسم بوضوح تام ووجدت رسالة عنوانها « الى ديوجنيت » يوضح كاتبها المجهول كل المسائل التي تعذر على الوثنيين فهمها . وثيوفيلوس الانطاكي وضع كتاباً سماه « رسوم الايمان » وجهه بنوع اخص الى عالم وثني اسمه افتوليكوس مزيلا ارتياباته باله غير منظور ، وبقيامة الموتى واشتهر بين المحامين ايضاً ترتوليان القرطجني ومينوشيوس فيلكس وهرماس الذي ضرب الفلسفة اليونانية الضربة القاضية بمؤلفه المسمى « تهافت الفلاسفة الوثنيين »

لم يكتف المسيحيون بهذا بل اسسوا معاهد علمية لهذه الغاية ومن هذه المعاهد مدرسة الاسكندرية التي تاسست في القرن الثاني وغايتها دحض الوثنية والدفاع عن المسيحية واشهر النابغين

من هذه المدرسة اكليمنضوس الاسكندري الذي بين بنزاهة تامة البون العظيم بين المسيحية والوثنية في مؤلفه «النصيحة لليونانيين» واور يجانوس الذي تعقب شلسوس فقد كتابه كلمة الحق عبارة عبارة مبرهناً الوهية المسيح وتجسده ومخطئاً اليونانيين فلسفياً وتاريخياً لتوهمهم استحالة ذلك . ودفع استخفافهم بمعجزات المسيح وقيامته برد جميل واستشهد اخيرا لصحة قوله بسرعة انتشار المسيحية رغم المقاومات وضعف الوسائط

اما كتاب برفيريوس فقد رد عليه كثيرون منهم مثوديوس اسقف باتارة (+ ٣١٠) واوسابيوس القيصري المؤرخ (+ ٣٤٠) في ٢٥ كتاباً . وهكذا فازت المسيحية علمياً كما فازت مدنياً وسقطت بازائها القوة الوثنية بعد ان قاومتها بعنف نحو ثلاثة قرون

الفصل الثاني

التعاليم الكنسية — القويمة والمنحرفه

١) التعاليم القويمة

مصادر التعليم الكنسي — لما كان السيد المسيح يتمم عمل الفداء على الارض علم الناس مشافهة وكشف لرسله اسرار ملكوت الله . ولكن الرسل ارادوا ان يحفظ التعليم بالكتابة فكتبوا هم والمقربون منهم تحت مراقبتهم تعليم المسيح وكيف انتشر وفهم ليحفظ من الشوائب وهكذا ظهرت البشائر الاربع لمتى ومرقس

ولوقا ويوحنا واعمال الرسل مع الرسائل السبع الجامعة ورسائل بولس الاربع عشرة ورؤيا يوحنا . حاوية خلاصة التعليم المسيحي (يو ٢١ : ٢٥) واصبحت مع اسفار العهد القديم اساساً للتعاليم الخلاصية اما التعاليم الشفاهية المعروفة بالتقليد التي حفظها الرسل ولقنوها لخلفائهم فكانت مصدرا ثانياً للتعاليم الكنسية به يتمم التعليم المسيحي المكتوب ويوضح معناه

قانون الكتاب والتقليد — لما كانت الاسفار المقدسة والتقليد الشريف ينبوعي التعاليم المسيحية اجتهدت الكنيسة كثيرا ان تحفظهما من الزغل والغش فلاجل الاسفار المقدسة وجدت منذ اواخر القرن الاول قوائم للاسفار المقدسة القانونية لتميزها عن الكاذبة التي انتحلها المبتدعون ونسبوها للرسل ليثبتوا تعاليمهم . وهذه القوائم انما وجدت بعد ما محض رؤساء الكنائس الاسفار المنسوبة الى الرسل وعرفوا من نفسها والاشخاص المرسلة اليهم انها لهم حقيقة فاثبتوها في القائمة . وقد اقتدى بعض الهراطقة برؤساء الكنيسة فوضعوا قائمة للاسفار التي تلائمهم . ومن هؤلاء مركيانوس المبتدع وذكر ابريناوس وأكليمنضوس الاسكندري وترتوليانوس القرطجي قائمة ذكر فيها البشائر الاربع واعمال الرسل ، ورسائل بولس (عدا العبرانيين) ورسالة بطرس الاولى واولى رسائل يوحنا والابوكاليبسيس (الرؤيا) . اما سائر الاسفار فقبلتها بعض الكنائس وارتابت برسوليتها الاخرى وبقيت هذه الاسفار تحت

الشك الى ان تقررت قانونيتها في القرن الرابع وتعينت ابو كريفية بعض الاسفار الشائعة آنئذ مثل انجيل اليهود وانجيل توما واعمال بولس ، ورؤيا بطرس وغيرها

وعلى هذا المنوال اهتمت الكنيسة في القرون الاولى بضبط التقاليد وحفظها نقيه . ولم تكن تعتبر من التقاليد الا المتسلسل من الرسل الذي لايناقي كتاباتهم . هكذا حفظت التقاليد في الكنائس المؤسسة من الرسل ومنها كانت تستمد الحجة لفض المشاكل في الاسفار المقدسة . وعن كيفية ضبط التقاليد واهميتها كتب ايريناوس اسقف ليون وترتوليانوس القس القرطجني ومن كتاباتهما يفهم ان الحكم بصحة التقاليد الرسولية كان موكولا لكنائس الرسل في اول الامر . ولكن لما كثر امتزاج المسيحيين وتقاربت الكنائس احداها من الاخرى اخذ التقليد العمومي يتالف شيئاً فشيئاً ثم دون في مؤلفات الاباء الارثوذكسيين

قوانين الايمان — ان السيد المسيح امر الرسل ان يقبلوا في الكنيسة كل طالب من اي جنس ومذهب كان ، شرط ان يتعلموا قواعد الدين الاساسية (مت ٢٨ : ١٩) ففعل الرسل كما امرهم الرب وكانوا يقتصرون في بادئ الامر على تلقين طالبي الانضمام خلاصة العقائد المسيحية (اع ٢ : ١٤ — ٤٢ و ١٠ : ٣٤ — ٤٤ و ٨ : ٣٦ الخ و ٧ : ١ الخ و ١٣ : ١٦ — ٤٢) ثم يشرحون لهم ما اجملوه بعد ذلك وحذا رؤساء الكنائس المسيحية حذو الرسل فكانوا يطلبون

من اعضائها ان يعترفوا عند اعتمادهم بخلاصة الايمان (الدستور) ثم يفصلون لهم بعد ذلك ما يلزمهم من التعاليم ؛ على انه لم يكن آنئذ دستور عمومي للكنيسة بل كان لكل كنيسة دستور خاص وكانت هذه القواعد تختلف لفظاً وتتفق معنى واهم ماتضمنته (القوانين القديمه) التعليم عن الثالوث مع بعض تفصيلات بشان الابن. وقد اشتهرت عدة قواعد للايمان المسيحي منها الاورشليمي والروماني والانطاكي والقيصري والغالي والقرطجني والاسكندري ومن القرن الثالث اخذت عبارات هذه الدساتير تتهذب حتى توحدت في القرن الرابع حينما حدد المجمع النيقوي الاول صورة واحدة للايمان واصبحت مرجعاً لتفسير العقائد المسيحية

ايضاح العقائد — لم تكن قواعد الايمان لتغني الكنيسة عن المناقشة في العقائد المسيحية لعدم استيعابها كل ما يجب ان يقال عنها لذلك اضطر آباء البيعة مراعاة للظروف ان يبسطوا بعض العقائد ويشرحوها بتفصيل ليقربوها لفهم القاصرين . والعقائد التي بسطت في هذا الدور هي وحدة اللاهوت وتثليث الاقانيم ولاهوت المسيح والاسرار واكرام القديسين

فوحدة اللاهوت شرحت علاوة عن وجودها في راس الدستور لاجل اقناع الوثنيين ذوي الالهة الكثيرة وبرهنت ليس من الكتاب والتقليد فقط بل من العقل ايضاً . فان تعدد الالهة ينفي حقيقة الاهوتهم لانهم ان تساووا تقيدت ارادة كل منهم بالاخر وليس

ذلك من صفات الاله الحقيقي وان تمايزوا كان اعظمهم الاله الحقيقي الواحد

وتثليث الاقانيم — انما عني الاباء بشرحه لتعرضه لانتقادات الوثنيين وتاويلات المبتدعين القدماء ولا سيما نفاة التثليث فاضطر اباء الكنيسة في القرن الثاني والثالث ان يبرهنوا من الكتاب والتقليد ان الاب والابن والروح ثلاثة اقانيم متساوون في الالوهية متميزون في الخاصات الاقنومية

لاهوت المسيح — مع شرح التثليث اهتمت الكنيسة باقنومية المسيح فشرح اباء الكنيسة بلا خلاف ان المسيح اله وانسان معاً مؤلف من نفس وجسد بشريين وقد اوضح هذه الحقيقة بنوع اخص ميليتون اسقف ساردس وايريناوس اسقف ليون وغيرهما اما كيفية اتحاد اللاهوت بالناسوت فلم يبحث عنه في هذا الدور

الاسرار — كل كتبة القرن الثاني والثالث اعتقدوا ان الاسرار هي اعمال مقدسة بواسطتها تمنح (سرياً) النعمة الالهية المنشطة والمقوية والمقدسة مقتبلها . وكلهم اجمعوا ايضا على ان اساس الاسرار الهي واوجبوا اقامها بترتيب مخصوص بواسطة اناس معينين . اما بشان عدد الاسرار فلم يتكلم احدهم عنها مجموعة بل كان بعضهم يشرح سرا واحدا واخر اثنين واخر ثلاثة او اربعة . لكننا من هذه الكتابات جميعها نستطيع ان نستخلص عدد الاسرار وهو انها سبعة لا اكثر ولا اقل وقد اوجبوا سر المعمودية على كل المتنصرين

اما ترتليانوس فاشترط لنيل المعمودية الايمان الشخصي ولذلك اعترض على معمودية الاطفال

اكرام القديسين – الاعتقاد بوجود رابطة بين الكنيستين السموية (المنتقلين) والارضية (الاحياء) قديم جدا وعمومي . اما الاعتقاد بان القديسين امام الله يتشفعون بالاحياء على الارض فقد ظهرت آثاره في القرن الثاني والثالث وقد استند كتبة هذين القرنين لاجل اثباته الى كلام يوحنا الانجيلي في الرويا (٨ : ٣–٥ و ٥ : ٨) ومن هولاء الكتبة ايريناوس (١٤٠–٢٠٢) وترتوليانوس (٢٤٠) وكبريانوس (٢٠٠ –٢٥٨) واوريجانوس (١٨٥–٢٥٤) ويوستينوس على ان اكرام بقايا القديسين في القرنين الثاني والثالث كاف ليبرهن ان استشفاع القديسين واكرامهم كان منتشرا في الدور الاول .

٢) – البدع والانقسامات

منشأ البدع – لما كان الناس مختلفي المدارك كانت درجة فهمهم للحقائق المسيحية المودعة في الكتاب والتقليد متفاوتة فبعضهم فهموه كما هو وهم الذين يسميهم التاريخ ارثوذكس (مستقيمي الراي) وبعضهم اذ درسوا الاقوال الالهية درساً سطحياً اشتبهت عليهم بعض حقائقه فانحرفوا عن الصواب في فهمها وهم المعروفون في التاريخ باسم هراطقة او مبتدعين

وقد ظهرت البدع في الكنيسة بصورة طبيعية مرتبة اذ انتقلت من التعاليم العمومية الى الخصوصية بالتدريج ، وكان من المتوقع ظهور خطا من متنصري اليهود فالوثنيين في اوائل الحياة الكنسية لنظرهم الى المسيحية نظرة يهودية

وثنية ، وزيغ هؤلاء لم يكن يمس التعاليم الخصوصية بل كان مقصوراً على الطريقة والخطة . فاليهود كانوا يريدون قرن المسيحية باليهودية او بالحري اخضاعها لها والوثنيون يرغبون مزج المسيحية بالفلسفة اليونانيه واستنباط ديانه حديثة منهما . فلما غلب هؤلاء على امرهم ولم يفوزوا من الكنيسة بطائل ظهرت البدع من متنصري الفريقين فانكر بعضهم التثليث وتلاعب آخرون بالتعاليم المسيحية الاخرى لقصور افهامهم عن اكتناه حقيقتها ومن هذا ترى ان بدع الدور الاول يمكن حصرها في اربعة انواع اخذت اولاها من ممازجة المسيحية لليهودية والثانية من امتزاجها بالفلسفة اليونانية الوثنية والثالثة من الفارسية والرابعة من استسلام المسيحيين للعقل وحده دون الوحي

١) بدع متنصري اليهود — بالرغم عن تقرير المجمع الرسولي اعفاء المسيحيين من اتمام الناموس الموسوي ظل المسيحيون الاسرائيليو الاصل يميلون لاتمامه ، وفي اوائل القرن الثاني الفوا لانفسهم فرقة مستقلة ولكن حينما هدم ادريانوس اورشليم (١٣٠) اصبح متعذراً عليهم اتمام وصايا الناموس فانحاز قسم منهم الى الكنيسة وارتضوا باسقف غير مختون والباقون ظلوا على معتقدهم وجاهروا ببدعتهم ثم انقسموا الى فريقين المتطرفين او الابيونيين والمعتدلين او الناصريين فهؤلاء حافظوا على التعاليم الكنسية الاساسية ولكنهم اوجبوا على انفسهم الناموس الموسوي مع عدم ايجابهم حفظه على متنصري الوثنيين ولذلك عاملتهم الكنيسة برفق وهذه الفرقة تلاشت قبل القرن الرابع

اما الابيونيون (١) فشذوا عن المسيحية لايجابهم حفظ الناموس على الكل ولتكفيرهم بولس الرسول لمخالفته فكرتهم هذه ولم يعتبروا المسيح الها فادياً بل نبياً عظيما كموسى

وقد ظهرت بدعة يهودية ثالثة دعيت الكسا (٢) نتجت من اختلاط

---

(١) اخذوا اسمهم على الارجح من ابيون وهي لفظة عبرية معناها فقر سموا بذلك لفقرهم

(٢) نسبة الى رجل اسمه الكسا عاش في زمن ترايان

الابيونيين بالغنوسيين فزعموا ان المسيح روح الله ظهر اولا في هابيل فاخنوخ فابرهيم فموسى الذي سلم التعليم الحقيقي للشيوخ السبعين الذين علموه شفاها للشعب لكن تعليم موسى تحرف بعد موته فظهر روح الله ايضاً في شخص مسيا لاصلاح ما افسد اما تعليم موسى الحقيقي فظل محفوظاً وراء بحر الميت حيث قطن الاكسيون وهذه الشيعة عاشت الى اوائل القرن الخامس

٢) الغنوسيسيون — غنوسيس كلمة يونانية معناها معرفة جعلت لقباً للمتنصرين الفلسفة الايكليكتيكية من الوثنيين لادعاء ذويها حصولهم على المعرفة العالية بتعليل كل شيء في هذه الحياة مع ان تعليلاتهم لم تكن الا ضرباً من الخيال والوهم اخذ من مزيج الفلسفات الشرقية هؤلاء بعد تنصرهم ظلوا متمسكين بما تلقنوه عن اصل هذا العالم الهيولي وينبوع الشر فيه فازعجوا الكنيسة مدة طويلة بمناظراتهم المائقة

وقد اخذت الغنوسية مبداها من العصر الرسولي ويحسب من زعمائها سيمون الساحر (اع ٨ : ٩) الذي زعم انه القوة الالهية المتجسدة وتلميذه ميناندروس المذي ادعى انه رسول القوة الالهية العليا وكيرنثوس الافسوسي الذي زعم ان المسيح انسان مجرد مولود بحالة طبيعية من يوسف ومريم . وقد كتب يوحنا انجيله بنوع اخص لرد ضلالته . ونيقولاوس الذي زعم ان تجسد المسيح خيالي ،واباح السفاح فقبح يوحنا هذا الزعم في رسائله (ايو ٤ : ٢ و ٣ و ٢ يو : ٧) ،ورؤياه (٢ : ٦ و ١٤ و ١٥)

على ان الغنوسيسية انشطرت في القرن الثاني الى شطرين كبيرين دعي احدهما الاسكندري والثاني السوري وتشعب كل منهما الى مذاهب شتى قام فيها بضعة افراد من النابغين فيهم

فمن الاسكندريين ١) فاسيليدس السوري الاصل الذي نشر مذهبه في الاسكندرية سنة ١٢٥ و ٢) فالنتين اليهودي الجنس الذي نشر مذهبه

في روميه (١٤٠) فقطع ثلاثاً فابتعد الى قبرص واسس فيها شيعته (١٦٠) و ٣) و بروسان تلميذ فالنتين نشر مذهبه في سوريا بواسطة ترنيمات واغاني نظمها مع ابنه غارمونيوس

ومن السوريين ١) سانورنينوس الذي اظهر تعليمه في انطاكيه (١٢٥) و ٢) تاشيان الاشوري الوطن الذي بعد موت استاذه القديس يوستينوس الشهيد (١٦٦) عاد الى الشرق وانحاز الى الغنوسيسيين و ٣) مركيانوس ابن اسقف سينوب هذا قطعه ابوه لانحرافه مع الغنوسيسيين فذهب الى روميه (١٥٠) فنشر فيها مذهبه بمساعدة كردون السوري

و يلحق بالغنوسيسيين اتباع كربوكراتوس والادميون والحيويون وسواهم من الفرق

وكان اساس اعتقاد جميع هذه الفرق وجود اصلين للكائنات ، الروح الاعلى والمادة ، والفرق بين الاسكندريين والسوريين انما هو في الاصل الثاني (المادة) اذ اعتبرها الاسكندريون فراغاً مائتاً والسوريون مبدأ حياً مصدراً للشر بخلاف الروح وقد ظل كثير من فروع هذه الشيعة حياً الى القرن السادس

٣) المانيون — لما اخذت الغنوسيسية تفقد اهميتها في القرن الثالث ظهرت فكرة هرطوقية جديدة عرفت اخيراً بالمانية نسبة الى ماني الفارسي منشئها وكانت هذه البدعة مؤلفة من المسيحية وديانة « زرادشت » وساعد على ظهورها في بلاد الفرس تحول الحكم من الارشاركيين الى الساسانيين (٢٢٧) ووقوع خلاف بين زعماء الفرس في هل يرجعون الى الديانة الوطنية الاصلية التي تعلم بوجود الهين (ارموزد) للخير وهرمز) للشر ام يتبعون الديانة المحدثة بوجود اله اعلى يحكم على ارموزد وهرمز . فوجد ماني فرصته مناسبة لبث بدعته التي اتخذها من المسيحية والثنائية (ديانة الفرس الاصلية) فاستمال اليه سابور الاول وسواه فقاومه المجوس ففر الى الهند (٢٧٠) وهناك وضع سفر هرطقته الذي سماه (برثينكي ماني) ثم عاد الى العجم فاستمال اليه هرمز ولكنه في زمن خلفه

فارانس الخم في مجادلته احد خصومه فاعدم (٢٧٦)

من مدعيات مانى انه البارافليط الذي وعد المخلص بارساله ومن مبادئه الامتناع عن الزواج واللحم والخمر . انتشرت هذه الشيعة في القسم الغربي من الامبراطورية الرومانية وامتدت بالرغم عن مضادة ديوكليتيان (٢٨٧) والملوك المسيحيين في القرنين الرابع والخامس لها وقد كانت تختفي لكنها لم تمت لظهورها باسماء اخرى حيناً بعد حين

٤) نفاة التثليث — ان الهرطقات السابقة (الابيونية والغنوسيسية والمانيسة) نتجت عن ممازجة المسيحية لمبادىء الثلاثة المعروفة آنئذ وهي اليهودية، والفلسفة اليونانية والفارسية . اما الهرطقة الانتيتريات (منافية التثليث) او المونارخيسة (وحدة الرئاسة) فانها نمت في المسيحية ونتجت عن نمو بعض المسيحيين الى فهم ذاتية الله المحجوبة عن الادراك بعقولهم القاصرة

ان الكنيسة كانت تتساهل مع محبي البحث وتسمح بالحرية الفكرية في المباحث الدينية لتحفظ الدين من الافكار الخرافية ، ولكنها مع ايجابها استخدام العقل لفهم الحقائق التعليمية لم تسمح بتطوحه لدرجة يتجاوز فيها الحدود والقوانين الطبيعية ويمس جوهر الايمان خشية السقوط في الهرطقة ، ونظرية الكنيسة هذه تأيدت بالفعل بظهور «نفاة التثليث» الذين ضلوا لاسترشادهم العقل وحده دون الوحي

وحدة اللاهوت من العقائد الاساسية في الديانة اليهودية وفي الديانة المسيحية ايضاً ، ولكن هذه كديانة اكمل كانت تفصل ما اجملته اليهودية فانها علمت ان الاله الواحد موجود بثلاثة اقانيم وهذه الحقيقة الايمانية حافظت عليها منذ نشأتها كما وردت في الوحي ولكن بعض الميالين للمباحث النظرية ارادوا فهم هذه الحقيقة عن طريق العقل فقط فضلوا اذ خيل لهم ان التثليث مناف للتوحيد فلا يمكن ان يجتمع في ذات واحدة ثلاثة فرفضوا التثليث وقطعتهم الكنيسة من عضويتها وحسبتهم هراطقة

وقد انقسمت هذه البدعة بالنسبة الى هيئة ظهور الاله الواحد او الى قوته

الى فئتين : ديناميين ومودالين ، اعتقد الاولون ان الله كائن واحد لا وجوه فيه وان الابن والروح انما هما مظهران لقوة الاله ، وزعم الاخيرون ان الله وجه واحد، والاب والابن والروح اسماء لمسمى واحد فالله دعي في العهد القديم آباً لانه الخالق وفي العهد الجديد ابناً لانه الفادي ودعي روح قدس لانه مقدس فرأي الديناميين بشأن التجسد مشابه للابيونيين، والمودالون، يضارعون الغنوسيسيين الذين لايقاعهم الالام على الاب دعوا باتروباشيين اعني مؤلمي الاب

من اهم دعاة الفرقة الديناميتية بولس السيمساطي ظهر في نصف القرن الثالث الاخير وكان اسقفاً على انطاكيه انكر لاهوت الابن وزعم انه انما يدعى ابن الله مجازاً من وجهة ادبية فلما اشتهر امره حوكم بعدة مجامع فكان يخفي تعاليمه باساليب متعددة ولكن سنة ٢٦٩ اظهر ضلاله واتهمه العلامة الكاهن ملكيون رئيس المدرسة الانطاكية فحكم عليه وخلع ولكن صديقته زينب ملكة تدمر ساعدته فظل في كرسيه الى سنة ٢٧٢ حينما وقعت اسيرة يد القيصر اوريليان فطرده من الاسقفية واقام دومنوس مكانه و بقيت بدعة السيمساطي الى القرن الرابع وكانوا يدعون بولسيين

ومن اشهر دعاة المودالية سابيليوس كاهن بتولومايس (٢٥٠ — ٢٦٠) انكر وجود الاقنومين الثاني والثالث بالكلية فتصدى لرد زعمه ديونيسيوس الاسكندري (٢٦١) وحكم عليه في الاسكندرية ورومية (٢٦٢)

على ان بدعة تفاة التثليث لم يكن لها تاثير على تقدم الكنيسة بالكلية لانها نتيجة اجتهاد القوة العقلية الضعيفة

الانقسامات والمنازعات

١) **المونتانية** — بين هرطقات القرنين الثاني والثالث ظهرت بدعة هي اقرب الى الانشقاق منها الى الهرطقة وهي مضادة للانتيتريتارية على خط مستقيم لمنعها اشتراك العقل مع الايمان :

دعيت مونتانية نسبة الى مونطانوس رجل امي نبغ من بيبوزا (فريجيه) في اواسط القرن الثاني وكان تقياً لدرجة التقشف الصارم؛ ثم زعم انه البارقليط الموعود به فصدقه بعض البسطاء وسحر الكثيرون بالقداسة التي كانت ترتسم على وجه هذا الشخص وقد كان بين الواثقين به امرأتان غنيتان بريسكلا ومكسيملا صارتا تتنبآن مثله بكلام غير مفهوم

ومع ان مبادئ مونطانوس لم تعش طويلا في الشرق انتشرت بسرعة في الغرب، وممن انقاد اليها ترتليانوس قس قرطجنه الشهير وقيل ان البابوين الفثاريوس (١٨٢) وفيكتور (١٩٣—٢٠٣) مالا اليها ولكن الاخير رده براكسي احد زعماء نفاة التثليث ودامت هذه الشيعة الى ما بعد القرن السادس

٢) **الخيليازم** — خيليازم مأخوذ من لفظة يونانية خيليا معناها «الف» اطلق على فئة من المسيحيين القدماء ارتأوا ان المسيح سيأتي ويملك الف سنة على الارض استنادا الى ما ورد في الرويا (٢٠: ٢—٦) وقد دعا الى ظهور هذه الفكرة اضطهادات المسيحيين العنيفة التي اجتهد بعضهم ان يلطف مرارتها بآمال كهذه؛ ولم تقتصر هذه الاراء على الغنوسيسيين؛ والمونطانيين فقط بل تجاوزتهم الى بعض معلمي الكنيسة وممن اثرت عليهم هذه الفكرة بابياس الايرابولي ويوستينوس الفيلسوف، وايريناوس الليوني وترتليانوس القرطجني وقد انتشر هذا الفكر في فريجيه واسيا الصغرى واصحابه الفوا

فرقة خصوصية برئاسه نيبون اسقف ارسينيه والكنيسة مع عدم اعتبارها هذا الفكر هرطقة خطأنه ، وفنده كثير من الاباء لا سيما القس كايوس الرومانى (+ ٢١٧) الذي بمناظرته بروكلوم زعيم المونطانيين افحمه ووضع مؤلفاً لتفنيد هذا الرأي ، وديونيسيوس الاسكندري الذي رد مزاعم نيبون بكتاب دعاه « الوعود » رد كثيرين من الالفيين وقد اخذت هذه الفكرة الزائفة تسقط منذ كفت الاضطهادات في القرن الرابع وسقطت بسقوط المونطانيين والابيونيين واتباع كيرنثوس الغنوسيسي (ثم ظهرت في اوائل القرن العاشر واختفت فجأة) ولما ظهر البروتستانت في الغرب احياها بعضهم بعد دثورها ولكنها حتى الان لا تجد لها عند ارباب البصيرة مركزا

النزاع لاجل الفصح — في آخر القرن الثاني وقع نزاع بين المسيحيين لاجل عيد الفصح فالكنائس الشرقية كانت تحتفل بتذكار صاب المسيح في ١٤ نيسان العبري (نهار فصح اليهود) وتعيد لقيامته في اليوم الذي يليه في اي ايام الاسبوع اتفق . والكنائس الغربية كانت تحتفل بتذكار آلام المسيح في اول يوم جمعة يقع بعد ١٤ نيسان العبري وفي الاحد الذي يليه تعيد لقيامة المسيح و بالاختصار ان بعضهم راعى في العيد التاريخ الشهري وبعضهم اليوم الاسبوعي ولذلك كان يتفق احياناً ان يعيد الفريقان العيد بيوم واحد وكل من الفريقين كان يستند الى تقليد رسولي فالغربيون استندوا الى

تقليد تعميد من بولس الرسول والشرقيون الى تقليد اخذ عن يوحنا وفيلبس ؛ على ان هذا الخلاف لم يؤثر على العلاقات الحبية بين الكنائس في القرنين الاول والثاني وحينما اجتمع بوليكربوس اسقف ازمير بأنيكيتوس اسقف روميه سنة ١٦٢ ولم يستطع احدهما اقناع الاخر باتباع خطته افترقا على سلام وظلت علاقاتهما الحبية كالسابق .

ولكن في ايام فكتور اسقف روميه عاد النزاع اذ اراد هذا اجبار الشرقيين على اتباع خطته بتعييد الفصح فقاومه الشرقيون (١٩٦) وفي مقدمتهم بوليكراتوس اسقف افسس . فاراد فيكتور قطع العلاقات معهم ولكن اريناوس اسقف ليون ردعه عن ذلك مبيناً ان الفروق الطقسية لا تستلزم قطع العلاقات الحبية وظل الخلاف الى ان حله المجمع المسكوني الاول في القرن الرابع

النزاع لاجل المعمودية — في الدور الاول حصل نزاع آخر فيما اذا كانت معموديه الهراطقة صحيحة ام لا فبعض الكنائس الشرقية مع اكثر كنائس افريقيا وفي مقدمتها كنيسة قرطجنه اعتبروها غير صحيحة ولذا كانوا يعيدون معمودية المرتدين من الهراطقة والمشاقين ، وبعكسهم كنائس روميه والاسكندرية اعتبروا كل معمودية تتم باسم الاب والابن والروح القدس صحيحة . وفي القرن الثالث قام البابا استفانوس (٢٥٢ — ٢٥٧) وكتب رساله للكنائس الشرقية والافريقية تهددهم فيها بقطع الصلات اذا كانوا يعيدون

معموديه الهراطقة فقاومه بشدة فرميليانوس اسقف قيصرية الكبادوك وكبريانوس اسقف قرطجنه مبرهنين ان المواهب الالهية لا توجد في غير الكنيسة الحقيقية وعليه فالمعموديات التي تتم خارجها لا تعتبر صحيحة. وعقد لاجل هذه القضية عدة مجامع واحد في ايبا الصغرى (٢٥٣) وثلاثة في قرطجنه (٢٥٥-٢٥٦) لكن ديونيسيوس الليوني أقنع استفانوس بالمحافظة على السلام الكنسي.

النزاع لاجل التأديبات الكنسية — بالرغم عن قداسة المسيحيين في العصر الرسولي ظهرت عدة حوادث تدل على تقصير بعض اعضاء الكنيسة (١ كو ٥: ١-٥ و ٢ كو ٢: ٥-١٠) والكنيسة التي كانت وما برحت تسعى لاجل الحصول على تقديس اعضائها كانت تستعمل كل الوسائل لحسم الشر وارجاع الزائغين الى الصواب ومجموع هذه الوسائل يدعى التهذيب الكنسي وهذه الوسائل هي اولاً انذار الخاطئ على انفراد ثم توبيخه امام الجمهور، ثم ابعاده عن المؤمنين وهذه الاخيرة انما تستعمل عند اليأس من الاصلاح (اتي ١: ٢٠ و٢يو: ٧ و١٠ و١١) على ان الغاية منها انما هي التهذيب لا مجرد العقاب فمن ارعوى عن غيه بعدها وتاب قُبل.

ولكن في القرنين الثاني والثالث لما كثر عدد الهراطقة والساقطين بسبب الاضطهادات ظهر نوعان من الانشقاق لاجل التأديبات الكنسية احدهما في كنيسة قرطجنه ضد قساوة التأديبات وقام به

نوفاتوس وفيليسيسم والثاني في رومية ضد التساهل وقام به نوفاتيان

اسباب الاول انه لما شرطن كبريانوس اسقفاً على قرطجنه (٢٤٨) قام ضده خمسة كهنة اشهرهم نوفات وبدون رضى كبريانوس شرطنوا رجلاً غنياً صاحب نفوذ يدعى فيليسيسم (الجزيل الطوبى) شماساً ولكي يبرروا ذواتهم في نظر الشعب اتخذوا حجة لاعتزالهم تشدد كبريانوس في قبول الساقطين (لان المذكور كتب ضد الذين كانوا يتاجرون برسائل شفاعة ياخذونها من الشهداء والمعترفين ويبيعونها لارديا السيرة لينجوا بها من التأديبات الكنسية ؛ وصاروا هم يقبلون الساقطين مكتفين برسائل الاستشفاع) وساعدهم على ذلك غياب كبريانوس (٢٥٠) عن الابرشية بسبب اضطهاد داكيوس ولكنه في فصح سنة ٢٥١ عاد الى قرطجنه وحضر مجمع الاساقفة الملتئم فيها ؛ فقرروا قبول من لم يضح للاصنام اما الذين اشتروا شهادة الحاكم بانهم ضحوا وهم لم يضحوا فقد وضعوا عليهم قانوناً ليس بخفيف وحكموا على فيليسيسم ومن معه ونزلوا فرتوناتوس الذي سماه المشاقون اسقفاً بدلا من كبريانوس ، واذ كانت الاكثرية بجانب كبريانوس لم يقدر المشاقون على الثبات طويلا فاضمحلوا في القرن الرابع .

اما انشقاق رومية فسببه نوفاتيان الذي كان يطمح ببصره الى البابوية فلما نالها كرنيليوس (٢٥١) انشق هو مع جماعة من

تابعي مونطانوس وانحاز اليهم نوفاتوس الذي فر من قرطجنة لما حكم كبريانوس على فيلسيسم وجماعته، وقاموا جميعاً ضد كرنيليوس لتساهله بقبول الساقطين الذين برايهم اضاعوا مسيحيتهم بسقطتهم ولكي يقبلوا يلزم ان يعمدوا ثانية. واقاموا رئيساً لجماعتهم نوفاتيان الذي شرطنوه اسقفاً وسموا انفسهم كاثاريين (انقياء) وقد اخذ بناصرهم فابيوس الانطاكي الذي خدعته معيشة نوفاتيان الصارمة. ولكن ديونيسيوس الاسكندري و كبريانوس القرطجني ومن معهما انتصروا لكرنيليوس فحكم على نوفاتيان وجماعته ومع ذلك بقيت هذه الطريقة منتشرة في قرطجنة واسكندرية وسوريا واسيا الصغرى وغاليا الى القرن السابع

الفصل الثالث

المعارف الرومية

الرجال الرسوليون – الرجال الذين اتاح لهم الحظ مشافهة الرسل ومساعدتهم بالذات يسميهم التاريخ الكنسي الرجال الرسوليين و كتاباتهم هو لاء لها ميزة في الكنيسة لوجود الشبه القوي بينها وبين الكتابات الرسولية فمن الرجال الرسوليين الذين وصلت الينا كتاباتهم .

١) برنابا – قبرصي الوطن ، يهودي الجنس ، من سبط لاوي

وبحسب التقليد كان احد السبعين رسولا اسس مع الرسول بولس كنيسة انطاكيه وبعد ان ساعده في تبشير الوثنيين. ويهود الشتات كرز في قبرص واستشهد فيها (٧٠) بعد خراب اورشليم وخلف رسالة ضد الابيونيين لها اهمية كبرى في الكنيسة

٢) **ديونيسيوس الاريوباغي** — هو احد اشراف اثينا وعلمائها اهتدى الى المسيحية (٥٤) بواسطة بولس الرسول (اع ١٧) وصار بعدئذ اول اسقف على اثينا. كرز في عدة اصقاع وغير موكد موضع ووقت استشهاده (والمظنون انه استشهد في اثينا ٩٥) وخلف عدة اسفار تحترمها البيعة «الطغيات السماوية» و«رئاسة الكهنوت» و«الاسماء الالهية» و«اللاهوت المحجوب» و«عشر رسائل لاشخاص متعددين» (١)

٣) **اكليمنضوس الروماني** (٩٢-١٠١) — هذا اعتنق المسيحية بمساعي بطرس الرسول؛ ورافق بولس في التبشير (في ٤: ٣) واستشهد (١٠١) في ايام ترايان وخلف رسالة ثمينة عن مضار الانشقاق والتحزب؛ وقيامة الموتى بعث بها الى اهل كورنثوس، ومما نسب اليه ١) رسالة ثانية للكورنثيين و٢) احاديث عرفت بالاكليمنضية و٣) الاوامر الرسوليه في ثمانية كتب و٤) قوانين الرسل الـ ٨٥ التي حام طائر الريب حول نسبة بعضها اليه وبعضها

(١) اعترض بعضهم على قدم هذه المؤلفات ونسبها الى القرنين الرابع والخامس ولكن ذلك لا ينافي صحة محتوياتها

الاخر اذا صحت نسبتها اليه فقد لقنها لقوم وحفظت عندهم بالتقليد الى القرن الرابع حيث دونت بكتب .

٤) **اغناطيوس المتوشح بالله** — هو تلميذ يوحنا الانجيلي تسقف على انطاكية في اواخر القرن الاول واوائل الثاني ؛ ودعي الى روميه في ايام ترايان حيث طرح للاسود الكاسرة (١٠٧) جزاء نشره المسيحية

ابقى هذا القديس عدة مؤلفات منها سبع رسائل كتبها حينما سيق الى الاعدام في روميه ١) الى افسس و٢) مغنيسا و٣) ترابيتيا و٤) رومية و٥) بوليكربوس و٦) فيلادلفيا و٧) لازمير ضمنها افكاره المسيحية النقية ودحض آراء الابيونيين الذين انكروا لاهوت المسيح والغنوسيسيين الذين انكروا تجسده

٥) **بوليكربوس** — هذا كان ايضاً تلميذا ليوحنا اللاهوتي الذي اقامه اسقفاً على ازمير ؛ بلغ شخوخة عميقة ؛ ومات شهيداً (١٦٧) على ايام مرقص افريليوس ، وقد تجلت في هذا القديس النيرة الانجيلية التي اتصف بها الانجيلي يوحنا ؛ فانه لاجل حفظ المسيحيين من الافكار الهرطوقية بعث عدة رسائل الى الكنائس منها رسالته الى الفيليبيين التي لا تزال محفوظة الى الان ؛ وفي هذه الرسالة يفند آراء بعض الغنوسيسيين منكري التجسد مستعملاً عبارة يوحنا نفسها (ايو ٤ : ٣) . كل من لا يومن ان المسيح جاء بالجسد حقيقة فهو (انديخريستو) ضد المسيح ، وقد تمكن اثناء

وجوده في رومية من رد بعض الفالنتينيين والمركيونيين .

٦) **هرماس** (+ ٩٨) — روى القدماء انه نفس هرماس المذكور في رومية ١٦ : ١٤) له كتاب دعي « الراعي » جعلته البيعة بدرجة سفري الحكمة وابن سيراخ وهذا السفر مقسوم الى ثلاثة اقسام في الاول ذكر ظهورات الملاك الاربعة له وفي الثاني ١٢ وصية عن الشفقة والتوبة الخ وفي الثالث ١٠ امثلة لايضاح بعض الحقائق المسيحية .

٧ **بابياس** — هذا ايضاً كان تلميذا ليوحنا الانجيلي وصديقاً لبوليكربوس . تسقف على ايرابوليس (فريجية) ونال اكليل الشهادة في زمن مرقس اوريليوس

نسب له خمسة اسفار تعرف باسم « شرح امثال الرب » بقي منها الى اليوم بعض قطع متفرقة ضمنها امثلة كثيرة لم تذكر في الكتاب المقدس ، وانما وصلت اليه على راي اوسابيوس المؤرخ بواسطة التقليد .

بعد العصر الرسولي — في العصر الرسولي لم تكن الحقائق المسيحية قد نظمت كعلم مستقل اذ كان يكتفى وقتئذ بقبول الحقائق بالايمان دون البرهان ، ولكن لما تقدمت المسيحية واقبل عليها الفلاسفة والمعلمون الذين لا يقبلون ان يسلموا بحقيقة ما دون ان يجدوا برهاناً ، وبما ان حب التعليل طبيعي في الانسان وهو غير مخالف الانجيل (لو ٢٤ : ٢٧ و يو ٥ : ٣٩ و ١ ع ١٧ : ١١) لذلك

اجتهد آباء البيعة ان ينسقوا التعاليم المسيحية على اسلوب علمي ليسهل فهمها على المؤمنين و يرتدع عن الاستخفاف بها المماحكون؛ ولاجل هذه الغاية تأسست عدة مدارس في اصقاع شتى اشتهرت منها اربع عرفت بهذه الاسماء -

اسيا الصغرى وافريقيا الشمالية واسكندرية وانطاكية ، واشتهرت في هذه المدارس خطتان احداهما اعتماد الكتاب المقدس والتقليد الشريف وحدهما في اثبات الحقائق المسيحية وهي خطة مدرستي الاناضول وافريقية الشمالية والثانية الاستعانة بالاراء والقواعد الفلسفية لفهم حقائق الدين الاساسية ودحض الافكار الهرطوقية ، وهي خطة مدرستي اسكندرية وانطاكية واليك اشهر ممثلي هذه المدارس الاربعة :

اولاً مدرسة اسيا الصغرى — نبغ من هذه المدرسة ابان ازدهارها ١) ايريناوس الليوني ، هذا تتلمذ لبوليكربوس اسقف ازمير ثم ارسل منه الى ليون (غاليا) لمساعدة اسقفها بوثينوس فلما استشهد هذا (١٧٧) خلفه ايريناوس وتابع اعماله الاسقفية الى سنة ٢٠٢ حينما نال اكليل الشهادة في زمن سبتيموس سيفيريوس

مما الفه ايريناوس ووصل الينا مؤلفه الشهير « نقض المعرفة الكاذبة » (وفي الترجمة اللاتينية تفنيد الهرطقات) دحض فيه كل طرق الغنوسيسيين ولا سيما طريقة فالنتين ، واقتصر فيه على الحجج الكتابية والتقليدية

٢) ايبوليتوس الروماني – نبغ في اوائل القرن الثالث وكان كمعلمه ايريناوس اشهر اهل زمانه علما وعملا ، واشهر مؤلفاته تفسيره بعض الاسفار المقدسة كالتكوين والخروج والانبياء والبشائر ومؤلفه « دحض كل الهرطقات » الذي فند فيه ٣٢ بدعة ، ويعرف ايضا باسم « فيلوسوفومينا »

٣ (يوليوس الافريقي – تعلم في اسيا الصغرى وعاش في فلسطين في اوائل القرن الثالث (+ ٢٣٢) ويرجح انه كان كاهناً في نيكوبوليس (عمواس) وهو اول من الف تاريخاً مسيحياً وقع في خمسة مجلدات حفظت في مؤلفات غيره مقطعة واشتهرت له رسالتان بعث باحداهما الى اوريجانوس وبالثانية الى اريستيدس ، في الاولى اظهر ريبته بقصة سوسنة الموجودة في سفر دانيال ، وفي الثانية اظهر عدم وجود تناقض في نسب المسيح الموجود في بشارتي متى ولوقا

ثانياً – **مدرسة شمالي افريقيا** من اهم ممثليها :

١) ترتوليانوس (١٥٠ – ٢٤٠) كاهن كنيسة قرطجنة . من اهم كتاب الكنيسة الغربية وهو اول من دون علم اللاهوت في اللغة اللاتينية تنصر وهو كهل وكان قبل ذلك محامياً . وهو يمتاز بسرعة خاطره وتقواه ولذا مال الى المونتانيه التي تحض على المعيشة الصارمة (٢٠١)

مؤلفاته بحسب مواضيعها ثلاثة اصناف دفاعية ، واخلاقيه

وعقائديه ، ثم الدفاعيه ، ابولاغيت ، (الاحتجاج) ، وكتابان الى الامم ، ، وشهادة النفس ، ورسالة الى جاليريوس افريقيا سكابوليوس

ومن الاخلاقية ، الصبر ، و ، الصلاة ، و ، المعمودية ، و ، التوبة ، و ، المرأة ، (في مجلدين) و ، المشاهد ، و ، وحدة الزوجة ، و ، الاصوام ، وكلها الا الاخيرين وضعها قبل اتباعه المونطانية

ومن العقائدية (قبل المونطانية) (القدم) ضد الهراطقة ؛ (وبعد المونطانية) (دحض المركيونية) في خمسة كتب ؛ وكتاب ضد فالنتين و (تجسد المسيح) ضد الغنوسيسيين وبراكسيوس مضاد الثالوث

٢) كبريانوس — ولد من اسرة غنية وثنيه في اوائل القرن الثالث وتنصر (٢٤٦) اذ كان له اربعون سنة من العمر واشتهر وهو وثني بالخطابة ، وبعد تنصره بقليل سيم كاهناً ثم ارتقى الى الاسقفية (٢٤٨) درس مولفات ترتوليانوس باجتهاد وكان يحترمه كثيرا ولكنه لم ينقد الى ارائه المونطانية ، مولفاته (خيرات الله) و (بطلان الاصنام) و (شهادات ضد اليهود) في ثلاثة كتب ، و (منفعة الصبر) و (الساقطون) و (الى ديمتريانوس) و (الموت) واشهر مولفاته ٨٣ رسالة ضمنها خير ما يكتب في الحياة المسيحية وانفع مولفاته كتابه (وحدة الكنائس) (١) كتبه سنة ٢٥٢

(١) لكنه لم يتحفظ في ضبط بعض نقطه فاشتبه فيها بعضهم واستند اليها الرومانيون في دعوى الزعامة العامة مع ان المفهوم من مجموع كلامه ينافي ما ادعوه

بسبب الانشقاق النوفاتياني

ثالثا – المدرسة الاسكندرية

المظنون ان القديس مرقس الانجيلي اسس المدرسة الاسكندرية في العصر الرسولي وكانت في اول امرها بسيطة شأن المدارس التي توجد عادة في الكراسي الاسقفية لاجل الموعوظين ، ولكنها تحولت الى مدرسة لاهوتية عالية بالنظر لاهمية الاسكندرية مدنية وتجارة وعلما . وقد رقاها الاستاذ الكبير بانتين (١٨٠ – ١٩١) خليفة اثيناغوراس الاثيني في الفصاحة ؛ واهم ممثلي هذه المدرسة

١) بانتين نفسه – هذا كان من اثينا تابعا الفلسفة الرواقية ولما تنصر كرس حياته لتبشير الوثنيين سيما الذين كانوا يحضرون دروسه ، وهو الذي خلف اثيناغوراس الاثيني في تدريس الفصاحة وقد جال بين البرابرة وبلغ بلاد الهند ثم عاد الى الاسكندريه وفيها توفي سنة ٢١٦ وقد كتب عدة مؤلفات في تفسير الاسفار المقدسة لم يصل الينا شيء منها

٢) اكليمنضوس الاسكندري – هو تلميذ بانتين وخليفته في المدرسة الاسكندريه (١٩١ – ٢٠٢) نال حظاً من العلوم اذ كان وثنياً واتم علومه بعد تنصره بسياحاته في اليونان وايطاليا وسوريا وفلسطين وفي الاسكندريه ؛ تخرج على يد الاستاذ بانتين ثم ناب منابه بالتدريس في المدرسه المذكورة لما سافر الى الهند

ونال درجة القسوسية ولكنه في اضطهاد سيفيروس (٢٠٢) اضطر ان يبرح الاسكندرية فقضى في اورشليم وانطاكية وكبدوكية مدة ومات سنة ٢٢٠ ولا يعلم اذا كان عاد الى الاسكندرية بعد براحه اياها ام لا

من مولفاته « للهيلانيين » و« المربي و « حقيقة الفلسفة » و (غني يدخل ملكوت السماوات) و (الخطط) و (الفصح) و (الصوم) . فالاربعة الاولى محفوظة الى يومنا الحاضر ؛ واما الباقي فحفظ منها بعض مقتطفات او فقرات ، واجتهد اكليمنضوس بتطبيقه العلم على الدين وكان في تفسيره الكتاب المقدس يعتمد كثيرا على المبادى الفلسفية ولذلك كان يميل الى التفسير الرمزي دون الحرفي .

٣) **اوريجانوس** (١٨٥ — ٢٥٤) — هو اعظم علماء عصره غير مدافع وقد حصل باعماله التدريسية ومولفاته العديدة شهرة عظيمة قلما ضارعه بها آخر وله طريقة خصوصية في تدريس اللاهوت عرفت باسمه واستمرت طويلا بعد موته . وقد جمع الى العلم التقى والغيرة المتقدة على المسيحية ، ومع انه شذ في بعض آرائه الخصوصية عن الصواب فالكنيسة لا تزال تقدر تعبه قدره وتحترم ما تنقى من كتاباته .

ومولفاته كثيرة قال بعضهم انها بلغت ستة آلاف كتاب (ولعلهم حسبوا منها المقالات والرسائل الصغيرة وقال) آخر

(لا يستطيع احد ان ينهي مؤلفاته) وقد لقبه بعضهم لاجل ذلك بما ترجمته (الالماسي) ، من امهات مؤلفاته التيترابلي (الرباعية) والايكسابلي (السداسية) التي جمع فيها اهم ترجمات الكتاب المقدس في عصره مع المتن العبراني في ٤ حقول او في ستة واحياناً في تسعة ومنها تفسيره الكتاب المقدس (عدا الرؤيا) ومنها مؤلفه رداً على شلسوس ؛ ومنها مؤلفه المدعو « استروماتي » — الطبقات — في عشرة مجلدات ومنها (المبادئ) الذي صارت له ضجة عظيمة لورود افكار خصوصية وغريبة فيه .

والخلاصة ان اوريجانس كان من نوابغ عصره الممتازين وقد اسس مدرسة اخرى في قيصرية الجديدة لما هجر الاسكندرية التي درس فيها ، (٢٠٣—٢٣٢) وله تلامذة وعشاق كثيرون دافعوا عنه دفاعاً شديدا ومنهم ايراكليس الذي ساعده في المدرسة الاسكندرية وخلفه فيها لما تركها وقد ارتقى الى اسقفية الاسكندرية (٢٣٣) ومنهم ديونيسيوس الاسكندري الذي خلف ايراكليس في المدرسة (٢٣٣—٢٤٧) وفي الاسقفية (٢٤٨— ٢٦٥) ومنهم غريغوريوس العجائبي تنصر عن يد اوريجانس استاذه (٢٣١) وارتقى الى الاسقفية (٢٤٤) ومنهم بمفيليوس القيصري تلميذ بياريوس خليفة ديونيسيوس في المدرسة الاسكندرية (٢٦٥—٢٨١) واستاذ اوسابيوس القيصري ابي التاريخ

رابعا — المدرسة الانطاكية

تأسست في اواخر القرن الثالث ، وكان العامل الاول فيها **دوروثاوس** كاهن انطاكية العلامة الذائع الصيت في العلوم الدينية والمدنية ايضاً (٢٩٠) وقد خلفه في ادارة هذه المدرسة **لوكيانوس** الكاهن الذي اشتهر بمقابلته النسخة السبعينية على الاصل العبراني واستشهد (٣١٢) في اضطهاد مكسيمنوس

ازهرت هذه المدرسة وجرت شوطاً حسناً في المعارف اللاهوتية ، وكانت خطتها تختلف عن خطة المدرسة الاسكندرية في تفسير الكتاب المقدس ؛ اذ كانت طريقة المدرسة الاسكندرية خيالية فكانت تهتم كثيرا باستخراج معانٍ سرية للالفاظ الكتابية شأن الفلاسفة الافلاطونيين الذين اخذ عنهم هذه الطريقة اوريجانوس وجعلها خطة خصوصية للمدرسة الاسكندرية ، اما المدرسة الانطاكية فكانت بالعكس تهتم بالتفسير الحرفي وهو اساس فلسفة ارسطو ، وتدعى طريقة المدرسة الاسكندرية ليكوريزم (استعارية) وطريقة المدرسة الانطاكية ريالیزم (حسية) وقد تطرف الناس بعدئذ باستعمالها فكان ذلك سبباً لنشوء الهرطقات في الكنيسه

الفصل الرابع

الادارة والعبادة والتهذيب

اولا الادارة الكنسية

تاسيس الكنيسة وادارتها — لما تجسد كلمة الله لخلاص البشر لم يرد ان يقف عمل الخلاص بصعوده الى السماء فاقام مصفا يعملون معه بعد براحه الارض بالجسد (١ كو ٣ : ٩) لتتمكن الناس في كل آن من الخلاص (يو ٢٠ : ٢١ ومت ٢٨ : ١٦) وفي ايام الرسل نشأت طبقتان احداهما للتدبير والتعليم وهي الانبياء والمبشرون والرعاة والمعلمون (اف ٤ : ١١) والثانية للقبول والاثمار وهي حقل الله وتدعى الطغمة الاولى اكليروساً والثانية عامة على ان هذه القسمة لم تكن لتفصل بين المؤمنين بل كان الاكليروس والعامة يؤلفون كنيسة المسيح الواحدة وكانوا على اتفاق تام اذ لم تكن غايه الاولين التروس بل المنفعة، ولم يخطر ببالهم التمرد بل المساعدة

المواهب والخدم الممتازه — وقد امتاز العصر الرسولي بشؤون خاصة لم توجد في سواه فقد قضت الظروف ان يكون خدمة الكرازة ممتازين في ذلك الوقت لاجل تسهيل اذاعة كلمة الخلاص وهكذا كان الرسل والانبياء والمبشرون ليسوا لجهة خاصة بل كان عملهم عمومياً فلم تكن سلطة الرسول مقصورة على الكنيسة التي اسسها بل تمتد الى كل ماسواها من كنائس العالم وحيث وجد الرسول يخلى له المكان الاول، فكانوا يسوسون ليس افراد المؤمنين فقط بل رعاة الكنائس ايضاً، وكذلك الانبياء الذين لم يكونوا يتنبأون عن المستقبلات فقط بل كانوا يشرحون للجمهور اقوال الله في اسفار الانبياء وسواها ويقتادون الناس الى التمسك بالايمان والحياة الانجيلية، وبعدهم المبشرون كانوا يساعدون الرسل في الكرازة ولم يكن عملهم محصوراً بكنيسة واحدة بل كان يعم كل المسكونة

الدرجات العالية — كانت الخدمة الروحية العالية بادىء بدء محصورة في

الرسل ولكن لما تكاثر عدد المؤمنين ولم يعد في امكان الرسل اتمام الواجبات الروحية اخذوا يستعينون بممتازي المؤمنين لاتمام هذه الواجبات وهكذا اخذت تدخل الى الكنيسة الدرجات الكهنوتية مبتدئة من الصغرى الى ما هو اعلى منها بالتدريج

فاولاً — ظهرت الشموسية حينما احتاج الرسل الى من يوزع ضروريات الحياة على المحتاجين من المسيحيين فاختاروا سبعة لهذه الغاية وشرطنوهم بوضع اليد (اع ٦ : ١ — ٦) ودعوا شمامسة (خداماً) وكانت واجباتهم في بادىء الامر مقصورة على املاك الكنيسة ، واعانة المساكين من وارداتها لكنها تحولت اخيراً الى ملاحظة الترتيب في الاجتماعات الاخويه والمساعدة في الخدمة الالهية ، والكرازة الانجيلية

٢) القسوسية — ثم لما ازداد عدد الكنائس بازدياد عدد المؤمنين ولم يعد ممكناً للرسل اتمام الخدم الالهية للجميع انتخبوا بضعة من الشيوخ المدربين وسامهم قسوساً (اع ١٤ : ٢٣) وكان من واجباتهم اقامة الاسرار الالهية ومراقبة سيرة المؤمنين الادبية

٣) الاسقفية — ثم لما كانت توجد مسافات شاسعة بين الكنائس والرسل و يضطرون للتغيب طويلا بهذا السبب رأوا ان يقيموا اساقفة ينوبون منابهم في غيابهم و يخلفونهم ايضاً بعد وفاتهم فمنحوا بواسطة اليد حقوقهم الخاصة الى اناس اشتهروا بالسجايا الفاضلة والاطلاع الواسع والايمان الحار ، ومن انتخب الى هذه الدرجة العالية سمي (ابيسكوبوس) اسقفاً ومعناها مراقباً لانه وكل اليه حق الاشراف على كل طبقات المسيحيين من القسوس فما دون وممن ذكر في العهد الجديد من الاساقفة تيموثاوس اسقف افسس ، وتيطس اسقف كريت اللذين شرطنهما بولس

الرتب الصغيرة — ثم ظهرت في القرنين الثاني والثالث رتب صغرى لمعاونة ذوي الدرجات الكهنوتية فمنها الاپيوديا كونية (دون الشموسية) وظيفتهم

ملاحظة الداخلين الى البيعة وتعيين كل منهم في محله « والقراء » وعملهم تلاوة بعض المزامير والصلوات الكنسية ، « والمرتلون » واجباتهم تلحين القطع المنظومة لاجل تنشيط المصلين « والحراس » لضبط الابواب لئلا يدخلها الموعوظون او الموقفون او اليهود وقت الخدمة ، وقد وجدت هذه الاخيرة بنوع اخص لردع هجمات الوثنيين الرعاع ايام الاضطهاد ولاخبار المسيحيين بقدومهم اتقاء للاخطار لذلك لم يعد لها حاجة الان ، وعلاوة على ما ذكر فقد ظهر في العصر الرسولي شماسات اقمن من العذارى المسنات او الارامل ليخدمن المؤمنات خدمة الشمامسة للمؤمنين

تكريس الاكليريكيين — اشترط الرسل على المتقدمين للاكليريكية ان يكونوا بلا لوم وذكروا الصفات المؤهلة للاسقفية (اتي ٣ : ٢ — ٧ وتي ١ : ٩) وللقسوسية (تي ١ : ٥ — ٩) وللشموسية (اتي ٣ : ٨ — ١٢) ومنع من نيلها بعض المشوهين كالعمي والطرش والمصروعين والمستعبدين والمتزوجين بارملة او مطلقة او زانية او امة او ممثلة (قوانين الرسل ٧٨ و ٧٩ و ٨٢ و ١٨)

وترشيح ذوي الجدارة كان يتم بانتخاب عموم المؤمنين (اع ٦ : ٣) او نوابهم اذا تعذر اجتماع الكل ثم يعرض المرشح لنظر الاسقف او الكاهن والشماس المحليين فان اعترضوا عليه انتخب سواه والا صرخ الكل اكسيوس (مستحق) وحينئذ يتم الاسقف شرطونية الكاهن والشماس التي يتممها اسقف واحد اما الاسقف فيشترك في ترشيحه اساقفة الكنائس المجاورة الذين يحق لهم ايضاً الاشتراك في ترشيحه (ق ر ا) اما الرتب الصغيرة فكان يراعى فيها اولا صوت الشعب لكن الشعب مع كرور الزمان تخلى عنها لذوي الدرجات الكهنوتية

الحقوق الكنسية والاسقفية — الاسقفية في الكنيسة حلت محل الدرجة الرسولية فالاساقفة هم خلفاء الرسل يقومون بكل الواجبات التي القيت على عاتق الرسل . وبدون ارادتهم لا يستطيع القسوس او الشمامسة اتمام اية خدمة كانت على ان سلطة الاسقف لم تكن استبدادية بل ادارة عائلية ولذلك كثيراً ما كان

يدعى الاسقف « بابا » وكان عنده مجلس شورى من القسوس والشمامسة لمشاكل الكنيسة التي تعرض له . اما القسوس فكانوا صلة التعارف بين الاسقف والرعية وكانوا في غيابه يسوسون الكنيسة مع المتقدم فيهم (بروتوبارفس اوارشيبريزفيتر)

اما الشمامسة فكانت واجباتهم تنفيذ اوامر الاسقف وقضاء لوازمه كتعيين وقت محل الاجتماع للخدمة الالهية ، وتوزيع الاحسان على ذوي الحاجة وغيرذلك وكان اقربهم للاسقف الارشيديا كون (رئيس الشمامسة) واول ارشيديا كون عرفناه استفانوس رئيس شمامسة اورشليم السبعة

وقد ظهرت منذ الاجيال الاولى وظيفة الخوريبسكوبوس (اساقفة القرى) وكانوا يمثلون الاسقف في القرى والمزارع وكان بعضهم حاصلا على الدرجة الاسقفية - وهؤلاء كانوا يشرطنون بامر الاسقف شمامسة وكهنه ايضاً

تقدم بعض الكراسي الاسقفية — ان جميع الرسل اخذوا من السيد حقوقاً متساوية في الادارة والتعليم والرسل كذلك لم يميزوا بعض الاساقفة على بعض وكان مرجع الرئاسة العليا في الكنيسة المجمع المؤلف من جميع ممثلي الكنائس المتحدة ، واول مجمع عرفناه المجمع الاورشليمي ، ولاجل سياسة الكنيسة العمومية قرر الرسل (ق ٣٧) وجوب اجتماع الاساقفة مرتين في السنة ، وعلى هذا المنوال سارت الكنيسة في القرن الثاني والثالث حتى اصبح عقد المجامع امراً مألوفاً لم تخل منه كنيسة من الكنائس فيها تقرر القوانين ، وتدحض الهرطقات وتلافى الخلافات بين الراعي والرعية ، وتحفظ العلاقات الودية بين الكنائس المستقلة

على ان مساواة الاساقفة في الحقوق الكنسية لم يكن يمنع التفاوت المدني بالنظر لكراسي التي كان يشغلها كل منهم فان الاسقف الذي يترأس ابرشية قرية او مزرعة لم يكن بالطبع كمن تسنم سدة ابرشية مقاطعة او ولاية او العاصمة وساعد على هذا التفاوت ميزة الكنائس التي نالت الايمان راساً من الرسل ككنيسة اورشليم وانطاكيه واسكندريه وافسس وروميه وسواها وقد تقدم في القرنين

الثاني والثالث من هذه الكنائس الكرامي الانطاكي والاسكندري والروماني فنال اسقف انطاكيه التقدم على اساقفة الشرق والروماني على اساقفة الغرب ، وكانت منزلة الاسقف أوروماني عالية جداً لانه اسقف العاصمة ولان كنيسته كانت غنية روحياً ومادياً

على ان هذا التقدم لم يكن تقدماً رئاسياً بل تقدماً شرفياً فان اساقفة المدن الكبرى انما كانوا متقدمين بين متساوين ولا حق لهم بالتدخل في الشؤون الخصوصية باظهار الرئاسة المطلقة ففي اواخر القرن الثاني لم يستطع فيكتور اسقف روميه ان يجبر الكنائس الاسيوية بتعييد الفصح مع الكنيسة الرومانية في وقت واحد وفي القرن الثالث قاوم كبريانوس اسقف قرطجنه بشدة البابا استفانوس لاجل معمودية الهراطقة وقرر عدم الرجوع في الشورى الى الكنيسة الرومانيسة مع ان الكنائس الافريقية كانت تابعة في سياستها الكنيسة الرومانية

القوانين التي ظهرت في هذا الدور — المرجع الاول للنظام الكنسي انما هو الانجيل المقدس الذي تضمن تعاليم المسيح وكتابات الرسل . على ان القسم الاكبر من النظام الكنسي اخذ عن الرسل شفاهاً ، وبعد العصر الرسولي كانت الكنائس الرسولية مرجع الحكم لفض كل خلاف يمكن حدوثه لاخذه بالتقليد عن الرسل ما يصح اعتماده في المشاكل التي تعرض للمؤمنين وفي اواخر القرن الثاني واوائل الثالث ظهرت القوانين الرسولية الخمسة والثمانون فكانت اساساً لقرارات المجامع ثم تليتها ٤ قوانين لديونيسيوس (٢٦٥) و ١٢ لغريغوريوس العجائبي (٢٧٣) و ٥١ لبطرس الاسكندري (٣٠٤) فالاولان تكلما عن الاداب المسيحية والاخير عن الساقطين وقت الاضطهادات ، على ان القوانين الاكثر اهمية وانما وضعتها المجامع المسكونية والمكانية في الدور الثاني

ثانيا — الخدمة الالهية

العبادة المسيحية تختلف بطبيعتها عن العبادتين اليهودية والوثنية فان الاخيرتين انما كانت تقوم فيهما العبادة بالطقوس والمظاهر الخارجية ، اما المسيحية فالشيء

الجوهري فيها قائم بالسجود لله بالروح والحق (يو ٤ : ٢٣ و ٢٤) لذلك منذ زمن الرسل ادخل في الخدمة الالهية قراءة الكتاب المقدس مع ترجمته والصلوات والترنيمات الروحيه مع تكميل سر الشكر ، وفي القرنين الثاني والثالث تحددت الفصول التي تجب تلاوتها ونظمت تراتيل خصوصية وصلوات لتتلى في كل يوم بعد ان كان ذلك موكولاً لارادة المتقدم وحل التعليم او الوعظ محل الترجمة لان الكتاب ترجم الى لغة المتنصرين في الشرق والغرب اذ ظهرت الترجمتان السريانية واللاتينية ، وكان المسيحيون يظهرون عواطفهم وقت الصلاة ببعض الظواهر الخارجية كرفع ايديهم وعيونهم الى العلاء ورسم الصليب والركوع والسجود

ومنذ القرن الرابع انقسمت الخدمة الى قسمين، للموعظين ومن جرى مجراهم وللمؤمنين . في القسم الاول يرتلون بعد افتتاح القداس ثم يتلون فصولاً من العهد القديم ولا سيما النبوات فالمزامير ، فقراءة الرسائل والانجيل ثم الوعظ او التعليم ثم يبتدىء الخروج على هذا الترتيب . الغير المؤمنين اولا ثم الموعوظون فالتائبون و بعد خروجهم يتم سر الافخارستيا بحضور المؤمنين فقط

مواضع الخدمة — في الديانة المسيحية يجوز ان تقام العبادة لله في كل مكان لا في اورشليم فقط كاليهود لذلك كان الرسل يتممون عبادتهم حيث وجدوا سواء كان في هيكل اورشليم ام في البيوت الخصوصية وكانت اكثر منازل المسيحيين قديماً تحتوي محلا خصوصياً للصلاة يجتمع فيه المسيحيون لاقامة الصلاة ، وتكميل الاسرار ولكن في القرن الثاني وما بعده لما اصبحت حياة المسيحيين في خطر بسبب اضطهادات الوثنيين صاروا يتممون عبادتهم في الاحراج والكهوف والمغاور (كاتاكومبات) وفي اواخر القرن الثالث لما تكاثر عدد المسيحيين وذاقوا بعض الراحة اخذوا يبنون محلات خصوصية للعبادة واخذوا اسمها من اسم الجماعة المسيحية في اليونانية « كنيسة » وكانت مقسومة الى ثلاثة اقسام الاول ويسمى الدار الخارجية او النرتكس فيه جرن المعمودية لتعميد المتنصرين من اليهود او الوثنيين و يقف فيه للصلاة الموعوظون والتائبون من الدرجة الاخيرة . والثاني

و يدعى الكنيسة فيه الامنون ومائدة التقادم عن يسار الخورس الشمالي وفيه يقف المؤمنون والمؤمنات للصلاة كل منهم في محل خاص . والثالث و يدعى الهيكل الى الشرق من القسم الثاني فيه المائدة التي كانت في اول امرها كطاولة عادية ذات اربع قوائم وخلفها منصة عالية تدعى الكاثدره يجلس عليها الاسقف في وقت مخصوص لمراقبة الشعب وقت الصلاة ولاعطاء التعليمات اللازمة . وفي هذا القسم يقف الاكليروس وقت الصلاة ، وكان المسيحيون يزينون المعابد بصور تاريخية مأخوذة من الكتاب المقدس كالفردوس وحمامة نوح وضحية اسحق وايوب و يونان ، ودانيال ، و يوحنا السابق واقامة لعازر الخ وكانوا يستعملون رموزاً كثيرة ، و يقشونها ليس في الهياكل فقط بل على ابنيتهم البيتية ، ومن هذه الرموز صورة الحمامة والسمكة والراعي الصالح والحمل والفلك الخ

اوقات الخدمة — حسب التعليم المسيحي يجب ان يصلى في كل حين (لو ١٨ : ١) ولكن لكي يحصل الشعب على القوت اليومي ترتبت اوقات خصوصية لاجل العبادة اقتداء بالكنيسة اليهودية على ان الكنيسة المسيحيه انما اخذت عن الاسرائيليين الهيئة وضمنت الاوقات حوادث مأخوذة من تاريخ المسيحية فما اخذه الرسل لاجل الصلاة اليومية ؛ هو الساعات الثالثه والسادسة والتاسعة (اع ٢ : ١٥ و ٣ : ١ و ١٠ : ٩) وحذا المؤمنون حذو الرسل لكنهم ضموا الاوقات الثلاثة وجعلوا لها تذكارات مسيحية الحكم على المسيح في الثالثة ؛ وصلبه في السادسة ؛ وموته في التاسعة ولكن بسبب الاضطهادات لم يعودوا يستطيعون تكميل الصلاة في هذه الاوقات بل صاروا يجتمعون للصلاة ليلا وكثيرا ما كانوا

يقضون الليل كله في الصلاة لله كما في برامون الفصح

وقد كرس المسيحيون يوم الاحد لله بدلا من السبت وان تركوا لهذا اليوم ميزة على سائر ايام الاسبوع بسبب كثرة المتنصرين من اليهود ؛ ثم خصصوا الاربعاء والجمعه من كل اسبوع لتذكار تسليم المسيح وصلبه ؛ وكانوا يقضونهما بالصوم القطعي الى التاسعه ؛ اما يوم الاحد فكان يوم سرور وراحة تذكارا لغلبة المسيح على الموت ؛ وكانوا يصلون فيه بدون ركوع

ومن الاعياد التي عينتها الكنيسة اقتداء باليهود عيدي الفصح والخمسين لكنها عينتهما تذكارا لقيامة المخلص وحلول الروح القدس بدلاً من التعييد للخروج واعطاء الشريعة ؛ وكانت تستقبل الفصح بصوم اربعين يوماً تذكارا لصوم المخلص في البرية يليه اسبوع الالام الذي يقضيه المسيحيون بحزن عظيم ولا سيما الايام الاخيرة منه (الاربعاء — الجمعه) ثم يعيد الفصح بفرح اسبوعاً كاملا وفي القرنين الثاني والثالث امتاز من ايام الخمسين اليوم الاربعون وتعين تذكارا لصعود المخلص. وكذلك ظهر في الشرق عيد الظهور الالهي وفي الغرب عيد الميلاد ، ومن الاعياد السيدية التي تنسب للدور الاول — البشارة والشعانين ؛ ومن اعياد القديسين التي عم استعمالها — استفانوس اول الشهداء والرسولين بطرس و بولس

تتميم الاسرار — لتتميم الاسرار في الدور الاول بعض مميزات

فهي وان لم تختلف في جوهرها عن الوقت الحاضر لكن كان لها هيأة خصوصية استلزمتها حالة ذلك الوقت

١) المعمودية — في ايام الرسل كانت تتمم للمؤمنين حالا ولكن في القرنين الثاني والثالث بسبب كثرة المترددين استحسنت البيعة تاجيل المعمودية حتى يختبر الطالب وينال شهادة تؤذن باستحقاقه التعميد ، والمراد في هذه المدة التي تتخلل اعترافه ومعموديته يسمى موعوظا والموعوظون في القرن الثالث وما قبله ثلاث طبقات السامعون والراكعون والمستعدون للاستنارة فالاولون مسموح لهم بسماع الصلوات والكتاب المقدس في الرواق والثانون يحضرون مع المؤمنين قداس الموعوظين ثم يركعون فيبارکهم الكاهن ويخرجون واما ذوو الدرجة الثالثة فهم الذين تعلموا الحقائق الدينية واختبروا فوجدوا ثابتين واخذوا يستعدون لنيل المعمودية بالصوم والصلاة ؛ والعماد كان يتم غالباً في عيد الخمسين ثم الظهور وكانوا قبل المعمودية يتلون على الطالب صلاة الاستسقام لاعتبارهم ان المراد قبل المعمودية من حزب الشيطان ثم يمسحونه بالزيت اشارة الى تطعيمه بالزيتونه المثمرة يسوع المسيح ثم يمتحنونه بعدة اسئلة ليتحققوا صحة ايمانه ثم يغطسونه في الماء ثلاثاً على اسم الاب والابن والروح القدس . ثم يلبسونه ثياباً بيضاء طويلة رمز النقاوة فيتشح بها مدة ثمانية ايام ، وفي بعض الكنائس يطعمونه عسلا اشارة الى دخوله ارض الميعاد . وعندئذ ينتظم

المعتمد مع جماعة المؤمنين وينال مالهم من الحقوق

وكانت المعمودية كما في الوقت الحاضر تتمم على الصغار والكبار بدون فرق لكن في القرن الثاني اعترض ترتليانوس على معمودية الاطفال بحجة ان المعمودية انما يستحق ان ينالها الراشدون ولكن لم يجز اعتراضه قبولا ، ولبثت عادة تعميد الاطفال واقامة كفيل لكل منهم وقت التعميد

٢) الميرون المقدس — هذا السر كان يتممه الرسل بوضع اليد (ع ٨ : ١٤ — ١٧ و ٩ : ٦) ولا يعلم تماماً اذا كان الرسل اقتدوا بكنيسة العهد القديم كانوا يقرنون وضع اليد بالمسحة ولكن مما لايحوم الريب حوله ان الدهن بالزيت في هذا السر استعمل في القرن الثاني ، وكان اتمام هذا السر موكولا للاساقفة في بادىء الامر ؛ ولكن لما تكاثر عدد المؤمنين سلم للكهنة خلا كنيسة افريقيا التي ظلت حاصرة اتمامه بالاساقفة

٣) الافخاريستيا — كان يكمل في العصر الرسولي على المائدة العمومية كما اسسه المسيح وكان يكمل بعد انتها العشاء العمومي الذي دعي وقتئذ « مائدة المحبة » ولكن في اوائل القرن الثاني او اواخر الاول انفصل عن عشاء المحبة واتصل بالخدمة الالهية دفعاً للتشويش (١ كو ١١ : ٢ — ٢٣ و ٢٤) وقبل التناول يقبل المسيحيون بعضهم بعضاً علامة الاتحاد ، والقرابين تختار من افضل المقدمات من الخبز والخمر ويناول الشعب اما الخبز المقدس

فبواسطه الشمامسة والشماسات واما الكاس فيتناول منها كل لذاته

٤) التوبة — كان يتمم الاعتراف الشفهي امام الكهنة الذين نالوا سلطان الحل والربط غير ان هذا الاعتراف كان في القرنين الثاني والثالث جهرياً ولا سيما اذا كانت الخطية المقترفة تتعلق بالجمهور المسيحي كالجحود او تسليم المؤمنين للمضطهدين او الهراطقة الخطايا التي تستلزم الابعاد عن الجماعة . فالتائبون عن هذه الخطايا وامثالها يضطرون ان يعترفوا بذنوبهم جهرا وان يجتازوا درجات الامتحان الاربع وهي درجات الباكين عند مدخل الكنيسة والساميين في الرواق مع الموعوظين والراكعين في الكنيسة خلف المسيحيين والواقفين مع المسيحيين مدة الصلاة كلها لكن بدون مناوله ، على ان مدة هذه الامتحانات كانت تختصر احياناً اذا تقدمت شهادات بحق التائبين من ابي الاعتراف او توصية من احد المعترفين الذين ذاقوا شدة الاضطهادات وعرفوا صعوبة الثبات

٥) الكهنوت — كان يتمم بوضع يد الرسل على المنتخب ثم سلم بعدئذ هذا الحق للاساقفة

٦) الزواج — هذا السر العظيم (اف ٥ : ٣١ و ٣٢) كان يتمم غالباً قبل القداس ليتناول العروسان جسد المسيح ودمه ، وفي وقت الاكليل كانت تستعمل الخواتم والاكاليل النباتيه التي كانت تلبث على راس العروسين سبعه ايام

٧) الزيت — استعمله الرسل واسطة للشفاء منذ ايام المخلص

(مر ٦ : ١٣) واوجبوا استعماله (يع ٥ : ١٤ و ١٥) اما كيف كانوا يتممونه فغير معروف ولكن يفهم من كلام يعقوب الرسول انه كان يتمم من عدة كهنه

ثانيا – الادب المسيحي

قاعدة المسيحيين – جوهر الديانة الوثنية قائم في العمل لاجل الذات بخلاف المسيحية التي تطلب العمل لاجل الغير وشرف هذا المبدأ لم يظهر لاول وهلة ولكنه ظهر اخيرا لما قوبلت الاداب المسيحية على الوثنية بشريعة الاخاء العمومي ؛ والمحبة اخذت اساسها من المخلص (يو ١٣ : ٣٤ و ٣٥) وظهرت في ايام الرسل (اع ٢ : ٤٤ و ٤٥ و ٤ : ٣٢ الخ) اذ كان للجميع طعام واحد ، ومقتنيات واحدة ولما تكاثر عدد المسيحيين بدلوا الاشتراك في المقتنيات بالمساعدات فكان المسافرون والمرضى والشيوخ والارامل واليتامى وكل ذى حاجة يجدون لهم ملجاء ؛ ولما كان الوثنيون في اوقات الطاعون يهجرون اعز الناس لديهم كان المسيحيون لايخافون الموت في سبيل تعزية ومساعدة اصغر اخ

وفي القرن الثالث كانت الكنيسة الروميه تساعد الف وخمسمائة ارملة عدا غيرها ، والقديس كبريانوس عندما هاجم البرابرة نوميديا جمع من الاكليروس والشعب مئة الف ذهب لافتداء الاسرى

ومن مزايا المسيحيين الاولين الطاعة للحكام التي جعلت قسطنديوس خلوري يعتبر المسيحيين افضل جماعة في المملكة

الرومانية . ومن ذلك اعتبارهم العبد كالسيد في الحقوق الدينية . كلهم يصلون معاً ويتناولون الاسرار المقدسة من كاس واحدة ، وكثيرا ما كان العبد استاذا للسيد وارقى منه من الوجهة الدينية

اما العفة المسيحية فما دهش له الوثنيون ، وكل ما ارتاحت اليه الامرأة الوثنية من مرأى الصراع في المراسح والرقص والكوميديات وسواها من الالعاب القذرة ، كانت تشمئز منه المرأة المسيحية وتعتبره خدمة للشيطان ، وقد بالغ بعضهم في التعفف حتى انهم تعففوا عن المباح طلباً للكمال الانجيلي فهجروا ملاذ العالم بعضهم بالتبتل ، وبعضهم بالفقر الطوعي ، وبعضهم بالانقطاع للصوم والصلاة ؛ ومنهم من احتمل النذورات الثلاثة وقد كانت هذه المعيشة نادرة في القرنين الاول والثاني ولكن اضطهاد ديوكليسيوس جعل الكثيرين يقدمون على التوحد في البراري . واشتهر من هؤلاء بولس الثيبي الذي نسك في برية ثيبة ٨٠ سنة وكان عمره ١٥ سنة فقط وهو اول من وضع اساساً للحياة النسكية اما ابو الرهبان وواضع حدودها فهو انطونيوس الكبير الذي تختص ترجمته بالقرن الرابع

العادات المسيحية — كان الروح المسيحي مالئاً صدور المسيحيين في الدور الاول ففي اكلهم وشربهم ، وحركاتهم جميعاً يتلألأ الروح المسيحي التقوي فان رسم الصليب كان فاتحة كل عمل وهو زينة الجدران والاواني والادوات . واقتبسوا من اليهود عادة تطييب

اجساد الموتى ودفنها باحترام بعد ان يصلوا لاجلها. ويقيمون لاجل المتوفين القداس الالهي على المدافن او في الكهوف حيث توجد قبور المتوفين ، ولم يكونوا يحزنون على الميت لشعورهم بانه انتقل لرؤية المسيح بل كانوا يتممون سر الشكر لاجله باحتفال وكانوا يذكرون الموتى في القداس الالهي عند مرور سنه على وفاتهم

الدور الثاني

من فوز الكنيسة ٣١٣ الى نهاية نمو الكنيسة العقائدي سنة ٦٩٢

صفة هذا الدور

من مميزات هذا الدور ان المسيحية اخذت مركز الديانة الوثنية واصبحت ديانة الحكومة الرسمية وانتشرت انتشاراً اسرع واعظم من كل الادوار التي مرت بها ؛ والهرطقات التي ظهرت وازعجت الكنيسة في هذا الدور كانت وسيلة حسنة لضبط العقائد والانظمه واحكامها بحيث غدت سياجاً للكنيسة وقانوناً يرجع اليه في كل عصر ومصر

الفصل الاول — الكنيسة في العالم

الملوك والمسيحية

نالت المسيحية حريتها بمنشور ميلان (٣١٣) ولكنها ما برحت في خطر الاضطهاد لان ليكينيوس شريك قسطنطين في توقيع

منشور الحرية الدينية المذكور؛ سولت له نفسه الاستئثار بالسلطه فاخذ يزاحم قسطنطين على الاولية وضيق على المسيحيين في الشرق لتصوره انهم انما يصلون قسطنطين فثارت بينهما حرب هائلة (٣٢٢) انتهت بفوز قسطنطين وقتل ليكينيوس ، ومع ان قسطنطين لم يعتمد ولم ينزع عنه لقب الكاهن الاعظم للوثنية الى ذلك الوقت الا انه ساعد كثيرا على انتشار المسيحيه بسماحه للمسيحيين بالحصول على الوظائف العالية في المملكة ومنحه اياهم امتيازات جمة وتبرعه بتشييد هياكل كثيرة ، ولا سما في فلسطين واعترافه بالكنيسه كجماعة قانونية ، على ان ما عمله لم يكن بقصد محاربة الوثنيه فانه كسياسي ضليع كان موقناً انها سائرة الى الاضمحلال لذلك سمح لكل ان يعتقد بما يوحيه اليه وجدانه ولم يقفل من الهياكل الوثنية الا التي اقفرت بتنصر ذويها والتي كانت مصدراً للرجس والخراعات ؛ ولكي لا يجرح احساسات الوثنيين الكثيري العدد في روميه نقل عاصمته الى بيزانطية (٣٣٠) التي وسعها فنسبت اليه ؛ واصبحت عاصمة الامبراطرة المسيحيين وقبل ان توفي (٣٣٧) بقليل اعتمد وله من العمر ٦٥ سنه فقدسه المسيحيون والهه الوثنيون لانه نفع الاولين ولم يسيء الى الاخيرين

اما اولاد قسطنطين الكبير الثلاثة قسطنطين الثاني (+ ٣٤٠) وقنسطانس (+ ٣٥٠) وقسطندي (+ ٣٦١) فلم يكتفوا بمساعدة المسيحية ادبياً بل استعملوا الشدة للاشاة الوثنيه ؛ واعطاء السيادة

المطلقة للمسيحية فاصدر قسطندي حاكم الشرق بالاشتراك مع اخيه قونسطانس حاكم الغرب منشوراً (٣٤١) حظر فيه على الوثنيين تقديم ذبائح للاوثان تحت طائلة الموت ؛ وكرر هذا الامر اربع مرات اخرى (٣٤٦ و ٣٥٠ و ٣٥٦) وحول الهياكل الوثنيه كنائس ولم يبق منها الا ما كان ذا اثر تاريخي او فني ، واصبحت الوثنية جرماً سياسياً كما كانت المسيحية من قبل على ان هذا لم يلاش الوثنيه ولم ينفع المسيحية كثيراً فان الوثنيين اعتصموا في المدن العظمى كالاسكندرية واثينا (حيث قطن الفلاسفة الوثنيون) وروميه موطن الاسر الشريفة الذين اضطروا الامبراطور ان يتابع تقديم الرواتب لكهنة الاصنام . اما الذين تنصروا فاغلبهم تنصروا اضطراراً او طمعاً في المناصب السياسية ولا تخفى حالة قوم تركوا مذهبهم واستمسكوا بآخر عن غير اقتناع قلبي

فلما تسنم العرش يوليانوس ابن يوليوس قنسطانس اخي قسطنطين الكبير المعرف بالجاحد انقلبت الحالة تماما فان الضغط الشديد الذي اوقعه قسطندي ليس على الوثنيين فقط بل على ابن عمه ايضاً اوجد فيه كرهاً شديداً للمسيحية ولا سيما انه تثقف على يد استاذ كان يظهر المسيحية و يبطن الوثنيه ، فلما افضى اليه الحكم (٣٦١) لعدم وجود وارث شرعي لابن عمه قسطندي القى عن منكبيه ثياب الحمل وصرح بجحوده المسيحيه ؛ فاخذ يتمم بالفعل واجباته ككاهن الوثنيه الاعظم واعاد الوثنيين الى مراكزهم الاولى

وحارب المسيحية محاربة عالم .فمنع المسيحيين عن تلقي دروس الفلسفه بحجة ان ذلك يهين الالهة التي يعتبرها الفلاسفة هوميروس وايزيون وهيرودتوس ؛ وعمل على تكثير الاحزاب الدينية عند المسيحيين لاعتقاده ان الانقسامات الداخليه تقرضها واعطى اليهود اموالا غزيره ليجددوا هيكلهم في اورشليم تكذيباً لنبوة المخلص والغى كل الاوامر التي صدرت منذ قسطنطين الى قسطنديوس فاضطر المسيحيون ان يسلموا كنائسهم المشيدة على الانقاض الوثنيه الى الوثنيين وان يبنوا ماتهدم بامر القياصرة وان يعزلوا من مناصب الحكومه وان يتجنبوا الاحتفالات المقامة بشعائر وثنيه ، ونزعت علامة الصليب عن الاعلام وابدلت برسوم الالهه الخ على ان كل ما عمله يوليان لم يكن لينيله بغيته من تقديم الوثنية على المسيحية فانه حينما اراد تعزيز الوثنية بحسب المبادىء العلمية لم يجد افضل من ان يدخل اليها الروح المسيحية ومبادىء الافلاطونيه الحديثة ، فنفر منه الوثنيون انفسهم الذين لم يعودوا انفسهم المعيشة الجديه الصارمه وانما كانوا يمالئونه حباً بالانتفاع منه فاهاج ذلك حماسته وعول ان يستعمل حتى الوسائل الاجبارية للوصول الى غرضه غير انه اشتبك بحرب مع الفرس قضي عليه فيها (٣٦٣) فارتاح من عناده المسيحيون والوثنيون معاً وكان آخر الامبراطرة الوثنيين

حالما مات يوليان اعلن الجند يونيان (ابن الفريق دارونيان)

احد اركان الحرس امبراطورا فاعلن مسيحيته قبل قبوله التاج وبعد تسنمه العرش الغى الشرائع التي اصدرها يوليان ضد المسيحية واعاد الاعلام الموشومة بالصليب لكنه لم يتحامل على الوثنيين ولم يمنعهم الا عن تقديم الذبائح التي تحصل فيها الشعوذات ؛ وحذا حذوه بالتساهل مع الوثنيين خلفاءوه فالنتيان الذي ملك الاصقاع الغربية (٣٦٤ — ٣٧٥) وفالينت اخوه الذي شاركه في حكم الاصقاع الشرقيه (٣٦٤ — ٣٦٨) فان الاول اذاع منشوراً بعد تسنمه العرش بقليل اطلق فيه الحريه لكل المذاهب غير ان المسيحية انتشرت بسرعة فائقه حتى اقفرت المدن من الوثنيين ولم يبق من اتباعها الا الغرباء فسماها الملك فالنتيان (٣٦٨) ديانة المهاجرين

اما غراتيان الذي خلف اباه فالنتيان في حكم الغرب (٣٧٥ — ٣٨٣) فقد قاوم الوثنية بشدة ومذ افضت اليه السلطه رفض لقب كاهن الوثنيه الاعظم وطرح كل الشارات الوثنيه ، واخرج من السينات هيكل فكتوريا ومنع رواتب الكهنه ، والغى كل امتيازاتهم وعمل عمله ثيودوسيوس الكبير الذي انتخبه غراتيان لحكم الشرق سنه ٣٧٩ فان المذكور هدم بعض الهياكل الوثنيه واقفل بعضها وحول البعض الآخر الى كنائس ولما استقل في الملك (٣٩٢) ضرب الوثنيه الضربه القاضية باصداره قانونا حظر فيه خدمه الالهه معتبراً المخالف مهيناً للعظمه الملوكيه نفسها ؛ وتابع خطة ثيودوسيوس ولداه اركاديوس الذي خلفه في سياسه

الشرق (٣٩٥ + ٤٠٨) واونوريوس خليفته في الغرب (٣٩٥ — ٤٢٣) فان الاخير اصدر امرا بالغاء ما بقي من الهياكل الوثنية حتى في الاماكن المنفردة ، واركاديوس جعل الرهبان يخترقون كل المقاطعات لارشاد البقية من الوثنيين . وفي ايام ثيودوسيوس الثاني خليفة اركاديوس (٤٠٨ — ٤٥٠) لم يبق وثني في الشرق كما يظهر من المنشور الذي اذاعه (٤٢٣) ولولا المدرسة النيو بلاتونية في اثينا وسلالة الاسبارطيين القدماء الذين اعتصموا في الجبال لامكن القول ان الامبراطورية الشرقية اصبحت مسيحية بحتة منذ القرن الخامس ، على ان الامبراطور يوستينيان الاول (٥٢٧ — ٥٦٦) الغى المدرسة النيو بلاتونية الاثينوية ، واضاع الاسبرطيون مع استقلالهم السياسي تقاليد اسلافهم فلم يبق منهم وثني في القرن التاسع ؛ اما في الغرب فلم تجتز بقايا الوثنية آخر القرن السادس

انتشار المسيحية

في الدور الاول انتشرت المسيحية في المملكة الرومانية فقط ولكنها في هذا الدور تجاوزتها الى سائر الاصقاع في القارات الثلاث وكان اقل احتكاك بين المسيحيين والوثنيين يؤول الى انقياد هؤلاء وارتياحهم الى الديانة الحديثة وكان التجار والاسرى والرهبان والمبشرون والاميرات والملوك وسائط فعالة لترويج الفكرة

المسيحية وتسليطها على العواطف

اولا — افريقيا

الحبش — في سنة ٣١٦ م بشواطئ الحبشة ميروبيوس الصوري ومعه ، نسيباه الشابان ايديسه وفرومنتوس فهجم الحبشان على سفينته وقضوا على من فيها عدا الشابين اللذين قدموهما هدية لملكهم فاستبقاهما لتوسمه النجابة فيهما وجعل فرومنتوس كاتبه الخاص فلما توفي الملك وكل اليهما تهذيب ولي العهد القاصر (آيزان) وفي هذه الاونة تسنى لهما بث افكارهما الدينية التي وجدت في صدور القوم استعدادا لقبولها . فلما استرشد ولي العهد اطلق لهما الحرية فاستأذن ايديسه بالعودة الى صور اما فرومنتوس فاذ شعر بارتياح الملك والشعب الى قبول النصرانية ذهب الى الاسكندرية وقص على بطريركها ما رأى فاستحسن القديس اثناسيوس اقامة فرومنتوس على الحبشة ؛ وهكذا عاد فرومنتوس الى الحبشة اسقفاً (٣٤١ أو ٣٤٦) فاقتبله الملك والشعب بارتياح ؛ وفي مدة اسقفيته تمكن من نشر المسيحية في الحبشة فتنصر الملك ، وجمهور كبير من الحبشان ولما توفي خلف كنيسة عظيمة ثابتة ظلت أمينة على التعاليم الارثوذكسية مدة الاضطرابات الاريوسية كلها . لكنها انحرفت مع بطريرك الاسكندرية ديوسقوروس الى التعليم بوحدة الطبيعة في القرن الخامس

ثانياً — اسيا

١) القوقاس — انتشرت المسيحية في القوقاس بواسطة مسيحية اسمها نونا وقعت في اسر الايبريين ٣٢٠ فادهشتهم بتقواها واستقامتها وقد مجدها الله باستجابة تضرعها لاجل شفاء ابن الملك بعد ما اشرف على الموت رغم الوسائط البشرية الكثيرة. ولما عرض الملك عليها هداياه النفيسة ابت قبول شيء منها وفضلت عليها بناء هيكل للاله الحقيقي. وقد تمت امنيتها حينما ضل الملك في الصيد ولم يهتد الى الطريق حتى نذر ان يبني بيتاً لاله نونا فلم يف نذره فقط بل استقدم اسقفاً وكهنة من قسطنطين الكبير لتنوير الاهلين؛ وهكذا تحولت ايبيريا من وثنية الى مسيحية ومنها انتقلت المسيحيه الى اللاز الذين اقتبل ملكهم المعمودية (٥٢٠) في القسطنطينيه و بواسطة اللازيين وبمساعدة يوستنيان الاول انتشرت المسيحيه في ابخازيا (الكرج).

٢) الارمن — وجدت المسيحية في ارمينيا في القرن الثاني بسبب خضوعها للرومانيين احياناً؛ ولكن انتشار المسيحيه انما كان في القرنين الرابع والخامس والفضل في ذلك عائد للقديس غريغوريوس المنير (٢٥٧ — ٣٣٧) هذا كان ابنا لاحد امراء الارمن الذين قضي عليهم بالاعدام ففرت به مربيته المسيحية الى قيصرية كبادوك حيث تلقن المسيحية؛ فلما عاد الى بلاده دخل في خدمه تيريدات الثالث ملك الارمن؛ وتمكن من تنصيره

ولكي يضع اساساً ثابتا لكنيسة ارمينيا رجع الى قيصرية (٣٠٢) فنال الدرجة الاسقفية من المطران ليونيدس وهكذا تسنى له ان يمنح سر المعمودية للملك والوجهاء المتنصرين ثم اقام كهنة في كل موضع. وظهرت الكنائس عوض الهياكل الوثنية ؛ وحذا حذوه خلفاؤه في الاسقفية ولا سيما البطريرك اسحق الكبير (٣٩٠-٤٤١) الذي وضع مسروب في ايامه اساس اللاهوت الارمني وقد ظل الارمن امناء على الارثوذكسية رغم الاضطهادات العنيفة التي اثارها الفرس عليهم (٤٥٠) ولكنهم انحازوا الى المونوفيزيت (موحدي الطبيعة) في النصف الثاني من القرن الخامس

٣) الفرس — دخلت المسيحية بلاد الفرس من الاصقاع المجاورة وتنظمت كنيسة فارس في اوائل القرن الرابع وكان يدير شؤونها مطران سلفكيه وكتيسيفون تحت رئاسة البطريرك الانطاكي لكن بسبب العداوة التي قامت بين الدولة الساسانيه والدولة الرومانيه عانى المسيحيون اضطهادات شديدة وعوملوا كخونة للوطن بسبب علاقاتهم المذهبيه مع الدولة الرومانية ؛ فبعد وفاة قسطنطين الكبير اصدر سابور الثاني منشورا (٣٤٣) فرض فيه ضرائب باهظة على المسيحيين فلما لم يستطيعوا تاديتها زج الاكليروس في السجون وهدم الكنائس واساء استعمال الاواني المقدسة وظل الاضطهاد المذكور الى اخر حكم سابور الثاني (٣٨١) وفي سنه ٤١٨ تجدد الاضطهاد بعد ان هدأ مدة لان عبداس الاسقف هدم بغيرة

عمياء هيكلا مكرساً للنار وازداد الاضطهاد اشتعالا في مدة بهرام الخامس (٤٢٠ — ٤٣٨) واستشهد فيه الشماس بنيامين ويعقوب المقطع ، على ان حكمة اكاكيوس اسقف امد (٤٣٠) الذي باع الاواني الكنسيه وافتدى فيها سبعة الاف فارسي اسرهم الرومانيون اعادت ثقة الحكومة الفارسيه برؤساء المسيحيين ، وصاروا يعتبرون النصرانية افضل المذاهب الاخرى ، واقربها الى الزرادشتيه ، وبعد نصف القرن الخامس ارتاح مسيحيو الفرس اذ قطعوا كل علاقة مع الامبراطوريه البيزانطية باتباعهم النسطورية

٤) العرب — بلغت المسيحية العرب في القرن الرسولي بتبشير بولس وفي ايام اورجانوس كان لهم اساقفه لكنها انتشرت كثيرا في القرنين الرابع والخامس والعامل المهم في تنصير العرب ثيوفيلوس الهندي منصر بني حمير الذي كان رهينا في القسطنطينيه ، فارسله قونسطانس اسقفا الى الحميريين لينصرهم ويحضرهم لتزول بذلك صعوبة المتاجرة معهم فتمكن من تنصير زعيم العشيرة وكل الحميريين عدا الذين سبق فتهودوا ولكنه اذ كان اريوسياً قبل الحميريون المسيحية الاريوسية وبتاثير ايلاريون تنصر كثيرون من العرب في بادية فلسطين . وفي ايام ماويه (ماء السماء) ملكة الحيرة سيم موسى الناسك اسقفاً على عشيرتها ، ومثل ذلك يقال عن افثيميوس البار ، وسمعان العمودي ورهبان سيناء الذين باجتهادهم وقدوتهم الحسنة نصروا قبائل بدويه عربية برمتها

ثالثا — اوربا

١) القوط (١) وبدو اوربا — القبائل البدوية في اوربا اقتبلت المسيحيه في القرنين الرابع والخامس ، واول من تعرف بالمسيحية من هولاء انما هم القوط الذين تنصرو اثناء مهاجمتهم الامبراطورية الرومانية وتالفت منهم كنيسة ليست بكبيرة ووجد منهم اسقف في المجمع النيقوي يدعى ثيوفيلوس كما يظهر من توقيعه قرارات المجمع ولكن المسيحية انتشرت كثيرا في ايام اولغيلاس الاسقف القوطي (٣٤٨ — ٣٨٨) الذي وضع للقوط الحروف الهجائية ثم ترجم الكتاب المقدس للغتهم على ان المسيحية انتشرت بحسب المبادىء الاريوسية تحت ضغط الامبراطور فالنت (٣٧٦) ولما انقسم القوط الى شرقيين (٢) وغربيين (٤١٥) نشر الغربيون المسيحيه بين الفنداليين (الاندلس) والسويف (برتوغاليا) ٤١٥ ، والشرقيون في ايطاليا (٤٩٢) ولومبارديا ، وبرغونيا

---

(١) برابرة اوربا هم القوط الشرقيون (٤٩٣ — ٥٥٤) والغربيون (٤١٥ — ٧١١) والبرغنديون (٤٤٣ — ٥٣٤) والفاندال (٤٢٩ — ٥٣٣) واللومبارديون (٥٦٨ — ٧٧٤)

(٢) تاسست دولة القوط الغربيين في جنوبي فرنسا واكثر اسبانيا ودامت دولتهم نحو ثلاثة قرون (٤١٥ — ٧١١)

اما دوله القوط الشرقيين فقد اسسها في ايطاليا ثيودريك (٤٩٣ — ٥٢٧) وظلت الى سنة ٥٤٤ فكانت مدتها كلها نحو ٦٠ سنه

ولم تطل سيادة الاريوسية اذ تحول الى الارثوذكسية البرغون (في اواخر القرن الخامس واوائل السادس) وفاندال افريقيا (٥٣٣) والسويف (٥٦٠) والاسبان (٥٨٩) واللومبارديون (في اواخر القرن السابع)

٢) الافرنج — دخلت المسيحية فرنسا في الدور الاول ولكنها انتشرت فيها في القرن الخامس بواسطة كلوتيلدا البرغونية التي اقترنت (٤٩٣) بكلوفيس ملك الفرنج (٤٨١ — ٥١١) هذه كانت محبوبة جدا عند زوجها حتى انه سمح لها ان تعمد ابنها البكر مع انه وثني فتوفي الابن ونسب ابوه وفاته للمعمودية. ولكنه عاد فسمح لها ان تعمد الابن الثاني فمرض هذا ايضا لدرجة هلع لها قلب امه، فتوسلت الى الله ان ينقذ ابنها لكي لايكون موته سبباً لاصرار زوجها على غيه فضلا عن انتقامه منها فشفي الغلام وكان لشفائه تاثير على ابيه الا انه ظل وثنياً حتى احاط الخطر به وبجنوده اثناء محاربته الالمان (٤٩٦) ولما استغاث بالهته ولم تجده نفعا لجأ الى اله كلوتلدا ففاز على خصومه فاعتمد مع رعاياه ومن ذلك الوقت تعززت المسيحيه في فرنسا

٣) البريطان — سرت المسيحية في القرن الثالث الى جنوبي بريطانيا من غاليا الجنوبية؛ واسيا الصغرى ولكن انتشارها المهم انما كان بواسطة پتريك رسول ايرلاندا (٣٧٧ — ٤٦٠) هذا الرجل بريطاني الاصل سليل اسرة مسيحية اسره الايرلانديون وهو فتى

وبعد ست سنوات اعيد الى اهله غير انه وقع ثانية في اسر القرصان اذ كان متوجها الى فرانسا فافتداه التجار المسيحيون فاثر هذا على نفسه وكرس حياته لخدمة البشارة فلما سيم اسقفاً (٤٣٢) نشر الانجيل بين الايرلانديين ونجح نجاحا فائقا باختراعه الحروف الهجائيه الايرلاندية وتوثيقه الرابطة الادبية بين كنيستي غاليا وايرلاندا وسعى سعيه تلاميذه فلم يمر النصف الاول من القرن السادس حتى عمت المسيحية كل ايرلاندا تقريبا

ومن ايرلاندا انتقلت المسيحية الى سكوتلاندا (٥٦٣) بواسطة كولمبانوس (٥٢١ — ٥٩٧) اما الفضل في نشر المسيحيه في جزيرة انكلترا نفسها فمرجعه الى الاميرة بيرتا الافرنسيه زوجة اثلبرت ملك الانجلوسكسون (٥٦٠ — ٦١٦) التي ساعدت الاب اوغستينوس رسول انكلترا (٥٩٧ — ٦٠٥) على تنصير زوجها وبتنصره اتسع المجال للاب اوغستينوس فتنصرت الرعيه الانكليزية وتالفت منهم كنيسة عظيمة كان اسقفها اوغستينوس المذكور

٤) الجرمان — دخلت المسيحية الى جرمانيا فى القرنين الثالث والرابع حيث كان في المدن التي اسسها الفاتحون الرومانيون حوالى الرين والدانوب عدة اسقفيات وممن حفظ لنا التاريخ اسماءهم من ناشري المسيحية في جرمانيا سيفرينوس توفي سنة ٤٨٢ و كولمبان رئيس ديرنيكور وغالوس رسول سويسرا تلميذ كولمبان († — ٦٤٦)

الذي تعتبره الكنيسة الغربية قديساً وتعيد له في ١٦ ت ١.
لكنّ بعد هجرة الامم الكبرى في القرنين الخامس والسادس
إضمحلت المسيحية فيها وبدأت المحاولة باعادة المسيحية اليها منذ
آخر القرن السادس .فاسست عدة كنائس بمساعي الفرنسويين
والانكليز لكن الاختلاف بين فريقي المبشرين وكثرة المتشبثين
بالوثنيه جعل النجاح قليلا.وحفظ الفخر بتعميم المسيحية في جرمانيا
الى بونيفاس الراهب الانكليزي الذي نحفظ الكلام عنه الى الدور الثالث

الاحوال المضادة

في هذا الدور كف الاضطهاد عن المسيحيين بتنصر الامبراطرة
ولكن الكنيسة لم تسلم من صدمات كثيرة اجتازتها ليس
بدون صعوبة

فاول صدمة ارتطمت بها هي هجوم الفلاسفة الوثنيين عليها
بفريات كتبوها ضد المسيحية. فبعضهم كتب باعتدال واكتفى
بالدفاع عن الوثنية ومن هؤلاء ثيمستيوس الخطيب (٣١٧—٣٩٠)
وكلسيديوس الفيلسوف؛وامميان مرسلينوس المؤرخ (٣٣٠—٤٠٠)
وافريليوس سماخوس العالم (+ ٤٠٠) وليبانيوس المدرس
(+ ٣٩٥) والبعض الاخر تجاوزوا حد الدفاع عن الوثنية الى التحامل
على المسيحية فتهكموا بها ما شاء ادبهم ونسبوا اليها تقهقر وسقوط
المملكة الرومانيه ، ومن هؤلاء يوليانوس الزائغ المخدوع
بسفسطات مكسيموس الافسوسي ،وصاحب كتاب «فليوباتريس»

الهازى. بالثالوث ، وبروكلوس (٤١٢ — ٤٨٥) آخر نواب المدرسة النيو بلاطونية الاثينوية الذي حاول اثبات ابدية الكون ؛ وافنابيوس الطبيب (في القرن الخامس) عدو المسيحية الكاشح صديق يوليان الجاحد ، وزوسيموس المورخ (في القرن الخامس) الذي نسب اشراف الامبراطورية على السقوط لتنصر الرومانيين وهجرهم الوثنية الديانة القديمة . لكن هذه الصدمة لم تضر الكنيسة اذ نبغ فيها من تفرغ لرد هذه الفريات واظهار مينها ؛ ومن هولاء افسابيوس القيصري المورخ (+ ٣٤٠) في كتابه « الاستعداد الانجيلي » واثناسيوس الاسكندري (+ ٣٧٣) في كتابيه « رد على الهيلانيين » و « تجسد الكلمة » ، وكيراس الاسكندري (+ ٤٤٤) في رده على يوليان الجاحد . وثيودوريت المغبوط (✠ ٤٥٨) في كتابه « معالجة امراض اليونان » الذي برهن فيه صحة الحقائق الانجيلية من الفلسفة اليونانية ؛ واوغسطينوس المغبوط (✠ ٤٣٠) في كتابه « مدينة الله » وبولس اوروزدي الاسباني المورخ ، وسلفيانوس الغالي في كتابه « عناية الله » الذي اظهر فيه ان سبب هجمات البرابرة على الامبراطورية انما هو غضب الله لرداءة حياة الرومانيين . هذه هي المحنة الاولى التي مرت بها الكنيسة وانتهت بفوز المسيحية الادبي ايضاً

وثاني محنة اصابت الكنيسة هي الفتك الذريع الذي وقع باعضائها حين المهاجرات الشعبية في اوربا . ففي اخر القرن الرابع فر

القوط من وجه الهونيين واوقعوا في الامبراطورية الرومانيه السلب والتخريب وسنة ٤٠٢ اجتاحوا ايطاليا وفتحوا روميه (٤١٠) ثم هجروها الى غاليا واسبانيا (٤١٥) حيث استقرت اقدامهم؛ وكانت القسوة والنهب الوحشي يرافقانهم حيث حلوا. وكان الفاندالة في اسبانيا فلما حل بها الفيزيغوت فروا منهم الى افريقيا الشمالية (٤٢٩) فمكثوا فيها الى سنة ٥٣٣ وكانوا في هذه المدة افظع مثال للقسوة ولاضطهاد الارثوذكسيه؛ وفي هذا الوقت ايضا كان الهونيون قد بلغوا تحت قيادة جبارهم آتيلا (٤٣٣ — ٤٥٣) الى اوربا فاجتاحوها بجيوشهم الجرارة وملاوا الارض رعبا وقتلا ولم تكد تنال الكنيسة طعم الراحة حتى فاجأ ايطاليا (٤٥٦) جنسريك ملك الفاندال بحجة مساعدة املة فالنت فنهب نفائس روميه؛ ومن ذلك الوقت اخذت الامبراطورية الغربية تتقهقر حتى سقطت سنة ٤٧٦ بيد ادواكر ثم طرده الاوستروغوت (٤٩٢) واستولوا عليها ثم هاجمها اللومباردیون والبرغونيون والفرنساويون وغيرهم. هذه المهاجمات اسفرت عن حلول ازمات شديدة وهلاك كثيرين من رعاة وابناء الكنيسه

المحنة الثالثة التي منيت الكنيسة بها في هذا الدور هي الاضطهادات الفارسية التي ضحيت فيها نفوس كثيرة ولاسيما حينما هاجم كسرى الثاني الامبراطورية الرومانية من الجهة الشرقية فاخذ اورشليم (٦١٤) وسبى عود الصليب وظل يتقدم في فتوحاته حتى بلغ

خلكيدون (٦١٦) وفي اثناء هذه الفتوحات ذاق المسيحيون انواع الالام المرة في السبي و تلفت نفوس كثيرة ولو لم يضع هرقل حدا لقسوتهم (٦٢٨) لما بقيت بقية تذكر

وما انقضى زمن الفرس حتى ظهرت الديانة الاسلاميه (١)

---

(١) قد دون مورخو الاسلام ترجمة نبيهم في مجلدات ضخمة نلخص منها لقراء الطرفة ما يلي: ان موسس الديانة الاسلاميه و رسولها العظيم هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ولد في مكة في ١٢ ربيع الاول الموافق ٢٠ نيسان سنة ٥٧١ ولم يرا باه على الارجح وتوفيت والدته آمنة قبل ان يجوز السنة السادسة من عمره فاحتضنه جده عبد المطلب ولما توفي بعد سنتين كفله عمه ابو طالب وظل يعتني به حتى بلغ سن الرشد ولما بلغ الخامسة والعشرين من عمره اقترن بامراة غنية اسمها خديجه بنت خويلد خطبته لنفسها لما توسمته فيه من حسن الطالع على اثر متاجرة قام بها على حسابها

واذ راى بسائق العبقرية ما انحرف به قومه عن جادة الهدى باستسلامهم الى اوهام الوثنية حركه التامل العميق في المباحث التي تجتذب اليها دائما العقل المتدين الى اعلان ما القي في روعه ولة من العمر اربعون سنة . فلم تلق دعوته في اول الامر رواجا وانقضى عليه نحو ثلاث سنوات ولم يزد عدد اتباعه على الاربعين

وفي السنة الثالثة من دعوته كثر تحامل القرشيين عليه فضاق ذرعه عن احتمالهم فهاجر مع رهط من اصحابه الى يثرب المدينة) حيث لقي صدورا رحبة ووجوها باسمة للتنافس القديم العهد بين المدينتين وكانت مهاجرته مكة في ١٦ تموز سنه ٦٢٢ ومن هذا التاريخ يبدأ التاريخ الاسلامي

منذئذ اعلن الحرب على المكيين واخذ يبعث البعوث على الحدود و يغزو القرشيين فجرت بين الفريقين عدة معارك دموية من اهمها معركة بدر سنة ٦٢٤ التي كانت الغلبة فيها للمسلمين وفي السنة الثامنة للهجرة زحف على مكة بعشرة الاف من

في شبه جزيرة العرب (في القرن السابع) وقام دعاتها في الشرق يطلبون من الناس ان يدينوا بها والا كلفوهم احدى اثنتين الجزية او الحرب فوجد بعض الجبناء المسيحيه ، بعضهم قاوموا فلم

الانصار ففتحها بدون عناء تقريباً سنة ٦٢٩ ومن ذلك الوقت اعتبرته القبائل العربية نبياً عظيماً وقائداً كبيراً . وجمع الاخاء الاسلامي انحاذ العرب المتباعدة فاصبحت الامة العربية كتلة واحدة ارهبت باتحادها اكاسرة العجم وقياصرة الروم الذين نخر الشقاق والنزاع قواهم المادية والمعنوية واوقفهم على شفا جرف هار

وقد وجه محمد نظره الى فتح بلاد الروم ولكنه لم ينل بغيته وهو حي فلما قضى اجله سنة ٦٣٢ تم فكرته خلفاوه ابو بكر وعمر وعثمان . اذ استولى الاول على دمشق سنة ٦٣٣ والثاني تم فتوحات سوريا وفلسطين وفتح مصر (٦٣٨ — ٦٤٠) والثالث تم فتوح بلاد الفرس واستولى على شواطئ افريقيا (٦٤٤—٦٥٥)

ثم انتقلت الخلافة لعلي (٦٥٥) ومنه لابنه الحسن الذي استقال منها بعد بضعة اشهر واخذها معاوية (٦٦١ — ٦٨٠) راس الدولة الاموية التي اتمت ما بدا به السلف الاول واخضعت اسيا الصغرى للراية العربية وهاجمت القسطنطينيه مركز قياصرة الروم

بفتح سوريا وفلسطين خسرت المسيحية اعظم اثر تاريخي عندها اعني به مهد ديانتها الاولى وكان لهذه الخسارة المادية والمعنوية تاثير كبير على الشرق المسيحي

ان جوهر التعليم الاسلامي يقوم بتوحيد الله والاعتراف برسالية محمد نبي الاسلام . واركانه اربعة . الصلوات الخمس ، والزكاة (بجزء من اربعين من المال) وصوم رمضان من الفجر الى الغروب عن (الاطيبين) وحج البيت الحرام من استطاع اليه سبيلا

اريد بالاسلام اصلاح ديانة العرب القديمة ولذلك لم يرد في اصوله ما يخالف

يستطيعوا لعدم اتفاق كلمتهم في الشرق ، فتقدمت الفتوحات الاسلاميه في سوريا وفلسطين ثم بلغت اوربا في اوائل القرن الثامن

نظريات المسيحية الجوهرية ولكن لما وقع التماس بينه وبين المسيحية ظهرت عدة فوارق من اهمها ما يأتي

١) الجوهر الالهي — وافق رسول الاسلام المسيحية في وحدة واجب الوجود . ولم يتعرض بادىء بدء لنظرية الاقانيم اذ كان غرضه القضاء على الاصنام والشرك المنتشر بين العرب كثيرا . ولكنه بتأثير اندفاعه ضد تعدد الالهة رفض تثليث الاقانيم (النساء ٤ : ١٧٠ والمائدة ٥ : ٧٦)

٢) الفداء — لم يخض رسول الاسلام في ما يهول الانسان الخاطىء لنيل غفران الله واكتفى بالاعتراف مع المسيحية بان الانسان لا يستحق دخول الجنة بعمله وانه انما يدخلها بعفو الله ورحمته واما كيف يتم ذلك فلم يتعرض له لذلك كانت اشاراته الى الفداء غير واضحة (عمران ٣ : ٩١ والمائدة ٥ : ٣٩ و يونس ١٠ : ٥٤ والرعد ١٣ : ٢٠ والحديد ٥٧ : ١٥ والمعارج ٧٠ : ١٠) ومع انه ذكر ولادة المسيح العجيبة وشخصيته الممتازة ، لكنه لم يوجب الاعتراف بتجسده وموته فداء عن البشر . ورغم تصريحه بوقوع الصلب نزهه عن معاناته اياه بذاته (النساء ٤ : ١٥٦)

٣) الوحي — وافق المسيحيين بانزالية التوراة والانجيل . ولكنه لاجل تبرير ما وجد من التباين بين بعض مقرراته ومبادىء المسيحية ، نسب التحريف الى الكتابيين (البقرة ٢ : ٧٥ ، النساء ٤ : ٤٥ والمائدة ٥ : ١٤) ثم ذهب الى ان القرآن يغني عن اسفار الوحي السابقة (البقرة ٢ : ١٠٦)

٤) بين الجنسين — ميز الذكور عن الاناث اذ جعل للذكر مثل حظ الانثيين (النساء ٤ : ١٠ و ١٧٥) وسمح للرجال بتعدد الزوجات (النساء ٤ : ٣) وجعل عقدة الزواج بيد الرجل (الطلاق ٦٥ : ١) يحتفظ بها اذا شاء ويحلها متى اراد

واستولى المسلمون على اسبانيا سنة ٧١١ ولكانوا اجتاحوا اوربا كلها لولم يوقف تقدمهم سنه ٧٣٢ « شارل مرتل » الماجور الفرنساوي . وقد خسرت المسيحيه في هذه الفتوحات العدد الاكبر من ابنائها في الشرق

الفصل الثاني

الهرطقات وما انعقد بسببها من المجامع

تمهيد — في الدور الاول نسقت الكنيسة التعاليم المسيحية واوضحتها بقدر الممكن تحنباً للتحريف ، لكن وجود البعض ممن يريدون فهم المسيحية بحسب المبادىء العقلية ، وبقاء المواضيع بدون تحديد فسح مجالا للمنازعات اللاهوتية في هذا الدور ، وادى ذلك الى ضلالات عظيمة ، وظهور احزاب للباطل عضدتها الحكومة نفسها أحيانا فبقي بعضها بعد ان ظهر زيغها وحكم عليها في المجامع العامة واليك تاريخ اهم الهرطقات :

١) الاريوسية والمجمع الاول

آريوس — ولد هذا الرجل في ليبية (القيروان) وتخرج في المدرسة الانطاكية على القس لوكيانوس ، وبعد انهاء دروسه شرطن قساً في الاسكندرية (٣١٣) حيث اظهر فكره المنحرف لاول مرة فانه بصفته خريج المدرسة الانطاكية كان يكره الاستعارات ويتطلب حرفية العبارات لذلك خيل اليه

تلك اهم الفوارق بين الديانتين وهنالك بعض تباينات لاتمس جوهر المبدأين اعرضنا عن ذكرها وكلها لاتحول دون موالاة ابناء الطائفتين النصرانية والاسلامية احداهما للاخرى . وقد عرف العموم ايجاب المسيحية على ابنائها مواساة كل ذي حاجة ولو كان عدواً كما ان الاسلامية لايضيق صدرها عن موالاة المخالفين لها فكيف بها وقد ذكر القرآن المسيحية وزعماءها بالثناء (المائدة ٥ : ٨٥)

ان التعليم بالتثليث يناقض التوحيد و بالتالي ان مساواة الاقانيم تستلزم (في رايه) تثليث اللاهوت كما ان وحدة الطبيعة تقتضي وحدة الاقانيم . لذلك ارتأى (دفعاً لهذه المناقضة الوهمية) ان الاب هو الاله الحقيقي وان الابن والروح صدرا بارادة الاب من العدم لا من جوهر الله ، وبديهي ان هذا التعليم لايؤدي الى تشويش التثليث الاقنومي فقط بل يلاشي التعليم بالفداء الذي هو اساس المسيحية كلها . على ان هذه الهرطقة كان من الممكن حصرها في شخص آريوس لو لم يكن يطمح ببصره الى اسقفية الاسكندرية فلما خاب سعيه وتسنم السدة اسكندر (٣١٣) اخذ يعمل على تخجيله . ففي احد الاجتماعات التي كان اسكندر يعقدها لفائدة كهنته قاومه آريوس لقوله ان للابن ذات طبيعة الاب متهماً اياه بالسابلية ، وتوحيد الوجوه في اللاهوت ؛ فحاول اسكندر اقناعه باللطف فلم يفلح بل بالعكس انضم الى رأيه اسقفان اسكندريان وعدة من الكهنة والشمامسة فاضطر حينئذ اسكندر ان يعقد مجمعاً في الاسكندرية (٣٢١) حكم فيه بقطع آريوس وحرم تعليمه ، ففر آريوس الى فلسطين وهناك اخذ يبث تعليمه فتمكن بقوة منطقه وسعة علمه من اجتذاب كثيرين الى رايه فبعضهم كاتب اسكندر مدافعاً عن شخص آريوس دون تعليمه كافسابيوس القيصري المؤرخ ، و بعضهم اتبعوا تعليمه ذاته كافسابيوس النيقوميدي ، وثيوناس النيقي ، ومماريس الخلكيدوني الذين عقدوا مجمعاً في نيقوميدية (ازميد) بروا فيه آريوس من الهرطقة ونشروا منشوراً طلبوا فيه من اساقفة الشرق اقناع اسكندر بقبول آريوس في شركته كما ان آريوس اخذ ينشر اراءه في قصائد واناشيد نظمها واذاعها بين الشعب لهذه الغاية . فكتب اسكندر رداً على هذه المنشورات ، وبين فيها زيغ آريوس عن الصواب في تعليمه فقامت المناظرات في كل صقع واخذ بعضهم يصوب فكر آريوس وآخرون يلومونه و بلغت مسامع قسطنطين الكبير فساءه ذلك جداً ، واوفد من قبله اوسيوس الاسباني اسقف قرطبة مرفوقاً برسالتين الى اسكندر وآريوس يحضهما فيهما على الاتفاق في الجوهريات الدينية والتساهل

في عرضياته فعاد اوسيوس بدون نتيجة واخبر قسطنطين بان الخلاف جوهري وليس كما صوره له افسابيوس النيقوميدي . فبعد استشارته عقلاء الاساقفة قرر عقد مجمع مسكوني لفض الخلاف ولتقرير التعليم الصحيح

المجمع الاول — ففي ٢٠ ايار سنة ٣٢٥ اجتمع في نيقيه ٣١٨ اسقفاً تلبية لدعوة الامبراطور من اشهرهم اوسيوس القرطبي الذي تراس المجمع ، وسيسيليانوس القرطجني ، وفيتون ؛ وفيكندي الكاهنان الرومانيان نائبا اسقف روميه ، والبطاركة الشرقيون اسكندر الاسكندري وافستاثيوس الانطاكي ومكاريوس الاورشليمي ، ونيقولاوس الميراليكي ؛ ويعقوب النصيبيني وسبيريدون التريمثوسي ، وبولس النيوقيصري وبفنوتيوس الثيبي ، وكان من حزب اريوس افسابيوس النيقوميدي ومعه عشرون اسقفا على رايه . ووجد من الاساقفة من كان بين بين كافسابيوس القيصري ، ووجد مع الاساقفة كثيرون من نوابغ الكهنة والشمامسة ؛ اشتهر بينهم الارشيديا كون اثناسيوس الاسكندري وحضر الامبراطور نفسه المجمع الذي عقد في ردهة القصر الامبراطوري

بعد افتتاح المجمع سمح لاريوس ان يبسط تعليمه ويؤيده ففعل وساعده انصاره فرد عليهم الارثوذكس ولا سيما افستاثيوس الانطاكي والشماس اثناسيوس الاسكندري الذي برهن بقوة حجته ان تعليم اريوس يناقض بعضه بعضاً لانه اذا كان الابن مخلوقاً

كما زعم فلا يمكن ان يكون خالقا (كما يقول هو نفسه) فان الخلق من خواص اللاهوت ؛ ولما احتدم الجدال ؛ وطالت المناقشات وضع افسابيوس القيصري دستورا لاجل التوفيق بين المئتين سمى الابن « الها من الله مولودا قبل كل المخلوقات » فرضي به الاريوسيون اما الارثوذكس فطلبوا تنقيح العبارة المذكورة وبعد مناقشات عنيفة قرروا ان الابن غير مخلوق ومساو للاب في الجوهر ؛ ونقحت عبارة الدستور بقلم الشماس اثناسيوس فصارت مولود غير مخلوق ذو جوهر واحد (اومواسيون) مع الاب فبعد ما قري على الجميع امرهم قسطنطين بتوقيعه فامضاه الارثوذكس واكثر الاريوسيين وفيهم افسابيوس النيقوميدي وثيوغنيس النيقي ؛ اماثيوناس المرمريسي وسيكوندوس البتولماوي واريوس فرفضوا التصديق ففرزوا ؛ ونفاهم الامبراطور الى ايليريا . وبعد مدة خلع افسابيوس النيقوميدي وثيوغنيس النيقي لانهما توقيع الحكم على اريوس ونفيا الى غاليا . اما المجمع النيقوي فعدا تقريره التعليم بمساواة الابن للاب جوهريا قرر وقت تعييد الفصح في الاحد الذي يلي عيد اليهود ؛ وقرر عدم اجبار الكهنة على التوليه . ووضع عشرين قانونا للترتيب الكنسي وقد انهى الاباء اعمالهم المجمعية في ٢٤ تموز وختموها بالتعييد لدخول الملك قسطنطين بالسنة العشرين لملكه وهذه هي صورة الدستور منقولة عن اوسابيوس بعد ما نقحها اثناسيوس الاسكندري

نؤمن بالله واحد اب ضابط الكل خالق كل ما يرى وما لا يرى وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب (اي من جوهر الاب) اله من اله نور من نور اله حق من اله حق مولود غير مخلوق ذو جوهر واحد مع الاب الذي به كان كل شيء ما في السماء وما على الارض الذي من اجلنا نحن البشر ومن اجل خلاصنا نزل وتجسد وتانس وتالم وقام في اليوم الثالث وصعد الى السماء وجلس عن يمين الاب وسياتي ايضا ليدين الاحياء والاموات الذي ليس لملكه انقضاء وبالروح القدس وختم الاباء الدستور بالقرار التالي

اما القائلون عن ابن الله انه كان وقت حيث لم يكن وقبل ان يولد لم يكن وانه صار من العدم . والزاعمون انه كان زمان لم يوجد فيه الابن وانه لم يكن له وجود قبل ان صار من العدم وانه من مادة اخرى او جوهر اخر او ان ابن الله مخلوق او متغير او متحول فهولاء جميعهم تفرزهم الكنيسة الرسولية الجامعة اه

على ان الاريوسية لم تتلاش بالمجمع فان كثيرين امضوا القرار عن غير رضى ، فبعد انفضاض المجمع عادوا الى التشويشات السابقة ، وخدمهم الحظ ان قسطنديا اخت الملك اودعت مرشدها الروحي (الاريوسي المعتقد) عند اخيها قبل وفاتها واوصته به خيراً ، وهذا تمكن من اقناع الملك بظلامة آريوس وبراءته من البدعة ، فاستدعاه من منفاه (٣٢٨) وسأله عن اعتراف ايمانه فاجابه جوابا اجماليا فهم منه قسطنطين انه يؤمن بالوهية الكلمة فاطلق سبيله واسترد افسابيوس النيقوميدي وثيوغنيس الى مركزهما ، وحينئذ تمكن الاريوسيون من لم شعثهم ومهاجمة الارثوذكس بكل جرأة فاسقطوا افستاثيوس

الانطاكي (٣٣٠) وغيروا قلب الامبراطور على اثناسيوس الاسكندري الذي خلف معلمه اسكندر في اسقفية الاسكندريه ، فنفاه الى غاليا (٣٣٦) وارسل بدله آريوس ، لكن الشعب قاومه بعنف شديد خشي الامبراطور معه من الثورة فاستعاده الى العاصمة حالا وطلب من اسقفها اسكندر قبوله بين اكليروسه ، لكن الله قضى ان لايدخل البيعة فتوفي فجأة وهو سائر باحتفال اليها ، وبعد وفاته بسنة توفي قسطنطين الكبير (٣٣٧)

فقام على كرسي الامبراطورية في الشرق ابنه قسطندي الاريوسي المتعصب هذا بعد تملكه طرد اسقف القسطنطينية بولس خليفة اسكندر ووضع مكانه افسابيوس النيقوميدي (٣٣٨) فسعى هذا الى اسقاط اثناسيوس (٣٤١) بعد ان اعاده قسطنطين الثاني اخو قسطندي ، لكن افسابيوس لم يعش طويلا بعد ذلك وبوفاته قام النزاع بين الارثوذكس والاريوسيين على من يخلفه فطلب الارثوذكس اعادة بولس لكن قسطندي نصب مكدونيوس بالقوة الحربية ، ولما تفاقم الخلاف تدخل قنسطانس حاكم الغرب بالامر واقنع اخاه قسطندي بوجوب عقد مجمع لفض القضية المنازع فيها فانعقد لهذه الغاية مجمع سرديكي (٣٤٧) ولكن النزاع لم ينته اذ شعر الاريوسيون بامكانية فشلهم فانفصلوا عن الارثوذكس وعقدوا مجمعاً خصوصياً في فيلبي فثبت السرديكيون دستور الايمان والقديس اثناسيوس . اما الفيلبيون فحرموه وثبتوا الدستور الانطاكي الخالي من كلمة (اوموأوسيون) ولكن اذ كان غريغوريوس الاريوسي قد توفي قبل قسطندي وساطة اخيه قنسطانس واعاد اثناسيوس الى منصبه (٣٤٩) فلما قتل قنسطانس نصير الارثوذكس (٣٥٠) وانتأثر قسطندي بالسلطة في الشرق والغرب رجحت كفة الاريوسيين ، فحكم على اثناسيوس في مجمعي اريلات (٣٥٣) ومديولان (٣٥٥) ونفي البابا ليبار يوس واوسيوس القرطبي وديونيسيوس المديولاني وايلاريوس بواتيه ولوسيفر السرديني ، وافسابيوس الفيرجيلي لانهم لم يوقعوا الحكم على اثناسيوس . وسنة ٣٥٦ اصدر قسطندي امراً باسقاط

اثناسيوس بالقوة ففر الى صحراء مصر وتعين عوضه غريغوريوس الكبادوكي كما تعين عوض المذكورين سابقاً اساقفة اريوسيون ، وهذا اعظم فوز ناله الاريوسيون

بعد هذا الفوز العظيم دخل الانقسام بين الاريوسيين فانقسموا الى فرق كثيرة اهمها الاوميون (القائلون بالمشابهة بين الاب والابن) ويعرفون بالنصف اريوسيين أو الاريوسيين المعتدلين . والانوميون (نفاة المشابهة) او الاريوسيون المتطرفون . من زعماء الاولين باسيليوس الانقروي وغريغوريوس اللاودوكي ومكدونيوس القسطنطيني ، ومن زعماء الاخيرين آيتيوس الانطاكي وتلميذه افنوميوس الشماس الذي ارتقى اخيرا الى اسقفية كيزيك وافدوكسيوس الاسقف الانطاكي الذي اغتصب الكرسي من مكدونيوس (٣٦٠) واكاكيوس القيصري الذي انحاز اليهم بعد ان كان من الاريوسيين المعتدلين ، ولما تفاقم الخطب عقد قسطنديوس مجمعاً في سرميوم (المجر) سنة ٣٥٧ للتوفيق بين الحزبين فقرروا حذف كلمة اوسيا (جوهر) من الدستور بحجة انها غير موجودة في الكتاب المقدس ولكن هذا القرار لم يرض الفئتين وبالرغم عن الشدة التي اظهرها قسطنديوس على المعاندين ونفيه الكثيرين منهم ظلت اضطهادات حتى وفاته (٣٦١) وبموته قضي على نفوذ الاوميين (الاريوسيين المعتدلين) اذا كان هو من حزبهم

فلما افضت السلطة الى يوليان الزائغ اطلق حرية المذاهب فعاد اثناسيوس وسائر المنفيين الى كراسيهم فانتعشت الارثوذكسية وقرر اثناسيوس في مجمع عقد في الاسكندرية (٣٦٢) ان كل الذين يرتدون الى الارثوذكسية من الاكليروس الاريوسي يقبلون بدرجاتهم التي حصلوا عليها قبل الهرطقة فرجع الى الارثوذكسية كثيرون ولا سيما من الاريوسيين المعتدلين الذين اصبحوا بلا نصير بعد موت قسطنديوس ، واخذت الارثوذكسية من هذا الوقت تتقوى والاريوسية تضعف ، واذا استثنينا اضطهاد فالنس (٣٦٤) للارثوذكس

والاريوسيين المعتدلين، فان الارثوذكسية كانت تعتز يوماً فيوماً. على ان الاضطهاد نفسه آل الى نفع الارثوذكس فان الاريوسيين المعتدلين انضموا اليهم لان عامل الاضطهاد ساوى بينهم، وانما ضرب الاريوسية الضربة القاضية، الامبراطور ثيودوسيوس وقضى عليها القضاء الاخير في المجمع المسكوني الثاني (٣٨١)

الدوناتية والابوليناريه والمكدونية

والمجمع الثاني

الدوناتية — لاجل اصلاح الاداب المسيحية سنت الكنيسة في الدور الاول قوانين تهددت فيها المراطقة والقتلة والزناة بالفرز وحظرت عليهم الرجوع الى البيعة الا بعد توبة جهرية ولكنها خففت هذا الحكم في القرن الثالث حين اقامت لارشاد الضالين بعض رجال الاكليروس . ولكن لما كثر عدد المنضمين الى البيعة تعذر اتمام القانون ففي الشرق تحولت التوبة الجهرية الى اعتراف سري بامر نكتاريوس البطريرك القسطنطيني (٣٩٠) اما في الغرب فقد ادى اهمال قوانين التائبين الى ظهور الشيعة الدوناتية التي هي على الحقيقة ربيبة المونطانية والنوفاتية اللتين ظهرتا في الدور الاول وهذه اسباب ظهورها

في اواخر القرن الثالث ظهر في الكنيسة القرطجنية اناس اثرت عليهم المبادئ المونطانية فزعموا ان تجنب الاستشهاد خطيئة فانكر عليهم منسور اسقف قرطجنة هذا الزعم مع شماسه شيسليان . ولما ثارت عليه زوبعة الاضطهاد وطلب منه تسليم الكتاب المقدس دفع لمهاجميه بعض المؤلفات الهرطوقية فافرجوا عنه فزاد هذا العمل في حنق المتطرفين من المسيحيين وطلبوا فرصة للاقتصاص من الاسقف والشماس ففي سنة ٣١١ توفي منسور فخلفه الارشيديا كون شيسليان الذي شرطنه فيلكس الابتونكي اما الحزب المعارض فانتخب الشماس ماجورين وشرطنه اسقفاً وقامت الاحزاب لكل من الاسقفين المذكورين في شمالي افريقيا

بسرعة هائلة الامر الذي دفع قسطنطين الكبير للمداخلة في القضية دفعاً لتفاقم الشر. فحرم حزب ماجورين (٣١٣) من الامتيازات التي كان قد منحها لكنائس افريقيا، فرفع هؤلاء دعواهم الى قسطنطين طالبين تحكيم اساقفة غاليا فاحالها قسطنطين الى ملكياذ الروماني مع خمسة اساقفة غاليين فبراوا سيسليان مما اتهمه به الخصوم، فاستانف اولئك الدعوى الى قسطنطين فاحالها الى مجمع ارل (٣١٤) فتبرأ سيسليان ثانية. فرفعت الدعوى ثالثة الى قسطنطين نفسه فدعا المتخاصمين الى ميلان «٣١٦» وسمع كلام الحزبين فظهرت له براءة سيسليان وحكم على المخالفين وفي هذه الاثناء توفي ماجورين «٣١٥» وخلفه رجل عالم متحمس يدعى دوناتس هذا اقنع حزبه بتغرض الامبراطور فرفضوا اوامره فاصدر ضدهم امراً صارماً فثاروا في كل مكان مستقبلين الموت بصدر رحب وكانوا يطوفون الشوارع جماعات فلقبوا امر كوميسيليون «التائهين» ولما راى الامبراطور عنادهم كف عن مطاردتهم رافة بهم «٣٢١» فلما توفي وخلفه ابنه «٣٣٧» حاول استرضاءهم في اول الامر بالهدايا فرفضوها فاستاء منهم وامر بسلب كنائسهم وفض اجتماعاتهم «٣٤٨» ونفى دوناتس جريمة هذه القلاقل والاضطرابات. فلما تبوأ تخت الملك يوليان «٣٦١» امر بالكف عن مطاردتهم وبرد كنائسهم فانتعشوا وزاد عددهم حالا حتى انضم اليهم اكثر سكان افريقية فاصدرت اوامر قاسية ضدهم من خلفاء يوليان ولا سيما غراتيان «٣٧٧» ولكنهم لم يستطيعوا تنفيذها لكثرة عدد الدوناتيين. غير ان حدوث الانقسام بينهم «٣٩٣» واجتهادات اوغسطينوس «٤٠٥ و ٤١١» قربتهم الى الارثوذكسية والذين عاندوا منهم تعرضوا لغضب اونوريوس الملك فقتل عددهم كثيرا ولا سيما لما اضطهدهم الفنداليون «٤٢٩ — ٥٣٤» وفي القرن السابع اضمحلوا تماماً

٢) الابوليناريه — ابوليناريوس ويعرف بالاصغر وهو غير ابوليناريوس الشهيد (٧٤) وغير ابوليناريوس اسقف هيرابوليس

(+ ١٧٥) هو ابن ابوليناريوس الكبير القس اللاذقي نبغ سنة ٣٥٠ وكان قارئا في كنيسة اللاذقية ؛ ومتطرفاً في مناهضة الاريوسية فلما توفي ثيودوسيوس اسقفها وخلفه جاورجيوس الاريوسي المذهب طرده بحجة انه كان يتردد على ابيفانيوس السفسطي ، فنقم ابوليناريوس عليه وقام ببدعته المشهورة (٣٦٢) لمقاومة الاريوسية بعد ان تحزب له بعض الاساقفة المقطوعين ، واقاموه اسقفاً ؛ فحط من شأن ناسوت المسيح كما حط اريوس من لاهوته فزعم هذا (وهو يدافع عن لاهوت المسيح) ان الطبيعة الالهية في المسيح اغنت عن النفس الناطقة في الناسوت ؛ وان ما اورده اريوس من الاقوال الكتابية لتاييد محدودية ونقص لاهوت المسيح انما هو وارد عن ناسوته الناقص ، على ان بدعة ابوليناريوس لم تلق رواجاً لعدم وضوحها ، وقد دحضها بنوع اخص غريغوريوس اللاهوتي وتوفي مبتدعها المذكور (٣٩٠)

٣) المكدونية — اما مكدونيوس فكان في اول امره من الاريوسيين المتطرفين ولكن لما اغتصب افدوكسيوس منه الكرسي القسطنطيني (٣٦٠) انضم الى المعتدلين وصار يعلم ان الابن مشابه للاب في الجوهر وزاد على ذلك ان الروح خليقة الابن وخادمه وصار بهذا زعيم بدعة جديدة وهو ايضاً اذ اراد مناهضة الاريوسيين لحطهم من شان الابن تطرف فحط من شان الروح اذ جعله خادماً للابن ، فانتشرت بدعته هذه وتبعها كثيرون حتى من الاريوسيين

انفسهم وسمي تباعه مكدونيين (نسبة اليه) او محاربي الروح وقد قاوم هذه البدعة بنوع اخص باسيليوس الكبير ؛ وغريغوريوس النيسي

المجمع الثاني — فلما كثرت المناظرات بسبب هاتين البدعتين وما سبقهما من فروع البدعة الاريوسية عزم ثيودوسيوس الكبير ان يعقد مجمعاً مسكونياً لحسم كل خلاف ، فدعا الاساقفة من سائر الاصقاع المسيحية الى القسطنطينية فاجتمع (١) سنة (٣٨١) ١٥٠ أباً ارثوذكسياً و٣٦ اسقفاً مكدونياً ، وقد اشتهر بين آباء المجمع ملاتيوس الانطاكي (الرئيس الاول) وغريغوريوس الثاولوغوس (الرئيس الثاني) وغريغوريوس النيسي ، وايلاديوس الكبادوكي (خليفة باسيليوس الكبير) ، وامفيلوشيوس الايقوني ، وكيرلس الاورشليمي وغيرهم

ولم يطل الجدال في هذا المجمع لان الاباء عرضوا على المكدونيين التعليم الارثوذكسي بمساواة الروح فرفضوه وتركوا المجمع ؛ فبحث الاباء في كل المرطقات الموجودة فوجدوها مغايرة للتعليم الارثوذكسي . لذلك ثبتوا الدستور النيقوي واضافوا اليه تتمة الاثنى عشر بندا بعد ما نقح عبارته القديس غريغوريوس النيسي فكانت صورته كما يلي :

(١) روى مكاريوس الحلبي ان افتتاح المجمع الثاني كان في ١٢ تموز واختتامه في ١٠ ت ٢ سنة ٣٨١

١) اومن بالله واحد آب ضابط الكل خالق السماء والارض كل ما يرى وما لا يرى

٢) و برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور ، نور من نور ؛ اله حق من اله حق ، مولود غير مخلوق ؛ مساو للاب في (١) الجوهر ، الذي به كان كل شيء

٣) الذي من اجلنا نحن البشر ومن اجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس

٤) وصلب عنا على عهد بيلاطوس البنطي وتالم وقبر

٥) وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب

٦) وصعد الى السماء وجلس عن يمين الاب

٧)(٢)وايضاً ياتي بمجد ليدين الاحياء والاموات الذي لا فناء لملكه

٨) و بالروح القدس الرب المحيي ؛ المنبثق (١) من الاب الذي هو مع الاب والابن مسجود له وممجد ، الناطق بالانبياء

٩) و بكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية

١٠) واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا

١١) وارجي قيامة الموتى

---

(١) في الاصل اليوناني « ذو جوهر واحد مع الاب »

(٢) الافصح « وسياتي ايضاً »

(٣) في الاصل اليوناني « الذي من الاب منبثق » بتقديم الجار والمجرور للحصر

١٢) والحياة في الدهر الاتي . امين

ثم حرم المجمع بدعة افنوميوس وافذوكسيوس ومكدونيوس وصباليوس وابوليناريوس وسواهم من فروع الاريوسية المتطرفة والمعتدلة ، وقد وضع سبعة قوانين لاجل النظام الكنسي

ولما انتهت اعمال المجمع امضاه الاساقفة كلهم وصدق عليه الامبراطور تيودوسيوس ثم اذاع منشوراً يتهدد فيه كل من يرفض الدستور النيقوي القسطنطيني من الاساقفة بالتنزيل عن منصة الرئاسة ، وعلى اثر ذلك استدعى (٣٨٣) مقدمي كل من اساقفة الارثوذكس والهراطقة للمناظرة على الدستور وامر كلا بكتابة احتجاجاته ففعلوا ولما اطلع على الكتابات شعر بان الهراطقة متشبثون بارائهم لاجل العناد فقط فمزق كتاباتهم وامرهم بالخضوع لقرار المجمع والا نفوا ، فانقاد بعضهم وانضم الى الارثوذكسية ، وبعضهم اصر على رأيه وبرح القسطنطينية الى حيث استقر القوط ولم ينقض القرن الرابع حتى انقرضت الاريوسية في الشرق او كادت

٣) البلاجية والنسطورية والمجمع الثالث

بلاجيوس — ما كادت تنتهي المجادلات على التعاليم النظرية في الشرق حتى ظهر خلاف على القضايا العملية في الغرب فان اوغسطينوس الشهير اسقف هيبو ، تحت تاثير حياته العملية ارتأى ان الانسان بعد السقوط لم يبق له قدرة على ان يعمل الصلاح ، فاذا نجا من الهلاك فانما ينجو بالنعمة الالهية مجانا ، ولما انتشر هذا الراي توكا عليه كثيرون من الفاسدي الاخلاق معللين النفس بالامل الخلاص بالنعمة . فاثر ذلك تأثيراً سيئاً على الاداب العمومية ، فقام ضد هذا المبدأ بيلاجيوس الشهير وهو بريطاني الاصل ممدوح السيرة مطلع على مؤلفات الاباء هذا شعر بان رأي اوغسطينوس يقف في سبيل النمو في الحياة الفضلى ، فاخذ يطعن فيه في كل مكان ولكنه اذ كان يشير الى فساده تطرف من الجهة الثانية اذ

انكر سريان الخطيئة الجدية الى البشر وزعم ان الانسان يستطيع ان يخلص بقوته الذاتية وبمقدار ما بالغ اوغسطينوس في ضعف الانسان بالغ بيلاجيوس في تعظيم قدرته . على ان تعاليم اوغسطينوس وان انحرفت قليلا عن الصواب فان ضررها مقصور على بعض المظاهر البشرية ، اما تعليم بيلاجيوس فقد اثر على جوهر الدين المسيحي اذ بمقتضاه لم يعد ثمة حاجة لعمل الفداء نفسه

بدأت المناظرات بين الرأيين الاوغسطيني والبيلاجي في قرطجنه (٤٠٥) وقد سافر بلاجيوس الى روميه (٤٠٨) فوجد هناك صديقاً غيوراً على تأييد رأيه وهو كليستيوس فسافر معه الى قرطجنه (٤١١) وهناك قابل اوغسطينوس فلم يقنع احدهما الاخر وتفارقا وكل يحترم في الاخر حسن طويته ثم ذهب بيلاجيوس الى اورشليم وبقي كليستيوس في قرطجنه بغية الحصول على القسوسية فقاومه الشماس بفلينوس الذي كان يطمع بنيل هذه الدرجة ، واتهمه بالهرطقة فحكم عليه في مجمع عقد برئاسة افريقيوس اسقف قرطجنة (٤١٢) وبلغ ذلك مسامع بيلاجيوس كما بلغ بعض الغربيين الموجودين وقتئذ في فلسطين ، فقامت المناظرات لاجل ذلك في الشرق ايضاً . فعقد لهذه الغاية مجمع في اورشليم برئاسة اسقفها يوحنا ، وآخر في ديوسبولين (اللد) برئاسة افلوجيوس مطران قيصريه (كلاهما سنة ٤١٥) اجتمع في الاول على التعليم البيلاجي ايروتيموس واوروزي وفي الثاني جيروس ولعازر الاسقفان الافرنسيان وبما ان بلاجيوس فسر تعليمه بصورة لاتخالف الراي المستقيم وحكم على قضايا كلستيوس المنبوذة برئت ساحته في المجمعين ، فابلغ اوروزي ما جرى لاوغسطينوس فلم يرضه ذلك ، بسعيه عقد لاعادة النظر في تعليم بلاجيوس مجمعان (٤١٦) احدهما في قرطجنة ، (اباؤه ٩٦) والاخر في ميلفي (نوميديا) (اباؤه ٦١ وفيهم اوغسطينوس) حكم فيهما على بيلاجيوس وكلستيوس ثم رفع اوغسطينوس قرار المجمعين الى البابا ابنوكنديوس مع شرحه لاعتراف بيلاجيوس فصدق البابا على حرمه ، وكان كلستيوس قد سبق فسافر الى افسس فلما عرف بما جرى حضر بذاته الى رومية

كما ان بلاجيوس قدم تقريرا للبابا شرح فيه خفايا القضية فوصلا بعد وفاته وخلفه زوسيموس مال الى جانبهما فحكم ببراءتهما و بانهما مظلومان ، فعقد اساقفة افريقيا مجمعاً في قرطجنة (٤١٨) موافقاً من ٢١٤ أباً ثبتوا فيه قرارهم الاول وعضد الامبراطور اونوريوس اوغسطينوس باصداره امراً ابطال الهرطقة الحديثة ، فاضطر زوسيموس ان يحكم على التعليم البلاجي ووافقه على ذلك كل اساقفة الغرب عدا يوليان اسقف اوكلانوم في ايوليا ، فطرد من ايطاليا ففر الى القسطنطينية حيث وجد له وناصر بقه كلستيوس ملجأ عند البطريرك القسطنطيني نسطوريوس (١)

نسطور — ولد نسطور في جرمانيكا (مرعش اوتخرج في المدرسة الانطاكية على ثيودور المبسوستي ورقي الى درجة الكهنوت وعين لتدريس اللاهوت العقائدي ودحض الهرطقات الاريوسية والابوليناريه فاتم واجباته بنشاط كعالم وكاهن ، وذاع صيت علمه وتقواه ، فلما توفي سيسينوس بطريرك القسطنطينية (٤٢٨) استدعاه الامبراطور ثيودوسيوس الثاني من انطاكية ، واقامه رئيساً لاساقفتها فسر الشعب بانتخابه لما ذاع عن غيرته وعلمه ولكن لم يمض وقت طويل على تسنمه السدة البطريركية حتى وقع الخلاف بينه و بين رعيته وسبب ذلك

(١) في سنة ٤٢٠ ظهر راي متوسط بين البلاجية والاوغسطينية قام به يوحنا كاسيان (٤٥٠) في مرسيليا ذهب فيه الى ان الانسان ضعيف بالروح (لا مائت كما قال اوغسطين) ولكنه بالنعمة يستطيع ان يتم كل بر وانما تأتي النعمة الى المؤهلين ذواتهم لها . وتبع هذا الراي كثيرون في الغرب حتى ان مجمعي اورانج (٤٧٥) حكما على القائلين بالقدر الاعمى واوغسطين نفسه عدل فكره بعد ظهور هذا الراي ولكن وجود بعض نقط بيلاجية فيه وقوة الحزب الاوغسطيني في الغرب ادتا الى الحكم عليه (٥٣٩) في مجمعي اورانج وفالانس

ما يلي :

ان القس انسطاسيوس الانطاكي الذي صحب نسطور بوس الى القسطنطينية خطب يوماً خطبة انكر فيها على العذراء تسميتها بوالدة الاله ، فلم يرق ذلك للاكليروس القسطنطيني فشكوه للبطريرك وهذا بدلا من ردعه اخذ يؤيد رايه بذاته ولكي يبرهن صحة كلام قسيسه زعم ان في المسيح شخصين الاله الكلمة والانسان يسوع ، وبما ان الاله لا يقع تحت المؤثرات الطبيعية ، فالعذراء اذا ولدت الانسان يسوع ليس الا . فقام بعض الاكليروس ضده لاعتبارهم اياه حاطاً من شأن المسيح، فتعقبهم هو وحكم عليهم في مجمع قسطنطيني (٤٢٩) فزاد عدد خصومه واتسع نطاق الخلاف وبلغ سائر الكنائس في الشرق والغرب ، فانحاز السوريون الى نسطور لانه خريج المدرسة الانطاكية . وقاومه الاسكندريون للخلاف القديم العهد بين مدرستي الاسكندرية وانطاكية في طريقة التعبير عن اتحاد طبيعتي المسيح المحدودة وغير المحدودة . فكتب كيرلس الاسكندري الى الامبراطور ثيودوسيوس وزوجته افدوكسيا وشقيقته بوليشيريا والى البابا كلستينوس ، يظهر النتائج الوخيمة التي تنتج من تعليم نسطور المذكور . ونسطور ايضاً كتب بدوره للمذكورين ، فانحاز بعض المذكورين الى هذا وبعضهم الى ذاك ومال الامبراطور وزوجته الى نسطور والبابا وبوليشيريا الى كيرلس فعقد كيرلس مجمعاً في الاسكندرية (٤٣٠) حكم فيه على التعليم النسطوري واصدر ضده ١٢ قضية وارسلها الى نسطور فرد هذا عليها وعضده الاساقفة السوريون فلم ير الامبراطور وسيلة لفض الخلاف المتفاقم افضل من عقد مجمع مسكوني

المجمع الثالث — فاجتمع الاساقفة بناء على دعوة الامبراطور في مدينة افسس في عيد العنصرة (٤٣١) ومن اشهر المجتمعين فيه كيرلس الاسكندري يرافقه ٤٠ اسقفاً مصرياً ويوفينالبوس الاورشليمي ومعه اساقفة فلسطين وفيرميوس اسقف قيصرية

كبادوك وفلابيانوس التسالونيكي. وحضر ايضاً نسطور ومعه عشرة اساقفة و كنديديان الشريف ؛ والعالم ايريناوس اما يوحنا الانطاكي واساقفته فلم يحضروا في الوقت المعين ؛ فلما انقضى ١٦ يوماً على الاجل الذي حدده الامبراطور ولم يحضروا انعقد المجمع بدونهم برئاسة كيرلس الاسكندري في كنيسة السيدة في ٢٢ حزيران واستدعى نسطور ثلاث مرات فابى ان يحضر ، فبحث آباء المجمع في القضية المختلف عليها وحكم بقانونية كتابات كيرلس، وبانحراف نسطور وقطعه ووقع الحكم نحو مئتي اسقف (١٩٨) وارسل القرار حالا الى الامبراطور ، واحتج نسطور ايضاً على القرار معتبرا المجمع غير قانوني لعدم اجتماع اساقفة الكرسيين القسطنطيني والانطاكي فيه ولان رئيس المجمع خصمه ؛ وفي هذه الاثناء حضر يوحنا الانطاكي و٣٣٨٠٠ اسقفاً فلما عرف بما حدث اثناء غيابه ، لانها قضية نسطور في غيابه ، وعقد مجمعاً موالفاً من اساقفته واساقفة نسطور وانضم اليهم بعض ممن حضر الجلسة الاولى للمجمع الافسوسي ، فحكموا على كيرلس وممنون اسقف افسس وسائر من حكم على نسطور ولتهموا كيرلس بالانحياز الى التعاليم الاريوسية والابوليناردية والافنومية ورفعوا قرارهم الى الامبراطور ايضاً طالبين تنفيذه . فحار ثيودوسيوس ماذا يفعل ثم عرض له ان يلغي قرار مجمعي كيرلس ويوحنا ويجمع كل الاساقفة الموجودين في افسس في مجمع واحد يقررون ما يقتضي بشان الخلاف الموضوع

فرفض كل من كيرلس ويوحنا الانقياد لراي الامبراطور لاعتقاد كل منهم بصحة ما قرر. وكان المجمع في هذه الاثناء يوالي اجتماعاته فعقد تتمة الجلسات السبع التي فيها حضر نواب روميه وامضوا الحكم على نسطور وعلى بيلاجيوس وحكم كيرلس وميمنون على الهرطقات التي نسبها خصومهم اليهم وحظر اجراء اقل تحريف في الدستور النيقوي القسطنطيني موءيدا اعمال المجمع بثمانية قوانين ؛ وبعد ختم المجمع في ٣١ تموز سنة ٤٣١ رفعت القرارات كلها الى الامبراطور ليصدق عليها ، فوقع الامبراطور في مازق حرج ، لانه وان كانت الاكثرية المطلقة اصبحت في جانب كيرلس الا ان صداقته لنسطور ؛ وتأثيرات العالم ايريناوس صديق المذكور عليه وحزب يوحنا — كل ذلك امور لايستخف بها فاشار عليه اكاكيوس البيري (اسقف حلب) ان يعيد الاساقفة النظر في القضية المبحوث عنها بدون وجود كيرلس وميمنون ونسطور ؛ فعمل برايه ، ولكن الاساقفة لم يتفقوا ، فامر الامبراطور بارسال ثمانية مندوبين من كل حزب ليسمع احتجاجهما بذاته فاجتمع الملك في خلكيدونية عدة مرار جزافاً لان السوريين ابوا الحكم على نسطور ؛ والاخرين لم يتساهلوا ؛ فاضطر الامبراطور ان يصرف الجميع الى ابرشياتهم عدا نسطور الذي حظر عليه العودة الى القسطنطينية خشية هيجان الرهبان فيها بزعامة الاب د لماتيوس فذهب الى دير اوبروبيوس في انطاكية حيث كان اولا

اما يوحنا الانطاكي فعقد مجمعين احدهما في ترسيس حكم فيه على كيرلس وميمنون والاخر في انطاكية وضع فيه حدا للايمان قرر فيه ان المسيح اله تام وانسان تام وانه بسبب اتحاد اللاهوت بالناسوت على غير اختلاط يجوز ان تدعى العذراء والدة الاله، لكن الخلاف بينهم وبين كيرلس بقي على ما هو عليه حتى تدخل بالامر بولس اسقف حمص فقرب بين قلوب السوريين والاسكندريين واقنع يوحنا واساقفته بالحكم على نسطور كما اقنع كيرلس بالتصديق على الاعتراف الانطاكي الذي انشأه ثيودوريت المغبوط وهذا نصه :

نعترف بان ربنا يسوع المسيح ابن الله الوحيد هو اله تام وانسان تام مؤلف من نفس ناطقة وجسد، مولود من الاب بحسب اللاهوت وهو عينه مولود في الازمنة الاخيرة لاجلنا من مريم العذراء بحسب الناسوت . هو مساو للاب في الجوهر بحسب اللاهوت ومساو لنا في الجوهر بحسب الناسوت . اذ قام فيه اتحاد الطبيعتين . لذلك نعترف بمسيح واحد وابن واحد ورب واحد وان القديسة مريم حسب الاتحاد العادم الاختلاط هي والدة الاله . لان الاله الكلمة تجسد وتأنس ومن بدء الحبل اتحد بالهيكل الذي اخذه منها . أما الاقوال الانجيلية والرسولية المقولة عن الرب فنعلم ان علماء اللاهوت يجعلون بعضها عامة كانها تليق باقنوم واحد ، ويفصلون بعضها لاختلاف الطبيعتين فينسبون الواحدة للاهوت المسيح

ويتسبون الوضيعة لناسوته اه

وهكذا عاد السلام الى البيعة ، واصبح الاعتراف الانطاكي اعتراف الكنيسة باسرها فصدق عليه الامبراطور ونفى نسطور الى مدينة ثانيس في صحراء مصر (٤٣٥) حيث توفي (٤٤٠) .

على ان المبادئ النسطورية لم تتلاش بوفاة نسطور بل قام له حزب في الشرق لم تستطع اجتهادات يوحنا الانطاكي ورافولا اسقف الرها ان تؤثر عليه شيئاً ولما توفي رافولا وخلفه ابيا (٤٣٦) في اسقفية الرها اعاد مدرسة ايديسا التي كان سلفه الغاها وبواسطتها بث المبادئ النسطورية في ما بين النهرين وساعده على نشر افكاره بعض عبارات وجدت في تاليف ديودور الطرسوسي (احد آباء المجمع الثاني ٣٩٤) وثيودور المبسوستي (اسقف المصيصه في ولاية ادنه الان ٤٢٩) استنتج منها ان في المسيح اقنومين احدهما الهي وهو شخص الكلمة ، والاخر انساني وهو شخص يسوع ومن هذين الشخصين تكون وجه واحد وان الاتحاد بينهما انما كان اتحاداً اخيا لا طبيعياً ، مع ان المذكورين لم يريدا ما فهم ابيا وسواه وانما قالا ما قالاه — ولا سيما الاول — رداً على الزعم الابوليناري مبرهنين ان الطبيعة الانسانية كانت قبل اتحادها باللاهوت وبعده مستقلة (اي تامة) وقد عزز المبادئ النسطورية الراهب ثوما برصوم معلم مدرسة ايديسا (الرها) بموسس مدرسة نصيبين النسطورية الذي سقف على نصيبين (٤٣٥ — ٤٨٩) .

ولما ثار الاضطهاد على النساطره وهدمت مدرستهم في اورفا هربوا الى بلاد الفرس حيث استقبلهم الاكاسرة بحفاوة نكاية في الحكومة الامبراطورية الرومانية وسنة ٤٩٩ عقد مجمع في سلوكية اعلن فيه انفصال مسيحيي الفرس عن الكنيسة الشرقية واتباعهم المبادئ النسطورية . وسمي النساطرة ذواتهم كلدان نسبة الى لغتهم الكنسية ولا يزال لهم اتباع في العراق والجزيرة وبلاد

العرب والترك والهند الخ

٤) المونوفيزيت (موحدو الطبيعة) والمجمع الرابع

اوطيخا — في ابان احتدام المناظرة بين كل من محازبي نسطور وكيرلس ظهر من اديرة القسطنطينية ارشمندريت اسمه اوطيخا (٣٨٠ — ٤٥٤) كان تحت ادارته اكثر من ثلاثمائة راهب، هذا تزأس الحزب المقاوم النسطورية ولكنه تطرف في حدته فسقط في هرطقة تعاكس النسطورية تماماً، فكما سقط ابوليناريوس في هرطقة الانقاص من قيمة الناسوت وهو يدافع عن كمال طبيعة اللاهوت ضد آريوس، هكذا سقط اوطيخا في بدعة مزج الطبيعتين في المسيح اذ كان يدفع الزعم النسطوري الناكر الاتحاد الفعلي بين الطبيعتين. وقد عضد اوطيخا البطريرك الاسكندري ديوسقوروس خليفة القديس كيرلس، فكتب ثيودوريت المغبوط دحضاً لهذا الرأي مبرهناً وجود بدعة فيه، فاهاج ديوسقوروس رهبان القسطنطينية ضده واقنع الامبراطور ثيودوسيوس بسقوط الكنيسة الشرقية كلها في البدعة النسطورية. فاصدر هذا امراً يحظر فيه على ثيودوريت الخروج من ابرشيته فاحتج البطريرك الانطاكي دومنوس على ذلك فلم يجده احتجاجه نفعاً، لان ثيودوسيوس انقاد الى افكار ديوسقوروس. فذهب افسابيوس اسقف دوريلاوس (في فيريجيا) الى القسطنطينية وهناك قدم شكوى للبطريرك القسطنطيني فلابيانوس على اوطيخا كمفسد تعليم الاباء، فعقد فلابيانوس مجمعاً (٤٤٨) مؤلفاً من ٣٩ اسقفاً و ٢١ ارشمندريتاً ولما حضر اوطيخا بعد ان دعي اكثر من مرة وصرح باعتقاده ان المسيح طبيعة من طبيعتين حكم عليه وقطع. فاحتج اوطيخا على قرار المجمع للقيصر وساعدته القيصرة افدوكيا وخريسافيوس احد مقدمي رجال البلاط كما ان ديوسقوروس عقد مجمعاً حل فيه اوطيخا من الحرم واعتبره ارشمندريتاً. اما القيصر فطلب ان يعقد مجمع ثان لاعادة النظر في ما قرره فلابيانوس ومجمعه فعقد مجمع (٤٤٩) برئاسة تالاسا اسقف قيسرية كبادوك وبحضور بروتوجانس المندوب القيصري فحص اعمال المجمع السابق واذ وجدها صحيحة صدق عليها كما ان

لاون الاول بابا رومية الذي بلغته اخبار القلاقل اصدر منشوراً يعرف « بالطومس » ايد فيه قرار مجمع فلابيانوس . فسعى ديوسقوروس لدى القيصر ان يعقد مجمعاً مسكونياً في افسس يفض فيه الخلاف الحاضر مشترطاً حضور ثيودوريت او احد زملائه فاجابه الى طلبه بعقد المجمع (٤٤٩) برئاسة ديوسقوروس وبحضور دومنوس الانطاكي ويوفياليوس الاورشليمي وفلابيانوس القسطنطيني وافسابيوس الدور لاوسي ونواب الحبر الروماني وغيرهم ممن بلغ عددهم ١٣٠ اسقفاً ولم يحضر بينهم احد من الاساقفة الشرقيين على ان رئيس المجمع ابى الخوض في موضوع البدعة وقصر البحث على الحكم الذي اصدره مجمع القسطنطينية ضد اوطيخا ، فبرأ اوطيخا بعد ان ادى اعترافاً ظاهره مستقيم ومؤداه بدعة وقطع فلابيانوس بعد ترضيفه واسقط دومنوس الانطاكي وحكم على ثيودوريت وايبا غيابيا ففر بعض الاساقفة الارثوذكس والباقون اضطروا ان يوقعوا على رقوق بيضاء واذ توفي فلابيانوس بعد ثلاثة ايام نصب ديوسقوروس مكانه وكيل له الشماس لظنه انه على رأيه ، وهكذا انعقد هذا المجمع وانتهى في يوم واحد ، فلما بلغت هذه الاخبار مسامع البابا اخذ بناصر فلابيانوس فعقد مجمعاً في رومية حكم فيه على ما قرر في مجمع افسس الاخير ، وطلب من ثيودوسيوس عقد مجمع مسكوني في ايطاليا فلم يجبه الامبراطور الى طلبه بتاثير زوجته افدوكيا التي اقنعته بان ماجرى كاف

المجمع الرابع — ولكن حدث بعد قليل في الامبراطورية الشرقية ما قلب وجه المسئلة تماماً فان الامبراطور ارتاب في زوجته فطردها الى اورشليم ونفى خريسافيوس بدون رحمة واعاد شقيقته بوليشيريا التي كانت قد ترهبت خشية دسائس القيصرة ؛ فرجحت كفة الارثوذكس لان بوليشيريا امرت حالاً برد رفات فلابيانوس الى القسطنطينية باعتبار عوض الاهانة التي نالها في حياته ، على ان القيصر لم يعش طويلاً بعد ذلك اذ تقنطر عن حصانه ومات (٤٥٠)

فاستقلت بوليشيريا بادارة المملكة واقترنت صورياً بالقيصر كيلن لاحكام الاحكام وهذا حالما ملك زمام الحكم رد الاساقفة المنفيين الى كراسيهم وعقد المجمع الرابع المسكوني في خلكيدونية (٤٥١) مولفاً من ٦٣٠ اباً

في ٨ ت ١ سنة ٤٥١ انعقدت الجلسة الاول من جلسات المجمع الست عشرة برئاسة الاطوليوس البطريرك المسكوني القسطنطيني وبحضور معتمدي القيصر وباسكاسينوس ولوكنديوس وبونيفاتيوس وباسيليوس نواب البابا ومكسيموس الانطاكي وديوسقوروس الاسكندري ويوفينياليوس الاورشليمي وتالاسا القيصرى الكبادوكي وثيودوريت المغبوط وافسابيوس الدوريلاوسي وسواهم فاحتج قبل كل شيء افسابيوس الدوريلاوسي على اعمال ديوسقورس الجائرة في مجمعه وبعد الفحص في اعمال المجمع المذكور حكموا على اوطيخا وديوسقورس وجددوا الحكم على نسطور ؛ وبرأوا ثيودوريت وايبا بعد ان طعنا الهرطقة النسطورية بالحرم واوجبوا الاعتراف بالمسيح « واحد بطبيعتين متحدتين بدون اختلاط ولا انقسام » بقرار هذا نصه :

اننا اتباعاً للاباء القديسين نعلم كلنا بصوت واحد انه ينبغي الاعتراف بابن واحد هو نفسه يسوع المسيح وهو اله تام وانسان تام اله حق وانسان حق من نفس ناطقة وجسد . ذو جوهر واحد (اومو أوسيون) مع الاب في اللاهوت وذو جوهر واحد معنا

في الناسوت مماثل لنا في كل شيء عدا الخطيئة. مولود من الاب قبل كل الدهور بلاهوته. وتأنس من مريم العذرا والدة الاله في الايام الاخيرة لاجلنا ولاجل خلاصنا. ونعتقد انه مسيح وابن ورب واحد وحيد بطبيعتين دون اختلاط ولا تحول ولا انفصال من غير ان يتلاشى فرق الطبيعتين بالاتحاد لان خاصة كل من الطبيعتين لبثت سالمة تولفان كلتاهما اقنوماً واحداً لا مقسوماً ولا مجزءاً الى شخصين بل هو ابن واحد كلمة الله الوحيد الرب يسوع كما تنبأ عنه الانبياء من قبل وكما علمنا هو نفسه وسلمنا الاباء دستور الايمان اه

ثم سنوا ٣٠ قانوناً لاجل النظام الكنسي، ولما عرضت قرارات المجمع على الامبراطور صدق عليها وامر بنفي اوطيخا وديوسقوروس فمات اوطيخا في القفر وديوسقوروس في غنغرة بفلاغونيا (٤٥٤)

على ان المونوفيزيتية لم تتلاش بالحكم عليها بل بالعكس قامت بسبب ذلك قلاقل في كل الامبراطورية ولا سيما في الكراسي الاورشليمي والانطاكي والاسكندري ففي فلسطين هجم راهب اسمه ثيودوسيوس على الكرسي البطريركي بعشرة الاف نسمة وبرضى الامبراطورة افدوكيا ارملة ثيودوسيوس طرد البطريرك يوفينياليوس وذبح اسقف بيسان وطرد سائر الاساقفة الارثوذكسيين ولكن الامبراطور مركيان اصدر ضد ثيودوسيوس المذكور امراً ففر (٤٥٣) الى سيناء يعاد الاساقفة والبطريرك الى كراسيهم . وفي الاسكندرية هجموا بقيادة ايلوروس وموغوس القسين على البطريرك ليقتلوه فانقذه الجند بعد معارك دامية ولكنهم عادوا فقتلوه بعد وفاة مركيان (٤٥٧) وحرموا المجمع الرابع وبطاركة رومية والقسطنطينية وانطاكية فلما استلم العرش لاون الثراكي ورأى الاضطرابات في كل مكان طلب رأي الاساقفة في المجمع الخلكيدوني فاجابه

الف وستمائة اسقف باستقامة رأي المجمع ، فنفى حينئذ ايلورس الذي اختلس الكرسي في حياة البطريرك بروتيريوس المقتول واقام على الكرسي الاسكندري رجلا ارثوذكسياً حكيماً يعرف بصالوفا كيولاس فهدأت الاحوال مدة . اما في انطاكية فقام الراهب بطرس القصار ، وبعد ما احدث شغباً استقال لاجله البطريرك مرتيروس (٤٧٠) استلم الكرسي هو ولكي يثبت المونوفيزيتية اضاف الى التقديسات الثلاث « يامن صلبت لاجلنا » قبل كلمة « ارحمنا » ولكن القيصر نفذ حكم مجمع عقد لاجله ونفاه بسعي جناديوس البطريرك القسطنطيني (٤٧١) ولما توفي القيصر (٤٧٤) وتبعه ولي عهده تزاحم على العرش صهره زينون وفاسيلسكوس اخو امرأته ففاز الاخير (٤٧٦) ولكي يعزز مركزه حازب موحدي الطبيعة الكثيري العدد آنئذ فاعاد القصار وايلور الى مركزيهما وبرايهما اصدر منشوراً ضد المجمع الخليكدوني وطومس لاون وامر بالتمسك بالدستور النيقوي وقرارات المجمعين الثاني والثالث فقط واجبر نحواً من خمسمائة اسقف ان يوقعوا على منشوره ، فقاوم المنشور بجرأة اكاكيوس البطريرك القسطنطيني وساعده دانيال العمودي الناسك فحدث في القسطنطينية هياج عظيم اضطر لاجله فاسيلسكوس ان يصدر منشوراً ضد الاول حرم فيه نسطور واوطيخا لكن زينون اغتنم فرصة الهياج الحادث فدخل بقوة عسكرية واستولى على العرش (٤٧٧) واذ عاد هذا بمساعدة الارثوذكس الى الكرسي اعاد صالوفا كيولاس الى كرسيه وعزل القصار من الكرسي الانطاكي ففازت الارثوذكسية وبراي اكاكيوس اصدر منشوراً (٤٨٢) للتوفيق بين الارثوذكس وموحدي الطبيعة عرف باسم « اينوتيكون » (صك الاتحاد) فيه صدق على الدستور النيقوي القسطنطيني وبنود كيرلس وحرم نسطور واوطيخا واثبت ان ابن الله المتجسد هو واحد لا اثنان وحظر التكلم بشأن المجمع الخليكدوني سلباً او ايجاباً . فقبل هذا الصك اكاكيوس القسطنطيني وموغوس والقصار واستلم الاخيران الكرسيين الاسكندري والانطاكي ، ولكن متعصبي الارثوذكس وموحدي الطبيعة لم يقبلوه اذ تصور

كل منهما انه ضد ما يعتقدون وحدث انقسام بين الفئتين بسببه فالارثوذكس انقسموا الى حزبين احدهما ضده وهو الحبر الرمعاني والاخر معه وهو اكاكيوس وظل الانقسام ٣٥ سنة (٤٨٤ — ٥١٩) والمونوفيزيت ثاروا على البطريركين الاسكندري (موغوس) والانطاكي (القصار) لقبولهما الاينوتيكيون والفواحزيا خصوصيا سمي « اكيفاليت » (الذين لا راس لهم).

وتوفي زينون (٤٩١) فخلفه انسطاس وهذا كان ايضاً من حزب المونوفيزيت فاضطهد الارثوذكس ليقبلوا « صلك الاتحاد » فلم يذعنوا لانهم شعروا بان التساهل يجرح الارثوذكسية دون ان يجتذب المونوفيزيت وفي هذه المدة ظهر بين (الاكيفاليت) العادمي الراس اخسنيا (+ ٥٢٢) المعروف باسم فيلوكسينوس اسقف ايرابوليس (منبج) (٤٨٥ — ٥١٨) وساويرس (٤٦٠ — ٥٣٩) البطريرك الانطاكي (٥١٣ — ٥١٨) اللذان اقنعا انسطاس باضافة عبارة « يامن صلب لاجلنا » الى التقديسات الثلاث فحدث بسبب ذلك شغب عظيم في القسطنطينية نفي لاجله البطريرك مكدونيوس (٥١١) ولكن ذلك لم يخمد الاضطراب بل ادى الى حصول حرب بين القيصر والارثوذكس اضطر فيها القيصر ان يعد فيتاليان قائد الارثوذكس بعقد مجمع يثبت فيه قداسة المجمع الخلكيدوني واعادة السلام الكنسي ولكنه ظل يسوف وعده حتى توفي (٥١٨) قبل انجازه

فاستلم الكرسي يوستين الاول (٥١٨ — ٥٢٧) وكان

ارثوذكسي النشأة فرجحت في ايامه كفة الارثوذكس وتجددت العلائق بين الشرق والغرب (٥١٩) بواسطة البطريرك القسطنطيني يوحنا الكبادوكي واعيد احترام المجمع الخلكيدوني

اما المونوفيزيت فانقسموا بعد ذلك الى اقسام عرف بعضهم بالمتطرفين وهم اتباع يوليان الهاليكرناسي الذين قالوا ان جسد المخلص غير قابل الفساد . وانقسم المتطرفون الى قسمين ايضاً الاول انكر مخلوقية جسد المسيح والثاني اثبتها وقام بين المعتدلين حزب عرف « بالاغنوئيت » (عدم المعرفة) ترأسه الشماس بتوميستيوس الزاعم « ان المسيح لم يعرف كل شيء »

٥) الاوريجانية والفصول الثلاثة والمجمع الخامس

١) الاوريجانية — ان عبقرية اوريجانوس وهيامه بالفلسفة الافلاطونية عرضه لنظرات المنتقدين وجعل مؤلفاته هدفاً للتنكيت . وقد اريشت اليه سهام الانتقاد منذ سيم قسا سنة ٢٢٨ واول من لاحظ عليه اسقفه ديمتريوس الاسكندري الذي عقد مجمعاً سنة ٢٣١ حظر عليه فيه التعليم ثم قرر في مجمع آخر قطعه من الدرجة الكهنوتية . وقد وافق ديمتريوس بعض رؤساء الكنائس وخالفه كثيرون من اساقفة اخائية وفلسطين والعربية . ومنذ ئذ كان اوريجانوس ومؤلفاته موضوعاً للنزاع . إذ انتصر له بعضهم بالنظر لسعة علمه ونقاوة سيرته وكرهه آخرون لاعتماد المبتدعين على بعض اقواله لاثبات بدعهم المختلفة ومات دون ان يعطى قرار نهائي بشأنه.

فلما احتدم الجدال بين الارثوذكس والاريوسيين تشبث هؤلاء ببعض نظريات اوريجانوس فتهم عليه فريق من الارثوذكسيين ونسبوا اليه البدعة ولكن كثيرين دفعوا عنه هذه التهمة ومن هؤلاء بمفيليوس القيصري وغريغوريوس

النيسي وديديموس الاعمى واثناسيوس الاسكندري . وكادت هذه العاصفة تهدأ لولا مبالغة الرهبان المصريين في تعظيمه . فثار النزاع اولاً في فلسطين وايطاليا (٣٩٤ — ٣٩٩) اذ كان من حزب اوريجانوس يوحنا الاورشليمي وروفينوس الاكويلي ومن خصومه ابيفانيوس القبرسي وايرونيموس الدلماسي ثم انتقل للنزاع الى الاسكندرية والقسطنطينية (٣٩٩ — ٤٣٨) حينما حاول الذهبي الفم ايقاف تحامل تيوفيلوس الاسكندري عند حد فاستاء هذا من الذهبي الفم وسعى لنفيه حيث توفي بعد ثلاث سنوات «سنة ٤٠٧» غير ان تلميذه بروكلوس اسقف القسطنطينية (٤٣٤ — ٤٤٧) استرد له كرامته اذ اعاد رفاته الى القسطنطينية باحتفال عظيم سنة ٤٣٨

على ان هذا النزاع عاد فتجدد في أواسط القرن الخامس حينما حكم اقوام البطريرك الانطاكي على اوريجانوس سنة ٥٣٩ لظنه ان تعليمه يؤيد مذهب وحدة الطبيعة في المسيح . فثارت الرهبنة الفلسطينية على البطريرك المذكور ، وطلبت من بطريركها يوحنا الاورشليمي (٥٢٤ — ٥٤٤) حرمه فابى الجزم بهذه المسئلة ورفعها الى القسطنطينية لاخذ رأيها فيها . فعقد بطريركها مينا مجمعاً حكم فيه على اوريجانوس وتعاليمه . وكان وقتئذ في القسطنطينية رجل من محبي اوريجانوس وهو تيودورس اسكيذاس اسقف قيصرية لم يرق له الحكم على اوريجانوس . فاثار البحث في القضية المعروفة في التاريخ « بالفصول الثلاثة » انتقاماً لاوريجانوس من أحد خصومه تيودورس المبسوستي كما ترى شرحه فيما ياتي

٢) الفصول الثلاثة — توفي يوستين الاول (٥٢٧) فخلفه ابن اخيه يوستنيان العظيم الذي اهتم اكثر من كل من سبقه بازالة الشغب الديني دفعاً للمحذورات السياسية وبذل كل الوسائل الممكنة لاسترضاء المونوفيزيت واتحادهم بالارثوذكس ولذلك تساهل معهم تحت تاثير زوجته تيودورا (المبطنة اعتقادهم) فاباح ادخال الزيادة على التقديسات الثلاث في كنيسة القسطنطينية (٥٣٣) ونصب انثيموس محازبهم بطريركا قسطنطينيا (٥٣٥) غير ان البابا اغابيتوس

في اثناء زيارته العاصمة (٥٣٦) شعر بزيغ الثيموس فاشعر الامبراطور بذلك فعزله واقام مكانه مينا بطريركا. فساء ذلك ثيودورا وسعت حتى تمكنت من توسيد البابا وية (بعد وفاة اغابيتوس) الى فيجيلي شماسه الذي عاهدها على مناصرة المونوفيزيت ، فقامت باحداث هياج فكري ساعدها على تقويته ثيودور القيصري ودوميتيان الانقروي كاتم اسرار القيصر هذان صورا للقيصر ان امتناع موحدي الطبيعة من الاتحاد مع الارثوذكس ناتج عن تبرير المجمع الخلكيدوني لكل من ثيودوريت الكورشي وايبا الايديسي اللذين دافعا عن النسطورية مع معلمها ثيودور المبسوستي فلو حكم على المذكورين لامكن حصول الاتحاد مع المشاقين فلم ينتبه القيصر الى غرضهم الباطني وهو ثلم المجمع الخلكيدوني والانتقام لاوريجانوس فاصدر امراً (٥٤٤) ضد مؤلفات ثيودور المبسوستي ، وزد ثيودوريت على بصوه كيرلس الاثني عشر ورسالة ايبا الى ماريس الفارسي (وهي المعروفة في التاريخ الكنسي بالفصول الثلاثة) فقاوم الاساقفة ولا سيما الغربيون هذا الامر لتصورهم ان الحكم على الفصول الثلاثة يجرح قرار المجمع المسكوني في حين ان المجمع انما برد ثيودوريت وايبا لحكمها على نسطور بالمرطقة فاستدعى القيصر الاساقفة الغربيين والبابا فيجيلي ليقنعهم بالتصديق على الامر ولما حضروا وتقابل البابا مع ثيودورا ذكرته بعهده لحكم على الفصول الثلاثة بمنشور يعرف في التاريخ باسم (جوديكاتم) وقعه معه الاساقفة الغربيون اولا ثم نفروا لما عرفوا الخدعه وثار الاساقفة الافريقيون على البابا فعقدوا مجمعاً في قرطجنة (٥٤٩) قطعوه فيه ولكنهم اعطوه وقتاً للتوبة . فلما عرف ذلك هاج قلبه خوفاً من الامبراطور رد القرار فابى وعقد مجمعاً (٥٥١) دعا اليه الاساقفة الغربيين فلم يحضر سوى اساقفة افريقيا وهؤلاء رفضوا توقيع الحكم فنفوا ثم اصدر القيصر امراً بين فيه ان الحكم على الفصول الثلاثة لا يناقض المجمع الخلكيدوني ، ولكن هذا لم يقنع الاساقفة الغربيين لذلك اضطر ان يستدعي الاساقفة من سائر الاصقاع لعقد مجمع مسكوني خامس

المجمع الخامس — ففي ٤ ايار (٥٥٣) حضر ١٦٥ اسقفاً غربيون وشرقيون وافتتح المجمع برئاسة افتيشيس القسطنطيني وبحضور ابوليناريوس الاسكندري ودومنوس الانطاكي ونائبي افستاتيوس الاورشليمي . اما البابا فيجيلي فلم يحضر المجمع مع انه كان موجودا في القسطنطينية وبعد استيفاء المناقشات في ثماني جلسات حكموا على ثيودور المبسوستي وتاليفه الهرطوقية وعلى ما كتبه ثيودوريت المغبوط ضد كيرلس وعلى الرسالة المنسوبة الى ايبا الايديسي التي يترجح ان النساطرة حرفوها ، واثبت قرارات المجامع السابقة بما فيه المجمع الخلكيدوني وهذا نص القرار :

قرار المجمع الخامس

اننا نقبل ونحترم المجامع المسكونية الاربعه التي عقدت في نيقيه والقسطنطينيه وافسس وخلكيدون ونعلم ما علمته ونفرز من شركة الكنيسه الجامعه الذين لايقبلونها ونحرم ثيودوروس المصيصي وما كتبه مما يخالف الايمان ونتجنب الاغلاط التي دونها ثيودوريت اسقف قورش مخالفاً فيها بنود القديس كيرلس محاماة عن ثيودورس ونسطور ونرفض رسالة ايبا اسقف الرها والخلاصة اننا نحرم الفصول الثلاثة المذكورة ومن يدافع عنها من الان فصاعدا اه

ومع ان البابا كان قد عارض الحكم على الفصول المذكورة

عاد فارعوى عن رأيه السابق وامضى قرارات المجمع ، فرده القيصر الى رومية ، بعد ان حجزه سبع سنوات . وبقي الغربيون مدة طويلة غير مذعنين لقرار المجمع وانفصلوا عن الكرسي البابوي وظلوا كذلك الى اخر القرن السادس حينما اعترفوا به على عهد البابا غريغوريوس الذيالوغوس

على ان الحكم على الفصول الثلاثة لم ينه النزاع ولم يرتد الى الارثوذكسية سوى موحدي الطبيعة المعتدلين الذين في القسطنطينية ، اما سائر المعتدلين وعموم المتطرفين في سائر الاصقاع فلبثوا على ازائهم السابقة ، على ان يوستنيان ظل يحاول التوفيق بين الفئتين فطلب من الاساقفة الارثوذكس الاشتراك معهم في الخدمة فابوا فتفاقم وفي مقدمتهم افتيشيس البطريرك القسطنطيني (٥٦٤) ولكن يوستنيان توفي (٥٦٥) وبوفاته وقفت المداخلات ، وانفصل المونوفيزيت نهائياً وانقسموا الى ثلاث طوائف السريان وموطنهم سوريا والارمن وموطنهم ارمينيا والقبط ومسكنهم مصر ويتبع هؤلاء الحبشة ، وقد جمع شتات الطائفة السريانية راهب نشيط يدعى يعقوب البرادعي (٥٤١ — ٥٧٢) فنسبت اليه « يعاقبة » اما انفصال الارمن والقبط فيأخذ مبدأه من سنة ٥٣٦ حينما رفض الاولون قرارات المجمع الخلكيدوني في مجمع عقدوه في ثيب لهذه الغاية ، وابى الاخيرون الخضوع للبطريرك الاسكندري الارثوذكسي

٦ المونوثيليت (موحدي المشيئة) والمجمع السادس

لما تم انفصال موحدي الطبيعة عن الارثوذكسية في اواسط القرن السادس توقف اهتمام خلفاء يوستنيان لاجل ضمهم الى الارثوذكسية ، لكن الاضطرابات السياسية التي حدثت في ايام الملك هرقل في اوائل القرن السابع جعلته يتشاءم من الانقسام والتنافر الحاصل بين فريقي الارثوذكس والمونوفيزيت في مملكته واهتم جداً في ايجاد وسيلة تمكنه من توحيدهما بعد ازالة النفرة . ففي اثناء حملته

على الفرس (٦٢٠) اجتمع باساقفة المونوفيزيت وحضهم على الاتفاق مع الارثوذكس فاشار عليه اثناسيوس بطريرك السريان وكورش اسقف فاسيس (في كلديا) بامكانية الاتحاد اذا رضي الارثوذكس ان يعترفوا بمشيئة واحدة في المسيح فاستشار بالامر سرجيوس بطريرك القسطنطينية ، فلم ير ما يمنع ابداء هذه الفكرة لعدم وجود نص ابوي صريح ضدها ، فاغتنم هرقل هذه الفرصة واقام اثناسيوس بطريركا لانطاكيه وكورش للاسكندرية (٦٣٠) وهذا تمكن من اقناع معتدلي المونوفيزيت بقبول الرأي الحديث والاتحاد مع الارثوذكس وكتب بذلك تسع قضايا (٦٣٣) في السابعه منها حرم من يرفض الاعتقاد بارادة واحدة وفعل واحد في المسيح ، فقاوم هذا التعليم لاول ظهوره صفرونيوس ولكنه لم يستطع اقناع كورش بالارعواء عما ايده . فسافر الى القسطنطينية واحتج امام بطريركها بمساعدة الراهب مكسيموس فلم يعرها اذنا صاغية ، فعاد صفرونيوس الى فلسطين وهناك انتخب بطريركا لاورشليم (٦٣٤) . وبعد ان تمكنه السدة عقد مجمعاً حرم فيه التعليم بالمشيئة الواحده وكتب رسالة مسهبة بهذا الموضوع بعث بها الى سائر البطاركة فاحدثت رسالته هذه تاثيراً عظيماً في العالم المسيحي . وفي الوقت نفسه رد مكسيموس المعترف على قضايا كورش التسع ، ثم سافر الى افريقيا الشمالية حيث تابع جهاده ضد التعليم المذكور (٦٤٥) فلما رأى هرقل ازدياد الشغب خاف ولكن لما عرف ان اساقفة روميه (اونوريوس) وقسطنطينيه (سرجيوس) واسكندرية (كورش) وانطاكية (اثناسيوس) كلهم من حزبه لم يبال بكلام صفرونيوس ومكسيموس ، وبعد ما بلغه خبر سقوط اورشليم بيد العرب ووفاة صفرونيوس (٦٣٧) اصدر منشوراً « ٦٣٨ » يعرف في التاريخ الكنسي باسم « ايكتيسيس » — بيان ، لخص فيه التعليم الارثوذكسي عن الطبيعتين وصرح فيه بان الاعتقاد الارثوذكسي يتطلب الاعتراف بارادة واحدة في المسيح فقام الارثوذكس ضد هذا القرار ، واصاب كثيرين اضطهاد عنيف فجاهروهم برأيهم . وكتب مكسيموس رسائل متعددة رداً على هذا التعليم فانتشرت

في الشرق بتاثير عظيم ، وتوفي هرقل « ٦٤١ » دون ان تقر عينه بنجاح فكرته تخلفه ابنه قسطنطين الثاني ولكنه مات مسموماً بعد ثلاثة اشهر فاشتبه بالبطريرك بيروس خليفة سرجيوس ان يكون له يد مشتركة باغتياله فعزل من منصبه وهاجر الى افريقيا وفيها حصلت له مناظرة « ٦٤٥ » مع مكسيموس المعترف اقتنع فيها بغوايته ورفض البدعة اما حفيد هرقل قسطانس الثاني الذي خلف اباه « ٦٤٢ » فلما راى تفاقم الشغب نزع « بيان » جده عن ابواب الكنائس واصدر بدلا منه منشوراً سمي « تيبوس » اي المرسوم منع فيه التعرض للتعليم بمشيئة او بمشيئتين لذلك عادت المقاومة في كل الاصقاع اذ راى فيه الارثوذكس تأييداً لمونوثيليت لمنعه التكلم عن المشيئتين ، وعقد البابا مرتينوس مجمعاً في روميه « ٦٤٩ » حكم فيه على التعليم بمشيئة واحدة وعلى بيان هرقل ومرسوم قونسطانس ، فغضب قسطانس فارسل فقبض على مرتينوس الحبر الروماني ومكسيموس المعترف زعيمي الحركة « ٦٥٣ » وبعد ان اذاقهما العذاب الاليم نفى الاول الى خرصون حيث توفي جوعاً « ٦٥٥ » والثاني الى بلاد اللاز حيث توفي « ٦٦٢ » بعد ما بترت يمينه وقطع لسانه فوقع رعب الملك على الجميع وهدأت الحركات وظلت كذلك حتى قتله احد اتباعه « ٦٦٨ » في سيراكوسا

فلما افضت السلطة الى ولده قسطنطين بوغوناتس (الملتحي) وراى ان الحكمة تقتضي ان يكون في جانب الارثوذكس لان الامة التي لاجلها وضع اينوتيكون (اتحاد) زينون (٤٨٢) وايديكت (حكم) يوستينيان (٥٤٤) وايكتيسيس (بيان) هرقل (٦٢٨) وتيبوس (مرسوم) قسطانس (٦٤٨) قد انضوت الى لواء الفاتحين فلم يعد ثمت غرض للتساهل معهم لذلك اخذ يستميل الارثوذكس اليه ويعمل لمرضاتهم فمنح اسقف روميه سلطة على

ميترو بوليت رافينا وعزل ثيودورس المونوثيليتي ونصب مكانه على الكرسي القسطنطيني جاورجيوس الارثوذوكسي (٦٧٨) وعول على عقد مجمع مسكوني لاعطاء قرار ثابت بشان التعليم الحديث

المجمع السادس — ففي ٧ تشرين الثاني من سنة ٦٨٠ اجتمع في صاعة البلاط المدعوة ترولو (القبة) ١٧٠ اسقفاً يتقدمهم البطريرك القسطنطيني جيورجيوس ؛ ومكاريوس الانطاكي واستفانوس مطران هرقلية ويوحنا الاثينوي العالمان الشهيران ونواب الكراسي الروماني والاسكندري والاورشليمي ؛ وقد اجتمع الاباء ١٨ مرة حضر القيصر الاجتماعات الاحدى عشرة الاولى ؛ والثامنة عشرة ؛ وقد دافع عن التعليم بالمشيئة الواحدة مكاريوس الانطاكي ؛ فرد الاباء ولا سيما قصاد البابا قوله ، ولما لم يقنع بالبراهين قطعه المجمع وحكم على القائلين بالمشيئة الواحدة وفي مقدمتهم سرجيوس القسطنطيني وكورش الاسكندري واونوريوس الروماني واثبتوا ان في المسيح ارادتين غير متضادتين تخضع الانسانيه منهما للالهية بقرار هذا نصه :

قرار المجمع السادس

اننا نعترف بوجود ارادتين طبيعيتين في المسيح وبوجود فعلين طبيعيين بدون انقسام ولا تغير ولا انفصال ولا امتزاج وان الارادتين الطبيعيتين غير متضادتين بل المشيئة الانسانيه تتبع المشيئة الالهيه بلا مقاومه وتنبذ ما تمسك به الهراطقة المعتقدون

...ية واحدة وفعل واحد في المسيح من العقائد الفاسدة لانها
...اقض ما علم به الرسل وايدته المجامع واعتقد به الاباء القويمو
...اي اه

وقد وقع الاباء القرار الذي وضعه المجمع وصدق عليه القيصر
... الاجتماع الثامن عشر المنعقد في ١٦ ايلول سنة ٦٨١ الذي به
...تمت اجتماعات المجمع ثم وضعت تحديدات للمجمعين الخامس
... السادس سنة ٦٩٢ وختم البحث في المسائل العقائدية التي تحددت
...صورة لم يبق معها مجال للالتباس (*)

خلاصة تاريخية

للمشاغبات التي حصلت في الدور الثاني

اهم المشاغبات التي حدثت في هذا الدور عشر فيما يلي اسماؤها
... المدة التي استغرقتها كل منها

١) الاريوسية (١) من سنة ٣١٨–٣٨١

(*) بعد صدور القرار المجمعي سقط التعليم المثلاثة الواحدة وبعدما احياها
...ليب بارذان (٧١١–٧١٣) عادت فسقطت بسقوطه وبقيت آثارها
...لبنان حيث انتصر لها الراهب يوحنا مارون الذي قام اول اسقف عليها
...نسبت الطائفة اليه ولقبت «مارونية» لبثت محافظة على الاعتقاد بطبيعتين
...مشيئة واحدة الى ايام الصليبيين حينما تبعت كنيسة رومية (١١٨٢)

(١) بعد ما حكم على اريوس سنة ٣٢٥ انقسمت الاريوسية الى حزبين
...متطرف ومعتدل ودخلت في ثلاثة اطوار انتهى الاول سنة ٣٥٦ بفوز الاريوسيين
...المتطرفين والثاني سنة ٣٦١ بفوز المعتدلين والثالث سنة ٣٨١ بفوز الارثوذكس

٢) المكدونية	: :	٣٦٠—٣٨١
٣) الابولينارية	: :	٣٦٢—٣٨١
٤) الدوناتية (٢)	: :	٣١١—٤١٥
٥) النسطورية	: :	٤٢٨—٤٤٤
٦) البلاجية	: :	٤١١—٥٢٩
٧) الاوريجانية (٣)	: :	٢٢٨—٥٥٣
٨) المونوفيزيتية	: :	٤٤٤—٥٥٣
٩) البريسكليانية (٤)	: :	٣٧٩—٥٦٣

(٢) عادت الدوناتيـة فانتعشت في القرن السادس ولكن غريغوريوس الكبير قضى عليها بعد سنة ٥٩١ القضاء المبرم

(٣) مرت الاوريجانية بثلاثة ادوار الاول في حياة اوريجانوس من سنة ٢٢٨ الى سنة ٢٣٢ حينما توفي ديمتريوس الاسكندري . والثاني في ايام ايرونيموس وروفينوس (٣٩٤ — ٣٩٩) في فلسطين . والذهبي الفم وثيوفيلوس الاسكندري في القسطنطينية (٣٩٩ — ٤٣٨) والثالث في ايام ثيودورس القيصري (٥٣٩ — ٥٤٣) ثم قضى المجمع الخامس عليها القضاء الاخير

(٤) البريسكليانية فرع من الغنوسية ادخلها الى اسبانيا رجل مصري اسمه مرقس المفيسي فتشرب تعليمه رجل شريف اسمه بريسكيليان واذاعه في اسبانيا بما اوتيه من الفصاحة فشكي الى الملك غراتيان سنة ٣٧٩ فنفاه مع اتباعه من اسبانيا . فلما قتل غراتيان سنة ٣٨٣ عاد الى وطنه فشكي ثانية الى مكسيموس والي فرنسا سنة ٣٨٤ فحكم عليه وعلى كثيرين من تابعيه بالاعدام فقتل في تريف سنة ٣٨٥ رغم المساعي التي بذلها مرتينوس الطوري لتخليصه من القتل وكان بريسكيليان اول مسيحي قتل لاجل بدعة غير ان بدعته لم تتلاش باعدامه

١٠) المونوثيلتية : : ٦٣٣—٦٩٢

ثلاث من هذه العشر غربية المنشأ وهي الدوناتية والبلاجية والبريسكليانية والسبع البواقي نشأت في الشرق

خلاصة عقائدية

ان اهم العقائد المسيحية قد تم ضبطها وتحديدها بانتهاء المجمع السادس المسكوني فقد اصلحت المجامع كل الانحرافات . ووضعت تحديدات يدفع بها الالتباس . والمواضيع التي جرى البحث بشأنها ترد الى نقطتين جوهريتين هما الجوهر الالهي وشخصية المسيح

فالانحرافات التي ظهرت بشأن القضية الاولى هي ما يأتي .

١) تعدد الالهة — وهذه فندها الرسل (رو ١ : ٢١ و ٢٨ و ١ كو ٨ : ٤ — ٦ و ١٠ : ٢٠)

٢) وجود إلهين — وهو راي بعض الغنوسيين والمانيين

٣) التوحيد المطلق — وهو راي سابليوس الذي زعم ان الاب والابن والروح ثلاثة اسماء لمسمى واحد . وقد فند هذا الراي وما سبقه في الدور الاول كما ان الكنيسة رفضت الوجه المعاكس اعني التثليث المطلق — الذي ذهب اليه يوحنا الغراماطيقي الاسكندري في القرن السادس وروسلين في آخر القرن الحادي عشر (١٠٨٩ — ١٠٩٢ — رفضا باتا

٤) تفاوت الاقانيم مع المشابهة الطبيعية — وهو راي الاريوسيين المعتدلين

بل بالعكس كان قتله مدعاة لعطف الكثيرين من الرؤساء عليه فانتشر تعليمه في اسبانيا وفرنسا بسرعة . وبالرغم عن المساعي الشديدة التي بذلها اوتوريوس وثيودوسيوس الصغير ظلت حية الى النصف الثاني من القرن السادس ومن آراء بريسكليان ان النفس البشرية جزء من الطبيعة الالهية وان الشيطان غير مخلوق وان العالم صنعة الشرير

وقد فنده اباء المجمع الاول

٥) انكار ازلية الاقنوم الثاني — وهو راي آريوس الذي حكم عليه المجمع الاول

٦) انكار لاهوت الروح — وهو راي هكدونيوس الذي حكم عليه المجمع الثاني

واهم الانحرافات التي ظهرت في القضية الثانية هي ما ياتي :

١) ان المسيح ملاك او انسان مجرد وهو راي الابيونيين وبعض متنصري اليهود

٢) ان جسد المسيح خيالي — وهو راي الدوسيتيين . وقد فند هذا الراي وسابقه في الدور الاول

٣) ان ناسوت المسيح خلا من النفس الناطقة التي سد مسدها اللاهوت . وهو راي ابوليناريوس الذي فنده المجمع الثاني

٤) ان في المسيح اقنومين — وهو راي تطرف به نسطور لاثبات استقلالية الطبيعتين في المسيح وقد حكم على فكرته هذه المجمعان الثالث والخامس

٥) ان في المسيح طبيعة واحدة ناتجة من امتزاج اللاهوت بالناسوت — وهو راي اوطيخا الذي حاول ان يقاوم به بدعة نسطور فتطرف من الجهة الاخرى وحول الاتحاد اختلاطاً فحكم عليه المجمع الرابع

٦) ان في المسيح طبيعتين وارادة واحدة — وهو الراي الذي نشأت فيه هرقل ليوفق بين مثنى الطبيعة في المسيح وموحديها فنبذ رايه المجمع السادس

وخلاصة ما قرر

في القضية الاولى

ان الله واحد في جوهره لا ثاني له وان في الجوهر الالهي ثلاثة اقانيم متميزة ولكنها غير متفاوتة ولا متجزئة

وفي القضية الثانية

ان الاقنوم الثاني ابن الله الازلي تنازل واتخذ لنفسه جسداً حقيقياً

نفس ناطقة وهو ما برح الهاً تاماً وانساناً تاماً ذا طبيعتين متميزتين كاملتين متحدتين غير مختلطتين في اقنوم واحد

وهذه القرارات التي وضعتها المجامع المسكونية الستة هي خلاصة ايمان الكنيسة العام وقد قبلتها الجماعات المسيحية العظمى اليونانية والرومانية والمصلحة والمتفرعون من الكنيسة الشرقية انفسهم (كالنساطرة والسريان والارمن والقبط والحبش ومن جاراهم) هم في حالتهم الحاضرة لا يبعدون كثيراً عن استقامة الراي كما يتضح ذلك لمن يدقق في مطالعة ارائهم المهذبة

الفصل الثالث

المعارف الروحية وعلم اللاهوت

توطئة — سادت المسيحية في الامبراطورية الرومانية في هذا الدور فازهرت المعارف الروحية وساعدتها الظروف الخارجية والداخلية فعدم وجود اضطهادات من جهة وخلو المبادي الدينية من الضوابط من جهة اخرى اقبلت بكثير من ذوي المواهب للاشتغال في العلوم اللاهوتية بنشاط وقد تفوق لاهوتيو هذا الدور على من سبقهم بتعدد المباحث التي تناولتها اقلامهم مع استقلال في الراي وتبسط . ومع ان لاهوتيي القرنين الرابع والخامس مدينون لمدارس الدور الاول لاخذهم منها جرثومة التعليم المسيحي لكنهم باجتهادهم خصوصاً اوصلوا المعارف الى درجة عالية : على ان الظروف المضطربة التي احاطت بالمملكة منذ القرن السادس جعلتها تتقهقر وتميل الى السقوط

« المدارس اللاهوتية في الشرق في القرنين الرابع والخامس »

اشهر مدارس اللاهوت في الشرق ثلاث الاسكندريه الجديدة والانطاكية والسورية الشرقية (ايديسا – نصيبين) وقد تابعت الاخيرة خطه المدرسة الانطاكية ولذلك لم تكن الا خطتان مدرسيتان لعلم اللاهوت في الشرق . الاسكندرية والانطاكيه واليك طائفة من خريجي المدرستين المذكورتين

اولا – خريجو المدرسة الاسكندية

تمتاز المدرسة الاسكندرية بتطلبها المعاني الخفية في الكتاب وتعشقها الاستعارات والمجاز . على ان نهجها الحديث يمتاز على القديم بان واضعه القديس الكسندروس (+ ٣٢٦) اهتم بتطبيق التفسير على التقليد الكنسي العام في حين ان اوريجانوس معزز المدرسة القديمة كان عنده سيان وافق تفسيره التقليد ام خالفه ومن اشهر خريجي المدرسة المذكوره

١) اثناسيوس الكبير – (٢٩٦ – ٣٧٣) تهذب في الاسكندريه مسقط راسه وحضر المجمع الاول وهو بدرجة الشموسية فنال شهرة عظيمة بمدافعته عن استقامة الراي ضد الاريوسيين ، الامر الذي عرضه لبغضهم وتشفيهم منه في كل فرصة سانحة فبعد ان خلف معلمه في الاسقفية الاسكندرية (٣٢٦) نفي بمساعيهم عدة مرات (٣٣٦ و ٣٣٨ و ٣٥٦ و ٣٥٧ و ٣٦٣ و ٣٦٧) وقد صرف من مدة اسقفيته الطويلة نحو عشرين سنه في المنافي

ولاجل جهاداته العظيمه وثباته العجيب لقب بحق الكبير وابا الارثوذكسية

وقد خلف للكنيسة كنزا من المؤلفات اللاهوتيه منها مقالاته الاربع ضد الاريوسيين. ورسائله الاربع الى سيرابيون التي برهن فيها لاهوت الروح ومساواة الاقنومين. ورسالته الى ابيكتيوس اسقف كورنثوس التي برهن فيها استقلال الطبيعتين في المسيح . ومؤلفاه في التجسد ردا على ابوليناريوس ورسالته عن تحديدات المجمع النيقوي وتاريخ الاريوسية وترجمة انطونيوس الكبير وغير ذلك . وقد اشتهر بفصاحة العباره وحسن سبكها مع ايجاز وقوة حجة ، وقد فضلها بعضهم على أنشاء الذهبي الفم والثيولوغوس

(٢) باسيليوس الكبير (٣٢٩ - ٣٧٩) ولد في قيصرية كبادوك (اواخر سنة ٣٢٩ او اوائل سنه ٣٣٠) من اسرة اشتهرت بالفضل والتقى وقد تلقى التعليم الابتدائي من امه (اميليا) وجدته (مكرينا) بسبب وفاة ابيه وهو حدث السن ثم تخرج في مدرستي القسطنطينية واثينا وفي الاخيرة عرف يوليان الجاحد (اذ كان اميرا) وغريغوريوس النزينزي الذي تمكنت بينهما عرى المودة . وبعد ان انهى دروسه عاد الى وطنه واعتمد (٣٥٩) ثم وزع كل ما ورثه عن ابيه وتنسك على اثر سياحته في فلسطين التي حببت اليه الرهبانية ؛ وفي منسكه درس بالاشتراك مع صديقه الثيولوغوس الكتاب المقدس مع التفاسير الاوريجانية واذ

ظهرت مواهبه سامه اوسابيوس (رئيس اساقفه قيصريه) قسا (٣٦٤) ليساعده في صد الفكرة الاريوسيه . ولما توفي الاسقف المذكور خلفه باسيليوس (٣٧٠) تلبية لصوت الاهالي العام ؛ فرعى كنيسته ثماني سنوات كان فيها انموذجا للتفاني والغيرة والطهاره واذ كرس نفسه للدفاع عن الارثوذكسية ازاء الاريوسيين اثرت المشاق الجزيله على صحته فتوفي (٣٧٩) قبل سنتين من انعقاد المجمع المسكوني الثاني الذي اهتم كثيرا بعقده ولسمو افكاره ووضوحها نال لقب «كوكب المسكونه» فضلا عن نعته بالكبير .

ومن مؤلفاته الممتازة ثلاثه كتب ردا على افنوميوس دحض فيها دقائق الاريوسية ؛ و كتاب الى امفيلوشيوس برهن فيه مساواة الروح للآب والابن ضد مكدونيوس . ومقالاته عن ستة ايام الخليقه تضمنت اسمى تفسير يتمجد به الخالق ومثل ذلك شرحه زبور و١٦ اصحاحا من اشعيا وغيرها واشهرها الخدمة المنسوبة اليه

٣) غريغوريوس الثيولوغوس (٣٢٨-٣٩١) ولد في اريانزو الكبادوكية واخذ الحقائق الايمانية عن نونا التي غرست معها فيه حب الطهارة . ومنذ نعومة اظفاره ظهر فيه ميل للعلم الذي تمكن منه بفضل ما حباه الله من المواهب السامية فارسله والداه الى قيصرية فلسطين فالاسكندريه فاثينا حيث تلقى العلوم العالية وفي هذه الاخيرة قضى عدة سنوات وارتبط بالولاء مع باسيليوس الكبير وتعرف بالامير يوليان وتشاءم من مجرد رؤيته فصحت

فراسته فيه ولما عاد من اثينا اعتمد وانكب على ممارسة الفضائل النسكيه اولا في منزله ثم في منسك صديقه باسيليوس . ولكن لما بلغه ان اباه انخدع ووقع على دستور وضعه معتدلو الاريوسيين قدم حالا الى مركز ابرشية ابيه (نزينزو) فاصلح خطأه وصالحه مع رعيته واذ شعر ابوه بحاجته الى حصافة راي ابنه سامه قسا (٣٦٢) وابقاه عنده . ولما انقسمت ابرشية كبادوكية الى قسمين استدعاه صديقه باسيليوس اليه واقامه اسقفا على ساسيم (٣٧٢) غير انه بعد مدة قصيرة اضطر ان يذهب لمساعدة والده الشيخ فلما توفي ابوه (٣٧٥) انتدبه الشعب بصوت واحد ليخلف اباه في الاسقفية فاستنكفت نفسه البعيدة عن الابهة من قبول طلبهم وانفرد الى احد الاديار حيث مكث الى سنة ٣٧٨ حينما استدعاه ارثوذكس القسطنطينيه فلبى طلبهم اتباعاً لنصيحة صديقه باسيليوس فعزز هنالك الارثوذكسيه بخطبه الرنانه التي كان يلقيها في كنيسة القديسة انسطاسيا بحضور الجم الغفير فاقامه ثيودوسيوس اسقفاً عليها (٣٧٩) بدلا من ديموفيلوس المبتدع ثم تراس المجمع الثاني (٣٨١) وحباً بالسلم الكنسي استقال من الاسقفية والرئاسة معاً وقضى بقية حياته في ملكه الخصوصي الى ان توفي (٣٩١) بعد ان نال لقب الثيولوغوس (اللاهوتي) لاجل مباحثه العميقه الممتازه

يمتاز اللاهوتي بحسن فهمه اللاهوت العقائدي وايضاحه ما غمض منه . واشتهر من مكتوباته خطبه الخمس التي برهن فيها محامد

الابن والروح وقد ابقى فضلا عن مقالاته الجزيلة العدد قصائد دينيه تعتبر من نفائس الشعر العالي

٤) غريغوريوس النيسي (٣٣١ – ٣٩٤) هو اخو باسيليوس تلقى الفلسفة كاخيه واقيم بادىء بدء مدرساً للفصاحة في وطنه ثم اقامه اخوه باسيليوس اسقفاً على نيسه سنة ٣٧١ ولكنه بسعي الاريوسيين انزل عن كرسيه فقضى حياته ساعياً يشجع ويوطد الارثوذكس ولما توفي والنس (٣٧٨) عاد الى كرسيه وبقى فيه حتى توفي (٣٩٤ او ٣٩٦)

النيسي منطقي اكثر منه فصيح وتلك مزيته التي يمتاز بها عن سواه من الاباء ، ومن مكتوباته النفيسة مقالاته الاثنتا عشرة ضد افنوميوس ومقالاته الارشادية الكبرى التي يبين فيها طريقة ارشاد غير المؤمنين من يهود ووثنيين الى المسيحيه ؛ ومن تفاسيره المشهورة شرح الجامعة ونشيد الانشاد والصلاة الربية والتطويبات وينسب اليه نص الدستور الموضوع في المجمع الثاني ولوفرة علمه ورسوخه نال لقب « عمود الارثوذكسيه »

٥) ديديموس الاعمى († ٣٩٥) هذا كان من اهم رؤساء المدرسه الاسكندريه ، عمي وهو ابن اربع سنوات فانصرف بكليته الى سماع الدروس فوعى من العلوم حظاً وافرا اهله لرئاسه المدرسه الاسكندريه مدة خمس سنوات وكان متابعاً اوريجانوس في كثير من ارائه اما في ما يتعلق بلاهوت الابن والروح فكان

ارثوذكسياً ؛ ولم يبق من تاليفه سوى ثلاثه كتب في التثليث وكتاب عن الروح القدس

٦) كيرلس الاسكندري – هذا كان ابن اخت ثيوفيلوس الاسكندري وتلميذه وخليفته على السدة الاسكندريه (٤١٢ – ٤٤٤) وقد قضى مدة اسقفيته في مناضلته النسطوريه

مؤلفاته ليست من الانشاء العالي ولكنها تمتاز بدقة تعبيراتها ومن اشهرها كتابه ضد يوليان الجاحد وكتابه « الكنوز » في الثالوث المتساوي الجوهر وكتبه الخمسة ضد نسطور وكتابه في التجسد ضد الانثروبومورفيت (مؤنسي الاله) وله تفسير لوقا ويوحنا ورسالة العبرانيين وكورنثوس واشعيا والانبياء الصغار وفي تفاسيره اتبع الطريقه الاسكندريه (المجازيه) ويعتبر كيرلس خطيباً مفوهاً وهي من ميزاته الشخصيه

٧) ايسيدوروس البيلوسيتي (٣٧٠ – ٤٤٠) هذا ولد في الاسكندريه من والدين صالحين غنيين وبعنايتهما نال التهذيب العلمي العالي ومنذ صغره تنسك في جبل قوب بيلوسيت حيث تفرغ لدرس اللاهوت ثم قصد القسطنطينيه للتضلع من الدينيات بواسطة الذهبي الفم فنال بغيته وعاد الى منسكه حيث ظهر انحكم رهبان عصره واشهرهم بالعلم والفضيلة . خلف اكثر من الفي رسالة تبحث في مواضيع شتى وقد اتبع في شروحاته التفسير الحرفي شان المدرسه الانطاكيه بالرغم عن انه من اتباع الاسكندريه وذلك

لتاثير الذهبي الفم عليه

ويعتبر ايسيدور مع كيرلس اخر كتاب المدرسه الاسكندريه لانها بعدهما سقطت تحت تاثير موحدي الطبيعه ففقدت اهميتها

ثانيا — المدرسة الانطاكية

تمتاز المدرسه الانطاكيه عن الاسكندريه باتباعها التفسير الحرفي واعطائها المركز الثاني للتآويل المجازيه بخلاف الاسكندريه وكانت تستعين في سبيل الوصول الى استخراج المعانى الحقيقيه بالفيلولوجيا (التحليل اللغوي) والارشيولوجيا (الاثار) واهم من عمل على ترقيتها واشتهارها بهذا المنهج انما هو ديودور الطرسوسي (+ ٣٩٤) على ان بعض خريجيها تطرفوا في استخدام المبدا العقلي فانحرفت بهم المدرسه عن جادة الحق وادت الى ظهور النسطورية في سوريا كما ظهرت الاوطيخية في مصر في القرن الخامس واليك اشهر النابغين من المدرسة الانطاكية

١) كيرلس الاورشليمي (٣١٥ — ٣٨٦) نشأ وتهذب في اورشليم وسيم قساً (٣٤٦) وخلف مكسيموس في اسقفية اورشليم (٣٥٠) فقاومه الاريوسيون بشدة لاستمساكه بالارثوذكسية وعملوا على عزله (٣٥٧) بسعي اكاكيوس القيصري فاسترد كيرلس كرامته في مجمع سلوكية (٣٥٩) ولكنه لم يستطع العود الى كرسيه الا في عهد يوليان (٣٦٢) فبقي فيه الى سنة (٣٦٥) حينما نفاه والنس ولما تسنم العرش ثيودوسيوس الكبير (٣٧٩) اعاده الى

ابرشيته فرعاها بامانة وحضر المجمع الثاني (٣٨١) وتوفي سنة ٣٨٦ وكان لاهوتيا مهذبا خلف لنا ٢٣ مقالة ارشادية ١٨ منها لاجل الموعوظين و٥ لحديثي الايمان

٢) يوحنا الذهبي الفم (٣٤٧–٤٠٧) ولد في انطاكية وتاقى مبادي. التهذيب عن امه الصالحة انثوسا ؛ والفصاحة عن ليبانيوس الخطيب ، والتفسير عن ديودور معلم المدرسة الانطاكية واعتمد (٣٧٠) وسيم شماسا (٣٨١) ؛ وقسا (٣٨٦) ومنذئذ ظهرت موهبته الخطابية المدهشة التي جلبت الخواطر نحوه واهلته ليخلف نكتاريوس في بطريركية القسطنطينية (٣٩٨) لكن حرية ضميره ومجاهرته بالحق ولو ضد ذوي السلطة نغصت عليه عيشته وعرضته لغضب ثيوفيلوس الاسكندري والامبراطورة افدوكيا فحكم عليه (٤٠٣) كمتشبث بالمبادى الاوريجانية ولكنه تبرأ بمجمع اكبر وعاد الى منصته بعد مدة وجيزة ؛ فالقى بعدئذ خطبة لم ترق للامبراطورة فسعت بعقد مجمع حكم عليه ثانية (٤٠٤) ونفي بامر الامبراطور اركاديوس الضعيف الارادة الى كوكوز المحاذية ارمينيا وبعد معاناته مشاق النفي مدة ثلاث سنوات كان فيها محور محبة الاهلين قضي بنقله الى جبال القوقاس فقضى على الطريق في كومانا بعد ان انهكته الاتعاب وهو يقول (المجد لله على كل شيء)

نال يوحنا مجد واعظ عظيم ولاجله لقب بالذهبي الفم لمواعظه اللذيذة الجذابة وهو واعظ اكثر منه مرشد اذ انه كان يميل لطرق

المواضيع الادبية اكثر من العقائدية حبا باصلاح الاخلاق الفاسدة وقد خلف للكنيسة كنزا من الكتابات الثمينة فقد وضع شروحات لانجيلي متى ويوحنا وللاعمال ولرسائل بولس كلها. ومن مؤلفاته المهمة خطبه العقائدية الاثنتا عشرة موضوعها «ان الجوهر الالهي غير مدرك» ومقاله عن الكهنوت في ستة اجزاء والخدمة الالهية المنسوبة له وغير ذلك(١)

٣) ثيودوريت المغبوط (٣٨٧ او ٣٩٣ — ٤٥٧) ولد في اواخر القرن الرابع وتلقى اللاهوت من ثيودوروس الموبسوستي مع يوحنا الانطاكي ونسطور، فنبغ وترقى الى اسقفية كورش (على الفرات) (٤٢٠) وحين ظهرت البدعة النسطورية انتصر لنسطور مع يوحنا الانطاكي لانهما ربيبا مدرسة واحدة. ولكنه رغب عن النسطورية — ولا سيما بعد مقاباته كيرلس الاسكندري — ولما اتهم بالنسطورية في المجمع الخلكيدوني حكم على نسطور جهارا (٤٥١) ومات مسالما الكنيسة وقد ترك — عدا ما كتبه دفاعاً عن نسطور وردا على اوطيخا — مؤلفات كثيرة منها تفسيره الزبور ونشيد الانشاد والانبياء ورسائل بولس، ونظرة في خزعبلات الهراطقة، واهم مؤلفاته تاريخه الكنسي (٣٢٣ — ٤٢٨) الممتاز

(١) نميزيوس — من نوابغ الكتاب في الكنيسة الانطاكية في هذا الدور نميزيوس اسقف حمص الذي نبغ في اواسط القرن الخامس ولا يزال بين ايدينا كتابه المشهور عن طبيعة الانسان يدل على رجاحة عقله وسعة علمه

بنزاهته ووضوحه .

٤) افرام السرياني – ولد في ضواحي نصيبين في اواخر القرن الثالث (او في صدر الرابع) وتتلمذ ليعقوب النصيبيني الذي استصحبه الى المجمع النيقوي (٣٢٥) وبعد عودته تولى امر التدريس في نصيبين التي كانت متابعة المدرسة الانطاكية في مناهجها ولما خربها الفرس (٣٦٣) انتقل الى ايديسا (الرها) واسس فيها مدرستها المشهورة باسم «مدرسة شرقي سوريا» ودرس فيها التفسير على المنوال الانطاكي ، وبعد ان ساح في مصر (٣٧٠) والكبادوك (٣٧٢) توفي (٣٧٩) على الارجح . ولكثرة نتاج افكاره لقب «نبي السريان» ؛ ومما تركه من آثاره اللاهوتية تفسير الاسفار الخمسة ويشوع والقضاة والملوك وايوب والانبياء الكبار وبعض الصغار ورسائل بولس وغير ذلك

وقد خلف افرام في رئاسة المدرسة السورية رافولا (+٤٣٥) وايبا (+٤٥٨) وهذا كان متردداً بين الارثوذكسية والنسطورية ففي ايام خلفه توما برصوما مالت المدرسة الى النسطورية فسقطت وانتقل مركزها الى نصيبين حيث صارت مركز التعاليم النسطورية

المعارف في الغرب في القرنين الرابع والخامس

في هذا الدور اخذ الغربيون يشتغلون في القضايا النظرية بسبب انتشار الاريوسية في جهاتهم وقد اتبعوا في مباحثهم الاسلوب الاسكندري لمماستهم كتابها كثيرا ولان منهجها يقارب المنهج الذي

اتبعه اسلافهم في الغرب وهذه نخبة من نوابغ الغربيين في العصر الذهبي :

١) ايلاريوس اسقف بواتيه (اواخر القرن الثالث — ٣٦٦) هذا كان من اسرة شريفة وثنية تنصر في سن الرجولية واعتمد مع زوجته وابنته وسيم اسقفاً على بواتيه وطنه (٣٥٠) ابان المناظرات الاريوسية واذ قاوم الاريوسيين بشدة في مجمع ميلان (٣٥٥) بحضرة الامبراطور نفي الى فريجيا (٣٥٦) ثم اعيد الى بلاده (٣٦٢) وحاول رد افكسنديوس اسقف ميلان عن الاريوسية فلم يفلح وتوفي بعد جهاد قدره له الغربيون واقبوه لاجله باثناسيوس الغرب وسماه ايرونيموس « نهر الفصاحة اللاتنيه » ومن مؤلفاته ١٢ مقالة في الثالوث ابدى بها الراي المستقيم بشأن الابن خصوصاً

٢) امبروسيوس المديولاني (٣٤٠ — ٣٩٧) ولد من اسرة رومانية شهيرة وتعين والياً لميلان وهو في شرخ شبابه وتلبية لصوت الشعب خلف افكسنديوس في اسقفية ميلان (٣٧٤) فاحسن رعاية الابرشية وخدم الحقيقة الارثوذكسية في خطبه الجزيلة الاهمية التي حسب بها في طليعة وعاظ الغرب؛ ومن آثاره القلمية خمسة كتب عن الايمان ضمنها خلاصة البراهين عن مساواة الابن للاب جوهرياً ؛ وثلاث مقالات عن الروح القدس استخرجها في ما يقال من مؤلفات اثناسيوس وديديموس وباسيليوس ، وكتاب في واجبات الخدام الكنسيين عارض فيه كتاب شيشرون في الواجبات فضل فيه

المسيحيه على الوثنية وله تعليقات على بعض قصص التوراة اتبع فيها منوال اوريجانوس اما تفسيره ستة ايام الخليقه فانما هو ترجمة حرفية لكتاب باسيليوس

٣) ايرونيموس (٣٣٠ — ٤٢٠) ولد في استريدون (دلماتيا) وتهذب في رومية وفيها اعتمد (٣٦٠) وزار الشرق (٣٧٢) وبعد تنسكه مدة درس فيها العبرانية وتشرطن قساً (٣٧٨) قصد القسطنطينية فاخذ عن الثيولوغوس آداب اللغة اليونانية وعاد الى رومية (٣٨٢) موعبا معارف لاهوتية فاستخدمه البابا داماسوس حتى توفي (٣٨٥) فعاد الى الشرق ثانية واخذ التفسير عن ديديموس الاعمى في الاسكندرية ثم سافر الى فلسطين ونسك في بيت لحم (٣٨٦) مكرسا نفسه لدرس الكتاب حتى توفي

واهم اعماله ترجمة الكتاب المقدس الى اللاتينية وتفسيره الجامعة وارميا وحزقيال ودانيال والانبياء الصغار من العهد القديم ومتى وبعض رسائل بولس من العهد الجديد وترجمة تاريخ اوسابيوس الكنسي الى اللاتينية

٤) روفينوس الاكويلي (٣٤٥ او ٣٦٠—٤١٠) ولد في اكويليا ونشأ فيها واعتمد (٣٧١) وترهب في وطنه ثم زار مصر واخذ عن ديديموس وسواه وانتقل الى فلسطين (٣٧٧) وفيها تنازع مع ايرونيموس بعد صداقتهما المتينة ففارقه الى روميه (٤٠٨) ثم برحها الى صقلية حيث توفي وقد ترجم في حياته تاريخ اوسابيوس،

واحتجاج بفيليوس وقوانين باسيليوس «ومبادي» اوريجانوس وغير ذلك

٥) اوغسطينوس (٣٥٤–٤٣٠) هذا بحق يدعى اعظم لاهوتيي الغرب لاستقلاله في افكاره اللاهوتية فهو مبتكر دونهم لا مقلد ولد في طاغستا وفيها حصل دروسه الاولية وبعد ما انحرف عن الاداب رجع الى نفسه (٣٨٦) وتطلب الحقيقة واذ اثرت فيه فصاحة امبروسيوس تنصر واعتمد (٣٨٧) ثم عاد الى وطنه بعد وفاة والدته (مونيكا) وانصرف بكليته الى النسك فشرطنه اسقف ايبون قسا (٣٩١) ليساعده في الوعظ والارشاد ولما مات خلفه في الاسقفية (٣٩٦) وقد قاوم المانيين الذين كان قبلا منهم والدوناتيين (٤٠٠) ثم تجرد لمناضلة البيلاجيين حتى توفي، وقد اثرت عليه طريقة تفيره فتطرف عن التعليم الحقيقي بشان سابق التحديد والعناية وانكر حرية الانسان

من مكتوباته كتاب عن عجز الانسان؛ و١٤ كتابا ضد المانيين، و ١٠ كتب ضد الدوناتيين، و ١٤ كتابا ضد البيلاجيين وردود على الاريوسيين وغيرهم واهم كتبه الكتاب المدعو مدينة الله (٢٢ جزء) اما تفاسيره فقد اظهر فيها ضعفا لجهله العبرانية وضعفه في اليونانية.

٦) لاون الكبير (٤٠١–٤٦١) يتلو اوغسطينوس في الاهمية لاون الكبير الذي ارتقى الى البابوية (٤٤٠ – ٤٦١) وشهرته

تقوم برسالته الشهيرة الى فلابيانوس البطريرك القسطنطيني وقد تضمنت التعاليم الصحيح بشأن طبيعتي المسيح

٧) بعارس الذهبي الكلام- هو ايطالي المولد والمنشأ، رقاه البابا سكستوس الى اسقفية رفينا (٤٣٣-٤٥٠) خلف خطباً عديدة نال لاجلها لقب الذهبي الاقوال (كريسولوغوس) وله في الغرب منزلة الذهبي الفم في الشرق

المعارف في الغرب والشرق الى نهاية الدور الثاني

منذ القرن السادس او من اواسط الخامس بدأ تقهقر المعارف بسبب عدم ظهور مسائل لاهوتيه تشغل العقل؛ واقتصر لاهوتيو هذه المدة على جمع المواد التي انتجتها عقول اللاهوتيين في الزمن الغابر وتدريسها. فادى ذلك الى اهمال التنقيب وبالتالي الى سقوط المعارف، على ان هذا ليس بالسبب الوحيد لتقهقر المعارف، بل هنالك اسباب سياسية قضت على المعارف الروحية في المملكه البيزانطيه منها تدخل الامبراطرة في القضايا الدينية الى درجه الضغط على حرية الروحيين ولاسيما بسبب المونوفيزيت والمونوثيليت ومنها اغلاق يوستنيان الكبير مدرسة اثينا الافلاطونية ومنعه الرواتب عن المعلمين بداعي كونها وثنية؛ ومنها هجوم القوط والفاندال على اوروبا وحرق العرب المكتبه الاسكندرية الشهيرة. كل ذلك كان من الدواعي الكبرى لتقهقر المعارف وميلها للسقوط لكن مع ذلك نبغ في هذه المدة من نفعوا الكنيسة بنشاطهم وان

كانوا دون السابقين في قوة الابتكار منهم :

١) ديونيسيوس الصغير — هو راهب سكيثي الاصل ولد في اواخر القرن الخامس ورحل الى رومية سنة ٥٣٦ حيث ترهب فيها وصار رئيساً لاحد الاديرة وخلف عدة تآليف تركت له شهرة حسنه من اهمها القوانين الكنسية التي تعتمد عليها الكنيسة الغربية والتاريخ المسيحي الميلادي وقد كان المسيحيون قبل ذلك يورخون بالاولمبيات

٢) ايوندیوس البيزانطي — عاش في آخر القرن السادس واول السابع وكان في بادىء امره محامياً واتبع النسطورية ثم ارتد الى الارثوذكسية وترهب في دير القديس سابا وامتاز كلاهوتي جدلي فالف كتاباً في البدع وآخر ضد النساطرة بثلاثة اجزاء ، وآخر ضد موحدي الطبيعه والابوليناريين . وغير ذلك وقد استند في ما كتبه الى اقوال من سبقه من الاباء .

٣) مكسيم المعترف (٥٨٠ — ٦٦٢) نشأ من اسرة شريفة في القسطنطينية وكان مستشار الامبراطور هرقل فلما ابتدع هذا المونوثيليتية هجر البلاط وترهب مكرساً حياته لمقاومة هذه البدعة حتى توفي ؛ وخلف ردودا كثيرة على موحدي المشيئة وشروحات للكتاب المقدس وللمواظفات الابوية وكان يتحدى النيسي في نهجه وهو من احسن لاهوتيي عصره

٤) غريغوريوس الذيالوغوس (٥٤٤ — ٦٠٤) من كتاب

الكنيسة الغربية المشهورين . ولد في رومية وحصل دروسه فيها وترقى الى عضوية السنات وتعين والياً للمدينة قبل بلوغه الثلاثين لكنه رغب عن العالم لما فيه من الاضطرابات فسامه البابا بلاجيوس الثاني وترقى الى الكردينالية بعد وقت غير طويل ثم خلف البابا المذكور في اسقفية رومية (٥٩٠) وفي ايامه تنصر الانكليز وكان لاهوتياً عملياً ، ومن مؤلفاته « القانون الرعائي » و « حديث عن آباء ايطاليا » نال لاجله لقب ذيالوغوس « محدث » او « المثنى الكلمة »

وممن نالوا شهرة في الغرب في هذا الدور غريغوريوس الطوري في فرنسا (✠ ٥٩٥) وايسيدوروس الاشبيلي في اسبانيا (✠ ٦٣٦) وثيودوروس الكنتربري في انكلترا (✠ ٦٩٠

الفصل الرابع — الادارة والعبادة والتهذيب

١) سياسة الكنيسة

الكنيسة والحكومة — كانت الكنيسة في الدور الماضي لاعلاقة لها بالحكومة فلما صارت المسيحية مذهب الحكومة الرسمي توثقت العلاقات بينهما واول ملك مسيحي انما هو قسطنطين الكبير الذي دعا نفسه « ناظر الشؤون الكنسية الخارجية » فاهتم بنشر المسيحية وزينة الهياكل وعقد المجامع لازالة الاختلافات وايضاح القضايا الايمانية وتوطيد النظام الكنسي على ان خلفاءه تجاوزوا هذا الحد فكانوا ينصبون و يخلعون الاساقفة ويصدرون اوامر يحددون فيها القضايا العقائدية منها منشور فاسيليك (٤٧٦) وهنوطا واتحاد زينون (٤٨٢) وامر يوستنيان (٥٤٤) و بيان هرقل (٦٣٨) ومرسوم قسطانس (٦٤٨) على ان هذه المداخلات كانت تنفع الكنيسة عند ما ينزه الامبراطرة عن الغرض . ولكن كما اثر الملوك على

لحالة الروحية اثر الاساقفة على الحالة المدنية . فقد كان الاساقفة يراقبون الاحكام الصادرة حتى اذا وجدوا فيها جورا راجعوا مصدرها فاذا لم يعدلها حرموه . كما حدث حين اوقف امبروسيوس المديولاني ثيودوسيوس الكبير عن المناولة ثمانية اشهر (٣٩٠) وسمح قسطنطين باستئناف الاحكام الى الاساقفة اذا شعر المحكومون بمظلومية ما . وجعل حكمهم غير قابل الاعتراض او التمييز ، وسمح يوستنيان باقامتهم اوصياء ، وبتأثيرهم ابدل قسطنطين الصلب بقطع الراس وابطل اونوريوس الصراع والعبودية ونقح شرائع الطلاق حتى اخذت صورة مسيحية . والامتيازات التي نالتها الكنيسة بواسطة الحكومة هي :

١) نفقات الكنيسة والاكليروس — بعد ان كانت هذه النفقات تؤخذ من الشعب فقط اخذت الحكومة في هذا الدور على عاتقها امر الانفاق عليها . ووضع قسطنطين قانونا خول فيه الكنيسة حق التملك . واخذ الامبراطرة يهدونها ابنية عمومية وهياكل وثنية مقفلة . واوجب يوستنيان الاول على الراغبين ببناء كنيسة ايقاف عقار يقوم بنفقاتها . وحظرت القوانين الكنسية والمدنية رهن الاوقاف او بيعها او تعيين عدد من الاكليروس اكثر من المطلوب تفاديا من ارهاق الكنيسة بالنفقات . فوفرت الاوقاف وفاضت الواردات عن نفقات الكنائس والاكليروس . فبنيت بها ملاجئ الفقراء ومستشفيات المرضى ومآوي الغرباء

٢) استثناء الكنيسة وخدامها من الضرائب والجندية — سنة ٣١٩ اصدر قسطنطين امرا اعفى به الاكليروس من الضرائب اسوة بكهنة الوثنيين ورباني اليهود الذين استثنتهم الحكومة الرومانية في ما سبق . ولكن لما اخذ كثيرون من الاغنياء ينتسبون الى الاكليريكية ليعفوا من الجندية والضرائب على املاكهم اصدر قسطنطين امرا آخر (٣٢١) حظر فيه على الاغنياء الدخول في الاكليريكية وان لا يشرطن الا ما يملاء مراكز المتوفين لكن هذا القانون لم ينفذ بالضبط لذلك صدر قانون (٣٨٣) سمح للكل بنيل الكهنوت على شرط ان يتخلى الاغنياء عن املاكهم وان ينيب المكلفون عنهم من يقوم واجباتهم

٣) استثناء الاكليروس من الحكم المدني — اعتاد المسيحيون منذ القدم ان يلجأوا في فض المشاكل التي تقع فيما بينهم وبين الاكليروس الى حكم الاساقفة وقد ابد هذا الحق قسطنطين الكبير ثم عززه قسطندي (٣٥٥). والمجمع الرابع (٤٥١) حظر على الاكليروس الاستعانة بالسلطة الزمنية. ولما ملك يوستنيان (٥٢٧-٥٦٥) خصص محاكمة الرهبان والراهبات بالاساقفة، وهرقل (٦٢٨) خول النظر في ذنوب الاكليروس للاساقفة لذلك اختصت محاكمات الروحيين في المحاكم الروحية واذا اجرم احدهم جرماً سياسياً كانت تنزع عنه الصفة الروحية ويسلم للمحكمة المدنية ليجازى كعامي

٤) حق الحماية الكنسية — نالت الكنيسة حق الحماية في هذا الدور اسوة بالهيا كل الوثنية التي كانت ملجأ المطاردين ومع ان افتروبيوس القائمي استصدر امرا من اركاديوس (٣٩٩) بنسخ الحماية الكنسية لمفادة الذهبي الفم اضطر هو نفسه اليها فحماه من اساء هو اليه وقد اعاد هذا الحق ثيودوسيوس الثاني (٤٣١) سامحا بحماية الاعزل والمطارد

الاكليريكية — كانت الكنيسة في دورها الاول تسمح ان ينظم في الاكليريكية كل من كان تقيا، اما في هذا الدور فبسبب توسع المباحث الدينية اضافت الى الشروط المؤهلة للاكليريكية حدودا اخرى منها تحديد السن ٢٠ سنة للايبوديا كون و٢٥ للشماس و٣٠ للكاهن واوجبت على المنتخب للاسقفية اجتياز الحالات المذكورة وان يكون متخرجاً من مدرسة لاهوتية ليمثل بشخصه المعارف الكنسية، ولمدارس الاسكندرية وقيصرية وانطاكيه فضل كبير في اعدادها عددا كبيرا من الاكليروس العالي لاملاء المراكز الكنسية. كما يمدح على ذلك باسيليوس الكبير وامبروسيوس المديولاني واوغسطينوس المغبوط الاولان لاعدادهما بذاتها كثيرين للوظائف الكهنوتية والاخير لانشائه داخلية روحية تجهز الاحداث للاكليريكية

اما انتخاب الاكليروس في هذا الدور فانحصر في الروحيين والامبراطور

الذي ينوب بذاته عن عموم العامه وذلك لكثرة عدد العامة الى درجة يتعذر فيها معرفة راي العموم ولان تدخل العامه في الانتخابات ادى الى نتائج غير حميدة اذ كثيرا ما كانوا ينتخبون الحديثي الايمان او الاغنياء وان كانوا غير اكفاء للخدمة الالهيه لذلك حصر انتخاب الكهنة بالاسقف، وهذا باساقفة المقاطعة تحت رئاسة الميتروبوليت، وهذا يتم انتخابه بمعرفة الملك، على ان الشعب كثيرا ما كان يضطر الاساقفه، لانتخاب الاسقف الذي يريدونه ولا سيما في الغرب حيث ضعفت السلطه الامبراطوريه

وحصل بحث في هذا الدور بشان بتولية الاكليروس نخطر لبعضهم وجوب تبتلهم احتراما للوظيفه ونشأت هذه الفكرة تحت تاثير المونطانيه في الغرب وقررها مجمع ألفيرا (في اسبانيا) سنه ٣٠٦ ولكن لما انعقد المجمع المسكوني (٣٢٥ قاوم هذه الفكرة بشدة الاسقف بفنوتيوس الثيبي فسمح للمتزوجين ببقاء نسائهم عندهم . وفي مجمع غنغرة المكاني (٣٦٢—٣٧٠) ترك امر البتوليه والزواج لارادة كل واحد، اما في الغرب فانتشرت فكرة التبتل بعد المجمع الالفيري وقررها البابا سيريكوس بمنشور (٣٨٥) لكن مجمع تروللو (٦٩٢) لام الغربيين على ذلك (ق ١٣) سامحا بزواج الكهنه والشمامسه (دون الاساقفه). على ان الغربيين ولا سيما نقولا الاول اصروا على رايهم في البتوليه وادى ذلك الى الفساد المشهور في الاجيال الوسطى

الادارة الكنسيه—بسبب تغير التقسيم السياسي في هذا الدور اخذت الكنيسه شكلا جديدا ادعى لحسن النظام وادارة الكنائس التي تكاثر عددها جدا بتكاثر عدد المؤمنين يوما فيوما. فان قسطنطين قسم المملكة الرومانيه الى اربعه اقاليم الشرقي (مصر وسوريا وارمينيا والاناضل وتراكيا) والايليري (مكدونيا وداكيا) والايطالي (ايطاليا والبندقيه وافريقيا) والغالي (فرانسا واسبانيا وبريطانيا) وقسم الاقليم الى ايالات، والايالات الى باريكيات (مديريات) والباريكيات كانت تتالف من عدة مدن صغيره او كبيرة وعدة قرى، وكان حكام

الاقسام الصغيرة يخضعون للاكبر منهم وهذا للاعظم الخ والعواصم او المدن العظمى دعيت ميتروبوليت (المدينة الام) وفيها كان الحكم الاعلى الذي لا يعلوه سوى حكم القيصر . على هذا المنوال جرت الكنيسة في تقسيماتها الادارية في القرنين الرابع والخامس فانضوى اساقفة القرى او المدن الصغيرة الى اساقفة المدن الكبرى وهؤلاء الى اساقفة الولايات الذين دعوا مطارنة (لترؤسهم امهات المدن ومنحوا حق الترؤس على الاساقفة المنضوين الى ولايتهم في المجمع الاول المسكوني (ق ٤ و٦ و٧) والانطاكي المكاني (٣٤١) ق ٩ بحيث حظر على الاساقفة عمل شيء مهم بدون ارادة الميتروبوليت على ان سلطة المطران لم تكن مطلقة بل مقيدة بمجامع الولاية التي كانت تنعقد مرتين في السنة

على ان الكنيسة ميزت بعض المطارنة وسمتهم اكسرخوسات (رئيس اعلى) او فوق العادة بداعي سمو مركزهم الديني والسياسي ومنحتهم سلطة اعلى من سلطة المطارنة فالمجمع المسكوني الاول (ق ٦) سنة ٣٢٥ خول التقدم لاساقفة الاسكندرية ورومية وانطاكية لانهم خلفاء رسوليون ومدنهم اهم مدن المملكة والمجمع المسكوني الثاني (ق ٣) سنة ٣٨١ ميز اسقف القسطنطينية (العاصمة الحديثة) وجعله مساويا لاسقف رومية بعد ان كان خاضعاً لمطران هرقلية . والامبراطور ثيودوسيوس الثاني ميز الكرسي الاورشليمي ولم يكتف بلقب مطران الذي ناله اسقف اورشليم من المجمع الاول (ق ٧) بل خوله الاولية على كنائس فلسطين وفينيقيا والعربية الى حدالاكسرخوسية الانطاكية . وهكذا امتازت خمسة مراكز في الكنيسة المسيحية ولقبوا بطاركة منذ نصف القرن الخامس بعد ان كان هذا اللقب خاصاً باساقفة انطاكيه وكان اسقفا الاسكندرية ورومية يلقبان «بابا» وانضوى الى كل واحد منهما المطارنة الداخلون في حدود مقاطعته الا بعض كنائس ظل لها امتياز خاص ودعيت «افتوكيفالية» منها قبرص مديولان واكفيليا ، ورافينا وقرطجنه ،

على ان مركز بطريرك القسطنطينية حصل اهمية عظمى يوماً فيوماً لا لانه

اسقف العاصمة فقط بل لانه بعد استيلاء المسلمين على اورشليم وانطاكية والاسكندرية اصبح البطريرك الوحيد المستقل في ادارة ابرشياته فتنظمت ادارته تنظم سراية ملوكية وكان موظفوا الادارة البطريركية تسع طبقات كل طبقة مؤلفة من خمسة اشخاص اعلاها الايكونوموس والساكيلاري والسكيفوفيلاكس والخارتوفيلاكس والساكيلي ، ويتلوها طبقة ثانية بزعامة البروتوكذيكي وهكذا الخ

اما السلطة العليا في الكنيسة فكانت ولا تزال للمجامع المسكونية التي كان آباؤها يجتمعون بالنيابة عن عموم الكنيسة فكان لقراراتهم الاحكام النافذة بلا مراجعة ويتلوها في الاهمية قوانين المجامع المكانية

٢) الخدمة الالهية

مواضع الخدمة — زهت الخدمة في هذا الدور زهوا جميلا واتقن نظامها فاكسبها ابهة ومجدا . وقد اعتاضت البيعة بالكنائس التي شادها الملوك الحسنو العبادة عن الكنائس التي هدمت فمن الكنائس التي شادها قسطنطين في القرن الرابع كنيسة القيامة في اورشليم واللاتيران في رومية وهامتي الرسل في القسطنطينية ومن التي بنتها والدته كنيستا الصعود والميلاد في جبل الزيتون و بيت لحم، وقد ضارعه في غيرته على اماكن العبادة يوستنيان الذي جدد كنيسة «اجيا صوفيا» في القسطنطينية وهي احسن اثر تاريخي حتى الان . وفوقا الذي حول هيكلا وثنيا في رومية الى كنيسة عرفت باسم جميع القديسين

وفي هذا الدور ظهرت اشكال جديدة للكنائس منها المثمنة الزوايا والمصلبة وذوات القبب الخ وازيل الحاجز بين قسمي المؤمنين والموعوظين لتناقص عدد هؤلاء وخصص محل بوقوف النساء وبني بجذاء جدران الكنيسة حجر صغيرة دعيت قلايات خصصت بمن يبغي الصلاة منفردا، وتعددت الهياكل في الكنيسة الواحدة منذ عصر الديالوغوس في القرن السابع بسبب عدم تيسر تكريس بعض الموائد احيانا وسمي في الغرب «الهيكل المتحرك» ومنذ القرن الرابع انتقلت

الايقونات من الكهوف والبيوت الى الكنائس وعم استعمالها في القرن الخامس حيث وضعت على الاعمدة الشرقيه . اما الحلل الكهنوتيه فتعددت الوانها في هذا الدور بعد ان كانت بلون واحد ابيض والادوات صارت تصنع من الفضة والذهب والحجارة الكريمة . وفي القرن الرابع اخترع الناقوس الخشبي ليحضر بواسطته المسيحيون عموماً الى الصلاة

اوقات الخدمة — في القرن الرابع اضيفت صلاة نصف الليل والساعة الاولى الى الخدم التي استعملت في الدور الاول واخذ المسيحيون يتممون الخدم كلها في ثلاثة اوقات : مساء وصباحا وضحى . وتحول تكميل القداس الالهي الى الضحى بعد ما كان يتم في نصف الليل . واعتادوا في الاديرة ان يوصلوا صلاة الغروب بصلاة نصف الليل ويقضون الليل كله في الصلاة ويسمونها «صلاة السهرانه» وذلك ليالي الاحاد والاعياد

يوم الاحد — سنة ٣٢١ اصدر قسطنطين امرا بابطال الاعمال في الاحاد حتى تعليم الجنود ، وثيودوسيوس منع التمثيل وكل وسائل الطرب (٤٢٥) في الاحاد

الاربعاء والجمعة والسبت — وحافظ الشرقيون في هذا الدور على العادة القديمة بصوم الاربعاء والجمعه من كل اسبوع ولكن الغربيين اخذوا يصومون السبت لمضادة اليهود ، وتذكارا لدفن المسيح واهتم بنشر هذه العادة البابا اينوكنديوس في القرن السابع لمخالفته في باديء الامر كنيستا افريقيا ومديولان ثم خضعتا لما رسم عن ضعف

الفصح — قرر المجمع الاول ان يعيد الفصح في الاحد الذي يلي بدر نيسان ومنذئذ اخذ يعلن اسقف الاسكندريه لعموم المسيحيين يوم الفصح كل سنة ثم وضع تقويما موئلفا من ١٩ سنة لمعرفة يوم الفصح نقله الى الكنيسة الغربيه ديونيسيوس الصغير واخذوا يعيدون الفصح اسبوعا كاملا دعي «اسبوع التجديدات وكانت الملوك تعفو عن المجرمين والسادة عن العبيد احتراما لمقام الفصح

سائر الاعياد — في القرن الرابع ظهر عيد الميلاد في الشرق والظهور في

الغرب وتلاهما عيد الختان وعيد دخول السيد الى الهيكل الذي عم استعماله مع عيد الشعانين . وتلاهما التجلي ، وبعد الحكم على نسطور الذي انكر على البتول حق تسميتها بوالدة الاله تعين في القرن الخامس عيدان للبشارة وليلاد السيدة ورتب في القرن السادس عيد لرقاد السيدة ، اما عيد رفع الصليب فقد رتب في الجيل السابع على اثر استرداد خشبة الصليب من الغرب (٦٢٨)

الاصوام — وفي هذا الدور اضيف الى الصوم الاربعيني ثلاثة اصوام لليلاد وللرسل وللسيدة

القراءات الكتابية — تحددت في هذا الدور القراءات الكتابية بعد ان كانت متروكة لارادة المتقدم اذ تعين لكل يوم فصول من الرسائل والبشائر والاسفار الاخرى وفي القرنين الرابع والخامس ظهر السنكسار الموعب اخبار كل تذكار يومي

الوعظ — بعد قراءة الانجيل كان الاسقف يعظ الشعب لان الوعظ من خصوصياته ثم سمح بالوعظ للاكليروس القادر وكانت اهمية الوعظ في الشرق اكثر منها في الغرب . وقد نبغ في الوعظ من الشرقيين الاقمار الثلاثة ومن الغربيين اوغسطين ولاون الكبير ، وكان الاسقف يتلو مواعظه على الكاثدرا ولكن في ايام الذهبي الفم انتقل الى المنابر والشعب كان يسمع الوعظ واقفا في الشرق وجالساً في الغرب

الترتيل — اتقن الترتيل في هذا الدور ومن القرن الرابع اخذت تظهر نشائد روحية جديدة مطربة جدا . من اشهر ناظمي النشائد الروحية افرام السرياني والاقمار الثلاثة وامبروسيوس المديولاني (الذين نظموا نشائدهم لاجل دحض الاناشيد الهرطوقية) واناطوليوس القسطنطيني (توفي ٤٥٨) ناظم ستشيرات الاحاد والاعياد ورومانوس « ميلوذوس » (العذب) الحمصي (توفي ٥١٠) ناظم اكثر القناديق والابيات ، وغريغوريوس الذيالوغوس (٦٠٤) مدخل الالحان الحديثة الى الكنيسة الغربية وصفرونيوس الاورشلمي (توفي ٦٤١ او ٦٣٧) وكان الترتيل

في اول عهده عموميا ثم حصره مجمع اللاذقية (٣٦٤) في الاكليروس المرتم وقام به الخورصان مناوبة

تكميل الاسرار — قل في هذا الدور عدد الموعوظين واهملت العادة القديمة بتاجيل المعمودية الى الشيخوخه فصاروا يعمدون الاطفال واضافوا الى طقوس المعموديه النفخ بوجه المعتمد وقت التفكير وعين يوم السبت العظيم و يوم العنصرة و يوم الظهور الالهي للمعموديه العموميه . واوجب المجمع الاول على المرتدين الى الارثوذكسية من الهراطقه تعميد من لم يعمد باسم الاب والابن والروح القدس منهم ، والاكتفاء بمسح الاخرين بالميرون المقدس

خدمة القداس — كانت كنائس فلسطين تتمم القداس بموجب خدمة منسوبه ليعقوب الرسول واتبعت كنائس مصر خدمة مرقس الانجيلي وكنائس ايطاليا خدمه اكليمس الروماني . ففي القرن الرابع اختصر باسيليوس خدمه يعقوب الرسول ثم اختصر يوحنا الذهبي الفم خدمه باسيليوس وعم في الشرق استعمال هذين القداسين ثم استعمل في الصوم الكبير خدمه القداس السابق تقديسه للذيالوغوس في القرن السادس ، واما سائر الاسرار كالتوبه والكهنوت والزيجه ومسحه الزيت فظلت على ترتيب القرن الرابع

٣) السيرة المسيحية

حياة المسيحيين في هذا الدور لا تنقص كثيرا عن تقوى المسيحيين في الدور الاول وساعد على تحسينها الحكومه نفسها فقد خف نير العبودية وبطل الصراع في المراسح واستبدلت المشاهدات الزائغة بزيارة الاراضي المقدسة وسواها من الاعمال الممدوحة . واخذت المراة المركز الاول في الاسرة بعد ان كانت امة فيها . وتبودل الحب بين الابناء ووالديهم وفضل الايمان على كل

خيرات الارض وظهر ثبات المسيحيين في اضطهاد يوليان والفرس لكن تنصر كثير من الوثنيين طمعاً بمناصب الحكومة اوجد زوانا كثيرا بين القمح الجيد ومثل هو٠لا٠ حصروا اهتمامهم باتمام ظواهر الصلاح كالصوم ؛ والصلاة في الكنيسة ، والمناولة واهملوا تطهير دواخلهم فادى ذلك الى نفرة الاتقيا٠ من السكنى بين العالم واعتزالهم الريا٠ وذويه فعمرت بامثال هو٠لا٠ البرية القفار واصعدت التسابيح لبارى٠ العالم منقاة من دخان العواطف الدنيويه

الرهبنة في الشرق — اول من اعتكف على الحياة النسكيه في ما نعلم انما هو بولس الثيبي (٢٢٧—٣٤١) الذي قضى معظم حياته ناسكا وعنه اخذ انطونيوس الكبير طريقة معيشته غير ان تأسيس الرهبنة انما قام به انطونيوس المذكور الذي لاجل ذلك لقب « ابا الرهبان »

هذا البار ولد في كوما (المصرية) سنة ٢٥١ وخسر والديه وهو شاب فاثر ذلك علية واوجد في نفسه نفرة من الدنيا فلما سمع العبارة الانجيلية «بع كل مالك ووزعه على المساكين وتعال اتبعني (مت ١٩ : ٢١) » تمم مو٠داها بالحال وهجر العالم وقطن البرية الموحشة معتكفاً على الصوم والصلاة وسائر الاعمال النسكية فذاع خبر فضله فتقاطر الناس من المدن افواجاً لمشاهدة اعماله التقوية ، وتتلمذ له كثيرون فأسست اول طغمة رهبانية (٣٠٥) ثم وضع لها بعد ذلك قوانين ليجري الرهبان بموجبها فتوطدت ونمت بكثرة عدد

الطالبين ؛ وبقي انطونيوس ملازما وحدته حتى قضى اجله (٣٥٦) ولم يفارق البرية الا مرتين الاولى (٣١١) وقت اضطهاد مكسيمليان والثانية (٣٥١) بداعي انتشار بدعة آريوس وفي كلتا المرتين كان لظهوره في الاسكندرية تأثير حسن فعزى المسيحيين وشجعهم على تحمل الاضطهاد بصبر ورد كثيرين من الهراطقة الى الايمان ؛ وتمتاز رهبنة انطونيوس بانفراد كل راهب في كوخ او مغارة(١)

بخوميوس—(٢٩٢—٣٤٨) وظهرت بعد ذلك الرهبنة البخومية نظمها بخوميوس (٣٤٠) هذا ولد في ثيبة العليا من ابوين وثنيين وتجند في صباه فاثرت فيه فضيلة المسيحيين اذ احسنوا الى الجنود بالطعام عن غير سابق معرفة فتنصر ثم هجر العالم وتنسك فذاع خبر فضيلته وتتلمذ له كثيرون وبنى اول دير (٣٢٥) حيث اسس رهبنته المعروفة على شاطئ النيل في جزيرة طابينه ووضع لها نظاما خاصا بموجبه يعيش كل ثلاثة في صومعة وينقادون الى نائب رئيس وهذا واضرابه الى رئيس والرؤساء كافة الى الرئيس الاعلى وقد بلغ عدد رهبانه سبعة آلاف راهب

امون— وتتلو الرهبنة البخومية الرهبنة النطرونية التي بدأ

---

(١) الزهد في الدنيا يكون على نوعين الاول الاعتزال عن الجماعة والانفراد في صوامع خصوصية ويسمى اولئك الزهاد متوحدين او حبساء والثاني تنسك عدة اشخاص معاً في موضع واحد يسمى ديرا يسيرون كلهم بموجب نظام واحد تحت رئاسة احدهم ويسمى هؤلاء رهبانا

مون الراهب بانشائها (٣٢٣) فاجتمع عنده في مدة قصيرة خمسة لاف راهب. ويتلوه مكاريوس المصري الذي انشأ عدة اديرة في برية الاسقيط. وايلاريون — († ٣٣٣) تلميذ انطونيوس الكبير موسس رهبنة فلسطين (٣٢٨) وباسيليوس الكبير موسس رهبنة الاناضول (٣٦٠) بعد زيارته الاراضي المقدسة

ومن ذلك الوقت امتلات الاديرة بالرهبان والراهبات ولم تكن الرهبنة(١) مقصورة على اعمال النسك كما يتوهم البعض بل كان الرهبان يتعاطون الزراعة والصناعة والتعليم ويحسنون بما تصل اليه يدهم على المحتاجين فكانت الاديرة عبارة عن مدارس كبيرة لم يصل الى درجتها الكثير من مدارس هذه الايام المقتصرة على العلوم النظرية العقيمة .

وممن اشتهر بالفضل من الرهبان والنساك :

ايسيدور الفرمي (البيلوسيوتي) † ٤٤٠ الفيلسوف اللاهوتي

وافثيميوس الكبير (٣٧٧ — ٤٧٣) الذي رد الامبراطورة

(١) لم ينكر المنصفون من علماء الاجتماع فضل الرهبنات قديماً وحديثاً واشهر النقط التي اعترفوا فيها ست ١) تعمير القفر ٢) استنبات الاراضي الجرداء ٣) تحضير البرابرة والبشارة ٤) نشر المعارف بالمدارس الديزيه ٥) حفظ المؤلفات النفيسه من الضياع بالنسخ ٦) تخفيف شقاء التعساء بتحريك شفقه الاغنياء ، هذا فضلا عن ان الاديرة كانت معاقل يلجأون اليها عند مهاجمة الغزاة وفنادق للمسافرين وملاجيء للعاجزين ومستشفيات للمرضى ، ومذاخر تدفق منها اخلاف البركات للعالم في كل محنه وشدة

افد كيا عن الهرطقه

وسابا تلميذه (٤٣٩ – ٥٣٣) زعيم اديرة فلسطين ومرجع التيبكون الكنسي

وسمعان العمودي (٣٩٢ – ٤٦١) منشيء الطريقة العمودية التي اشتهر منها ايضاً العموديون الثلاثة دانيال (٤١٠ – ٤٩٠) وسمعان العجيب (٥٢٠ – ٥٩٦) واليبيوس (٥٠٨ – ٦٠٨)

واليكسندروس موسس رهبنة الذين لا ينامون (+ ٤٣٠) التي نبغ منها القديس مركلس (+ ٤٨٥) وثيودوسيوس (٤٢٣ – ٥٢٩) معزز الاداب المسيحية في الاديرة الرهبانية وسمعان الصالوص (المتباله) الذي ترفع عن دنايا العالم فجهله العالم . ويوحنا السلمي (٥٢٣ – ٦٠٣) الذي قضى معظم حياته على سيناء واشتهر بمولفه سلم الفضائل المسيحية

الرهبنة في الغرب – وسرت السيرة النسكية من الشرق الى الغرب بواسطة مشاهير الغربيين الذين زاروا الشرق ومالت نفوسهم الى اتباع السيرة النسكية واشهر هولاء افسافيوس اسقف فيرجيلي وامبروسيوس المديولاني وايرونيموس واوغسطينوس على ان اول من عرف الغربيين بالحياة النسكية انما هو اثناسيوس الكبير (٣٣٠) اثناء نفيه الثاني حينما ساح في الغرب يرافقه بعض رهبان مصر ثم صادف مرتين الطوردي (+ ٣٩٧) فترك اثرا في نفسه حبب اليه الرهبانية فاسس الاديرة الاولى غربي الالب ؛

ويعتبر مرتين ابا الرهبان في الغرب . وتلاه يوحنا كاسيان (٤٥٠+) الذي درس الحياة الرهبانية في الشرق ونقلها الى الغرب اذ انشأ ديراً في مرسيليا ضم اليه عدداً وافراً من الرهبان . لكن الرهبانية لم تصادف في الغرب الاقبال الذي صادفته في الشرق . والفضل في توطيدها في الغرب راجع لبنايكتوس النورسي (٤٨٠–٥٤٣) الذي اعتزل عن العالم لما رآه من الخلاعة في رومية . وعرف شيئاً عن الرهبنة بواسطة شيخ متوحد فاسس رهبنة من مريديه ووضع لها نظاماً (٥٢٩) اخذ اساسه عن الرهبنات الشرقية وادخل اليه ما يجعل الرهبنة مقبولة عند الغربيين ولا يزال نظامه اهم نظام رهباني في الغرب ؛ ومن مميزاته ايجابه العمل اليدوي ودرس الاسفار الدينيه يومياً

الدور الثالث

من نهاية ضبط العقائد (٦٩٢) الى الانشقاق العظيم (١٠٥٤)

صفة هذا الدور

ان الخلاف الاداري الذي حصل بين الشرق والغرب في الدور السابق اكثر من مرة ؛ لم يجد وقتئذٍ تربة تنميه . بالنظر لتغلب روح السلم المسيحي على عواطف القابضين على دفة السياسة الروحية في الشرق والغرب . ولكن هذا التساهل ضعف في هذا الدور ؛ فاخذ الخلاف يتفاقم حتى تجاوز المسائل الادارية وختم بالانقسام

العظيم الذي شطر الكنيسة الواحدة الى قسمين شرقي وغربي . انقطعت بينهما العلاقات انقطاعاً تاماً . وهذا الدور عبارة عن ميدان لهذا النزاع المتواصل الذي نشب اولاً بين قياصرة الشرق وباباوات الغرب بشان الايقونات . وثانياً بين بطاركة القسطنطينية واحبار رومية بشان ابرشيات شرقي اوربا ولا سيما بلغاريا . وثالثاً بين اسقفي العاصمتين لاجل انتقادات حادة كتبها احد اساقفة الكرسي القسطنطيني عن احداثات الكنيسة الغربية فوجواب صدر من رومية ملىء عجباً وقسوة وانتهى الامر بقطع العلاقات الحبية قطعاً باتاً في ١٦ تموز سنة ١٠٥٤

الفصل الاول — الكنيسة في العالم

١ الاحوال الموافقة — انتشار المسيحية

في اثناء الهجرة الكبرى التي حدثت في القرون الوسطى . قد امتازت امتان عظيمتان في اوربا الصقالبة في شرقيها والجرمان في وسطها وقد هيأت العناية الالهية هاتين الامتين العظيمتين لقبول المسيحية فاخذها الاولون من الشرق والاخيرون من الغرب كما ترى تفصيل ذلك في ما يلي

اولا — تنصر الصقالبة

سرت المسيحية بين بعض الشعوب الصقلبية في الدور الماضي لمماستهم الامبراطورية البيزانطية ومهاجمة القوط لهم . ولكن انتشار

المسيحية فيما بينهم بصورة عمومية ، انما حصل في هذا الدور . ومعظم الفضل في ذلك يرجع لرسولي السلاف العظيمين الاخوين مثوديوس (✠ ٨٨٥) وكيرلس (✠ ٨٦٩) ويمتاز الاخير بانه تلقى معارفه عن فوتيوس العلامة الشهير ثم رغب عن العالم ونسك في جبل آثوس حيث وجد اخاه مثوديوس قد سبقه اليه متنازلا عن رتبته العسكرية . وفي هذا الدير تولد فيهما الميل لتبشير الصقالبة بالمسيح فاخترعا الحروف السلافية - (٨٥٥) للاستعانة بها على نشر كلمة الخلاص في الاصقاع المترامية ثم ترجما الاسفار المقدسة والخدمة الالهية الى اللغة السلافية وباشرا التبشير

١) الخزر — واول من تنصر من الشعوب السلافية ، سلاف الخزر . الذين على اثر مناظرات وقعت بينهم وبين المسلمين واليهود في القريم ، التمسوا من الامبراطور ميخائيل الثالث رجلا واسع الاطلاع يجلوا لهم غوامض الحقائق التي يحبون التشبث بها . فاستقدم كيرلس من الدير لهذه الغاية . فسافر مع اخيه مثوديوس (٨٥٨) الى بلاد الخزر فحصلا على نجاح اكسبهما شهرة واسعة اذ تمكنا من تنصير الخزريين . ووجدا هناك رفات اكليمضوس الروماني الذي استشهد في القريم في ايام ترايان .

على ان البلاد لم تخل من اليهود والمسلمين . اذ روى احمد الفضلاني الذي زار هذه البلاد (٩٢١) انه شاهد عدداً كبيراً منهم بين المسيحيين وظل الخزر على استقلالهم الى ان اخضعهم الروس

(١٠١٦)

٢) **البلغار** – اول من عرف البلغار بالمسيحية؛ مانوئيل مطران ادرنه الذي وقع اسيرا في ايديهم اثناء محاربتهم المملكة البزانطية (٨١٣) ولكن الفضل الاكبر في نشر المسيحية بينهم يرجع الى الاميرة ثيودرة التي قضت زمن حداثتها في البلاط البيزانطي رهينة فتهذبت بالروح المسيحية ولما اعيدت الى بلغاريا (٨٦٠) بذلت جهدها حتى تمكنت من استمالة اخيها بوريس الى الاله الحقيقي وتنصيره (٨٦٤) وبمساعدة متوديوس تنصر الشعب البلغاري . وحاول الكرسي الروماني (٨٦٥) ان يخضع البلغار لاسقفية رومية فلم يفلح . بل بالعكس ابعد المبشرون اللاتين من بلغاريا (٨٧٠) وظلت بلغاريا شرقية في طقوسها وعقيدتها ومن الامراء الذين عززوا المسيحية في بلغاريا سيمون (٨٨٨ – ٩٢٧) . وكانت في زمانه مدينة اوخريس عاصمة المملكة البلغارية ومركز رئيس اساقفتها . لكن المملكة البلغارية خسرت استقلالها (١٠١٨) في ايام باسيليوس الثاني الملقب بقاتل البلغار

٣) **مورابيا وبانونيا** – في الوقت نفسه الذي دخلت المسيحية فيه الى بلغاريا . دخل المبشرون النمسويون الى مورابيا وبانونيا (٨٦٢) ولكن لما خشي روستسلاف امير مورابيا على استقلاله السياسي فيما اذا خضع الشعب روحياً للجرمان؛ التمس من الامبراطور ميخائيل ارسال مبشرين يونان. فارسل له متوديوس وكيرلس (٨٦٣) اللذين بعد وصولهما نصرا الامير وابن اخيه سفياتوبولك وكثيرين من

الاعيان . فلما فشل المبشرون اللاتين شكوا الاخوين الى رومية بحجة انهما احدثا بدعة في الدين باتمامهما الصلاة باللغة السلافية فدافع الاخوان عن نفسيهما ولما رضى البابا ادريان باهدائهما اياه بقايا القديس اكليمنضوس. ولكن كيراس توفي في رومية (١٤ شباط ٨٦٩) فعاد مثوديوس وحده الى مورافيا فوجد الخصام السياسي محتدماً بين الامير وابن اخيه . فذهب الى بانونيا حيث قبله اميرها كورجيل بفرح جزيل . وحباً بالتخلص من مداخلة الجرمان سعى لدى البابا فشرطن مثوديوس رئيس اساقفة على بانونيا ومورافيا . لكن الاساقفة النمسويين ساءهم الامر فاهانوا مثوديوس واوثقوه ونفوه الى احد اديرة سوابيا بتصديق البابا يوحنا الثامن فتحمل مشاق النفي ثلاث سنوات ثم اطلقه سفياتو بولك خليفة روستسلاف الذي حارب النمسويين وانتصر عليهم (٨٧٤) ومنذئذ اخذ مثوديوس يواصل جهاده الروحي لكن الاساقفة لم يدعوه مرتاحاً بل عادوا فسعوا به الى البابا الذي منعه عن الصلاة بالسلافية فذهب مثوديوس الى رومية واحتج على ذلك فقبل احتجاجه وسمح له البابا بتلاوة الخدمة كلها بالسلافية عدا الانجيل فانه اوجب تلاوته باللاتينية او اليونانية وبعد عودته (٨٧٠) واصل جهاده الى حين وفاته (٨٨٥) ومنذئذ اتسع النطاق لامتداد التاثير اللاتيني في مورابيا وانحصرت الطقوس السلافية في اماكن قليلة ولما سقطت مورابيا تحت سلاح البوهميين اندثر شيئاً فشيئاً كل اثر للعبادة الشرقية فيها ولا سيما بعد

المجمعين المنعقدين في برشالون (٩٢٥) و (١٠٦٨) الذين حكما على ان الحروف السلافية قوطية مستوجبة الحرم

٤) **بوهيميا** – امتدت المسيحية من مورابيا الى بوهيميا منذ ايام القديس مثوديوس وسبب ذلك ان روستسلاف في ابان مجده عقد محالفة مع البوهيميين واخذ ابنة اميرها بوريفوي زوجة لابنه سفياتوبولك (٨٧٠) فاتسع نطاق العمل للقديس مثوديوس حتى تمكن من تنصير الامير المذكور وزوجته لودميلا (٨٨٠) وتقدمت المسيحية في ايام ولديه سبيتمنيفا (٩١٢) وفراتيسلاف (٩٣٦) ولكن بوليسلاف القاسي (٩٣٦–٩٦٧) قاوم المسيحية جهده بتاثير امه الوثنية وطرد المبشرين وهدم الكنائس واضطهد الاسر المسيحية الشهيرة غير ان اوتو امبراطور جرمانيا اجبره على اعادة المسيحية (٩٥٠) وفي ايام خلفه بوليسلاف التقي (٩٦٧–٩٩٩) توطدت المسيحية وتأسست اسقفية في براغ (٩٧٣) ولكن البابا يوحنا الثالث عشر لم يرض ان يصدق على تاسيس الاسقفية الا على شرط ادخال الطقوس اللاتينية وخضوع كنيسة بوهيميا لرئيس اساقفة ماين فاضطر تلامذة القديس مثوديوس ان يفروا الى البلاد المجاورة على ان الاميرين اولريخ (١٠١٢–١٠٣٧) وبراتسلاف (١٠٣٧–١٠٥٠) عضدا بروكوبيوس موسس دير سازافاس واعادا السلافية الى مواضع كثيرة. على ان الطقوس الرومانية عادت بعد قليل في زمن سبيتنفا ولما طلب بعضهم في زمن براتسلاف اعادة

السلافية رفض طلبهم البابا غريغوريوس السابع (١٠٧٣—١٠٨٥) واعتبره جنونا وبامر من رومية احرقت الكتب السلافية (١٠٩٧) فامحى بذلك كل اثر للطقس الشرقي في بوهيميا

٥) **بولونيا** — كسائر البلاد السلافية تلقت بذور المسيحية بواسطة الكنيسة الشرقية ولما سقطت المملكة المورابية (٩٠٨) فر كثير من المورابيين الى بولونيا حاملين معهم الروح المسيحية وهذا يفسر وجود كنائس مسيحية في بولونيا على زمن اميرها زيسلاف (٩١٣) وليتورجيات سلافية بحسب الطقس الشرقي على ان انتشار المسيحية بصورة عمومية انما تم في ايام اميرها ميسيسلاف الذي اقترن بالاميرة دامروفك ابنة امير بوهميا بشرط الاعتماد مع رعيته فوفى بوعده (٩٦٦) واعتمد مع وزرائه ورعاياه بحسب الرسوم الشرقية. ولكن لما توفيت زوجته المذكورة واقترن بفتاة سكسونية تقوى النفوذ الالماني وادخل بواسطتها الطقس اللاتيني بدل اليوناني الشرقي ومع ان ميسيسلاف اسس اسقفية بوزن وجعلها تابعة لمطرانية مكديبرج (٩٦٨) الا ان ابنه بولسلاف القديس (٩٩٢ — ١٠٢٥) برضى اوتون الثالث امبراطور جرمانيا سلخها عن مكديبرج والحقها برئاسة اسقفية غنزين المستقلة (١٠٠٠) لكن بعد وفاة بولسلاف تعرضت المسيحية للخطر وبصعوبة كلية تمكن حفيده كازيمير الاول (١٠٣٩) من صيانتها وبالرغم عن عدم انتظام الادارة الكنيسية فيها كان الشعب يعضد رؤساءه حتى ان الامير بولسلاف الثاني نال اشد

ضروب الشقاء على اثر فتكه بستانيسلاف اسقف كراكوف (١٠٧٩) واضطره الشعب المتهيج للفرار من مملكته ومات موتاً تاعساً

٦) **المجر** — المجر امة تترية الاصل اقتحمت بانونيا القديمة في اوائل القرن التاسع. وقد اقتبلوا الديانة المسيحية من القسطنطينية (٩٥٠) في ايام قسطنطين البرفيري. واول من تنصر منهم احد امرائهم المدعو فولوغوديس الذي اعتمد في القسطنطينية وانعم عليه الامبراطور برتبة بطريق. فاقتفى اثره امير اخر اسمه جيلاس. وزاد على ذلك انه استصحب معه راهباً اسمه اياروثيوس سامه البطريرك ثيوفيلاكطوس (٩٥١) اسقفاً على المجر. ومع ان فولوغوديس لم يثبت على الايمان بل ارتد الى الوثنية وشنق (٩٥٥) على اثر حرب اثارها عليه الامبراطور اوثون الاول؛ لكن جيلاس ثبت على مبداه وايد المسيحية حتى انتشرت في كل جهات المجر بحسب الطريقة الشرقية. غير ان انتصار اوثون على المجر (٩٥٥) اضطرهم للخضوع للسدة الرومانية. ولما استلم الامارة جيزا (٩٩٢ — ٩٩٧) الذي اقترن بشارلوت ابنة جيلاس حالف اوثون وعاهده على اخضاع المجر للكنيسة الرومانية. وتمم مساعيه ابنه وخليفته اسطفان الذي اقترن بجيسلا شقيقة الامبراطور هنري الثاني وضرب الوثنية ضربة قاضيه فاهداه البابا سلبسترس الثاني تاجاً ملوكياً فكان اول من نال لقب ملك من امراء هنكاريا. ويعتبره المجر قديساً ويعيدون له في ٢ ايلول من كل سنة لكن خلفاءه

بعرس (١٠٣٨) وادمون (١٠٤١) واندراوس (١٠٤٥) لم يكونوا مثله . بل بالعكس قاوموا المسيحيه بشدة ؛ وظهرت عدة ثورات في البلاد قام بها الوثنيون الباقون . وقد اخمد هذه الثورات كلها لادسلاف (١٠٧٧ – ١٠٩٥) اما الاديرة اليونانيه السلافيه فقد ظلت اثارها في المجر الى القرن الثالث عشر ثم اندثرت

٧) **سربيا وكرواتيا** – بين القبائل السلافية التي دخلت حدود امبراطورية بيزانطية في القرن السابع ؛ كان السرب والكرواث الذين استقدمهم الامبراطور هرقل لطرد الاغارة الغزاة فاحتل السرب ايليريا القديمة (شمالي البلقان) والكرواث شاطئ اوربا . ولكي يامن جانبهم سعى لتنصيرهم . وبما ان الصقع الذي استوطنوه كان تابعاً لابرشية روميه ، استدعى لتنصيرهم مبشرين من روميه . غير ان نجاح هؤلاء لم يكن كبيرا بسبب اختلاف اللغة في الكرازة والصلاة . وبعد مدة قصيرة ارتد كثيرون عن المسيحية . فلما انتشرت المسيحيه عند اخوانهم السلاف واقيمت الصلاة بلغتهم طلبوا هم ايضاً من الامبراطور باسيليوس المكدوني ارسال مبشرين يونانيين يفهمون السلافية . فلبى طلبهم وكانت الترجمة السلافيه التي اخرجها الاخوان مثوديوس وكيرلس من اكبر مسهلات نجاحهم بحيث لم تمض سنتان حتى تنصر الاهلون جميعاً (٨٦٨ – ٨٧٠) وتالفت منهم كنيسة كبيرة . وظل السرب امناء للكنيسة الشرقيه . اما الكرواث فبسبب مجاورتهم الكنيسة

الرومانيه من جهة وسقوطهم تحت سلطة المجر من جهة اخرى انضموا الى الكنيسة الغربيه

٨) **روسيا** — بلغت المسيحية بلاد الروس (بحسب تاريخ نسطر البار) منذ القرن الاول . ويعتبر القديس اندراوس الرسول اول كارز فيها . لانه جاب الشواطئ الشماليه للبحر الاسود وبلغ نهر دنيبر حيث بنيت مدينة كيف . واشتهرت عدة ابرشيات في روسيا الجنوبيه منذ القرن الرابع . منها خرسون وسواها . غير ان انتشار المسيحية في اصقاعها الواسعة انما كان في القرن التاسع . واول تعرف امرائها بالمسيحيه كان سنة ٨٦٦ حينما هاجم الاميران سكولد ودير القسطنطينيه فتحطمت سفنها اذ طرح البطريرك ثوب العذراء في الماء : فاثر ذلك عليهما وتنصرا مع كثيرين من الروس . ثم كثرت مماسة الروس لليونان فزاد ذلك في انتشار المسيحية حتى ان الاميرة العظيمه اولغا نفسها تنصرت (٩٥٧) وعمدها البطريرك القسطنطيني بوليفكتوس . ثم توطدت المسيحية وعمت البلاد حينما تنصر حفيدها فلاديمير (٩٨٨) الذي يعتبره الروس قديساً . لكن تنظيم الدوائر المسيحيه انما تم في ايام ايارو سلاف (١٠١٩ — ١٠٥٤) الذي يعتبره الروس اعتبار اليونان ليوستنيان وفي ايام هذا الملك اعتبرت روسيا مملكه مسيحيه

ثانياً تنصر الشعوب التوتونية

قسم المورخون الشعوب التوتونية الى ثلاثه اقسام كبيرة ، القوط ، والجرمان ؛ والسكندیناف . فالاولون تنصروا في الدور الثاني كما مر بك واما الجرمان والسكندیناف فقد تنصروا في هذا الدور وحوادث تنصرهم مشروحه باوجاز كما يلي

١) **الجرمان** — ان جذور المسيحيه امتدت في جرمانيا في الدور الثاني ؛ لكن انتشارها بنوع عمومي انما تم في هذا الدور . والفضل بتعميم المسيحيه فيها يرجع الى بونيفاس الراهب الانكليزي الاصل (٦٨٠ — ٧٥٥) هذا قبل سفره الى جرمانيا زار البلاط البابوي (٧١٨) ونال بركة البابا غريغوريوس الثاني و بشر الفريز (في هولاندا) اولاً ، تيرنغ ، وهس ، حيث تمكن من تنصير امیرين واسس اول دير في تيرنغ . ولما عرف البابا باخبار نجاحه استقدمه اليه وشرطنه اسقفاً (٧٢٣) على شرط اخضاع كنائس جرمانيا للحبر الروماني . فاجتهد بونيفاس ان يحقق بغية البابا ، فنال مركز القاصد الرسولي (٧٣٢) من البابا غريغوريوس الثالث . ومن هذا الوقت اخذ يشتغل لمصلحة البابا اكثر مما لنشر المسيحيه ؛ فجعل كرسيه في منتز (٧٥٤) ومنها اخذ يهتم بادارة كنائس جرمانيا . غير انه وهو هناك اتصل به نباء اشراف كنيسه فريزلاند على السقوط ؛ فذهب حالا ليشددها . ولكن الفريز قابلوه مقابلة سيئه وفتكوا به (٧٥٥) على ان المسيحيه لم تتقهقر بوفاته

بل ظلت ثابته

السكسون — وقد قاوم السكسون المسيحيه لاول وهلة مقاومه شديدة لانها ديانة خصومهم الافرنسيين ؛ ولكن ما عجز عنه بونيفاس لم يعجز سيف شارلمان . الذي راى ان دعائم عرشه انما تتوطد بخضوع السكسونيين ؛ وهذا لايتم بدون تنصيرهم . فبث المبشرين بين ظهرانيهم فتنصر منهم عدد ليس بقليل ولكن هولاء فهموا الغرض السياسى فاجفلوا . فعقد مؤتمر (٧٧٧) اضطرهم فيه شارلمان ان يقسموا يمين الامانة للمسيحية وللافرنج ولكنهم في زمن اميرهم فيتكند ثاروا على الافرنج فاهلكوا الجيش وذبحوا المبشرين ودمروا الكنائس . فعاملهم شارلمان بشدة اذ قطع رووس اربعة آلاف وخمسمائة شخص من اعيانهم ،واجبرهم ان يخضعوا للنظام المدني والديني . فلما راى زعماؤهم ان مقاومتهم لاتجديهم نفعاً تنصروا (٧٨٥) ولما كان اخلاصهم غير مكفول جلا منهم شارلمان نحو عشرة الاف اسرة وانشأ في البلاد السكسونية ثماني اسقفيات وشاد عدة مدارس واديرة . فثبتت المسيحية عندهم وتوطدت

الوند — اما القبائل القاطنة في الجهات الشمالية من جرمانيا ، فلم يسهل نشر المسيحية بينها . وبالرغم عن قهر شارلمان لهذه القبائل وارغامه اياها على التنصر ، لم تثبت المسيحية فيها . لكن هنري الاول (٩١٩) واوثون الاول (٩٣٦) اخضعا القبائل

الوندية اخضاعاً تاماً . وقد انشأ الاخير عدة اسقفيات الحقها برئاسه اسقفية مكدنبرج (٩٦٨) ولكن الوندين كانوا يغتنمون كل سانحة لشق عصا الطاعة والارتداد الى الوثنيه . وفي احدى الثورات التي اعلنها الاوفوثريت (سكان خولستاين ومكلمبرج) سنة ٩٨٣ امحت كل اثار المسيحية فيها . وبعد ما كادت الامور تهدأ ارتد غوتسالكوس حفيد النافخ في بوق الثورة بسبب قتل ابيه وغادر الدين الذي ربي في حجره (١٠٣٢) واثار اضطهادا عنيفاً على المسيحية لكنه ندم بعد ذلك عما فعل . وانشأ مملكة الوندين الكبيرة (١٠٤٥) مظهرا غيرة عظيمة على المسيحية . فثار عليه الوثنيون وقتلوه لاخلاصه للجرمان ولاشوا كل ما عمله لاجل المسيحيه (١٠٦٦)

٢) **السكندیناف** – شرع الافرنج بنشر المسيحية بين قبائل السكنديناف منذ ايام شارلمان ولكنهم لم ينجحوا . ولكن بسبب تحسن العلائق السياسية بين الافرنج والدانيمارك في ايام هرالد امير جتلاند ، زار هذه البلاد ايفون رئيس اساقفة « ريمون » باذن البابا بسكال الاول فارشد كثيرين الى المسيحية . وتنصر الامير هرالد نفسه (٨٢٦) اينال معونة الملك بولس الثقي على خصومه الاقوياء . وارضاء للملك لويس احضر معه انسكار (٨٠١–٨٦٥) المعروف برسول البلاد الشمالية الذي تولد فيه الميل الى التبشير منذ حداثته فتاسست مدرسة في شلزويك لتعليم اسرى الدانيمارك

الفديين ولكن شعبه شعر بالاتفاق المعقود بينه وبين ملك الافرنج فثاروا عليه وطردوه من البلاد (٨٢٨) فاضطر انسكار ان يبرح الدانيمارك الى اسوج (٨٣٠) حيث لقي نجاحاً عظيما وبمساعدة لويس التقي شرطن رئيس اساقفة على همبورج (٨٣٢) فخصص نفسه لارشاد الدانيمارك واوفد الى الاسوجيين رسولا آخر غير ان وفاة لويس التقي (٨٤٠) وعدم ارتياح كارلوس الاصلع خليفته الى انسكار كاد يقضي على آماله. فارتد هرالد عن المسيحية وطرد المبشرون من اسوج؛ وهاجم النورمنديون همبرج فافسدوا عليه اعماله

لكن لويس الثاني ملك جرمانيا عين (٨٤٦) اسقفاً لمدينة بريمن وضمت اليها همبرج (٨٦٤) بامر البابا نقولا الاول وجعلت مطرانية للبلاد الشماليه. فاتسع نطاق العمل لرسول الشمال الذي ثابر على البشارة بالانجيل ونال ثقة اريخ الاول فشيد له كنيسة في شلزويك فلما قتل هذا الملك (٨٥٤) واستلم السلطة اعتباطاً رجل اسمه ايوثي اثار اضطهادا عنيفاً على المسيحيين لم تطل مدته. اذ استلم السلطه بعد سنه اريخ الثاني. فخلف النجاح في ايامه انسكار. وكان قد تمكن من نيل حظوة في عين الملك اولاف الاسوجي فابس فيها كنيسة (٨٥٣) وكل امر العناية بها الى شخص اسمه اومبرت. ثم استأنف عمله الرسولي الى ان قضى (٨٦٥) قبل ان يتيح له الحظ رؤية فوز المسيحية على الوثنية

وبعد وفاته لقيت المسيحيه مصاعب شتى بسبب مهاجمات النورمنديين للشواطيء الاسوجية ولكن لما حل النورمنديون في انكلترا في اواخر القرن التاسع وفي فرنسا (٩١٢) دانوا بالمسيحية فخفت وطأتهم على اسكندينافيا

الدانيمارك — وبالرغم عن الاضطهاد الذي اثاره ملك الدانيمارك غورم الكبير على المسيحيه في بلاده فقد انتشر الانجيل فيها وادى تعصب هذا الملك الى وقوع حرب بينه وبين هنري الاول ملك جرمانيا (٩٣٤) اضطر على اثرها ان يعلن تساهله مع المسيحيين . فانتهز هذه الفرصة اسقف برمين ونشر المسيحيه بصورة مدهشه حتى ان هرالدبن غورم وخليفته (٩٤١ — ٩٦٨) اعترف بالمسيحيه (٩٤٩) واعتمد هو واسرته كلها (٩٦٥) عدا ابنه سوين الذي نقم عليه وقتله (٩٦٨) واخذ زعامة الحزب الوثني في البلاد واضطهد المسيحيين الى سنة (٩٩٨) حينما تحولت ميوله نحو المسيحية بعد ما طرد ونفي الى اسكوتلاندا فاعيد الى عرشه واظهر غيرة حارة على الديانة المسيحيه وعمل على نشرها بكل قوته الى ان توفي (١٠١٤) . على ان تعميم النصرانية في الدانيمارك انما تم في ايام ابنه كانوت الكبير (١٠١٤ — ١٠٣٥) فاتح انكلترا . الذي اسس اسقفيات عديدة وجدد ما تهدم من الكنائس . وزار روميه (١٠٢٦) وربط بلاده بمركز العالم المسيحي في الغرب ومنذئذ اعتبرت الدانيمارك بلادا مسيحية

اسوج – لما تمكن احد المبشرين الانكليز من تنصير اولاف امير اسوج (الذي توفي سنة ١٠٢٤) بذل هذا غيرة فائقة في سبيل انتشار الانجيل في البلاد الاسوجية واسس اول اسقفية في سكيرا وحذا حذوه ابنه «اينغ» الذي رغماً عن تالب الوثنيين ضده في اوبسال، قد عزز مركز المسيحية وايدها. وفازت المسيحيه خصوصاً في ايام الملك اريخ القديس (+ ١١٦٠)

نروج – واما نروج فقد عرف اهلها المسيحية بواسطة الاسرى المسيحيين منذ القرن التاسع. ولكن المساعي التي حصلت لنشر المسيحية في نروج انما حدثت في القرن العاشر واول امير مسيحي قام فيها هو هاكون الصالح (٩٣٤ – ٩٦١) هذا اعتمد وتربى تربية مسيحية في انكلترا واهتم كثيراً في تنصير رعيته فلم يفلح وارغمه الشعب (٩٤٥) على الاشتراك بحفلة وطنية وثنية. ولكن الملك اولاف تريغيزون (٩٩٥ – ١٠٠٠) كان نجاحه اوفر. ومشى على اثاره اولاف السمين (١٠١٤ – ١٠٣٠) لكن هذا استعمل الوسائل الاكراهية فثار عليه خصومه واستقدموا اليهم كانوت ملك الدانيمارك وسلموه البلاد مختارين. ولكنهم شعروا بعد ذلك بخطاهم واعلنوا قداسة اولاف (١٠٣١) فانتهز ابنه ماغنوس الصالح هذه العاطفة الايجابية وطرد الدانيماركيين من نروج (١٠٣٥) فكانت نروج استقلالها. وعلى اثر ذلك انتشرت المسيحية فيها وتوطدت اركانها. ومنها انتقلت الى الجزر التابعة لها التي من

جملتها ايـلاندا

٢) الاحوال المضادة

ان الدولة البيزانطيه فقدت قسما عظيما من هيبتها في هـذا الدور بسبب الثورات الدموية والحروب الاهليـة التي كثيراً ما نشبت في البلاد . فاضطر كثيرون من ملوكها ان يتركوا الصولجان ويترهبوا وبعضهم نفوا بعد ما اهينوا اهانات متنوعة وبعضهم عذبوا وقتلوا . الامر الذي فسح مجالا واسعاً للطامعين . ومكن الفاتحين من مهاجمة البلاد المضطربة . فان الدولة الاموية العربية (٦٦١ – ٧٤٩) التي استولت على مواضع كثيرة في اسيا الوسطى ؛ طمحت بابصارها الى عاصمة المملكة البيزانطيـة . فحاصرتها مرتين (٦٦٩ – ٦٧٦ و ٧١٧ – ٧١٨) ونشرت رايتها على سواحل افريقيا الشمالية (٧٠٧) ودخلت اسبانيا (٧١١) وفي اواخر القرن الثامن ؛ حاصر العباسيون القسطنطينيه واضطروا ملوكها ان يرضوهم بالمال . كما ان الدولة الاموية الاندلسية (٧٥٦ – ١٠٣١) اخضعت كل اسبانيـا تقريباً لسلطها فاصبح البحر المتوسط من فلسطين الى اسبانيه تحت سيادة العرب وخضعت الكراسي الثلاثة الاسكندري والانطاكي والاورشليمي للسيادة الاسلامية

ولا شك ان القارئ اللبيب يدرك جسامة الضرر الذي حل بالمسيحية بسبب هذه الحروب والفتوحات . فاضطرت اسر كثيرة

برمتها ان تتبع ديانة الغالبين طمعاً بالحصول على حياة مريحة والذين كانوا شديدي التمسك بديانتهم ساءت احوالهم مدنياً ودينياً. فخسروا احسن املاكهم ثم سقطوا شيئاً فشيئاً في سبات روحي عميق، لاحتجاب اينعش روح التقوى فيهم. فاصبحوا وليس لهم من المسيحية سوى الاسم. مع ان البيزانطيين في اواخر القرن العاشر استطاعوا ان يستردوا شيئاً من الكرامة التي خسروها بغزواتهم في الشرق؛ ولا سيما في ايام قيادة الدمستق نيكيفور ويوحنا جمسكي. لكن ذلك ترك آثاراً سيئة في البلاد لما جرته عليها تلك المعارك من الخراب والفقر

على ان كل ذلك لايحسب شيئاً مذكوراً ازاء ما عاناه المسيحيون من الاهوال في ايام الخلفاء العلويين ولا سيما الحاكم بامره (٩٩٧ – ١٠٢١) الذي هدم كثيراً من الكنائس في فلسطين ومصر وهب ما فيها للمسلمين طرد النصارى الى بلاد الروم بعد ما فتك برؤسائهم واكره كثيرين على اتباع الاسلامية. والباقون اضطروهم ان يلبسوا السواد وحظر عليهم الاحتفالات في اعيادهم العظمى كالظهور والشعانين. وامر ان يعلق في اعناقهم صلبان طويلة من خشب طول الواحد ذراع ووزنه خمسة ارطال مصرية. وعلق عدداً من كتاب المسيحيين بايديهم فلبثوا كذلك اياماً عرضة لبرد الليل وحر النهار حتى مات الكثيرون منهم والباقون اسلموا فعفي عنهم (ابن بطريق ٢ : ١٩٧ – ٢٠٣) وقد عانى الغرب شيئاً من

مثل هذه المصائب فان هجمات الغزاة الشماليين تركت اثارا سيئة في النفوس . وحسبك ما اجراه النورمانديون في اوربا فقد بدأوا بمهاجمة السواحل الجرمانية والفرنساوية منذ عهد كارلوس الكبير . ولكن جراتهم هذه ازدادت في القرن التاسع اذ انحدروا الى جرمانيا وبريطانيا وفرنسا يعيثون في الارض فسادا . وما زالت تواريخ فرنسا تحفظ من اخبار هولهم ما تتفطر له الافئدة وقد اجتازت هذه الجماهير البربرية حدود الممالك المذكورة الى اسبانيا ولم تسلم منها ايطاليا نفسها . فقد روى مورخو تلك الايام انهم هدموا مدينة بونا (٨٥٧) وبيزا وسواها من مدن ايطاليا (٨٦٠) غير ان عجز الملوك عن دفع هجمات هولاء الغزاة ادى الى نتائج حميده فان استحسانهم بعض البقع في تلك البلاد ورضاهم باتخاذها وطناً لهم ؛ قد آل الى تهذيب اخلاقهم بمخالطتهم المسيحيين . وغودفريد اشجع رؤسائهم الحربيين فاتح فريزلاند تنصر حينما اقترن بغزالة ابنة الملك لوثر الاصغر التي اعطاه اياها كارلوس السمين . ومن ذلك الحين اقبل النورمانديون على النصرانية وحلت عندهم مبادىء المسيحيه العمرانيه محل خرافات اسلافهم البربرية . كما ان وطأة العرب في اسبانيا اخذت تخف شيئاً فشيئاً . حتى ان المسيحيين قطنوا الاندلس آمنين واخذوا في اواخر هذا الدور يتممون فروضهم بغير مانع

الفصل الثاني

البدع والانقسامات

اولاً – حرب الايقونات

وجد التصوير في الكنيسة المسيحية منذ القرون الاولى وازدانت البيوت والكهوف التي لاذ بها المسيحيون قديماً بصور كثيرين من ابطال المسيحية وبكثير من الرموز الروحية . فلما نالت الكنيسة حريتها انتقلت الصور الى المعابد العامة وعم اكرامها في القرنين الرابع والخامس . وكان القصد من ذلك تذكير المسيحيين بغير المرئيات بواسطة المرئيات . واظهار الاعتبار للاشخاص المأخوذة رسومهم . ولم تحصل مناقشة ما بشان الايقونات قبل القرن الثامن ، حينما اثار عليها الامبراطرة البيزانطيون حرباً عواناً استغرقت اكثر من قرن . وذهب كثيرون ضحية هذا التهور المتجاوز الحد

وتعددت الظنون في الاسباب التي دفعت الامبراطرة لركوب هذا المركب الخشن واقلاق راحة الكنيسة مدة طويلة

فذهب بعضهم ان يهودياً تنبأ للاون الايسوري بنيل العرش الامبراطوري فلم يصدق فاكد له ذلك واستحلفه ان ينيله ما يطلب اذا صح فاله فوعده فلما تم له ما اراد طلب منه نزع الصور من المعابد فكان ما كان

وزعم غيره ان رجلاً منزلة حسنة عند الايسوري كفر بالمسيحية واراد ان يجتذب اليه الايسوري فرأى ان يبتدىء بنزع الورع منه فبغض اليه الصور ليتوصل من ذلك الى ما هو اهم

وقال آخر ان حاخاماً يهودياً اغرى يزيد بن عبد الملك (٧٢٠ — ٧٢٤) على اصدار امر يحظر فيه التصوير لكي لا يكون لكنائس المسيحيين ميزة على كنس اليهود ففعل وقلده الايسوري

وذكر آخر ان اكرام الايقونات حدث فيه سوء استعمال حتى ان بعضهم

اتخذوا بعض الايقونات اشابين لاولادهم وآخرين كانوا يتناولون القربان المقدس من يدي القديس المصور فاستفز ذلك غيرة اولي الامر الى تدارك هذا الافراط ففرطوا

وقال آخرون ولعله اصح كل ما ذكر ان غرض الايسوري كان سياسياً لا دينياً اراد به الزلفى الى اليهود والمسلمين استفادة من مال الاولين ومن تهدئة خواطر الاخرين ايقافاً لفتوحاتهم . وربما اراد بهذا ايضاً اشغال المسيحيين عن المباحثات العقائدية بنظرية كهذه . فلم تكن النتيجة اقل شؤماً من المناظرات السابقة

واول مرة مدت فيها يد لازالة الايقونات انما كان في ايام فيليب باردان (٧١١ — ٧١٣) الذي ازال رسوم آباء المجمع السادس من رواق كنيسة اجيا صوفيا على انه لم يفعل ذلك لكرهه الايقونات او قصد تحقيرها من حيث هي بل لانه كان من اتباع ذوي المشيئة الواحدة التي حكم عليها المجمع المذكور

و بعد هذا الملك بمدة قصيرة اثيرت الحرب على الايقونات بصورة خصوصية ودخلت هذه الحرب في دورين الاول من سنة ٧٢٦ — ٧٨٧ والثاني من سنة ٨١٣ — ٨٤٢ ودونك خلاصة ما حدث

حرب الايقونات الاولى (٧٢٦ — ٧٨٧)

اول من حارب الايقونات انما هو لاون الايسوري (٧١٧ — ٧٤١) الذي بسبب كثرة مماسته اليهود والمسلمين استهجن تكريم الايقونات على الصورة التي تعودها بعض السذج . وخطر له امكانية استرداد المتهودين ومتبعي الاسلامية الى المسيحية بحظر السجود للايقونات . ولكنه كرجل حربي لم يحسن استعمال الوسائل الاقناعية بل اصدر امراً (٧٢٦) بمنع تقبيل الايقونات ورفعها الى مواضع عالية لا يصل اليها الشعب . ونفذ المامورون هذا الامر بصورة خشنه اهاجت عواطف العامة وحماستهم التقويه . الذين لما اراد احد الجنود ان يتسلق سلماً ليقلع صورة المصلوب عن رتاج القصر الامبراطوري بصورة خلت من الاحترام رموه بنبالهم فالقوه قتيلا وادى الامر الى حصول ثورة هائلة في

القسطنطينيه وفي جزر الارخبيل فاثار ذلك سخط الامبراطور واصدر امراً آخر (٧٣٠) اشد من الاول اوجب فيه نزع الايقونات من الهياكل بالكلية وطلي حيطانها بالكلس . ولما ابى البطريرك جرمانوس الاذعان لهذا الامر عزله واقام مكانه انسطاس ، واسقط كل الاساقفة المعاكسين . فانقاد اليه قسطنطين الفريجي اسقف ناكولي وآخرون . اما السوريون الذين اصبحوا تحت سلطة العرب ، والطليان الذين عصوا على بيزانطيه ، فقد رفضوا امر القيصر . والبابا غريغوريوس الثالث (السوري الاصل) حذا حذو سلفه في السياسة وعقد مجمعاً (٧٣٢) حرم فيه محاربي الايقونات . على ان لاون ظل مصراً على رايه حتى توفي (٧٤١) لكن الايقونات التي انتزعت من الكنائس ظلت محترمة في البيوت

لما مات لاون خلفه ابنه قسطنطين كوبرونيموس (المغوط) ولكنه بسبب حداثة سنه لم يستطع ضبط الحكومة فاختطف السلطة منه صهره ارتابازد الارمني الذى اعاد الايقونات الى الكنائس التماساً لمناصرة الحزب القوي في المملكة . ولكن ذلك لم يطل لان قسطنطين تمكن بعد سنتين (٧٤٣) من تجهيز جيش قوي فتح به القسطنطينية واسترجع لنفسه السلطة منتقما من صهره بسمل عينيه ونفي ولديه . واخذ يضطهد الكنيسة اضطهاداً لا يحسب بازائه اضطهاد ابيه شيئاً مذكوراً ولكي يبرر اعماله الجائرة عقد مجمعاً (٧٥٤) سماه مسكونياً قرر فيه ان اكرام الايقونات ضرب من الوثنية وحرم كل مكرمي الايقونات . ثم رقى قسطنطين الفريجي الى بطريركية القسطنطينية خلفاً لانسطاس المتوفى واخذ بعد ذلك ينفذ قرارات المجمع بشدة فائقة فعملت اذان ، وسملت عيون وجدعت انوف ، واحرقت عظام ، وحولت الاديرة الى ثكنات واصطبلات وحظر على الناس ذكر كلمة قديس ، فاحتج كثيرون على هذه المعاملة ولا سيما يوحنا الدمشقي الا ان القيصر لم يبال بالاحتجاج وواصل قسوته حتى قضى (٧٧٥) فخلفه ابنه لاون الخزري الذي اثرت عليه زوجته ايريني المبطنة اكرام

الايقونات فاباح للرهبان المطرودين العودة الى اماكنهم . وارتقى كنيرون من الارثوذكس الى الدرجات الاسقفية . ولكنه في سنة ٧٨٠ وجد في غرفة نوم ايرينى ايقونة فتهيجت فيه عاطفة الكره للايقونات التي استقاها من والده فاخذ يحارب مكرميها بكل قوته على ان اضطهاده هذا لم يطل اذ مات في السنة نفسها بمرض ابيه ذاته

واذ كان ابنه قسطنطين البر فيروجنيت صغير السن استلمت والدته ايرينى زمام السلطة واعلنت نفسها من حزب مناصري الايقونات فاعادت المنفيين الى اماكنهم وانتشلت رفات القديسة اوفيميا المطروح في النهر . ونصبت على الكرسي القسطنطيني طراسيوس الشريف (٧٨٤) خلفاً لبولس المستقيل . وسعت لعقد مجمع مسكوني يعطي الحكم الصحيح بشأن الايقونات فحضر الاساقفة الى القسطنطينية (٧٨٦) ولكن بسبب الشغب الذي اظهره الجند القديم المناهض الايقونات تأجل اجتماعه

المجمع السابع المسكوني

فلما اقيل الجند القديم من الخدمة العسكريه اجتمع في مدينة نيقية مجمع عام ترأسه البطريرك القسطنطيني طاراسيوس وحضره نواب الكراسي الاربعة الروماني والاسكندري والانطاكي والاورشليمي وعدد كبير من الاساقفة بلغ عددهم ٣٦٧ أباً . فاجتمع الاباء في نيقية سبعة اجتماعات اولها في ٢٤ ايلول سنة ٧٨٧ وختم المجمع بجلسه ثامنة عقدت في القسطنطينية في ٢٣ تشرين الاول من السنة نفسها بحضور القيصر ووالدته . وقد بحث الاباء في اجتماعاتهم بحثاً وافياً في موضوع المناظرة فظهر لهم تحامل مجمع كوبرونيموس (٧٥٤) فالغوا قراره وحكموا على جميع محاربي

الايقونات واصدروا القرار التالي الذي صدقت عليه القيصرة وابنها

قرار المجمع السابع

اننا بعد بذل الجهد والتدقيق الممكن نحكم : ان لا مانع من عرض الايقونات لتكريم المومنين اياها . سواء كان في الكنائس ام على الجدران ام في البيوت وعلى الانية والملابس المقدسة . ونعني بالايقونات صور سيدنا يسوع المسيح والقديسه والدته والملائكة وسائر القديسين . لان النظر المتواتر الى هذه الرسوم يبعث فينا تذكر من رسموا عليها ويوقظ في الناظرين عواطف المحبة والاحترام لهم . ويجب ان يقدم لهذه الايقونات الاكرام والاعتبار فقط ، لا العبادة المعروفة باللاتريا المختصة بالجوهر الالهي دون سواه . على انه يمكن احراق البخور وايقاد المصابيح امام هذه الصور كما يكرم بذلك الصليب والانجيل وسائر الاشياء المقدسة . وذلك منطبق برمته على ما جرى عليه السلف الصالح فتكريم الصورة انما يرجع الى من رسم عليها . ومن احترم صورة فانما احترم من تمثله تلك الصورة

هذا هو تعليم الاباء القديسين والكنيسة الجامعة . ومن تجاسر ان يعتقد او يعلم ما يخالف ذلك . . . فان كان اكليريكياً فليقطع او علمانياً فليفرز اه

ووضع المجمع السابع عدا هذا القرار ٢٢ قانوناً موضوعها التهذيب الكنسي

حرب الايقونات الثانية (٨١٣ – ٨٤٢)

ان حكم المجمع لم يلاش حزب مناهضي الايقونات لان كثيرين من الاساقفة كانوا قد تربوا تربية ايكونوماكية (تكره الصور) وما وقعوا على اعمال المجمع الا حرصاً على وظائفهم وهم في الباطن اعداء للايقونات . وقد توقعوا سنوح فرصة للمجاهرة بافكارهم . ولم يطل الوقت على ذلك حتى ظهرت هذه الافكار السلبية في الغرب حيث جمع الملك شارلمان اساقفة مملكته في فرنكفورت سنة ٧٩٤ وكانوا نحواً من ثلاثمائة اسقف من ايطاليا وفرنسا والمانيا وانكلترا . فحرموا بعض المبتدعين ووضعوا ٥٦ قانوناً نبذوا في الثاني منها قرار المجمع السابع بوجوب اكرام الايقونات اذ قام في ذهنهم خطأ ان المجمع اوجب ان يقدم للصور السجود الواجبة تاديته للثالوث الاقدس ويويد هذا ان المجمع المذكور مع حظره عبادة صور رجال الكنيسة استقبح عمل مكسري الايقونات ومحقريها . على ان ذلك كان تمهيداً لحرب ثانية تثار على الايقونات استانف القيام بها قياصرة القسطنطينية فان لاون الارمني الذي ملك سنة ٨١٣ لما راى الاعداء محيطة به من كل جانب والمملكة منقسمة الى حزبين اهتم كاسلافه بتوفيق الحزبين . فكلف يوحنا النحوي ان يستخرج شهادات من مولفات الآباء القدماء تحظر تقبيل الايقونات ففعل . ولكن الارثوذكس — ولا سيما نيكيفوروس البطريرك القسطنطيني وثيودورس الاسطوديتي وسواهما — دحضوا ما استنتجه منها . فاستدعى الملك نيكيفوروس وثيودورس اليه قصد اقناعهما بالتنكب عن خطتهما فابيا التساهل معه . فاثار ذلك غيظه فاسقط البطريرك (٨١٥) ونصب مكانه ثيودوت كسانير عدو الايقونات . ثم عقد مجمعاً حكم فيه على المجمع السابع مويداً قرارات مجمع كوبرونيموس (٧٥٤) لكنه مع اعتباره ان اكرام الايقونات غير واجب لم يكره الارثوذكس على تحقيرها كما فعل بعض اسلافه . فلم يرض الارثوذكس بما قرره وقامت التظاهرات ضد المجمع المذكور في كل مكان وكان من اهمها تظاهرة احد الشعانين التي ازعجت القيصر جداً فنفى الاسطوديتي واضطهد

الارثوذكس اضطهاداً عنيفاً وظل على قسوته هذه حتى قتل سنة ٨٢٠

فلما خلفه قاتله ميخائيل الالثغ اراد استمالة الارثوذكس الى حزبه ليقاوم بهم حزب لاون الارمني . فرد المنفيين الى اوطانهم وسمح باكرام الايقونات في البيوت . ولكن لما توطد مركزه حاول استرضاء الحزب الثاني ايضاً . فامر — بحجة التوفيق بين الحزبين — ان يتناسى الناس كل المجامع التي عقدت لاجل الايقونات (٧٥٤ و ٧٨٧ و ٨١٥) وان يقتصر على اعتبار المجامع الستة . غير ان عمله هذا لم يرق للارثوذكس ، ولما فاوض بذلك (٨٢٢) ثيودورس الاسطوديتي اجابه بجرأة ان الرئاسة الروحية هي التي تقرر الاراء الكنسية لا السلطة المدنية . وحق القياصرة محصور في تنفيذ تلك المقررات . فاستاء القيصر من هذا الجواب وتربص فرصة للانتقام من الاسطوديتي فلما تحسنت العلاقات بين روميه والقسطنطينية اغتنم هو هذه الفرصة فقبل قرار مجمع باريس (٨٢٥) الذي ايد اراء مجمع فرانكفورت (٧٩٤) باتباع طريقة وسطى بهذا الشأن بموجبها تبقى الايقونات في الهياكل ويحظر تقديم العبادة لها وهذا غاية ما اجراه القيصر ميخائيل

اما ابنه ثيوفيلوس — وكان قد تخرج على يدي يوحنا النحوي الذي تنصب بطريركا (٨٢٧) وعنه اخذ كره الايقونات — فلما خلف اباه في الحكم (٨٢٩) امر بنزع الصور حتى من البيوت حاظراً على الجميع اكرامها . ونفى الرهبان بعد ما عذبهم عذابات شديدة . وممن نالهم عذابه ثيوفانس وثيوذورس الموسومان ومثوديوس المعترف ، وظل الارثوذكس يعانون الشدة الى ان توفي (٨٤٢) وكان قد اقام قرينته ثيوذورة البفلاغونية وصية على ابنه القاصر وكانت هذه القيصرة حسنة الادارة حكيمة . فلما افضت السلطة اليها رفعت الاضطهاد عن الارثوذكس وردت مثوديوس الى منصبه بدلا من يوحنا النحوي وعقدت مجمعاً صدقت فيه على قرار المجمع السابع بوجوب اكرام الايقونات اكراماً يرجع الى عنصرها الاصلي . وفي الاحد الاول من الصوم (١٩ شباط سنة ٨٤٢) اقيم

احتفال فخم زيحت فيه الايقونات في الشوارع ومن ذلك التاريخ يعيد الارثوذكس في الاحد المذكور كل سنة داعين هذا النهار احد استقامة الراي . ولم تقم بعد هذا التاريخ قائمة لمحاربي الايقونات ولا سيما بعد ما حكم عليهم في مجمعي القسطنطينية (٨٦٩ و ٨٧٩)

ثانيا — البدع الثلاث

(محرفي الدستور بالزيادة ؛ المصلين ؛ البولسيين)

١) الزيادة في الدستور (٥٨٩ — ١٠١٤)

قرر الاباء الاقدمون ان الروح القدس ينبثق من الاب استناداً الى قول المخلص « روح الحق الذي من الاب ينبثق » وقد ضمن المجمع الثاني عبارة المخلص نفسها في الجزء الثامن من دستور الايمان وحظر المجمعان الثالث والرابع زيادة شيء على الدستور . ولكن الكنيسة الاسبانية طمعاً باستمالة القوط الاريوسيين قررت في مجمع توليدو (٥٨٩) زيادة « والابن » على متن الدستور لتخيلها انها بهذا تبرهن مساواة الابن للآب في الجوهر حتى في بث الروح ايضاً ومن اسبانيا سرت هذه الزيادة الى فرنسا في القرنين السابع والثامن وطلب اعضاء مجمع ايكس لاشابل (٨٠٩) من البابا لاون الثالث تقريرها رسمياً فابى وامر بنقش الدستور النيقوي على لوحي فضة باللغتين اللاتينية واليونانية ووضعه في كنيسة القديس بطرس منعاً لتفشي الزيادة وقام ايضاً ضدها بنيديكتس الثالث (٨٥٦) ويوحنا الثامن (٨٨٠) ولكن ذلك لم يمنع انتشارها في الكنيسة الغربية التي مالت كل الميل لتصديقها . لذلك حكمت الكنيسة الشرقيه عليها في مجمعي القسطنطينية (٨٦٧ و ٨٧٩) لمغايرتها روح التعليم الكنسي العام فلم تبال الكنيسة الغربية بهذا الحكم بل ادخلها البابا بنيديكتس الثامن في الدستور (١٠١٤) كشيء قانوني يجب الاعتقاد به . وكانت هذه الزيادة من عظم الاسباب لانقسام الكنيستين

٢) — بدعة المصلين (٣٨٣ — ١٠٦٠)

هذه البدعة ظهرت في شطر القرن الرابع الاخير . واساسها انه خيل الى فئة من المسيحيين ان في الانسان روحاً شريراً لايستطاع طرده بغير الصلاة فاذا توفق المرء الى نيل هذه البغية حل فيه الروح القدس ومال به عن الشر فلم يعد اذ ذاك بحاجة الى الكتاب المقدس او الاسرار او . . الخ واضافوا الى اوهامهم هذه طائفة من المباديء المانية فاعتزلوا العمل واستسلموا للتخيلات رغبة منهم في ان يروا الله باعينهم الجسدية . فحكم عليهم فلابيانوس الانطاكي في اواخر القرن الرابع وتعقبتهم السلطة الزمنية فاختفوا ولكنهم لم يتلاشوا بل ظهروا في ثراكيا في القرن الحادي عشر حيث عززوا مبدأهم وعرفوا باسم مصلين

ومن تعاليم هذه البدعة الغريبة ان لله الآب ابنين كبير واسمه سمانائيل وصغير واسمه المسيح وقد خان الكبير اباه فسقط وانتقل بمملكة انشأها على الارض وظل الصغير امينا فحل محله في السيادة على المملكة السموية وسيوالي محاربة الكبير حتى يلاشي مملكته و يعيد السلام للعالم . ومن مزاعم هذه البدعة ان رجالها يقتبلون الوحي و يشاهدون الارواح وقد اضطهدتهم الحكومة البيزانطية فاندغموا ببدعة البوغوميليين الذين ظهروا في القرن الثاني عشر

٣) بدعة البولسيين (٦٥٧ — ١١١٥)

البولسيون شيعة مسيحية ظهرت في الشطر الثاني من القرن السابع . وانحرفت عن التعليم الصحيح باشياء كثيرة اهمها اشتراكهم مع المانيين بالمذهب الثنوي وزعمهم ان المسيح اتى بجسد خيالي من السماء ورفضهم العهد القديم و بعض الجديد وازدراءهم بالاسرار والنظام الكنسي

اسس هذه الشيعة (او عززها كما يدعي الذاهبون الى قدمها) رجل سوري لمولد اسمه قسطنطين قرأ العهد الجديد لذاته وفهمه فهماً منحرفاً استنتج منه مذهبه الحديث المذكور اعلاه . فسمى نفسه سلوانوس باسم رفيق بولس وزعم انه يريد ارجاع المسيحية الى نقاوتها الاصلية وظل ينشر اراءه هذه مدة سبع

وعشرين سنة (٦٥٧ — ٦٨٥) وقد اتخذ اتباعه اسماء التلاميذ اعلاماً لهم فنجح في اول امره ووجد له مريدين كثيرين في الشرق غير انه لما تفاقم ضرره ارسل الامبراطور قسطنطين بوغونات احد قواده المدعو سمعان لتعقب البدعة وملاشاتها فقبض هذا على قسطنطين وعاقبه بالقتل فارتد كثيرون من اصحابه عن رايه . ولكن سمعان نفسه انضم الى البدعة بعد مدة قصيرة وذهب الناس في تعليل ذلك مذاهب شتى فبعضهم يرى ان التعاليم البولسية الخيالية اثرت على دماغه لكثرة احتكاكه باصحابها . وذهب اخرون الى انه انضم اليهم التماساً للزعامة وكيفما كان الامر فقد ترأس سمعان هذه الشيعة باسم تيطس . ولكن لم يطل عليه الوقت حتى طورد فالقي عليه القبض واحرق وهو حي . فخلفه رجل آخر باسم بولس (ولعل الشيعة المذكورة سميت بولسية نسبة اليه) هذا سعى في نشر مبدا الشيعة بهمة لم يظهرها احد قبله من حزبه فاخذت تنتشر في الشرق رويداً رويداً وتعزز موقفها جداً في اسيا الصغرى في نصف القرن الثامن . وفي ايام ولديه ثيموثاوس وثيودورس انشقت الطائفة الى حزبين احدهما اتبع ثيموثاوس وزعم ان المواهب الرسولية تسلسلت اليه والاخر اتبع ثيودورس وانكر على الحزب الاول ما ارتآه . ولغرض سياسي عمل الامبراطور قسطنطين كوبرونيموس على انتشار هذه الشيعة في اوربا . اذ احضر قسماً منهم الى تراكيا سنة ٧٥٢ لمناوأة مناصري الايقونات وفي القرن التاسع انضوى الى هذه الشيعة سرجيوس والي غلاطيه وسمى نفسه ثيخيكوس . فنشر اصول البدعة في اماكن كثيرة بخطبه المتوالية وجولانه المستمر الذي اراد ان يضارع به بولس الرسول . ولكنه قتل سنة ٨٣٥ ولما كان مبدأ البولسيين الاستقلال الكنسي والمدني معاً . اجتهد الملوك البيزانطيون بمقاومتهم جد المقاومة فاهلكت ثيودورة منهم مئة الف نسمة في ارمينيه وجلا منهم يوحنا جيمسكي عدداً كبيراً الى تراكيا سنة ٩٧٠ وحاول اليكسيوس كومنين متابعة خطة اسلافه ففشل . وبالرغم عن هذه المساعي الشديدة امتدت هذه الشيعة ونمت تحت سماء اخرى باسماء جديدة

ثالثاً – المنازعات في الغرب

تخطت المباحث النظرية الشرق في هـذا الدور الى الغرب وقامت في الكنائس الغربية منازعات عنيفة لاجل قضايا كثيرة أهمها ثلاث : بنوة المسيح (٧٨٥ – ٧٩٩) والقدر (٨٤٩ – ٨٦٨) وسر الافخاريستيا (٩٤٤ – ١٠٧٩) وفي ما يلي خلاصة عن القضايا الثلاث المذكورة

١) – بنوة المسيح (٧٨٥ – ٧٩٩)

اثار البحث في هـذه القضية فيلكس اسقف ارجيل حينما ساله ايلبندوس اسقف توليدو (طليطلة) عن رايه ببنوة المسيح لله . فاجابه ان المسيح بحسب لاهوته هو ابن طبيعي لله ولكنه بحسب ناسوته فانما هو ابن وضعي . فذاع هذا الراي وانتشر بسرعة في اسبانيا وفرنسا وجرمانيا . ولكن البابا ادريانوس اعتبره بدعة تجدد ضلال نسطور بقسمه المسيح الى شخصين . فحكم على فيلكس بالبدعة في مجمع عقده في نربون (٧٨٨) ثم في راتسبون من جرمانيا (٧٩٢) وقرر ان المسيح هو واحد نفسه ابن الله وابن البشر وهو بطبيعته ابن لله بالحقيقة لا بالوهم فاضطر فيلكس ان يرجع عن رايه موقتاً ويعترف بفساده امام البابا . ولكنه لما عاد الى ابرشيته اهاجه اسقف توليدو فرجع الى مذهبه . فعقد مجمع اخر في فرانكفورت (٧٩٤) حكم فيه بالحرم على فيلكس وايلبندوس وايد هذا الحرم مجمع روميه (٧٩٩) ومع ان فيلكس رفض رايه

ثانية لكن كارلوس شعر انه غير مخلص في كلامه فنفاه الي ليون حيث قضى نحبه . واما ايلبندوس فقد نجا من العقوبة المدنية بلواذه الى الجزء الذي حكمه العرب في اسبانيا

وقد دافع بعض المورخين عن فيلكس وذهب الى ان اتهامه بالبدعة ناتج عن عدم ترتيبه كلامه وان مضمون اقواله لو نسق حسناً ما استلزم اتهامه بالنسطورية . وذهب آخرون الى ان آراء فيلكس فيها بدعة ووجه الابتداع عند هولاء تصريحه ان المسيح بناسوته ولد عبـدا له بدون خطية ثم تحرر حينما دعاه الله وقت معموديته (ابنه الحبيب) علي انهم لم ينكروا ان هـذا الراي لايستوجب ذلك الاهتمام العظيم

٢) القدر (٨٤٩ — ٨٦٨)

اثار هذا البحث رجل سكسوني ذو نسب شريف اسمه غودسخالكوس اكره على الرهبنـة وتحت تاثير ظروفه الخاصة صرح امام نوثنكس اسقف فيرونا ان الله سبق منذ الازل فعين بعض الناس للحياة الابديه و بعضهم للعذاب الابدي . وبلغ ذلك رئيسه رابان مورس فرد عليه برسالة خاصة سماه فيها هرطوقياً . فحضر غودسخالكوس من ايطاليا الى منتز ليبرر نفسه امام مجمع عقد فيها (٨٤٨) لهذا الغرض مدعياً ان رايه هذا هو راي اوغسطين غير ان مورس خصمه كان اكثر نفوذا منه فجرمه المجمع وارسله الى هنكمار رئيس اساقفة ريمس صديق مورس فشجبه هذا ثانيـة

في مجمع التأم في تشرسي (٨٤٩) واذ اصر غودسخالكوس على رايه قطعه هنكمار من الكهنوت وامر بجلده ثم حجر عليه في دير فانتصر له كثيرون وحصل شغب كبير بسبب ذلك في الغرب مما اضطر كارلوس الاصلع ان يعقد مجمعاً (٨٥٣) لاعادة النظر في القضية فشجب غودسخالكوس ايضا في هذا المجمع بتاثير هنكمار ولكن رعاة ليون وفيان وارلس اجتمعوا في فالانس برئاسة ريميجيوس (٨٥٥) واعطوا قرارا ينقض مقررات مجمع تشرسي وايد قرارهم هذا مجمع لنكرس الملتئم (٨٥٩) غير ان هذا النزاع الذي اثارته العداوة الشخصية الكائنة فيما بين غودسخالكوس ورابان مورس قد هدأ واضمحل بوفاة مثيره ذلك الراهب الصلب الذي قضى (٨٦٨) في الدير الذي حجر عليه فيه

٣)- الافخاريستيا (٨٤٤-١٠٧٩)

في اثناء هذه المنازعة ثارت منازعة اخرى في الغرب عن كيفية وجود جسد المسيح ودمه في العشاء الرباني ومثار هذه المنازعة كان لاجل مولف اصدره (٨٣١) بسكاسيوس ردبرت قال فيه : «ان العشاء الرباني يحتوي جسد المسيح ودمه بعد التقديس بشكل الخبز والخمر» فلما عرض مولفه هذا على كارلوس الاصلع (٨٤٥). قاومه رابان مورس ويوحنا سكوت وآخرون واحتدم الجدال بين الفريقين اللذين لم يحددا اقوالهما تحديدا ضابطا فلم يمكن حل الخلاف لان الموضوع المختلف عليه غير محدد كما يجب . ثم هدأ الجدال

في القرن العاشر لانصراف اذهان ابنائه عن هذه المباحث ولكن النزاع تجدد في اواسط القرن الحادي عشر حينما صرح برنغاريوس رئيس شمامسة انجير (١٠٤٥) ان الخبز والخمر انما هما رمز الى جسد المسيح ودمه فقاومه كثيرون وشجب رايه البابا لاون التاسع (١٠٥٠) وكان من اعظم مقاومي برنغاريوس، لنفرنك اسقف كنتربري وهنري ملك فرنسا الذي حكم بالموت على من يذهب مذهب برنغاريوس فخاف هذا ورذل رايه في مجمع تورس (١٠٥٤) غير انه لما انفض المجمع عاد الى رايه. فطلبه البابا نيقولاوس الثاني الى مجمع عقده في رومية (١٠٥٩) فجبن ووقع على صورة الايمان التي قدمت له. لكنه لما عاد الى فرنسا عاد فقبح ما امضاه وحامى عن رايه الاول فنصحه البابا اسكندر الثاني (١٠٦١ — ١٠٧٣) ان يرعوي فلم يفعل. فلما ارتقى الى السدة البابوية غريغوريوس السابع اهتم للمسئلة جدا وعقد مجمعا في روميه (١٠٧٩) استدعى اليه برنغاريوس ولاطفه ثم قدم له صورة ثانية لتحديد القضية المبحوث عنها فوقعها برنغاريوس لكنه كالعادة حال رجوعه الى بيته نكث بقسمه ولما راى كثرة الثائرين ضده التجأ الى جزيرة القديسة كزمي منفردا عن العالم الى ان توفي (١٠٨٨)

رابعاً — الانقسام العظيم

بين الشرق والغرب

اسباب الانقسام

دواعي الانقسام كثيرة ولكن يمكن ردها الى ثلاثة اسباب مهمة

١) تباين المشارب — فان اكثر سكان الشرق اروام ، واغلب الاهلين في الغرب لاتين . وللجنسين المذكورين عادات ومشارب خاصة قد لا يرتاح لمثلها الاخر ، فالاروام لانهم ميالون بطبيعتهم الى المباحث النظرية اطلقوا الحرية للعقل في ما يعرض لهم من الشؤون حتى الدينية منها ولذلك كثر ظهور البدع في الشرق ولا سيما في المسائل الايمانية . اما اللاتين فلانهم ميالون بطبيعتهم للحماكاة والتقليد فقد اجتهد كل منهم باتباع خطة من سلفه ، وانحصرت مباحثهم في القضايا العملية فلم يظهر عندهم من البدع الا ماله علاقة في الوجهة الخارجية كالطقوس والسياسة وما اشبه . هذا التباين الفطري كان اعظم مهيء للانقسام

٢) الاحداثات الغريبة — عدم اهتمام اللاتين في القضايا النظرية جعلهم يتساهلون في عقائد وترتيبات كثيرة تركت اثراً سيئاً في نفوس الشرقيين الذين تعودوا المحافظة على القديم لذلك اقاموا الحجة على الزيادة في الدستور (والابن) وصوم السبت بدل الاربعاء ، واستعمال الفطير في القداس بدل الخمير ، وحصر مسح المبرون بالاساقفة ، وحظر الزواج على الاكليروس ، واكل البياض في الاسبوع الاول من الصوم الكبير . فزاد ذلك في ضرام التباعد جذوة

٣) طموح البابا وات الى الرئاسة العامة — تقدم البابا وات في الكرامة بالنظر الى مركزهم السياسي اطمعهم في الرئاسة الروحية العامة ، غير ان الشرقيين الذين القوا الاستقلال حتى في افكارهم قاوموا هذه الفكرة كلما عرضت لاحدهم على ان الظروف كانت تزيد اولئك تشبثاً في مطامعهم وهولاء نفرة من مطلب غير عادل الى ان طفح الكيل

بداءة الانقسام

في نصف الجيل التاسع كانت دواعي الانقسام قد كملت وتوقف الامر على وجود جري يقدم على ذلك فتم بواسطة البابا نيقولاوس الاول (٨٥٨ — ٨٦٧) الذي وصفه التاريخ بالصرامة وحب السيطرة ، هذا التقى حمرتين في هشيم الانقسام الذي اتمت اعداده القرون السابقه ، فاضطرمت ناره و بلغ دخانها الافاق و بعد ما هدأت مدة جاء البابا لاون التاسع فنفخ في رمادها فاشتعلت والتهمت ما بقي من ربط الاتفاق وتم بها الانقسام العظيم بين الشرق والغرب

الجمرتان اللتان القاهما نيقولاوس الاول هما

١) تدخله غير القانوني في البطريركية القسطنطينية و ٢) طمعه بضم البلغار الى ابرشيته واليك خلاصة القضيتين :

في سنة ٨٤٧ توفي البطريرك متوديوس المعترف فخلفه اغناطيوس بسعي الملكة ثيودوره فلما تمكن برداس محب الاستئثار بالسلطة من تنحيتها (٨٥٦) عمل على عزل اغناطيوس (٨٥٧) لانه كان من حزبها ولانه كان غير راض عن تصرفات برداس غير الممدوحة واقام عوضه فوتيوس العلامة الشريف فاسخط بذلك محبي اغناطيوس وانقسم الشعب الى قسمين قسم مع اغناطيوس وقسم مع فوتيوس فانعقد مجمع في القسطنطينية (٨٦١) لحسم هذا الخلاف فاغتنم نيقولاوس هذه الفرصة وارسل نائبين عنه (هما الاسقفان زخريا ورودوالد) طمعاً باخضاع الكنيسة القسطنطينية لسلطانه غير ان نائبيه صدقا على اعمال المجمع معترفين بقانونية بطريركية فوتيوس . فاثار ذلك حنق نيقولاوس حتى انه رفض قرار المجمع (بحجة انه لم يفوض نائبيه بالتوقيع) وحرم فوتيوس كمختطف الكرسي البطريركي فاستاء القيصر من ذلك استياء شديداً وكتب للبابا رسالة مرة اللهجة بين له فيها ان تدخله غير قانوني وضلل فوتيوس بطريركا رضي البابا ام غضب

مسألة البلغار — وزاد في طنبور الخلاف نغمة ان البابا نيقولاوس ارسل الى بلاد البلغار مبشرين لاتين (٨٦٥) بعد ان تنصر البلغار وامیرهم بوريس (٨٦٤) بواسطة مرسلي القسطنطينية اليونانيي الجنس وقد اهتم رسل البابا بادخال طقوسهم وعاداتهم اليها فاعادوا مسحة الميرون لمن مسحهم الكهنة بحجة ان حق الدهن محصور بالاساقفة وغير ذلك فاستاء فوتيوس من ذلك وعقد مجمعاً مكانيساً (٨٦٦) حكم فيه على احداثات روميه واخبر بذلك بطاركة الشرق داعياً اياهم لعقد مجمع كبير للنظر في القضايا الحادثة فاجتمع نواب البطاركة والامبراطور ميخائيل و باسيليوس المكدوني القيصر الجديد (الذي قتل باردامس في ٢٢ نيسان سنة ٨٦٦ برضى القيصر وعينه الامبراطور معاونا له في ٢٧ ايار) في القسطنطينية (٨٦٧) وحكموا مجمعياً على التعاليم والعادات المستحدثة وقطعوا البابا نيقولاوس و بلغوا الحكم لاساقفة الغرب وللامبراطور لويس ملك فرنسا

هاتان القضيتان هما الجذوتان اللتان القاهما نيقولاوس الحبر الروماني في حقل البيعة فاضطرمت بهما نار الانشقاق ولم تخمد بوفاته (سنة ٨٦٧) بل تجاوزته الى سواه . ففي الشرق فتك باسيليوس المكدوني بميخائيل الثالث وحل محله ولكي يكسب رضى الغرب عزل فوتيوس ورد اغناطيوس الى الكرسي البطريركي فاسرع ادريانوس الثاني خليفة نيقولاوس للانتفاع من هذه الفرصة وعقد مجمعاً في روميه (٨٦٨) حرم به فوتيوس واحرق قرار المجمع القسطنطيني وارسل نوابا الى القسطنطينية لاعطاء قرار بشأن فوتيوس واغناطيوس فاجتمع مجمع (٨٦٩) يحسبه الغربيون مسكونياً ثامناً تقرر فيه وجوب العمل بما تضمنته « الايسيدوريات الكاذبة » من ان البابا اعلى من المجامع المسكونية وثبتوا اغناطيوس ، اما مسألة البلغار فلم ينقد الشرقيون فيها لرغائب البابا بل بالعكس ارسل اغناطيوس (بعد انفضاض المجمع) اليها اسقفاً يونانياً فطرد الكهنة اللاتين برضى الامبراطور باسيليوس فاستاء ادريانوس من ذلك وارسل يتهدد اغناطيوس بالحرم ان لم يستقدم اكليروسه من البلغار فلم يبال اغناطيوس بتهديده غير انه لم

يعش بعد ذلك طويلا بل توفي (٢٣ ت ١ سنة ٨٧٨) بعد ان صالح فوتيوس واتخذه عونا له في شيخوخته

في هذه الاثناء تغيرت الاحوال السياسية واصبح الغرب بحاجة الى الشرق لهجوم العرب على ايطاليا فلم تبق ثمة حاجة لبالئ القيصر الحبر الروماني ، فاعيد فوتيوس الى السدة البطريركية وحكم ببراءته مجمع عام عقد في القسطنطينية (٨٧٩) حضره قصاد البابا يوحنا الثامن ونوابه البطاركة الشرقيين ورهط من الاساقفة الذين يبلغ عددهم جميعاً ٣٨٥ وحكم في هذا المجمع على من يزيد شيئاً على الدستور النيقوي . اما بشأن الكنيسة البلغارية (التي انما ارسل البابا نوابه طمعاً بالحاقها بابرشيته) فقد قرر المجمع ان مسألة ضمها وعدمه من خصائص الامبراطور ، فلما راى البابا ان رغبته لم تتم طلب من الامبراطور بواسطة قاصده مارين الغاء القرار المجمعي فرفض هذا طلبه وسجن قاصده لخشونته فحرم يوحنا فوتيوس وعاد النزاع بين ابرشيتي القسطنطينية وروميه وبلغ مجموع الحرومات التي رشق البابا اوات فوتيوس بها ١٢ حرماً

الانقسام النهائي

بعد وفاة فوتيوس الذي قضى (٨٩١) منفياً بعد ان عزله لاون الحكيم (٨٨٦) لم تتحسن العلاقات بين الشرق والغرب ومع ان نار النزاع هدأت على نوع ما لكنها لم تنطفئ بل كان شررها يتطاير آونة فاخرى حتى ايقظها البابا لاون التاسع في نصف القرن الحادي عشر فانفصمت ربط الاتفاق انفصاماً نهائياً تعذر على كبار العقلاء توثيقه كما ترى

كان للكرسي القسطنطيني خمس ابرشيات في ابوليا وكالابريا (ايطاليا الجنوبية) وكان البطريرك بوليفكتوس قد رقى اسقف « اوترانتا » وجعله رئيساً لاساقفة الابرشيات المذكورة وامر الجميع ان يقيموا الخدمة الالهية باللغة اليونانية (٩٧٠) مقابلة لعمل البابا يوحنا (١٣) الذي حظر على اسقف براغ (في بوهيميا) اقامة الخدمة بالسلافية او بحسب الطقس الشرقي

فلما افضى الكرسي الروماني الى لاون التاسع (١٠٤٩) طمحت ابصاره الى الابرشيات المذكورة فاهتم بادئ بدء بنشر الاحداثات اللاتينية ليتمكن من ايجاد خلاف طفيف بينها و بين الكرسي القسطنطيني وساعده على ذلك ارجيروس الحاكم اليوناني الذي مال الى العادات اللاتينية. فلما عرف البطريرك القسطنطيني ميخائيل كيرولاريوس بذلك اوعز الى لاون اسقف اوخريدة (البلغار) ان يضع رسالة يبين فيها زيغ اللاتين في ما احدثوه فكتب رسالة (١٠٥٣) ندد فيها ببعض احداثات الغربيين كالفطير واكل الخنوق وسواها ولا سيما قضية الانبثاق وارسلت الرسالة الى يوحنا رئيس اساقفة ابوليا فاطلع عليها الكردينال همبرت وترجمها للبابا فثار ثائره وكتب لكل من القيصر قسطنطين مونوماخ والبطريرك ميخائيل رسالة موعبة روح عجب وصلف فالقيصر لاسباب سياسية لم يقابل رسالة البابا بالمثل بل طلب ارسال نواب لازالة اسباب الخلاف لكن النواب الذين ارسلهم وفي مقدمتهم همبرت لم يكونوا من انصار السلم، فزاد الخرق بوجودهم اتساعاً، فان همبرت بمساعدة القيصر اصدر تكذيباً لرسالة لاون البلغاري واجبر نيكيتاستيثات ان يحرق موقفه ضد اللاتين واذ لم يتسن لهم اخضاع البطريرك لنفوذهم كتبوا ورقة حرموا فيها البطريرك وسائر الشرقيين ووضعوها خلسة على المائدة والقداس قائم (١٦ تموز سنة ١٠٥٤) فلما درى الارثوذكس بما جرى عيل صبرهم فعقدوا مجمعاً في القسطنطينية حكموا فيه على القصاد ومنعوا ذكر اسم البابا في جميع كنائس الشرق فصدق الشرقيون على قرار المجمع القسطنطيني كما ايد البابا عمل نوابه وبذلك انقطعت كل علاقة بين الشرق والغرب. وكانت ابرشيات الشرق (بحسب تقاويم قديمة وضعت للدور الثالث) تناهز الف ابرشية منها للكرسي القسطنطيني ٥٩٢ وللاسكندري ١٤٩ وللانطاكي ١٦٦ وللاورشليمي ٩٥

الفصل الثالث

المعارف الروحية

ان حرب الايقونات التي استمرت نحو قرن ونيف (٧٢٦–٨٤٢) صدمت المعارف الروحية صدمة عنيفة اذ خربت اديرة كثيرة واحترقت عدة مكاتب واقفلت مدارس عديدة و كثيرون ممن خدموا الفنون والعلوم اهلكوا . لكن ذلك لم يقض على المعارف القضاء المبرم . فان روح العلم التي استدامت في تلك المدة عادة فانتعشت في القرن التاسع وحصلت نهضة روحية كبيرة في ايام الملوك ميخائيل الثالث (٨٤٢) وباسيليوس المكدوني (٨٦٧) ولاون الحكيم (٨٨٦) وقسطنطين السابع (٩١٢–٩٥٩) هولاء كلهم ولا سيما الاخير منهم اظهروا اهتماماً جزيلا بالعلم والتعليم فحصل انتباه عظيم في الافكار وسعي لتحصيل ما سبق وضعه من المعارف او تلخيصه وبسطه ، ولا يعيب لاهوتيي هذا الدور سوى عدم استقلالهم في البحث فان اكثرهم مقلدون لا مولدون ومن اهم نوابغ الشرقيين في هذه الحقبة من نذكرهم في ما يلي :

١) يوحنا الدمشقي (٦٧٦–٧٦٠) ولد في دمشق واخذ آدابه عن قزما الراهب الاسير . وبعد وفاة ابيه سرجيوس تعين مستشارا للخليفة الاموي الوليد (٧٠٥–٧١٥) لكنه رغب عن الدنيويات وتنسك في دير القديس سابا على اثر تهمة سياسية وجهت اليه فكرس حياته للاعمال الروحية وظهر اعظم مدافع عن الايقونات

واول منظم لعلم اللاهوت وقد ترك من آثاره القلمية اسفارا شتى اهمها كتابه المسمى «معين المعرفة» في ثلاثة اجزاء لا يزال حتى الان خير انموذج للاهوتيين والمدرسين

٢) ثيودرس ابو قره (١) — هو تلميذ الدمشقي نبغ في اواسط القرن الثامن ورقي الى اسقفية قارا سنة ٧٧٠ كان ضليعاً في اللاهوت والفلسفة ومتمكناً من اللغتين اليونانية والعربية. وقد خلف عدة مولفات عن الاسرائيلية والاسلامية والنسطورية والمونوفيزيتية وغيرها بلغت بحسب احصاء الاب مين ٤٣ تاليفاً

٣) ثيوفانس المورخ — هو احد مورخي اليونان الثقات ولد من اسرة ذات ثروة ومات ابوه وهو صغير فربته والدته ثم زوجته وهو ابن ١٢ سنة فكان ذلك مدعاة لانصراف ذهنه عن العالم خلافاً للمنتظر وبعد ثلاث سنوات ترهبت زوجته وانضوى هو الى احد اديرة الاناضول حيث اشتهر بالزهد والفضل واستلم رئاسة الدير خلفاً لرئيسه المتوفى واذ انتظم في سلك مقاومي لاون الارمني دفاعاً عن الايقونات سجنه مدة سنتين ثم نفاه فادركته

(١) وفي عصر ابي قرة تقريباً او قبيله اشتهر بولس الانطاكي الذي ترهب ثم صار اسقفاً على صيدا ووضع عدة مقالات في شرح التثليث والتجسد ولدينا من تاليفه كتاب مخطوط باللغة العربية يحتوي ٢٢ فصلا في مواضيع عديدة مهمة

المنية نحو سنة ٨١٨

من اهم اثاره القلمية تاريخه الذي ذيل به تاريخ جرجس سنجلوس معاصره وكان هذا قد بدأ بوضع تاريخ من آدم الى عصره فادركه الموت حينما وصل الى ايام ديوكليتان فاتمه تيوفانس الى السنة الثانية من ملك ميخائيل كوروبلاط وهي مدة ٥٢٨ سنة وقد شهد العلماء لهذا التاريخ بصدق الرواية والامانة في النقل وهو من الكتب ذات الاهمية التاريخية

٤) فوتيوس العظيم (٨١٥–٨٩١) — ولد من اسرة شريفة وانكب على الدرس منذ حداثته فسبق اقرانه وترقى حتى حصل وظيفة رأس الكتاب في البلاط الامبراطوري وقيل فيه « ان الطبيعة لم تجد بمثله من زمن طويل » وقد قضى حياة مملوءة بالفوائد العلمية والدينية منها ١٥ سنة في خدمة البيعة . واحسن ما خلفه « مكتبته » التي ينتقد فيها ٢٨٠ مولفاً انتقادات محكمة و « ناموسه » الذي جمع فيه القوانين الكنسية بحسب مواضيعها و « تاريخه » الذي شرح فيه حالة البولسيين في اربعة اجزاء (ورده على اللاتين) الذي يؤيد فيه الرأي الارثوذكسي بانبثاق الروح بادلة كتابية وابوية

٥) سمعان المترجم — ولد من اسرة غنية في القسطنطينية وترقى في المناصب العالمية حتى نال مركز الكاتب الاول عند لاون الحكيم (٨٨٦–٩١١) ونال رتبة الاوغوثيت العظيم في ايام ابنه قسطنطين البرفروجنيت وبايعاز هذا الملك وضع مولفه الكبير

«تراجم القديسين» الذي لقب لاجله «بالمترجم» والمحققون يرون ان ليس هـذا المولف برمته من وضعه . وانما وضع منه ١٢٢ ترجمة والباقي وهو ٥٥٩ ترجمة من وضع سواه اقدم منه ولكنه نقح هذه التراجم وهذب عبارتها وله عدا هذا التاليف المهم ٢٤ خطبة وبعض رسائل وافاشين وفذلكة قانونية

٦) ايكومينوس تريكي — عاش في القرن العاشر وكان اسقفاً على تريكي (في تساليا) واشتهر بتفسيره اعمـال الرسل ورسائل بولس والرؤيا . وتفاسيره فيها استقلال فكري يدل على خبرته الكتابية وتحرياته الدقيقه

٧) سمعان اللاهوتي الحديث — عاش في اواخر القرن العاشر واوائل الحادي عشر . ترهب في دير سطوديت ثم صار رئيساً لدير القديس ماما في القسطنطينيه . وقد امتاز بانه واعظ لاهوتي وترك في اللاهوت العملي ما يزيد على مئة مقالة وفي اللاهوت النظري ٢٥ فصلا وعدا ذلك له ٣٣ مقالة في الايمان وكتاب في عشق الالهيات استحق لاجله لقب اللاهوتي الحديث

٨) سعيد ابن بطريق — هو مصري الوطن عربي اللغه ابن احـد البطارقة ولد سنه ٨٧٧ وصار بطريركا للاسكندريه ٩٣٢ وتوفي سنه ٩٤٠ واشتهر بعلمي الطب والتـاريخ في عصره وله مولف تاريخي باللغة العربيه تضمن تاريخ العـالم من الخليقه الى ايامه كتبه الى اخ له اسمه عيسى تداولته الايدي كثيرا حتى انه

ليتعذر الاعتماد على ارقامه لما اصابها من هفوات النساخ

٩) نيكيتا ستيثات (الصدري) — هو تلميذ سمعان اللاهوتي الحديث . كان راهباً لدير سطوديت في النصف الاول من القرن الحادي عشر . واشتهر بمناضلته عن الارثوذكسيه وقد ترك ١٥ مقالة في ستة ايام الخليقه ونحو ٣٠٠ مقالة في مواضيع عمليه وعدا ما كتبه عن محدثات اللاتين له قانون لعيد القديس نيقولاوس واشعار منظومه

١٠) ميخائيل بسيلوس — الذي يسميه زوناراس وكدرينوس امام الفلاسفة وينعته موسهيم (القليل المدح الكثير الانتقاد) بالعالم الشهير نظم نشيد الانشاد قصيدة واحدة باليونانية وعلق عليها حواشي جمعها من مولفات غريغوريوس النيسي ونيلوس ومكسيموس والف كتاباً في المجامع السبعة المسكونية وله عدا ما ذكر مولفات كثيرة ذات قيمة بعضها نشر مطبوعاً وبعضها لم ينشر

١١) ميخائيل كيرولاريوس — قسطنطيني الوطن سليل اسرة شريفة حصل حظاً وافرا من العلوم واشتهر بحدة ذهنه وصلابة رايه الامر الذي يغلب في ذوي النفوس الكبيرة والمطامح العالية. وفي زمن شبابه اشترك في مواءرة ضد القيصر ميخائيل البفلاغوني فسجن واكره على الرهبنة (١٠٣٥) فانصرف عن السياسة الى الدين لدرجة ظهر فيها نبوغه العقلي في الروحيات وترقى في الدرجات الاكليريكيه . فلما خلا الكرسي القسطنطيني من البطريرك رشح

كيرولاريوس له فشرطن في ٢٥ اذار (١٠٤٣) . وقد اشتهر بوقوفه ضد المستحدثات الغربية وترك عدا ما كتبه عن اللاتين عدة عظات ورسائل

١٢) بطرس الانطاكي – ومن الجديرين بالذكر في هذه الحقبة البطريرك بطرس الثالث الانطاكي (١٠٥١–١٠٦٢) ذو الروح السلمية الذي كتب عدة رسائل لاساقفة الغرب والشرق للحيلولة دون الانقسام الذي حصل فلم يفلح ولكنه ترك ما كتبه انموذجاً لمحبي السلام المسيحي (١)

المعارف الروحية في الغرب

اما في الغرب فقد سقطت المعارف في ايطاليا بسبب توالي هجمات البرابرة عليها . ولكن فرنسا وجرمانيا وانكلترا حلت محلها وهذه الاخيرة تفوقت على سائر الاصقاع الاوربية لبعدها عن مواقف الخطر واكثر نوابغ الغرب في هذا الدور ظهروا من انكلترا او تحت تاثير النابغين من رجالها ومرجع الفضل باحياء المعارف في اواسط اوربا يعود لكارلوس العظيم (٧٦٩–٨١٤) الذي اسس امبراطورية ضخمة على انقاض المملكة الرومانيه واذ كان مغرماً

(١) ومن نوابغ كتاب هذه الحقبة الشماس عبدالله بن الفضل الانطاكي الذي اغنى اللغة العربية في عصره بكثرة ما عربه عن اللغتين اليونانية والسريانية عدا عما انشأه بذاته مما لو حفظ لكان مكتبة مستقلة . وكان نبوغ هذا العلامة في اواسط القرن الحادي عشر

في العلوم استقدم اليه علماء كثيرين من انكلترا وسواها وانشأ عدة مدارس بجانب الاديرة والكنائس الكاتدرائية وقد حذا حذوه في اواسط اوربا لويس الحكيم (٨١٤–٨٤٠) وكارلوس الاصلع (٨٤٠–٨٧٧) . اما غربي اوربا فانه مدين بتعزيز معارفه في الدرجة الاولى لالفرد الكبير (٨٧١–٩٠١) ويأتي بعده اتلستان (٩٢٥–٩٤١) وادرد (٩٤٦–٩٥٥) وادغر محب السلام (٩٥٩–٩٧٥) وادورد الشهيد (٩٧٥–٩٧٩) وادوارد المعترف (١٠٤١–١٠٦٦) . وهذه خلاصة عن اهم نوابغ الغرب في هذا الدور

١) بيدا المحترم (٦٧٢–٧٣٥) ولد في مونكتون وتلقى معارفه الاولية في دير فرموت . ثم سيم شماساً (٦٩١) وقساً (٧٠٢) ومن هذا الوقت ظهرت مواهبه العقلية وطارت شهرته العلمية حتى قيل فيه انه «دائرة معارف حية» واهم مكتوباته تاريخه الكنسي المنقى من خرافات تلك العصور

٢) بولس الشماس اللومباردي – ويدعى ايضاً فرنغريد كان شماساً في اكويليا وكاتباً عند ديسيداريوس ملك لومبارديا الاخير فلما اجتاح كارلوس الكبير لومبارديا اسره مع من اسر (٧٧٤) ثم اكرم مثواه واعزه ولكنه ارتاب فيه اخيراً فنفاه الى جزيرة ديوميدا ففر منها واعتزل العالم في دير وتوفي (٧٩٠) من اهم ما كتبه تاريخ الرومانيين وتاريخ اللومبارديين وتاريخ اساقفة متز وتراجم بعض القديسين

٣) الكوين الانجلوسكسوني (٧٣٥-٨٠٤) ولد في يورکي وتفقه في مدرسة تيودور الكنتربري وبيدا المحترم وقد استدعاه كارلوس العظيم الى اواسط اوربا حيث تولى بذاته الاشراف على المعارف فيها . وهو وان كان دون بيدا المحترم في خبرته اللاهوتية؛ لكنه يماثله بنشاطه . وقد فسر الكتاب المقدس استنادا الى معلومات اقتبسها عن اوغسطين والذيالوغوس وبيدا ووضع ثلاثة اجزاء عن الثالوث الاقدس حاول فيها اثبات الحقائق الايمانية بالمبادي المنطقية العقلية

٤) بفلينوس الاكويلي - ارتقى الى كرسي اكويليا (٧٧٤) وتوفي سنة (٨٠٤) وهو رفيق الكوين في تعزيز المعارف الروحية في اوربا . قد الف في كل فن معروف في عصره وتدل كتابته على انه حاصل على قسط وافر من الذكاء وهو اول من تجاسر من اساقفة ايطاليا على التعليم بان الروح القدس منبثق من الاب والابن في مولفه عن الثالوث الاقدس

٥) كارلوس الكبير - يحصيه الغربيون بين كتاب هذه الحقبة وينسبون اليه تاليف الكابيتولاريا ورسائل عديدة واربعة كتب في التماثيل غير ان المحققين يرتابون في صحة هذه النسبة ويظنون انه استخدم عدة مرات قلم غيره وذكاءه . لكن لا شبهة في ان هذا الملك العظيم كان ذا شغف عظيم بالعلوم ولا ينكر عليه تحصيله حظاً كبيرا منها

٦) رافانوس مافروس الجرماني – من كتاب الغرب المشاهير في القرن التاسع صار اسقفاً على منتز وكان المعلم العام لفرنسا وجرمانيا قالوا انه لم يماثله احد من اهل هذا القرن بذكائه وسعة علمه وكثرة تآليفه وظلت كتبه مرجع علماء اللاتين مدى اربعة قرون ومن اهم مولفاته تعليقاته على الكتاب المقدس برمته

٧) انستاس حافظ المكتبة – كان كاهناً في رومية وناظرا على المكتبة الرومانية في النصف الثاني من القرن التاسع فعاصر الباباوات نقولا الاول وادريانوس الثاني ويوحنا الثامن الى استفانوس الخامس (+ ٨٩١) وكان يجيد اللغتين اليونانية واللاتينية فالف تراجم احبار رومية من بطرس الرسول الى نقولا الاول وتراجم بعض القديسين والشهداء وينسب اليه تاريخ كنسي استخرجه من تآليف تيوفان وجيورجيوس سنجلوس وترجمة اعمال بعض المجامع الى اللاتينية

٨) يوحنا سكوت – صديق الملك كارلوس الاصلع . هذا قرن الفلسفة باللاهوت وحصل شهرة عظيمة بسعة مداركه ودقة مباحثه سواء كان فيما الفه ام في ما ترجمه من اليونانية الى اللاتينية

٩) هنكمار اسقف ريمس – رجل يستحق مكانة عالية بين كتاب اللاتين في القرن التاسع وكتاباته تدل على انه ذو مقدرة عقلية ممتازة وكان ذا استقلال فكري وصراحة لكنه كان ذا حدة وفيه شيء من العجب

١٠) سلبسترس الثاني – عالم كبير من علماء الغرب ذو جرأة ادبية وصراحة كان اسمه قبل البابوية جربرت وقد اقيم رئيس اساقفة على ريمس (٩٩١) بدلا من ارنولف . ثم تحاملت السياسة عليه فازلته عن الكرسي واعادة نده اليه (٩٩٦) ثم انتخب جربرت رئيس اساقفة لرافينا (٩٩٨) ولما توفي غريغوريوس الخامس ارتقى هو بايعاز القيصر الى السدة البابوية (٩٩٩) وسمي سلبسترس (١) الثاني وظل فيها الى (١٠٠٣) وهو اول من حرك احساسات الغرب نحو مسيحيي الشرق واعظم من كتب ضد السيمونيا واستبداد الاساقفة ويعتبر احسن كتاب اللاتين في عصره وقد كان متفوقاً على معاصريه في اللاهوت والطبيعيات والفلك والتربية ومعرفة اللغة العربية

١١) بطرس داميان (٩٨٨–١٠٧٢) احد مشاهير الآباء اللاتين ولد في رافنا واخذ العلم عن اخيه ثم ترهب وهو فتى وصار رئيس دير فونت افيلانا (١٠٤٢) وترقى في الدرجات الكهنوتية حتى سامه البابا استفانوس التاسع اسقفاً على اوستيا (١٠٥٧–١٠٥٨) ورفعه الى مقام الكرادلة . ومن آثاره القلمية ثلاثة مجلدات في الاول رسائله وفي الثاني خطبه وتراجم القديسين وفي الثالث ٦٠ مقالة في مواضيع متعددة

(١) جرت العادة بتغيير الاسم حين الترقي الى البابوية منذ سنة ٩٥٦ حينما تسنم السدة البابوية اكتاف بن البريك وسمي يوحنا الثاني عشر

١٢) همبرت الكردينال — ونختم الكلام في هذا الفصل بذكر همبرت الكردينال الذي يعتبره اللاتين اعلم علمائهم في هذا الدور ولكنه استخدم ذكاءه (واسوء الحظ) لفصل الغرب عن الشرق بما استعمله من الكتابات المرة والردود القاسية التي تركت اثارا سيئة في نفوس الشرقيين لم يبق معها لتضميد الجرح العميق سبيل

الفصل الرابع

الادارة والعبادة والتهذيب

١) الادارة الكنسية

الكنيسة والحكومة — بالرغم عن استقلال كل من الادارتين المدنية والروحية احداهما عن الاخرى . فقد تدخل القياصرة في هذا الدور في بعض الشؤون الكنسية . ومكنهم من ذلك تضلع بعض القياصرة من العلوم اللاهوتية . واشهر مداخلاتهم كانت في زمن محاربة الايقونات وفي زمن الانشقاق . بحيث كان القياصرة يرقون الى المقام البطريركي و ينزلون منه من يشاؤون . غير ان البطريرك بوليفكتوس حال دون استمرار ذلك اذ ابى ان يتوج يوحنا جيمسكي (٩٦٩) قبل ان ينال منه وعداً ملوكياً بعدم تدخل القياصرة في الشوون الروحية . وقد اعترفت الحكومة بسلطة المحاكم الكنسية و بحق اشراف الاساقفة على الاوقاف والتصرف بوارداتها واعفت الاكليريكيين من الضرائب ومنحتهم حق المحاماة عن المظلومين اما في الغرب فاستاثر الملوك بتنصيب الاساقفة في القرن العاشر بتسليمهم الخاتم او عصا الرعاية

الوظائف الكنسية — و بسبب العلاقات الكثيرة بين الكنيسة والمملكة والهيئة الاجتماعية . احدثت عدة وظائف وهي :

١) ايكونوموس اي مدير البيت او وكيل الخرج واجباته ادارة الواردات والصادرات الكنسية

٢) ساكيلاريوس (ولي المعبد) واجباته ادارة شؤون الاديرة ومراقبة آداب الرهبان

٣) سكيفوفيلاكس (حافظ الاواني) واجباته المحافظة على الاواني المقدسة

٤) خارتوفيلاكس (حافظ الاوراق) واجباته تسجيل العقود والخطب واعطاء القرارات بشأن الدعاوي الاسقفية اذا كان الاسقف غائباً

٥) ساكيلي (متولي) يراقب الدخل الكنسي وسلوك الرهبان

٦) نوتاريون (كاتب) واجباته كتابة المناشير والرسائل الاسقفية

٧) برديوت (متجول) واجباته تفقد كنائس القرى واصلاح الخلل

٨) ايكذيكوس (محام) واجباته المدافعة عن الحقوق الكنسية لدى المجالس المدنية

وقد احدث بعض هذه الوظائف في الدور السابق واتسع نطاقها في هذا الدور كما ان وظائف غير هذه الغيت بسبب سوء الاستعمال الذي حدث فيها. من ذلك «رئيس المعاهد الخيرية» ولجان البارافولان والكوبيات، الاولى لتفقد المرضى والثانية لدفن الموتى. هذه الغيت كلها بامر الحكومة. لان كثيرين انتظموا فيها لاجل التخلص من الضرائب والواجبات المدنية

طموح البابارات الى الرئاسة العامة — مما قدمناه يفهم ان الكنيسة ميزت خمسة مراكز وجعلت اصحابها مرجع الامور الهامة في البيعة كل في المنطقة التي تخصه وفي وقت الاجتماع اعطت المركز الاول لاسقف رومية لانها العاصمة الاولى. والثاني لاسقف القسطنطينية لانها العاصمة الثانية. ويتلوهما الاسكندرية فانطاكية فاورشليم، على ان هذا التفاوت مدني لا روحي والاولية انما كانت

اكرامية لا رئاسية لان الكل متساوون في السلطة . لكن بعض الباباوات في هذا الدور اخذوا يطمحون بابصارهم الى الرئاسة العامة متخذين اولية المنصب واهمية رومية السياسية ذريعة لبغيتهم وظهرت هذه الفكرة شيئاً فشيئاً وساعد على نموها اشتهار بعض اساقفة رومية بالفضل والعلم كيوليوس مقاوم الاريوسيه الذي احتراماً لمقامه طلب الغربيون في مجمع سرديكي (٣٤٧) حق استئناف الدعاوي اليه ، ولاون الكبير الذي نظرا لقداسته خوله الامبراطور فالنتيان الثالث (٤٤٥) زعامة كنائس الغرب كافة . على ان الكنيسة ايقافاً لتيار هذه المطامع صرحت في قوانين المجامع المسكونيه (١ : ٧ و ٢ : ٣ و ٤ : ٢٨) بمساواة اسقف روميه للاساقفة الممتازين ، لكن الباباوات حولوا التقدم الاكرامي الى تقدم رئاسي ، فلما اعطي لقب مسكوني (٥٨٧) لبطريرك القسطنطيني يوحنا الصوام سعوا حتى اعطاهم الامبراطور فوقا لغرض سياسي لقب راس الكنيسة (٦٠٦) ثم بسبب ظروف سياسية نالوا من بيبين مقاطعة روميه كملك زمني (٧٥٥) فاصبحت من ذلك الحين سلطتهم مزدوجة دينية وسياسية ومع ان بعض كنائس الغرب (كقرطجنه) حفظت استقلالها مدة لكن تاثير عاداتهم باستفتاء الحبر الروماني في كل مشكل ديني حرمهم استقلالهم

وفي ايام البابا نقولا الاول (٨٥٨ — ٨٦٧) المعروف بصلابة

الراي وقوة الفكر ظهرت اهمية المركز الباباوي فان البابا المذكور اضطر لوثير الثاني ان يرجع زوجته ' فيتبرغه ' (٨٦٥) بعد ان كان قد هجرها وساكن فالدارده خليلته بممالاة مجمعي آخين (٨٦٢) وميتس (٨٦٣) ورد الاسقف روتاد الى كرسيه (٨٦٤) رغماً عن هنكمار رئيس اساقفة ريمس الذي كان قد اسقطه بمجمع صواصون (٨٦١) ففوز هذا البابا في حادثتين لهما اهمية كبرى في التاريخ الكنسي جعله في منزلة محترمة جدا في اعين الغربيين

وسعى البابا ادريانوس الثاني (٨٦٧ – ٨٧٢) لاخضاع الملوك للسلطه الباباويه سياسياً فلم يفلح ولكن الظروف ساعدت خلفه يوحنا الثامن (٨٧٢ – ٨٨٢) اذ اضطر كارلوس الاصلع ملك فرنسا الذي اختلس العرش الجرماني (٨٧٥) ان يقبل التاج من يوحنا الثامن ولم يعارضه لما اعلن ان منح تاج الامبراطورية متعلق بالبابا وحده وهذا معظم ما بلغته الباباوية ولكن الباباوات الذين تلوا هذا البابا لم يكونوا كما ترغب الباباوية فاضاعوا اهمية المركز عملياً وان بقيت اهميته نظرياً

النظام الكنسي – وفي هذا الدور سنت الكنيسة ايضاً عدة قوانين لاجل النظام الكنسي . منها قوانين المجمع السابع المسكوني والمجمعين المنعقدين في زمن فوتيوس وقوانين ورسائل البطاركة نيكيفوروس وطاراسيوس ونيقولاوس ميستيكوس وسيسينيوس واليكسيوس وكيرولاريوس الخ واوامر الملوك باسيليوس المكدوني ولاون الحكيم وقد اضيف كل ما ذكر الى مجموعة القوانين التي سنت في الدور السابق . وسمح في هذا الدور للعبيد ان يدخلوا الاكليريكية اذا حررهم

سادتهم والا عروا واعيدوا الى عبوديتهم . وقصر حظر الزواج على الاساقفة فقط في الشرق بخلاف الكنيسة الغربية التي حظرته على كل الدرجات وانما حظر الزواج على الاساقفة خشية ان يتصرف اولاد الاساقفة بالاوقاف التي وكل امرها الى الاساقفة واليك اهم المواد الناموسية التي سنت منذ اواخر الدور الاول الى غاية هذا الدور وتحسب في مقدمتها القوانين الرسولية الخمسة والثمانون و باقيها فيما يلي:

اولا – المجامع المسكونية

نمرة المجمع	مكانه	تاريخه	قوانينه	عدد آبائه
الاول	نيقيه	٣٢٥	٢٠	٣١٨
الثاني	القسطنطينية	٣٨١	٧	١٥٠
الثالث	افسس	٤٣١	٨	٢٠٠
الرابع	خلكيدون	٤٥١	٣٠	٦٣٠
الخامس	القسطنطينية	٥٥٣	٠	١٦٥
السادس		٦٨٠	٠	١٧٠
البنشكتي		٦٩٢	١٠٢	٢٢٧
السابع	نيقيه	٧٨٧	٢٢	٣٦٧

ثانياً – المجامع المكانية

الاول	انقره	٣١٤	٢٥	١٨
الثاني	قيصرية الجديدة	٣١٥	١٥	١٣
الثالث	انطاكية	٣٤١	٢٥	١٠٠
الرابع	سرديكي	٣٤٧	٢٠	٣٤١
الخامس	غنغرة	بين ٣٦٢ و٣٧٠	٢١	١٥
السادس	اللاذقية	بين ٣٦٤ و٣٦٧	٦٠	٢٩
السابع	قرطجنه	٤١٩—٤٢٦	١٤١	٢١٧
الثامن	القسطنطينية	٣٩٤	١	

التاسع في الدفعتين:	٨٦١	١٧	٣١٨
العاشر اجياصوفيا:	٨٧٩	٣	٣٨٣

ثالثا — القوانين الابوية

١) ديونيسيوس الاسكندري	توفي ٢٦٤	٤
٢) غريغوريوس العجائبي	» ٢٧٠	١٢
٣) بطرس الشهيد	» ٣١١	١٥
٤) اثناسيوس الكبير	» ٣٧٣	٣
٥) باسيليوس الكبير	» ٣٧٩	٩٣
٦) تيموثاوس الاسكندري	» ٣٧٩	١٥
٧) تيوفيلوس الاسكندري	» ٣٨٥	١٤
٨) غريغوريوس اللاهوتي	» ٣٩١	١
٩) » النيسي	» ٣٩٤	٨
١٠) امفيلوخيوس الايقوني	» ٣٩٥	١
١١) كيرلس الاسكندري	» ٤٤٤	٥
١٢) جنادیوس القسطنطيني	» ٤٥٨	٢
١٣) يوحنا الصوام	» ٥٩٥	٣٥
١٤) طاراسيوس القسطنطيني	» ٨٠٦	١
١٥) نكيفوروس	» ٨٢٧	٣٧
١٦) نيقولاوس ميستيكوس	» ٩٢٥	١١

٢) الخدمة الالهية

اتمت الكنيسة في الدور الماضي تنظيم معظم الشؤون الكنسية فلم يبق لهذا الدور الا ما قل

الاعياد — فقد اضيف في هذا الدور الى اعياد والدة الاله عيد

دخولها الى الهيكل الذي تقرر في القرن الثامن ان يعيد له في ٢١ تشرين الثاني من كل سنة . كما ان اعياداً اخرى عينت لعدة قديسين نشأوا في هذا الدور او قبيله . والذين لم يعين لهم اعياد في الدور الماضي املى . الفراغ بهم في هذا الدور بحيث لم يترك يوم خالياً من تذكار لاحد رجال الله الامناء

الايقونات — واذ كانت الايقونات موضوعة في الدور السابق على الاعمدة الشرقية فقد تقرر في القرن الثامن اقامة حاجز خاص تنزل فيه الايقونات ويكون فاصلا بين الهيكل والقسم الغربي من الكنيسة وسمي هذا الحاجز ايقونسطاس او محل الايقونات

الجرس — وكان المسيحيون في الدور السابق يستدعون الى الصلاة العمومية بقرع ناقوس خشبي . فأبدل في هذا الدور بجرس كبير يبلغ صوته اقصى محلة يقطنها المسيحيون . وتم ذلك في الشرق في القرن التاسع ولكن الغربيين سبق لهم استعماله منذ القرن السابع

الاسرار — اما الاسرار فقد تمت كما في الدور السابق . غير ان المعمودية التي وجب اتمامها بثلاث تغطيسات في الماء في الكنيسة عن يد كاهن . سمح باتمامها عند الضرورة القاهرة في القفر بواسطة راهب او عامي بسيط بالرمل او بمادة اخرى ، وحصر تقديس مادة الميرون بالبطاركة ؛ واعلن المجمع السابع ان العشاء الرباني يتضمن جسد ودم المسيح باستدعاء الروح القدس . وحظر على القسوس

الرهبان قبول اعترافات التائبين . وفي الزواج تحددت درجات القرابة وحظر زواج الدرجة الرابعة

الاصوام — بلغت الصيامات في هذا الدور اربعة وهي نفس الاصوام المعروفة عندنا علاوة عن الاربعاء والجمعة اللذين تقررا في الدور الاول . وتقرر في هذا الدور الامتناع عن اكل اللحم في السبة السابقة للصوم الكبير . والصوم عن الزفرين في ثلاثة ايام بيرامون الظهور (٥ ك٢) وعيد الصليب (١٤ ايلول) وتذكار قطع هامة السابق (٢٩ آب)

الكتاب المقدس والوعظ — تعينت فصول من الكتاب المقدس لايام الاحاد هي نفس الفصول التي نتلوها الان ويقوم بالوعظ والتفسير احد الاكليريكيين بعد تلاوة الفصل الانجيلي

التراتيل — وقد اتسع نطاق النشائد الكنسية بعناية نخبة من الناظمين يحسب في مقدمتهم القديس يوحنا الدمشقي الذي وضع ايضا الالحان الثمانية ونظم على كل منها نشائد عديدة (+ ٧٦٠) وممن حذا حذوه خدنه قزما الاورشليمي صاحب التخيلات الجميلة ومطروفانس الازميري ناظم قوانين التريذيكا في القرن الثامن . واندراوس الكريتي (+ ٧٢٠) الشاعر الحقيقي ناظم قانون التوبة الكبير . وجرمانوس القسطنطيني (+ ٧٤٠) وثيودورس الاسطوديتي (+ ٨٢٦) واخوه يوسف (٨٣٣) ناظما قانون التريودي . وثيودورس الموسوم (٨٣٣) واخوه ثيوفانس (+ بعد ٨٤٢) الملقبين بالمنشئين

لانشائها ترانيم كثيرة افادت الكنيسة. وكاسياني المتوحدة ناظمة الكثير من الذيوميلات الموثرة . ولاون الحكيم (٩١٢) ناظم الايوثينات . وقسطنطين البرفيروجنيت (+ ٩٥٩) ناظم الاكسابستلاريات . ويوحنا مفروبوس ناظم خدمة الاقمار الثلاثة الذي نبغ في اواسط القرن الحادي عشر

الاحداثات الغربية — تساهلت الكنيسة الغربية في هذا الدور باشياء طقسية كثيرة منها ١) استعمال اللغة اللاتينية فانها تركت الخدم القديمة واستخدمت خدمة لاتينية للذبالوغوس ولم تعد تسمح باستعمال غير اللغة اللاتينية في العبادة وبالكاد سمح يوحنا الثامن لمثوديوس بخدمة القداس (عدا الانجيل) في السلافية

٢) الارغن — فانها ادخلت الى الكنيسة استعمال الالات الموسيقية في نصف القرن الثامن حينما اهدى كوبرونيموس البيزانطي ارغناً الى بيبين ملك فرنسا فادخل استعماله في الكنيسة كشيء نفيس .

٣) الفطير — فقد انتشرت عادة استعمال الفطير في القداس من اسبانيا في القرن الخامس وسرت الى كنائس الغرب في القرنين التاسع والعاشر وعم الغرب في نصف القرن الحادي عشر حينما صاروا يفضلونه على الخمير في اثناء مجادلاتهم الشرقيين بشانه

٤) الميرون — فقد سمح في الشرق في القرن التاسع للكهنة ان يمسحوا المعتمدين بالميرون المقدس لعدم تمكن الاساقفة من اتمام ذلك بالنظر لكثرة المعتمدين ولكن الغربيين حصروا هذا الواجب بالاساقفة وزعموا ان مسحة الكاهن غير حقيقية . ولعدم تمكن اساقفتهم من القيام بهذا السر فصلوه عن المعمودية واجلوا مسحة الاولاد المعتمدين الى السابعة او الرابعة عشرة

٥) تكميل عدة خدم معاً — ولاجل توفير الوقت صاروا يكملون عدة خدم في وقت واحد احداها جهرا والباقي سرا لاجل الحاضرين والغائبين زاعمين ان

الذبيحة غير الدموية تنفع لا المتناولين منها فقط بل الغائبين ايضاً

٣) الحياة الادبية

ان روح هذا العصر والغزوات الكثيرة التي هوجم بها المسيحيون واسباباً اخرى حطت الاداب المسيحية عن درجتها الاولى وانحصر التدين في كثيرين باتمام الرسوم الخارجية . والقياصرة انفسهم واكثر الروساء الذين كانوا يقضون ساعات عديدة في سبيل اتمام الصلوات العمومية كانوا لا يبالون باتيان اعمال منافية لروح المسيحية وهم لا يشعرون انهم ياتون منكرا (١) . فانهم كانوا بسهولة يقلعون

(١) ومن ذلك ما عمله القيصر باسيليوس (٩٧٥—١٠٢٥) الذي تحت تاثير حقده على البلغار لما كسرهم في معركة زيتونيوس (١٠١٣) كسرة لم يستطيعوا بعدها ان يلوا شعثهم ، لم تاخذه عليهم عاطفة رحمة فانه سمل اعين ١٥ الف رجل من الاسرى ولم يستثن منهم الا واحدا في المئة عفا عنه ليقود الى ٩٩ من اخوانه المنكودي الحظ مسلحين الى وطنهم . فلما وصلوا الى بلادهم وسمع ملكهم صموئيل البطل الشهير بما اصابهم سقط مغشياً عليه ومات بعد ذلك سوى ثلاثة ايام

هذه المعاملة الصارمة اوقفت البطريرك القسطنطيني سرجيوس (٩٩٩—١٠١٩) ازاء القيصر وقفة الموبخ اللائم ومنعه من الدخول الى الكنيسة فاستشاط الملك الحربي غضباً ولطم البطريرك فحرمه هذا وادى ذلك الى انقسام الشعب الى قسمين قسم تحزب للملك وقسم للبطريرك وطال النزاع حتى فض الخلاف ثيوفيلاوس البطريرك الاسكندري بحكمة فائقة . اذ اظهر لكل من الرئيسين المدني والروحي خطأه بلطف صانعاً تمثالين من شمع احدهما يمثل الملك والاخر البطريرك وامام الجمهور الغفير — المتوقع بصبر نافد ان يسمع كلمة القضاء من فم البطريرك الحكيم —

عيون خصومهم او يبترون احد اعضائهم او يشوهون وجوههم متى وجدوا الى ذلك سبيلا . كما ان الشعب اخذ يستهين بالقوانين الموضوعة فحل كثيرون الاحاد واكلوا الدم الذي حظره المجمع الرسولي وصاهروا ذوي البدع وصرفوا اوقاتهم بالشعوذة ودرس التنجيم . ولم تكن الحالة في الغرب باحسن منها في الشرق . فان تقهقر العلوم في القرن التاسع وما بعده ادى الى التراخي في العبادات التي جعل الناس الغرض منها . وفسدت الاداب بتهاون الاكليروس وقسوة العامة وانتشار السيمونيا بين الطبقتين . على ان هذا لا يعني ان صفحة هذا الدور لم يكن فيها سوى هذه النقط السود لان المسيحية لم تخل من فضائل كثيرة ظهرت في عدد كبير من ابنائها . فقد شفت اعمال كثيرين عن روح التقوى الكامنة في قلوبهم . وعن حرارة المحبة المتقدة في صدورهم . اذ اتحدت في امثال هولاء المظاهر الخارجية بالتقوى الباطنية . وقد اندفع كثيرون من الاساقفة والعامة بروح المحبة لافتداء اخوانهم بثابية

تقدم فقطع يد التمثال الملوكي ولسان التمثال البطريركي واعلن ان اليد التي ترفع على خادم الاهيات تبتر واللسان الذي يحقر مسيح الرب يجدع . فسر هذا الحكم كلا الحزبين وتصالح الزعيمان الكبيران على اثر ذلك مستغفرا كل منهما الاخر عما بدر منه ونال البطريرك الاسكندري من ذلك الوقت لقب « قاضي المسكونة» الذي ما برح يتوارثه بطاركة الاسكندرية حتى الان

وعلى اثر هذه الحادثة شعر القيصر بخطاه فصار يلبس مسحا تحت البرفير الملوكي تكفيرا عن خطاياه وعاش عيشة زاهد متقشف الى ان توفي (١٠٢٥)

الاموال الطائلة كما انهم انشأوا عددا من المياتم والمآوي ولم ينقطعو عن توزيع الصدقات عن نفوس الراقدين . وحفظ التاريخ اسماء كثيرين ممن اظهروا احسن انموذج للعفة . وفازوا بالانتصار على تجارب الشر المتنوعة . وقد ايقظ روح التقوى في الرهبنات الشرقية دير سطوديت الذي وضع له قوانينه الصارمة ثيودوروس السطوديتي (✝ ٨٢٦) ودير جبل آثوس الذي نظم رهبنته القديس اثناسيوس (✝ ٩٨٨) ونبغ من هذه الرهبنة الاخيرة بطرس البار في القرن الحادي عشر

كما ان بناديكتوس الانياني الفرنسوي (✝ ٨٢١) انعش الرهبنة البناديكتية بعد خمولها بما علقه من الحواشي على قانون بناديكتوس النورسي فنالت في نظر القوم اعتبار المتن نفسه . وقام بعده الاب برتون فاسس ديرا في كلوني (٩١٠) ادخل اليه النظام البناديكتي . وخلفه اودون فعزز النظام المذكور ونشره في الاديرة الاخرى وتوفي (٩٤٢) وفي القرن الحادي عشر ظهر رومولد الكاملدوني (٩٥٢ — ١٠٣٧) واسس الرهبنة الكاملدونية (١٠١٨) واجتهد ان يجدد الحياة النسكية الشرقية في الاصقاع الغربية

الدور الرابع

من الانشقاق العظيم الى سقوط بيزانطيه في الشرق (١٤٥٣) وظهور الاصلاح في الغرب (١٥١٧)

صفة هذا الدور

بعد الانقسام النهائي بين الشرق والغرب استقلت كل من الكنيستين الشرقية والغربية احداهما عن الاخرى فالكنيسة الشرقية اهتمت بالمحافظة على تحديدات المجامع ولم تحد عنها قيد شبر رغماً عن الضيقات الخارجية والمداخلات اللاتينية اما الكنيسة الغربية فبالعكس لانها بالانقسام تخلصت من اعتراضات الشرقيين على احداثاتها فسارت بحرية في هذا الطريق فاحدثت عقائد وطقوساً كثيرة ، بتساهل الغربيين ومحافظة الشرقيين يمتاز الدور الرابع

الكنيسة الشرقية من (١٠٥٤—١٤٥٣)

الفصل الاول — حالة الكنيسة الخارجية

تنظيم الكنيسة الروسية

في ابان انسلاخ الكنيسة الغربية عن الجامعة الارثوذكسية تمكنت المسيحية في روسيا احدى المقاطعات الاوربية فكانت خير عوض لما خسرته الكنيسة والفضل في تعزيز المسيحية في روسيا وفي تنظيم كنيستها يرجع لملكيها فلاديمير العظيم (٩٨٠—١٠١٥) و اباروسلاف الحكيم (١٠١٩—١٠٥٤)

فالاول بعد ما شعر بعجزه عن سند الوثنية وعرف ضعفها مال الى هجرها والاستمساك بديانة افضل منها فارسل وفودا (٩٨٧) لامتحان الديانات الموجودة وارشاده الى افضلها فوقعت المسيحية الارثوذكسية في نظرهم موقعاً حسناً فاعتمد فلاديمير وشعبه (٩٨٨) مقتدياً بجدته اولغا واهتم بعد ذلك بنشر المسيحية في كل الاصقاع الروسية واسس اسقفيات في امهات المدن الروسية

اما ايار وسلاف الحكيم فقد وجه عنايته نحو المعارف الروحية واسس مدارس في المدن الكبرى (كنوفغورود) ومكتبة عظيمة في كيف وامر بنسخ الاسفار الدينية او ترجمتها عن اليونانية، وفي ايامه تاسس الدير المشهور باسم «مغاير كيف» الذى صار مركزا للمعارف الروحية وتعين ايلاريون الروسي الاصل مطرانا لمدينة كيف (١٠٥١) وقد حاول اللاتين اجتذاب الروس الى مذهبهم اكثر من مرة فلم يفلحوا بل لبث هولاء امناء على الارثوذكسية وما برحوا كذلك حتى الان

تقهقر الكنيسة اليونانية

في حين امتداد الكنيسة الى الشمال اخذت تتراجع في الشرق واسباب تقهقرها ثلاثة :

١) فتوحات السلجوقيين — لم تطل مدة راحة المملكة البيزانطية بتوقف مهاجمات العرب حتى داهمتها جيوش السلجوقيين الذين افضت اليهم رئاسة العالم الاسلامي في القرن الحادي عشر فوقف

رومان ديوجين (١٠٦٧–١٠٧١) في وجههم فلم ينجح بل وقع في يدهم اسيرا في ارمينيا واستولى السلجوقيون بسرعة على اسيا الصغرى وسوريا فانسلخت ابرشيات هذه المقاطعات عن الكنيسة اليونانية بعد ان ذاق اهلوها مر العذاب

٢) الحملات الصليبية (١٠٩٥–١٢٧١) في آخر القرن الحادي عشر توقع المسيحيون نهاية لعذابهم عند ما بلغهم خبر تجهيز حملات مسيحيي الغرب لانقاذ المسيحيين مما حاق بهم غير ان الامر جاء على غير ما املوا الان الصليبيين لم يظهروا رغبة في استخلاص الاراضي المقدسة كما زعموا بمقدار ما اجتهدوا في اخضاع الكنائس الشرقية لسلطة البابا، ففي اثناء مرورهم عاملوا الارثوذكس بخشونة وجفاء وما استخلصوه من المقاطعات اقاموا عليها اكليروساً لاتينياً فوضعوا بطريركاً لاتينياً على انطاكية (١٠٩٨) وآخر على اورشليم (١٠٩٩) واضطر البطريركان يوحنا الانطاكي وسمعان الاورشليمي ان يتنحيا لهما عن ابرشيتيهما واقاموا اساقفة لاتينيين لبيت لحم وصور وقيصرية والناصرة وغيرها

واهم من كل ذلك انهم في الحملة الرابعة استولوا على القسطنطينية (١٢٠٤) واسسوا فيها مملكة لاتينية دامت ٧٥ سنة (١٢٠٤–١٢٦١) واقاموا عليها بطريركاً لاتينياً هو توما موروزين البندقي وارتكبوا من الفظائع ما تسود لذكره الوجوه وظلوا كذلك الى ان استرجع القسطنطينية ميخائيل الباليولوغوس (١٢٦١) وعادت معها البطريركية

٣) زحف العثمانيين — لم تكد تتخلص المملكة البيزانطية من مزاحمة الصليبيين حتى زحف عليها العثمانيون في اوائل القرن الرابع عشر واستولوا على اكثر اسيا الصغرى فرام اندرونيكوس الثالث ايقاف زحفهم فانكسر تحت اسوار نيقية ١٣٣٣ ووقعت هذه بايديهم ثم تقدموا الى تراكيا فافتتحوا ادرنه (١٣٦٢) وجعلوها عاصمتهم وظل السعد يخدمهم حتى استولوا على بلغاريا وصربيا ومكدونيا وتساليا وايلاذه في اواخر القرن الرابع عشر وفي نصف الخامس عشر (١٤٥٣) سقطت المملكة البيزانطيه بسقوط القسطنطينيه بيد العثمانيين

في زمن هذه الفتوحات قل عدد المسيحيين كثيرا الان بعضهم ذهبوا ضحية الحروب وبعضهم دانوا بالاسلامية وبعضهم اخذوا وهم صغار فلقنوا مع اللغة التركية الديانة الاسلامية وانتظموا في صفوف الانكشاريه

محاولة الاتحاد بين الشرق والغرب

الانشقاق العظيم وما اجراه الصليبيون مع الشرقيين اوجدا نفرة بين الكنيستين فاليونان اعتبروا اللاتين هراطقة ومضطهدين وهؤلاء اعتبروا الاولين مشاقين ومنافقين وكثيرا ما كادت تقع بين الفئتين مصادمات دموية ؛ لكن مع كل ذلك حصلت مساع لاجل الاتحاد مصدرها الباباوات وملوك بيزانطيه الاولون طمعاً بنيل الرئاسة العامة والاخيرون املا بحفظ مملكتهم من السقوط ازاء اعدائها الكثيرين بواسطة نفوذ الباباوات السياسي في اوربا.

لكن هذه المساعي (١) لم تنجح لان القائمين بها انما كانوا يبغون

(١) من اهم هذه المساعي ١٢ قبل مجمع ليون وخمسة بعده هذه اسماء القائمين بها وزمن حدوثها

١) مكاتبات البابا اوربانوس الثاني والقيصر الكسيوس (١٠٨٨)

٢) مناظرة الراهب انسلموس الغربي ونيقطا مطران نيقوميديا في كنيسة آيا صوفيا (١١٣٥)

٣) مكاتبات البابا ادريانوس الرابع وباسيليوس مطران سلانيك (١١٥٥)

٤) مفاوضات القيصر مانوئيل والبابا اسكندر الثالث (١١٦٦—١١٦٩)

٥) محاورة الاب نكتاريوس وآباء المجمع اللاتيراني (١١٧٩)

٦) مساعي البابا اينوكنديوس الثالث والقيصر الكسيوس الثالث والبطريرك يوحنا كامتير (١١٩٩)

٧) مفاوضات البابا غريغوريوس التاسع والبطريرك جرمانوس الثاني (١٢٣٢)

٨) مناظرة قصاد الحبر الروماني الاربعة مع العالمين الشرقيين ديمتري كاريكي ونيكيفوروس بليدي (١٢٣٣)

٩) مساعي ماريا زوجة بيلا الرابع ملك المجر ابنة ثيودورس لاسكاريس قيصر الروم والمناظرة التي حصلت على اثرها في نيقية (١٢٤٧) بين رسولي البابا والبلميدي

١٠) مساعي القيصر يوحنا والبابا اينوكنديوس (١٢٥٤)

١١) مساعي القيصر ميخائيل الباليولوغوس والبابا ادريانوس الرابع (١٢٦٣)

١٢) مفاوضات القيصر ميخائيل والبابا اكليمس الرابع (١٢٦٧)

المساعي التي حصلت بعد مجمع ليون

١) مساعي القيصر اندرونيكيوس (١٣٣٢— ١٣٣٩)

٢) مساعي كنداكوزينوس مع البابا اكليمس السادس (١٣٥٠)

٣) مساعي القيصر يوحنا الرابع والبابا اربانوس الخامس (١٣٦٩)

اغراضاً خصوصية تحت ستار الرغبة في الاتحاد ومن اهم هذه المساعي اثنان ليون (١٢٧٤) وفلورنسا (١٤٣٩)

اتحاد ليون — سبب هذا الاتحاد الامبراطور ميخائيل باليولوغوس الذي بعد استيلائه على القسطنطينية وطرده بلدوين وجد نفسه في مركز حرج جدا لان بلدوين استثار ضده كارلوس انجو ملك نابولي وسيسيليا؛ وتسلح البلغار لمهاجمته؛ وابى اهالي اخائيا والموره ان يخضعوا لبيزانطيه بعد انفصالهم عنها؛ والبابا حرم الجنويين حلفاءه والداخلية لم تكن مرتاحة لان الشعب نقم عليه لاختلاسه العرش من وريثه الشرعي يوحنا لاسكاريس بعد ان اعماه؛ هذا المركز الحرج جدا الذي وجد الباليولوغوس نفسه فيه جعله يلتمس نصرة البابا ويقدم له هدية الكنيسة الشرقية ففاوض بذلك الباباوات ادريان الرابع واكليمنضوس الرابع وغريغوريوس العاشر مرفقاً الرسائل بالهدايا فقبل الاخير مسعى الاتحاد مشترطا للمفاوضة ان يذعن الشرقيون لثلاثة شروط ذكر اسم البابا في القداس والاعتراف به رئيساً عاماً واستئناف الدعاوي اليه ، فابى الشرقيون قبول هذه الشروط — التي وضع لها القيصر هيئة ترضي وكتم سواها — فسجن يوحنا بيكس خارتوفيلاكس البطريركية ثم استماله اليه بالوعد والوعيد وابعد البطريرك يوسف الى الدير المعروف اليوم باسم

٤) مفاوضات البابا ارباتوس السادس والبطريرك نيلس (١٣٨٤)
٥) مساعي البابا مرتينوس والقيصر مانوئيل (١٤١٥ — ١٤٢٢)

(صولومو ناستير) واضطر سائر الارثوذكس الى السكوت بالاضطهاد العنيف ، وهكذا ارسل من قبله نواباً منهم جرمانوس البطريرك المستقيل وجيورجيوس الاكرو بوليت الى ليون ليحضروا الاجتماع الذي قرر البابا عقده لهذه الغاية فبلغوها في ٢٤ حزيران وحضروا الجلسة الرابعة للمجمع (٦ تموز) التي بحثوا فيها في وسائل الاتحاد فاذعن موفدو القيصر لمطالب البابا بدون بحث وهكذا تم الاتحاد بين رسل القيصر والبابا الذي وعدهم بمصالحة القيصر مع كارلوس انجوي . ولما عاد الوفد واخبر القيصر بما جرى سر واعلن الاتحاد بين الكنيستين فلما اطلع الارثوذكس على حقيقة ما تم وعرفوا ان الاتحاد انما هو خضوع اعمى للسدة الرومانية قاموا ضده باسرهم الاكليروس والعامة فعزل القيصر البطريرك يوسف واقام عوضه يوحنا بيكس الذي قبل الاتحاد ثم اخذ يضطهد المعارضين فنفى بعضاً وسجن بعضاً واعمى بعضاً غير مستثن اهله ولكن لااضطهادات القيصر ولا اقناعات بيكس استطاعت ان تميل اليونان الى الاتحاد فلما راى القيصر شدة نفرة الشعب من جهة وعدم انتفاعه سياسياً من جهة اخرى اهمل مسألة الاتحاد فحرمه البابا ومات (١٢٨٢) غير ماسوف عليه من احد ، فلما خلفه ابنه اندرونيكوس الثاني وقف بجانب الارثوذكسية فارجع المنفيين واطلق المسجونين وعقد مجمعاً (١٢٨٣) حكم آباؤه بضلال اللاتين في قضية الانبثاق وقطعوا المتحدين واعادوا تكريس الكنائس التي خدموا فيها ولم

تمض مدة طويلة حتى اثمر اثار الاتحاد الليوني

اتحاد فلورنسا — الدواعي السياسية التي اضطرت ملوك بيزانطيه للالتجاء الى رومية عادت بصورة اشد في القرن الخامس عشر حينما استولى العثمانيون على اهم المقاطعات اليوناقية وتهددوا العاصمة فالجأ ملكها يوحنا السادس (١٤٢٥–١٤٤٨) للنفوذ البابا وي طمعاً بان يحفظ به مملكته من السقوط ففاوض البابا اجانيوس الرابع واتفقا كلاهما على عقد مجمع مسكوني يستدعي اليه ملوك الغرب علاوة على نواب الكنيستين، وعينوا بعد مفاوضات طويلة محلاً للاجتماع مدينة فرارا (في ايطاليا) وتعهد البابا بنفقات سفر الشرقيين وانما اظهر هذه الرغبة ليقوى بالشرقيين على معارضيه المجتمعين في باسل (المانيا) فسافر الامبراطور نفسه (١٤٣٧) يرافقه البطريرك القسطنطيني يوسف الثاني ونواب البطاركة الشرقيين ورهط من اساقفة اليونان وبلغ القيصر فرارا في ٤ اذار (١٤٣٨) وبعده بثلاثة ايام وصل البطريرك والاكليروس؛ وقد ابى الشرقيون تقبيل حذاء البابا كعادة اللاتين رغماً عن تشديد البابا بطلب هذا الحق، وقد اخر البابا عقد المجمع مدة املا باشتمالة اعضاء مجمع باسل وحصلت في هذه المدة مباحثات كثيرة بين اللاتين واليونان امتاز فيها مرقس مطران افسس وبيساريون مطران نيقيه اخيرا افتتح المجمع في ٨ ت١ (١٤٣٨) واهم القضايا التي شغل بها المجمع قضية الانبثاق بحث فيها من وجهين الاول في هل تعتبر اضافتها الى

لدستور جائزة ؟ ثانياً في هل الروح ينبثق من الابن انبثاقه من الاب ؟ فاخذ اليونان الوجه السلبي واللاتين الايجابي وقضى المجتمعون الى ١٠ كانون الثاني سنة ١٤٣٩ في فرارا اجتمعوا في اثنائها ١٥ اجتماعا قصر فيها البحث على القضية الاولى اعني مسالة الزيادة في الدستور التي اجازها اللاتين واشتهر بالمدافعة عنها الكردينال يوليانوس شلزاريني ؛ورفضها اليونان واشتهر بالاحتجاج ضدها مرقس الافسوسي

ثم انتقل المجمع الى فلورانسا (١٦ك٢) بداعي ظهور الطاعون في فرارا وهنا قصروا البحث على القضيه الثانية اعني هل يجوز الاعتقاد بانبثاق الروح من الابن ؟ فاستشهد اللاتين لايجاب القضية الكتاب والاباء و برهن اليونان ان المقتبسات لا تشير الى الصدور الازلي وانما تعني الارسال الزمني. وقد طال الوقت حتى مل البابا والقيصر فاخذ البابا يضيق عليهم بالنفقات والقيصر يسهل لهم سبيل الاتفاق حتى انقاد بعضهم ووقعوا على صك الاتفاق المتضمن قضية الانبثاق ورئاسة البابا والفطير والمطهر ورفض مرقس الافسوسي التوقيع على الصك. فكان لذلك تأثير على نفس البابا لانه شعر بان الاتحاد بدون رضى مرقس لا يثبت .غير ان الباقين وافقوا على ما جرى عن كره وتصافح اليونان واللاتين علامة المسالمة والاتفاق لذلك لم يطل اجل هذا الاتحاد ولم يكد يرجع المتحدون الى القسطنطينية حتى قام الارثوذكس في وجوههم واعتبروهم كمن باعوا

ضمائرهم لاسترضاء القيصر . واجتمع في اورشليم مجمع (١٤٤٣) حرموا كل من اتبع هذا الاتحاد ؛ والامبراطور نفسه لما لم تتحقق احلامه بمساعدة البابا سياسيا فترت همته وتوفي (١٤٤٨) في ايام خلفه عقد اجتماع في القسطنطينية (١٤٥٠) حكم به على مجمع فلورنسا والمتحدين بواسطته واسقط غريغوريوس ماما البطريرك القسطنطيني لقبوله الاتحاد واحى كل اثر للاتحاد الفلورنسي بسقوط المملكة البيزانطيه (١٤٥٣)

الفصل الثاني

البدع واهم انقسامات

اهم ما ازعج الكنيسة في هذا الدور امران البدعة البوغوميلية . ومنازعة برلام وبالاماس واليك خلاصة ما يقال عنها

١) بدعة بوغوميلي

هذه البدعة انشأها رجل بلغاري طبيب اسمه باسيل وقد اخذها من مبادئ البولسيين والمصلين مع بعض تنقيحات . فهي تمتاز عن مبادئ البولسيين بان مبدأي الخير والشر فيها خاضعان للصالح الاعلى ، وعن مبادئ المصلين بتنظيمها ومحدوديتها . وخلاصة تعاليم هذه البدعة : ان ابن الله البكر المدعو عندهم سطانائيل عصى اباه فاسقطه مع الملائكة المغربين به فخلق هو العالم المنظور ووضع له الشريعة الموسوية واستعبد البشر خمسة آلاف سنة فشفق الله عليهم واصدر منه ابناً ثانياً (وهو عندهم يسوع او الكلمة) فظهر للعالم بجسم لطيف فتوهم سطائيل انه انسان مجرد يبغي مزاحمته على السيادة فاماته . لكن يسوع نهض بعظمته الالهية من موته الخيالي وكبل سطانائيل بالقيود وجرده من الاسم

الالهي (ابل) فدعي بعدئذ « الشيطان » و بعد ان صعد يسوع الى السماء واخذ مركز الابن البكر ، اصدر الاب من ذاته قوة ثانية (هي الروح القدس) لتدبير نفوس البشر وتخليصهم من الماديات وتحويلهم الى ملائكة . و بعد مايتم الغرض من ارسال الروح في اعتقاد البوغوميليين يعود يسوع والروح الى الآب الذي صدرا منه

فبسبب اعتبار البوغوميليين ذواتهم مكرسين للروح كانوا يحتقرون كل ما هو جسدي فانكروا الاسرار كلها وابطلوا رابطة الزواج (أو تشاركوا في النساء على رواية بعضهم) واكل اللحم والبياض . وقبلوا من اسفار الكتاب المقدس الزبور والانبياء والعهد الجديد كله عدا يوحنا الذي استبدلوا به سفراً ابو كريفياً نسبوه ليوحنا واقاموا لانفسهم ١٢ رسولا تراسهم باسيل رئيس الشيعة المذكورة تشبهاً بالمسيح والرسل

ظهرت هذه البدعة في اواخر القرن الحادي عشر وانتبه اليها الامبراطور الكسيوس كومنين الذي استدرج رئيسها باسيل فاظهر له كل افكاره (١١١١) ولما طلبه للمحاكمة لم ينكر شيئاً مما قاله فانعقد مجمع ثان (١١١٨) حكم فيه على تعاليم البوغوميليين . فحبس القيصر الاثني عشر رسولا منهم (الذين ارتد بعضهم فاطلق سراحهم) واحرق زعيمهم (١١١٩) لاصراره على البدعة . على ان البدعة لم تتلاش وانتقلت سرا من بلغاريا الى روسيا واشهر من قاومها البطريرك جرمانوس الثاني (١٢٢١ — ١٢٣٩)

وكلة بوغوميلي لفظة سلافية ترجمتها « حبيب الرب » اتخذها موسس البدعة لقباً له فاطلقت على شيعته

٢) منازعة برلام و بالاماس

في نحو سنة ١٣٤٠ جاء الى القسطنطينية راهب عالم كالابري الاصل يدعى برلام فمكث فيها مدة ثم برحها الى سالونيك وزار جبل آتوس حيث اتخذ من عادات النساك مادة للانتقاد . فاتهمهم ببدعة المصلين وسعى بهم الى القيصر

اندرونيكوس الثالث والبطريرك يوحنا . فدافع عن الرهبان غريغوريوس بالاماس ودفع تهمته . ولما تفاقم الخلاف انعقد مجمع لازالته (١٣٤١) وحضر برلام وبالاماس اللذان لم يقتصر بحثهما على المسئلة الاثوشية بل تجاوزها الى بحث لاهوتي وهو : المخلوق النور الذي ظهر وقت تجلي المخلص ام غير مخلوق ؟ فاثبت برلام مخلوقيته ونفاها بالاماس . حجة برلام : ان كل كائن غير الله مخلوق ، والنور غير الله ، فهو اذاً مخلوق : وحجة بالاماس انه يوجد فرق بين الجوهر الالهي (اوسيا) و بين مظهره (اينيرغيا) الممكنة مشاهدته الا ان هذا المظهر وان امكنت رويته فهو غير مخلوق لانه من خواص الاله غير المخلوق . فزعم برلام ان هذا يودي الى الاعتقاد بالهين فرده بالاماس بان انكار ذلك يودي الى تجريد العزة الالهية من خواصها اذ ان الاعتقاد بمخلوقية الخواص يستلزم عدم ازدياد الباري بها ازلياً . فاقتنع المجمع بكلام بالاماس وحكم على تعليم برلام . وهذا عدل عن رايه موقتاً لكنه بعد مدة عاد اليه وتابع نشر مبادئه وعقد تعليمه غريغوريوس اكيندينوس فعقد مجمع آخر (١٣٤١) حكم فيه على اكيندينوس ونفي . اما برلام ففر الى ايطاليا وهناك انضم الى الكنيسة اللاتينية . على ان البطريرك يوحنا كان من حزب برلام واستمال اليه حنة ام القيصر القاصر فعقدا مجمعاً (١٣٤٥) حكما فيه على بالاماس . ولكن لما استلم كنتاكوزين سياسة المملكة عقد مجمعاً (١٣٤٧) اسقط فيه البطريرك لقبوله اراء برلام . ثم عقد مجمعاً آخر (١٣٥١) حكم فيه على اراء برلام التي دافع عنها نيكيفوروس غريغوري العالم المشهور . وثبتت اراء بالاماس التي ايدها كنتاكوزين ثم نيقولا كفاسيلا . واذ لم تجد هذه المنازعة لها ملاذاً من الحكومة تلاشت لذاتها

الفصل الثالث

المعارف الروحية

تمهيد — المعارف الروحية في الدور الرابع تابعت الخطة التي كانت في القرن التاسع ونشطها على الخصوص الملوك الكومنينيون وآل باليولوغوس فاصبحت القسطنطينية وسلانيك محورا للمعارف الروحية والزمنية فنبغ كثيرون من مشاهير اللاهوتيين ومتوسطيهم الذين بكتاباتهم مسوا كل فروع اللاهوت فلخصوا القضايا العقائدية وكتبوا كلاهوتيين جدليين ردودا على اللاتين وسائر المنحرفين وعلى الاسلامية واليهودية والوثنية ايضا ووضعوا تفاسير للكتاب المقدس وشروحاً للقوانين الكنسية الخ لكن اكثر كتاب هذا الدور كانوا مؤلفين لا مصنفين اذ لم يكونوا مستقلين في افكارهم بل مقتبسين وملخصين ما وضعه اسلافهم .

﴿ مشاهير الكتاب في ايام الكومنينيين ﴾

يحسب في الدرجة الاولى من الكتاب في ايام الكومنينيين:

١) ميخائيل بسيلوس(١)(الاثغ)(+ ١١٠٦) هذا كان لاهوتياً وفيلسوفاً ومؤرخاً ورياضياً وخطيباً وطبيباً ايضاً ، نشأ في اثينا في نصف القرن الحادي عشر وعلم الفلسفة في القسطنطينية ثم صار

(١) ذكرنا بسيلوس بين كتاب الدور الثالث لانه من نوابغ القرن الحادي عشر . والاولى ذكره هنا لان نبوغه انما كان بعد الانقسام وستدرك ذلك في الطبعة الثانية ان شاء الله

عضوا في مجلس الشيوخ ثم عينه الامبراطور قسطنطين دوكا مربياً لاولاده ولكنه في ايام حكم تلميذه ميخائيل السابع ترهب (١٠٧٦) لنفرة حصلت بينهما . اشهر مولفاته اللاهوتية شرح نشيد الانشاد وفصل عن الثالوث ومقالة عن اقنوم يسوع المسيح

٢) ثيوفيلاكتوس البلغاري — هذا تولى تهذيب قسطنطين البرفيروجنيت ابن الامبراطور ميخائيل السابع ثم ارتقى الى رئاسة اسقفية اوخريده فظهر انموذجاً حيا للرعاة (+ ١١٠٧ وقيل ١١١٢) واشهر كتاباته تفسيره العهد الجديد (خلا الرويا) وبعض اسفار الانبياء الصغار متخذاً له اماماً تفاسير الذهبي الفم وله تاليف مهم في الفروق بين الكنيستين اليونانية واللاتينية يمتاز بروحه السلمي

٣) افثيميوس زيغافينوس — كان راهبا في احد اديرة القسطنطينية متعمقاً في اللاهوت والتفسير (+ بعد ١١١٨) واشتهر من مولفاته «السلاح العقائدي الكامل للايمان القويم» الذي كتبه بايعاز الامبراطور اليكسيوس الاول لدحض الهرطقات بما فيه اليهودية والاسلامية واللاتينية والبوغوميلية وقد اجاد خصوصاً في شرح البدعة الاخيرة التي ظهرت في ايامه لايراده تاريخاً مضبوطاً عنها كتبه بنزاهة واستقلال ، ومن تآليفه المشهورة تفسيره الاناجيل والزبور التي حفظ فيها كثيرا من شروحات الاقدمين من الضياع

٤) افستاثيوس السالونيكي — هذا نبغ في القرن الثاني عشر ولد في القسطنطينية وتهذب في احد اديرتها حيث ترهب ثم شرطن

شماساً لكنيسة اجيا صوفيا وذاعت شهرته العلمية حتى لقب «معلم الفصاحة العظيم» ثم ارتقى الى رئاسة اساقفة سالونيك (١١٧٥) فظهر خير مثال للفضيلة الصحيحة اذ كان تعزية المصابين وسند الضعفاء وامتاز بمبادئه العالية وصفاته الحسنة فقاوم بقلمه السيال رذيلة الرياء على الخصوص وخلف مقالات اخلاقية نفيسة جداً وفي اثناء تدريسه الفصاحة علق شروحات ذات قيمة على «هوميروس» تبرهن علو كعبه في العلم

٥) نيقولا ميتوني عاش في النصف الثاني من القرن الثاني عشر وكان اسقفا لميتوني امتاز باحباثه مساعي مفضلي الفلسفة الافلاطونية على المبادي المسيحية بكتابه «دحض مبادي بروكلس» وله عدا هذا المؤلف ردود على انحرافات اللاتين ولا سيما قضية الانبثاق

ويجب ان يحصى بين كتبة القرن الثاني عشر ثيودورس بلسامون خارتوفيلاكس كنيسة القسطنطينية الذي صار بعدئذ بطريرك انطاكيا. ويوحنا زونارس الراهب الشرقي هذان ولا سيما الاول منهما كانا فقيهين وخلفا شروحات على قوانين الرسل والمجامع المسكونية

﴿ مشاهير الكتبة في ايام الباليولوغيين ﴾

في مدة تسلط اسرة باليولوغوس كانت مواضيع الكتابة منحصرة في الانحرافات اللاتينية بسبب كثرة المساعي للاتحاد ويضاف اليها بعض المؤلفات بشأن المنازعة البرلامية.

في القرن الثالث عشر نبغ نيكيفوروس بلاميد العالم الصالح الذي فضل الحياة النسكية على الكرسي البطريركي الذي عرض عليه (١٢٥٥) وكثيرون من علماء عصره تهذبوا على يديه، وهو الشخص الوحيد الذي مع عدم رضاه عن احداثات اللاتين كان يقرب قلوب الفئتين بكتاباته السلمية حباً بمصلحة الكنيسة، وفي زمن اتحاد ليون نبغ غريغوريوس (جيوري) ماشامبار وكيل المكتبة الكبرى في القسطنطينية الذي كتب ضد اللاتين ولكن كتاباته لم تصل الينا، ومن كتبة هذا القرن قسطنطين الاكروبوليت اللوغوثيتي الكبير الذي احرقت تآليفه برضاه لما نشأ عنها من النزاع وغيرهم كثيرون لم تصل الينا اسماؤهم

ومن نوابغ القرن الرابع عشر نيلوس كفاسيلا الذي صار رئيس اساقفة سلانيك (١٣٤٠) الذي ترك لنا اسفارا عن اسباب الانشقاق وعن رئاسة البابا تدل على مقته اللاتينية. وغريغوريوس بالاماس الذي مع انه من اسرة غنية تنسك في آثوس ثم صار رئيس اساقفة لسالونيك (١٣٤٧ وقيل ١٣٤٩) واشتهر بدفاعه عن رهبنة آثوس ضد برلام الكالابري بعدة مؤلفات. وباثباته انبثاق الروح من الاب فقط في مؤلف خاص. ونيقولا كفاسيلا حفيد نيلوس المذكور اعلاه خلف بالاماس في معارضته لانيك (١٣٦٢) وخلف تفسيرا للقداس الالهي و٧ اسفار عن الحياة المسيحية وردا على الاكويني. ويوحنا كنتاكوزين الذي ترهب في آثوس (١٣٥٥)

بعد ان ساس المملكة ١٤ سنة واشتهر بدحضه الاسلامية واليهودية كما اشتهر في الموضوع الاخير ثيوفانوس رئيس اساقفة نيقيه

ومن نوابغ القرن الخامس عشر سمعان رئيس اساقفة سالونيك (✠١٤٢٩) هذا كان عالماً غيوراً وراعياً صالحاً وكاتباً حراضد أحداثات اللاتين وسائر المنحرفين ومن احسن مؤلفاته كتابه المشهور في تفسير الخدم الالهية وما يختص بها؛ ومن نوابغ هذا القرن مرقس الافسوسي المشهور بثباته في المجمع الفلورانسي ضد اللاتين؛ من اشهر مؤلفاته رسالته عن المجمع الفلورانسي ومنشور عام في الموضوع نفسه ومحاضرة في مباركة القرابين وغيرها

الفصل الرابع

الادارة والعبادة والتهذيب

١) الادارة الكنسية

الادارة البطريركية — ادارة الكنيسة في هذا الدور ظلت كالسابق محصورة بايدي البطاركة الاربعة القسطنطيني والاسكندري والانطاكي والاورشليمي غير ان مركز الاول كان على جانب عظيم من الاهمية بالنسبة الى الاخرين؛ بسبب وجوده في العاصمة، ولان بقية البطاركة صغرت ابرشياتهم لدخول بعضها في حكم المسلمين وخضوع البعض للاتين. على ان البطاركة الاخيرين لم يكونوا خاضعين للاول، بل كان مركزه كاول بين متساوين في الشرف والسلطة. ولم يكن له حق القطع بشيء من القضايا العمومية بدون رأيهم. لذلك لما حصلت مفاوضات الاتحاد بين القيصر بطاجي واللاتين (١٢٣٣) صرح البطريرك

جرمانوس القسطنطيني لنواب البابا انه لا يستطيع عمل شيء بدون راي البطاركة الشرقيين . وفي ليون بذل القيصر جهده لنيل رضى اثناسيوس الثالث الاسكندري . وفي اتحاد فلورنسا حكم البطاركة الثلاثة على متروفانس كيزيكوس (١٤٤٣) وغريغوريوس ماما (١٤٥٠) البطريركين القسطنطينيين . ولم يكن البطريرك مستبداً في ابرشيته بل كان الكل واحد من البطاركة الاربعة مجمع مكاني يعاونه في ادارة الكنائس المنضوية اليه

في الدور الرابع لم تنعقد مجامع مسكونية لان القضايا العقائدية قد سبق تحديدها في المجامع السابقة التي انما عقدت لاجلها . فلم يبق ثمة حاجة اليها . ولكن الكنائس لم تستغن عن المجامع المكانية التي اخذت لها شكلين خصوصي وعمومي ، فالخصوصي يتألف من بطريرك واساقفه ابرشية واحدة للنظر في شوون تلك الابرشية الخاصة وهذا المجمع عمله دائم . والعمومي يتألف من البطاركة الاربعة او نوابهم للنظر في شوون الكنيسة العمومية . وهذا كان عقده نادراً تخرج الحالة السياسية ومن هذا النوع مجمع اورشليم (١٤٤٣) والقسطنطينية (١٤٥٠)

مشاهير البطاركة — كان اغلب بطاركة القسطنطينية في هذا الدور سذجة هادئين حسب رغبة الامبراطرة ، الذين لم يكونوا ينظرون الى اهلية المنتخب بل الى امكانية الانتفاع منه ففضلوا الذين يتسنى لهم استخدامهم عند الحاجة . وكثيراً ما كانوا يدفعون الناس للوشاية على البطاركة القادرين ليتمكنوا من عزلهم وتعيين سواهم . هكذا يسعى الامبراطرة تسنم السدة البطريركية جرمانوس الثاني (١٢٣٢) عوض مانوئيل الفيلسوف ، وجراسيموس الاول (١٢٢٠) بدل يوحنا غليكاس ، ويسعيهم اسقط باسيليوس كاتير ونيقيطا ولاوندبوس ودوثيثاوس على التتابع في اخر القرن الثاني عشر . وارسانيوس الصالح ، ويوسف مضاد الاتحاد في القرن الثالث عشر

ولكن مع تدخل الامبراطرة في شوون بطريركية القسطنطينية وجد على

منصتها اناس جديرون بها . منهم نقولا غراماتيك (١٠٨٤ — ١١١١) العالم المحبوب . وميخائيل كراكواس (١١٤٣ — ١١٤٦) القديس الجواد والارثوذكسي الحر . وثيودوسيوس الثاني (١١٧٨ — ١١٨٣) الشريف العادل (الانطاكي الاصل) . وارسانيوس (١٢٥٥ — ١٢٦٧) الصارم الصالح . واثناسيوس المتوحد (١٢٨٩ — ١٣١١) المصلح الغيور والمهذب . ويوحنا غليكاس (١٣١٥ — ١٣٣٠) العالم العامل

ومن بطاركة الاسكندرية اشتهر نقولا الاول (نحو ١٢٠٠) الذي ناوض البابا ابنوكنديوس لاجل انقاذ مصر . ونقولا الثاني الذي دافع في المجمع القسطنطيني (١٢٦٧) عن ارسانيوس الصالح بطريركها . واثناسيوس الثالث الذي كان في القسطنطينية مديراً شؤون كنيستها وقت اتحاد ليون (١٢٧٤) وفيلوثاوس الذي حكم مع البطاركة الاخرين على الاتحاد الفلورانسي (١٤٣٩)

ومن بطاركة انطاكية ، بطرس الثالث السلمي الروح الذي عمل كثيراً على ازالة النفرة بين الشرق والغرب برسائله النقوية الى ميخائيل كيرولايوس والغربيين وثيودورس بلسامون العالم والفقيه الكنسي (توفي ١٢٠٣) وثيودوروس الصابوني الذي اشترك مع البطاركة بالحكم على الاتحاد في مجمع اورشليم (١٤٤٣)

ومن بطاركة اورشليم ، اليعازر الذي عاني الامًا شديدة لاجل الايمان المسيحي في نصف القرن الرابع عشر . ويواكيم الذي اشترك مع بطاركة الشرق بالحكم على الاتحاد الفلورانسي

الاوقاف وواردات الاكليروس — اوقاف الكنيسة قلت في هذا الدور بسبب وضع ايدي الامبراطرة على قسم منها بحجة تسديد عجز الدولة المالي . ولان الفاتحين والصليبيين سلبوا قسماً آخر منها . فلم يبق من الاوقاف ما يقوم بنفقات الاكليروس

واول من تصدى للاوقاف الكنسية نيكيفوروس فوقا في القرن العاشر . اذ وضع قانوناً حظر فيه الايقاف للكنائس بعد ما ضم لنفسه بعض ما اوقف .

وتلاه اسحق كومنين في القرن الحادي عشر فوضع يده على الاوقاف لتسديد العجز المالي . ولكن البطريرك ميخائيل كيرلاوريوس صده عن ذلك . وفي القرن الثاني عشر جدد مانوئيل كومنين قانون فوقا ونفذه بصرامة . ولم يكتف الامبراطرة بالتصرف في العقار فقط بل مدوا ايديهم الى الذخائر الكنسية فان الكسيوس كومنين اخذ اطارات الايقونات الذهبية والفضية لما استعد لحرب غوسكار . واسحق انجيلوس حول الاواني المقدسة الى مائدته وصاغ من الصلبان وفضة الاناجيل عقوداً لاهل بيته ، واهدى مع ابنه الكسي كل ثمين في الكنيسة الى الصليبيين ليردوا له العرش . وهكذا فعل الصليبيون حينما استولوا على القسطنطينية وسواها فقد اختصوا بانفسهم كل ما هو ثمين . اما سائر البطركيات فقد اضاعت كل اوقافها ما بين الصليبيين والاتراك . ولم يبق لها الا بعض الابنية التي كانت تتهدم وتنهب آونة فاخرى

لذلك اهتمت الكنيسة القسطنطينية جداً في امر معاش الاكليروس . ففرض (١٣٢٤) مال سنوي على الابرشيات لاجل مصروف البطريركية . اما سائر الاكليروس فبقي له مصدر واحد وهو الاحسانات التي ياخذونها عن الخدم الروحية هذه كانت تحفظ عند الاسكيفوفيلاكس العظيم وهو يوزعها شهريا على الاكليروس كل بحسب مركزه

٢) الخدمة الالهية

لم يحدث في هذا الدور تغيير ما في الخدمة لتشبث اليونان في المحافظة على ترتيب الاسلاف . الامر الذي لم يراعه اللاتين . فسبب ذلك النفرة الشديدة بين الطائفتين وكان من اعظم الحوائل دون الاتحاد . على ان الظروف الزمانية والمكانية اوجبت الحاق اضافات طفيفة لاتاثير لها على جوهر الخدمة الالهية وهذا انحصر في الاعياد والترانيم الكنسية

الاعياد — في آخر القرن الحادي عشر حصل نزاع بين الشرقيين في اسبق افضل من اباء الكنيسة ؟ أباسيليوس الكبير ام غريغوريوس الثيولوغوس ام

ليوحنا الذهبي الفم فانتمي لكل من الثلاثة حزب نسب الافضلية لمتبوعه . فارتأى يوحنا مفرو يوس (الذي صار مطرانا لانخائيطه في غلاطيه) وجوب وضع عيد للقديسين الثلاثة معاً لتنضم بواسطته الاحزاب المتعددة فتقرر ذلك في ايام الكسيوس كومنين (١١٠٠) وتعين يوم ٣٠ ك ٢ للاحتفال بالعيد المذكور سنويا

وفي اول آب سنة ١١٦٤ حدث حادث غريب وهو ان الملكين الارثوذكسيين مانوئيل كومنين الامبراطور البيزانطي واندراوس بوغولويسكي الامير السلافي كانا في حالة حرب اولهما مع الاتراك والثاني مع البلغار ، واذ كانت الجنود تحارب باخلاص انبثق بغتة نور من الصليب المحمول في كلا المعسكرين وانتصر الجيشان على اعدائهما في وقت واحد معاً فترتب لاجل ذلك عيد خاص يحتفل به في اول آب بتزييح الصليب الكريم ، وعدا هذين العيدين تعينت اعياد اخرى لقديسين آخرين

التراتيل — اما الترانيم الكنسية التي وضعت في هذا الدور فمن وضع القرن الحادي عشر ، قانون القديس نيقولاوس لنيكيطا ستيثات وقوانين يسوع المسيح ووالدة الاله والملاك الحارس والاقمار الثلاثة ليوحنا مفرو يوس مطران انخائيطة . وفي القرن الثاني عشر شهر تشرين الثاني الحالي لثيوكتيستوس الاسطوديتي . وفي القرن الثالث عشر البار كليمي الكبير لثيودورس لاسكاريس وتحوير بعض الاستيشيرات والطروباريات والقناديق ليوحنا كاكوزيل رئيس الخورص الامبراطوريه . وفي القرن الرابع عشر قانون الدينونة لثيوليبتوس مطران فيلادلفيا ومديح ميخائيل رئيس الملائكة ويوحنا السابق ونيقولاوس العجائبي لايسيدورس بوخيراس البطريرك القسطنطيني (١٣٤٧ — ١٣٥٠) وقوانين وطروباريات وصلوات كثيرة لفيلوثاوس البطريرك القسطنطيني المشهود (توفي ١٣٧٦) . وفي القرن الخامس عشر نظم كل من سمعان التسالونيكي ومرقس الافسوسي تراتيل كنيسة كثيرة لكنها لم تستخدم حتى الآن

٣) الحياة المسيحية

السقوط الادبي الذي ظهر في اواخر الدور السابق بلغ غايته في هذا الدور اذ سرى الى جميع الطبقات . من الملوك الى الصعاليك ومن البطاركة الى اصغر راهب . فالامبراطرة كانوا يبيعون ارثوذكسيتهم لاقل مساعدة يتوقعونها من الغرب وكثيراً ما كانوا يدوسون القوانين الادبية بشراسة . والموظفون الكبار كانوا ينهبون الخزينة ليتسنى لهم العيش ببذخ . ويقضون حياتهم ببث الدسائس وعقد المؤامرات ضد الملوك . والشعب كان مستسلماً الى الخرافات والرياء جهلاً وجبناً حتى كاد يكون لقب كذب ومراء علماً له . على ان الاستسلام للشعوذة لم يقتصر على عامة الشعب بل شمل الملوك الذين لم يكونوا يعملون شيئاً قبل استشارة المنجمين ومن هولاء اندرونيكوس كومنين واسحق انجيلوس . ولم يسلم من هذا السقوط معظم الاكليروس الذي كان يرجى ان يتخذ انموذجاً لاستقامة الراي والفضيلة فالبطاركة كانوا يشتركون بالمؤامرات ضد الملوك . والاساقفة كانوا يقضون اوقاتهم في العاصمة عوض اهتمامهم بادارة ابرشياتهم والكهنة لم يهتموا ببث الروح المسيحية في العائلات ، والرهبان اهملوا القوانين الرهبانية

على ان هذا السقوط لم يكن عمومياً اذ ظهر بين الرعاة من رفع صوته ضد هذه الحالة السيئة كاثناسيوس البطريرك القسطنطيني (١٢٨٩ — ١٣١١) وسواه ممن مر بنا ذكر بعضهم في ما سلف . وبين الشعب ظهر كثيرون من الافاضل الذين فضلوا ان ينالوا عذاباً مبرحاً (سواء كان مصدره العرب ام الترك ام اللاتين) على ان ينكروا الايمان . ونجا من هذا السقوط الرهبان السطوديتيون والاثوسيون الذين حافظوا على القوانين التي وضعها ثيودورس ستوديت وبخوميوس الكبير بالدقة التامة وظهروا مثالاً حسناً للفضيلة والتقوى

تاريخ الكنيسة الرومانية (١٠٥٤ — ١٥١٧)

الفصل الاول - الكنيسة الغربية في العالم

﴿ اولاً — انتشار المذهب اللاتيني ﴾

تبشير اللاتين في هذا الدور لم يكن بحسب الروح المسيحي فانهم اهملوا الوسائل الاقناعية واستخدموا الاكراه لتنصير الاخرين ؛ وعلى هذه الصورة انتشرت اللاتينية في اوربا واسيا وافريقيا واميركا

ففي اوربا نصروا ١) الفاندال في القرن الثاني عشر بحملات صليبية ؛ و ٢) البروسيان بقوة السلاح التي قامت بها رهبنتا الفرسان البروسية والتيوتونية في القرن الثالث عشر و ٣) اهالي ليثلاند وايسلاند و كورلاند بنار طغمة السيافين في القرن الثالث عشر و ٤) كذلك اهالي ليثوانيا بواسطة اقتران ملكهم ياغيل بولية عهد بولونيا (يادوفيكا) و ٥) بعد سقوط غرناطة (١٤٩٠) دان المسلمون واليهود الذين بقوا في اسبانيا بالمسيحية

وفي اسيا اسسوا ارساليات بين الارثوذكس والمسلمين والوثنيين فلم ينجحوا بين الاولين اما الاخيرون فقد تنصر منهم في القرن الثالث عشر بعض مغول الصين ولكنهم في نصف القرن الرابع عشر اندثروا ولم يبق منهم احد

وبعد اكتشاف اميركا وبعض مجاهل افريقيا نقل البرتوغاليون،

والاسبانيون المسيحية معهم الى البلاد التي افتتحوها وانتشرت ببطء بسبب قساوة الفاتحين فدان بالنصرانية (١٤٩١) الكنغو وملكهم وانتشر المبشرون في اميركا (١٤٩٣)

﴿ ثانياً – الباباوات وملوك الغرب ﴾

تطورت الباباوية في هذا الدور اربعة اطوار في الاولين صعود في الاخيرين هبوط واليك ملخص هذه التطورات :

١) – طور النزوع الى الاستقلال الروحي

(او الطموح الى نزع حق التولية الكنسية من السلطة المدنية)

بعد ما شمخت الباباوية في ايام نيقولاوس الاول عادت فسقطت بعده الى ان بلغ من امر سقوطها ان اصحاب الاملاك الايطاليين اصبحوا يتدخلون في الشؤون الكنسية حتى ان انتخاب الاساقفة ورؤساء الاديرة اصبح من متعلقاتهم الخاصة ؛ وفي اوائل هذا الدور في ايام هنري الثالث (✠ ١٠٥٦) انتقل هذا الحق الى الامبراطرة الذين قبضوا بيدهم الحديدية على الادارة كلها فلم يعد ينتخب البابا نفسه الا بعد مفاوضة القصر الامبراطوري . فتولدت فكرة الاستقلال الروحي في الاكليروس الغربي عن السلطة المدنية واخذت منشأها من رهبنة كلوني المتحدة ، واول من جاهر بها انما هو الكردينال ايلدبراند الذي ساس الكرسي البابوي عشرين سنة قبل حبريته ، فلما تسنم السدة (١٠٧٣) باسم غريغوريوس السابع الغى بالفعل حق التدخل المدني اذ تسلم الكرسي بدون تصديق الامبراطور

ولكنه ارسل له تبليغاً عن انتخابه للسدة البابوية ليس الا . ثم اخذ يسعى لحصر توزيع الوظائف الروحية بالكرسي البابوي ونزعها من الملاك العلمانيين فعقد مجمعاً في روميه (١٠٧٥) قرر فيه نزع حق التولية الكنسية من العلمانيين وتهدد بالقطع والفرز من يخالف القرار من الاكليروس والعلمانيين . وبلغ القرار الى هنري الرابع امبراطور جرمانيا فلما لم ينفذه هذا بالحرف طلبه البابا ليحاكم، فاستكبر هنري ذلك وعقد مجمعاً في ورمس (١٠٧٦) عزل به غريغوريوس فعقد هذا ايضا مجمعاً في روميه حرم هنري وحل الشعب من يمين الطاعة له. فاثر ذلك على هنري واضطره ان يلتمس الصفح من البابا وان يقف ثلاثة ايام بلياليها حافياً صائماً امام قصره فسامحه البابا لكنه لم يصالحه مع امراء جرمانيا الذين انتخبوا امبراطورا عوضه رودلف السوابي واعترف به البابا ، فلما راى هنري عدم انتفاعه من تذليل نفسه شهر الحرب على مزاحمه وعلى البابا نفسه فجمع الاساقفة محازبيه في ماين وبريكسين (١٠٨٠) واسقط غريغوريوس وانتخب بدله اكليمنضوس الثالث، وخدم الحظ هنري اذ قتل رودلف السوابي في احدى المعارك ، واستولى هو على رومية (١٠٨٤) واجلس اكليمنضوس على السدة البطرسية بعد ان اختفى غريغوريوس

وخلف غريغوريوس الذي توفي في سالرنا (١٠٨٥) ثلاثة باباوات بالتعاقب (فكتور الثالث واوربان الثاني وباسكال الثاني) سعوا

نفس سعيه لانهم تلاميذه. فاشتد النزاع بينهم وبين السلطة المدنية مع الامبراطور هنري الخامس واخيرا تم الاتفاق على ان يسلم البابا الخاتم والعصا لكل من انتخب كرنيس روحي والامبراطور يسلمهم الاقطاعات ويحلفهم يمين الطاعة للسلطة الملوكية وهكذا انتهى هذا النزاع بعد ان دام خمسين سنة (١٠٧٣-١١٢٢)

٢) - طور الطموح الى السلطة الزمنية

(او مخاصمة الباباوات مع الامبراطرة الهوهنستوفيين لنيل السيادة العليا)

بعد ان نال الباباوات الاستقلال الكنسي واصبحت التولية الكنسية من شؤونهم الخاصة طمحوا ابابصارهم الى السلطة الزمنية واول من جاهر بهذه الفكرة اينو كنديوس الثاني الذي صرح ان القياصرة انما ينالون سلطانهم من الباباوات وعزز فكرته ادريانوس الرابع برسالة خصوصية بعث بها الى فريدريك الاول بربروس (١١٥٢-١١٩٠) ثم اشتد النزاع بين اسرة هوهنستوفين والباباوات من ذلك الحين الى مدة قرن كامل (وسببه ان ادريان طلب من فريدريك ان يتمم تجاهه وظيفة السائس يعني ان يمسك ركاب البابا حين يركب او يترجل) وادى ذلك الى وجود اكثر من بابا في وقت واحد لكن الاضطرابات السياسية غلت ايدي القياصرة فاضطروا ان يذعنوا لارادة الباباوات القاهرة ويسلموا لمطالبهم ولا سيما حينما تسنم السدة البابوية اينو كنديوس الثالث السياسي

الحاذق الذي اضطر ملوك اوربا ان ينقادوا له طوعاً او كرهاً. فوضع يده على سيسيليا بصفته وصي فردريك الصغير ابن قسطانسيا واغتنم فرصة النزاع بين فيليب السوابي واوثون السكسوني فاستولى على مقاطعة ايطالية تعرف حتى الان باسم ولايات الكنيسة، واجبر ملك فرنسا فيليب اغستين ان يرد قرينته اينكيبورغ المرفوضة منه (١٢٠١) واجبر الفونس التاسع ملك لاون (اسبانيا) ان ينفصل عن ابنة اخته التي كان قد اقترن بها واضطر سانتشو الاول ملك البرتوغال ان يدفع الغرامة للكرسي البابوي بعد ان رفض دفعها لاسكندر الثالث سلفه واضطر يوحنا بيزيميل ملك انكلترا ان يمتثل لارادته ويقبل قاصده بعد ان رفضه (١٢٠٧) وان يدفع له غرامة سنوية الف ليرة انكليزية كل سنة، وختم اعماله الكبرى بالمجمع اللاتيراني (١٢١٥) وفي ايامه بلغت البابارية ذروة مجدها

فلما توفي (١٢١٦) عادت المنازعة بين الامبراطرة والباباوات لان فريدريك الثاني بعد ان تخلص من وصاية اينو كنديوس اخذ يهتم باعادة سلطته على ايطاليا؛ فقاومه الباباوات ولا سيما غريغوريوس التاسع الخلف الثاني لاينو كنديوس؛ واحتدم النضال بينهما حتى ان البابا حرم فريدريك، وهذا ضيق عليه حتى اماته قهراً (١٢٤١) وعقيب ذلك بقي الكرسي نحو سنتين بدون بابا؛ فلما استلم السدة اينو كنديوس الرابع تابع محاربة الامبراطور من فرنسا اذ عقد مجمعاً في ليون (١٢٤٥) حرم فيه فريدريك كهرطوقي

واعلن حرمانه من التاج ، وفي ابان هذه المنازعات توفي فريدريك (١٢٥٠) بعد ان اضر بالباباوية كثيرا الامر الذي جعل البابا يذيع نبأ وفاته كبشرى للسماء والارض

بعد وفاة فريدريك سقطت حيثية الامبراطورية لان اولاده لم يستطيعوا ان يقفوا موقفه ، وتمكن البابا اكليمنضوس الرابع ان ينتزع السلطة من اسرة هوهنستوفين (١٢٦٨) وبذلك فازت الباباوية بعد جهاد استمر من (١١٥٤ - ١٢٥٤)

٣) - انقياد الباباوية للسلطة المدنية

(اسر الباباوات السبعيني في افينيون)

كان فوز الباباوية على اخر امبراطرة اسرة هوهنستوفين بداءة لهبوط العظمة الباباوية لان شارل انجو الذي ساعدهم على تقليص ظل الاسرة الحاكمة المذكورة هو نفسه اخذ يطمع في التسلط على ايطاليا فقاومه البابا نيقولاوس الثالث . غير ان الحرب الهائلة التي ثارت على الباباوية انما قام بها فيليب الجميل ملك فرنسا وهذا ملخص اسباب هذا النزاع الشديد :

وقعت حرب بين فرنسا وانكلترا فتدخل بينهما (١٢٩٥) البابا بونيفاس الثامن لا بصفة مصلح بل بصفة حاكم فرفض فيليب هذه المداخلة فاستاء البابا من هذا الرفض ، فلما قرر فيليب استيفاء ضرائب الحرب من الاكليروس والعامة عارضه بونيفاس (١٢٩٦) وتهدد من يؤدي الرسوم المذكورة من الاكليروس بالحرم ،

فقبل وليب عدا العمل بمنع اخراج المعادن الثمينة من فرنسا فضاعت بذلك واردات البابا واضطر ان ينسخ كلامه وان يسمح للاكليروس بدفع احسان لاجل لوازم المملكة وهكذا تصالح الملك والبابا (١٢٩٧) ولكن الى مدة قصيرة فان بونيفاس ارسل (١٣٠١) قاصدا الى البلاط الفرنساوي اسقفاً افرنسياً فظاً يكرهه الملك فطرده فطلب البابا ان يحكم بينهما فرفض الملك ذلك فكتب له البابا رسالة قاسية اجابه فيليب عليها بلهجة اقسى وعقد مجمعاً (١٣٠٢) قرر فيه ان الملك ينال سلطته من الله بدون تتويج البابا؛ فعقد بونيفاس مجمعاً في روميه نقض فيه قرار المجمع الافرنسي واصدر منشوره الشهير في التاريخ باسم (اونام سانكتام) الوحدة المقدسة ، حكم فيه بالهرطقة على كل من يقول باستقلال كل من السلطتين الروحية والمدنية احداهما عن الاخرى وادعى فيه ان المسيح منح الكنيسة سلطانا مزدوجاً روحياً ومدنياً ؛ فجمع فيليب مجمعاً (١٣٠٣) حكم فيه (بواسطة الفقيه وليم نوغار) على بونيفاس بالهرطقة . فحرم البابا الملك لاجل ذلك ومنع الاكليروس الافرنسي من اقام الخدم الالهية . فعقد فيليب مجمعاً ثالثاً تقرر فيه رفع الخلاف الحاصل بين الملك والبابا الى مجمع مسكوني وكلف الفقيه وليم نوغار تبليغ هذا القرار للبابا واحضاره الى ليون حيث قرر عقد المجمع المسكوني فلما عرف البابا بقدومه فر الى «اناغني» فتبعه نوغار الى بيت ابيه بمساعدة اسرة كولونا التي كان قد اهانها

البابا فقابلهم هذا بشيابه الحبرية ليتقي اهانتهم اياه فلم يبالوا بذلك بل ساقوه اسيرا بعد ان اوسع اهانة فاثر ذلك عليه جدا وتوفي بعد قليل مجنونا (١١ت١ ١٣٠٣)

فخلفه بنديكتوس الحادي عشر الذي اعترف بقسوة سلفه وصالح فرنسا وتوفي بعد ثمانية اشهر فخلفه بتاثير فيليب اكليمنضوس الخامس (١٣٠٥) الفرنساوي الاصل الذي الغى طغمة الهيكليين والاوامر السابقة التي صدرت ضد الملك فيليب ثم نقل الكرسي الباباوي الى افينيون الفرنساوية حيث بقي الكرسي فيها نحو سبعين سنة (١٣٠٩—١٣٧٧) عرفت في التاريخ باسم (اسر الباباوات الافيني) اذ كان الباباوات في هذه المدة منقادين لارادة الملوك الفرنساويين وعاشوا عيشة غير لائقة قللت من سطوتهم فنضجت الفكرة باستقلال السلطة المدنية عن الروحية فتبعت جرمانيا فرنسا واحتفلوا لاستقلالهم المدني عن الروحي (١٣٣٨) وانكلترا التي استعبدها الباباوات من ايام يوحنا بيزيميل لاكلاند اوستر (اول القرن الثالث عشر) الغت دفع ضريبة باكورة الاثمار للبابا وحق استئناف الدعاوي الى رومية في ايام ادوارد الثالث في اواسط القرن الرابع عشر (١٣٦٦) وايطاليا نفسها لم تعد تحترم الباباوات كالسابق حتى ان سلطتهم على مقاطعات الكنيسة كانت صورية لا فعلية

وقد شعر محبو الباباوية ان هذا السقوط ناتج عن نقل الكرسي

البابوي الى افينيون فاهتموا بارجاعه الى رومية وتمكن من ذلك البابا غريغوريوس الحادي عشر الذي برح افينيون بحجة انه ماض الى ملاحظة بعض الابرشيات فبلغ رومية (١٣٧٧) وتوفي بعد سنة وبوفاته وقع الانقسام العظيم في الكنيسة(١) البابوية(١٣٧٩-١٤٢٩)

نتج الانقسام البابوي عن خشية الرومانيين ان يعود البابا الى افينيون اذا كان فرنساوي الاصل؛ لذلك اصروا على اقامة اوربان السادس الايطالي الجنس المشهور بقسوته حبرا لرومية

(١) ظل هذا الانقسام مدة خمسين سنة ثم هدأ مدة وعاد الى ان انتهى (١٤٤٩) فان الايطاليين اقاموا بونيفاس التاسع (١٣٨٩) خلفاً لاربانوس السادس فلما توفي سنة (١٤٠٤) خلفه اينوكنديوس السابع ثم غريغوريوس الثاني عشر كما ان الفرنساويين اقاموا بنديكتوس الثالث عشر (١٣٩٤) خلفا لاكليمنضوس السابع ثم اكليمنضوس الثامن (١٤٠٩) — (١٤٢٣) ولما خلع مجمع بيزا الحبرين غريغوريوس وبنديكتوس اقام (١٤٠٩) اسكندر الخامس فصاروا ثلاثة باباوات فلما مات هذا (١٤١٠) خلفه يوحنا ٢٣ الذي قطعه مجمع قسطنديا واقام عوضه مرتين الخامس (١٤١٧) كما انه عزل غريغوريوس وحرم بنديكتوس اما الاخير فظل يتمم اعمال بابا الى ان مات سنة ١٤٢٣ فخلفه اكليمنضوس الثامن وهذا ظل يحاول اثبات قانونية حبريته الى سنة ١٤٢٩ فتنازل عنها لمرتين الخامس فهدأ الانشقاق مدة عشر سنوات ثم اثاره الجانيوس الرابع بمناوأته مجمع باسل وحكمه عليه (٤ ايلول سنة ١٤٣٩) الامر الذي جعلهم ينتخبون صاحب سافوا بابا باسم فيلكس الخامس فقام بهذه الوظيفة الى سنة ١٤٤٩ حين تنازل عنها لنيقولاوس الخامس واخل مجمع باسل المعارض الباباوات وباخلاله تلاشى الانقسام الثاني ايضاً

فخالفهم الفرنساويون وانتخبوا للكرسي الكليمنضوس السابع الفرنساوي الاصل فاتبع الاول ممالك ايطاليا والمجر وجرمانيا وبولونيا وغيرها والثاني فرنسا واسبانيا ونابولي وسكوتلاندا وغيرها وهكذا انقسمت الكنيسة الغربية الى شطرين وانقادت الى رئاستين

٤) – تضييق نطاق السلطة البابوية

(مجامع بيزا و كونستانس وباسل)

الانقسام البابوي وحرم الباباوات الرومانيين والافينيين بعضهم بعضاً ادى الى انحطاط القوة الباباوية وارتفعت الاصوات ليس ضد سلطة الباباوات المدنية فقط بل ضد اوليتهم الكنسية واستيقظت الفكرة بان المجمع المتكوني اعلى من البابا . لذلك اهتمت دول الغرب بانهاء الانقسام البابوي وعقدوا مجلس شورى في فرانكفورت (١٣٩٧) مستدعين اليه الباباوين الافيني والروماني واذ ابى هذان الحضور اليه قرر الكرادلة الفرنساويون والرومانيون بالاتفاق وجوب عقد مجمع ينهي به الشقاق وتصلح به الكنيسة الغربية من الراس والاعضاء .

مجمع بيزا – ولاجل هذه الغاية عقدت كليتا بيزا مجمعاً في ٢٥ اذار سنة ١٤٠٩ حضره (عدا الكرادلة والاساقفة والكهنة) كثيرون من اساتذة اللاهوت ودكاترة الحقوق الكنسية ، وقد عضدت هذا المجمع دولتا فرنسا وانكلترا . غير ان عدم استعداد

اباء المجمع للاعمال المجمعية افسد عليهم النتيجة فانهم بعد تقريرهم محاكمة الباباوات من المجامع اذا شذوا عن الصراط القديم طلبوا الباباوين الروماني (غريغوريوس ١٢) والافيني (بنديكتوس ١٣) للمحاكمة فابيا فاسقطوهما في ٥ حزيران واسرعوا باقامة بابا جديدا في ٢٦ حزيران هو اسكندر الخامس ؛ وهذا لما علا السدة الباباوية حل المجمع في ٧ آب بحجة عدم وجود استعداد كاف للاعمال المجمعية واعدا بعقده بعد ثلاث سنوات . وهكذا لم يستطع المجمع انهاء القلاقل بل زادها لان البابوين صارا ثلاثة وعضدت اسبانيا وسكوتسيا بنديكتوس وجرمانيا ونابولي غريغوريوس والباقي اسكندر ؛ على ان هذا الاخير لم تطل مدته بل سمه (في ما قيل) الكردينال بلتاسر وخلفه (١٤١٠) باسم يوحنا الثالث والعشرين

مجمع كونستانس — وقد حاول البابا المذكور في بادي الامر تأجيل عقد المجمع ولكن الالحاحات الكثيرة من الامبراطور سيجسمون واساتذة المدارس اللاهوتية اضطرته الى عقده في كونستانس (في بادن المانيا) (١٤١٤) بحضور الامبراطور وعدد كبير من ذوي الاملاك والاكليروس وقد واصل المجمع اجتماعاته من (٥ ت٢ ١٤١٤ — ٢٢ نيسان ١٤١٨) غير انه كسالفه لم يستطع ان يعمل شيئاً من الاصلاحات وغاية ما استطاع ان يعمل انما هو تقريره حق المجامع بمحاكمة الباباوات واسقاطه يوحنا الثالث والعشرين وقطعه بنديكتوس الثالث عشر واضطراره غريغوريوس

الى الاستعفاء. وبعد ذلك نصب بابا جديدا باسم مرتين الخامس (١٤١٧) وهذا لما استلم السدة اقنع اعضاء المجمع بتاجيل الاصلاحات الكنسية الى مجمع آخر وعد بعقده بعد وقت قصير ؛ غير انه بعد انحلال المجمع لم ينجز وعده ولكنه قبل وفاته (١٤٣١) عين مدينة باسل (سويسرا) محلا للاجتماع وكان الشقاق انتهى (١٤٢٩) بوفاة الباباوات غير الحقيقيين واعتزال اكليمس الثامن الاداره الكنسية تاركها لمارتين الخامس

مجمع باسل — اجانيوس الرابع الذي خلف مارتين الخامس اضطر ان يعقد مجمع باسل لان اباءه كانوا قد اجتمعوا فيها بدعوة من سلفه وظن البابا المذكور ان المجمع سيسير بموجب تعليماته غير ان المجمع اظهر استقلالا تاما في اعماله فصدق على اعمال المجمعين السابقين معبرا سلطة المجمع اعلى من سلطة البابا ووضع عدة قوانين لتحديد سلطة الباباوات ولذلك وقع خلاف بين البابا والمجمع جعل البابا الجزع على مركزه يامر بنقل المجمع الى ايطاليا فابى عليه ذلك آباء المجمع فاعلن حله في ١٨ ايلول (١٤٣٧) ؛ اما آباء المجمع فواصلوا اجتماعاتهم واسقطوا البابا اجانيوس فحرمهم هذا فجبن بعضهم وانضموا الى حزبه اما الباقون فانتخبوا بابا جديدا ونصبوه (١٧ ايلول ١٤٣٩) باسم فيلكس الخامس ؛ لكن ذكرى الانقسام الباباوي السيئة اوجدت في النفوس كراهية لهذا الانتخاب على ان بعض امراء جرمانيا قبلوا فيلكس الخامس

بصفة بابا (الى سنة ١٤٤٩ حينما تنازل هو طوعاً عن منصبه لنيقولاوس الخامس) واباء المجمع الذين تابعوا اجتماعاتهم في مدن متعددة ضيقوا نطاق السلطة الباباوية لان مقرراتهم الاصلاحية قبلت في فرانسا وجرمانيا ونتج عنها تحديد سلطة الباباوات في فرنسا وجرمانيا بموجب القوانين السديدة الفرنساوية (١٤٣٨) وعهدة فينا (١٤٤٨)

وقد اجتهد الباباوات عبثاً بمحو تاثيرات مجمع باسل لان الاستبداد الباباوي اصبح مكروهاً عند الجميع فضاق نطاق سلطتهم الروحية وسقط تاثيرهم السياسي (الا في المقاطعة الكنسية في ايطاليا) ومنذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر فهم الباباوات ان فكرة ايلدبراند (او سلطة الباباوات المطلقة) قد مضى اوانها

الفصل الثاني

البدع والانقسامات

أ) نظريات جديدة في الكنيسة الرومانية

في مدة سيادة اللاهوت المدرسي احدثت عدة نظريات اشهرها نوافل القديسين واوراق الغفران (اندولجنسيا) والمطهر

نوافل القديسين — مصدر هذا التعليم الافكار البيلاجية التي سادت يومئذ في الغرب وقد نقحها اللاهوتيون المدرسيون واعطوها صورة حديثة لم يستنكف الغرب من قبولها وملخص ما زعموه ان الله اوجد في طبيعة الانسان الاولى فضائل ونقائص ومنحه مواهب سامية استترت بها نقائصه فلما سقط نزع منه

المواهب السامية فظهرت نقائصه لكن فضائله الطبيعية ظلت فيه فلما تجسد الكلمة اعاد للانسان البر الاصلي اعني المواهب السامية فاصبح الانسان بعد الفداء قادراً ان يكفر عن خطاياه بذاته لان قواه الادبية الطبيعية تضمحل بالخطيئة وان بعض الناس كالقديسين يستطيعون ان يعملوا فوق الواجب ايضاً كالتبتل والفقر الاختياري وسواهما وهذه الاعمال دعوها (كنز فوق الواجب من اعمال القديسين) او نوافل القديسين

الغفرانات — الكنيسة الجامعة تفرض على التائب قانوناً (ابيتيميا) كالصيام والركوع وغيرهما لاجل اصلاح حالته الروحية اما الغربيون فلاجل التسهيل على الخطأة اعتاضوا عن الابيتيميا بما هو اخف كفرضهم على التائب زيارة احدى الكنائس او دفع دراهم لاعمال خيرية وغيرهما وهذه الاخيرة (اي نيل الغفران بالمال) جرت في الغرب منذ القرن العاشر واتمت هذه الفكرة الحروب الصليبية فان البابا وات طمعاً بتكثير عدد المتجندين كانوا يمنحونهم غفراناً ليس عن خطايا الماضي فقط بل عن خطايا المستقبل ايضاً واعتبروا من يساعد بماله كمن يجاهد بذاته فاغدقت عليهم المساعدات المالية التي لما راوها مصدراً حسناً للواردات اتخذوها قضية ايمانية حتى بعد انتهاء الحروب الصليبية فلما ارتاب الناس بصحتها في القرنين الرابع عشر والخامس عشر عززها اللاهوتيون المدرسيون بزعمهم ان التائب ليكفر عن خطاياه يلزمه جهادات كثيرة لا يستطيع كل الناس اتمامها فالكنيسة (او بالاحرى السدة البابا وية) تساعد من لا يتسنى له اتمام كفارته بما هو مذخور عندها من نوافل القديسين فيحصل على الغفران

المطهر — التعليم بالمطهر انما هو تشويه للتعليم الارثوذكسي بوجوب الصلاة لاجل النفس التي لم يتقرر مقرها بعد الموت اذ زعم اللاهوتيون المدرسيون ان كل انسان مكلف باتمام جهادات وقتية عما فعله من الخطايا بعد الفداء فاذا لم يتمها وهو حي اضطر ان يتمها بعد الوفاة ولاجل هذه الغاية يوجد محل يدعى المطهر

(يورغائور يوم) تكمل فيه النفوس المنتقلة ما نقصها من المشاق قبل الموت وانه يمكن تخليص النفوس المطهرية بواسطة كنز نوافل القديسين وقد قرر هذه القضية البابا سكستوس الرابع (١٤٧٧)

٢ الشيع الغربية

شدة الباباوات وسقوط آداب الاكليروس بهذا الدور اسخطت الشعب الروماني على الرئاسة الكنسية فاحتج النابغون على دومهم القوانين الادبية واستخفافهم بالحقائق الدينية فلم يجد احتجاجهم نفعاً لغرق السواد الاعظم من الشعب في بحر من الخرافات فانفصل الناقمون عن الكنيسة واسسوا جماعات مستقلة غايتها ارجاع الكنيسة الى حقيقتها الاصلية غير انهم بقيامهم ضد الرئاسة الكنسية تجاوزوا الحدود المشروعة واوجدوا شيعاً حديثة اشهرها اثنتان :

الالبيجيون — هؤلاء ظهروا في القرن الحادي عشر والثاني عشر وعرفوا في الغرب باسماء مختلفة مانيين (نسبة الى ماني الفارسي) و بولغاريين (لانهم قدموا في الاصل من بلغاريا) و بوبليكان (تحريف بولسيين) وحاكة (لان اغلبهم صناع) واما هم فكانوا يسمون ذواتهم كاثاريين (انقياء) لزعمهم انهم ارجعوا الكنيسة النقية ، و بوني همنيس (الرجال الصالحين) ولكن غلب عليهم اخيراً اسم البيجيين . نسبة الى مدينة البي او البيغا مركز اعمالهم . معظم ارائهم مأخوذ عن المانيين والبوغوميليين فمن الاولين اخذوا المبدأ الثنوي (الخير والشر اصلان) ومن الاخيرين رفض الطقوس واضافوا اليها رفض الزواج والامتناع عن اكل اللحوم وشرب الخمور واعتبار البابا ضد المسيح ، وكانت شيعتهم مقسومة الى ثلاث طبقات السامعين والمؤمنين والمختارين (الكاملين) وقد اهتم الباباوات بملاشاتهم في النصف الثاني من القرن الثاني عشر بالوسائل الاقناعية والاجبارية فلم يفلحوا لان الاعيان عضدوا الشيعة فجهز اينوكنديوس الثالث حملة صليبية (١٢٠٨) دخلت فرنسا الجنوبية حيث لطخت الشيعة فقتلوا منهم عشرين

الما (١) بالسيف والنار عند فتحهم مدينة بيزيير وظلوا يقتحمونهم على هذا المنوال عشرين سنة حتى نظفوا البلاد منهم ولكي لا يظهروا ثانية انشيء مجلس (١٢٢٩) عرف بديوان التفتيش فوض امره للدومينكان (١٢٣٣) لكي يعاقبوا بموجب قوانينه الصارمة كل من وقعت عليه شبهة الهرطقة

الوالديون — ظهرت هذه الشيعة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر (١١٧٠) مؤسسها رجل تاجر يقي اسمه بطرس والدي (اوفالدي من ولاية ليون) كان مشغوفاً بمطالعة الكتاب المقدس الذي ترجمه له بعض الاكليروس وفي تضاعيف مطالعاته وجد بوناً عظيماً بين الكنيسة الرسولية والكنيسة الرومانية في ايامه استدل منه على انحراف هذه كثيراً عن الصراط المستقيم فزهد في العالم وجال بكرز بين الناس مبتغياً ردهم الى الحياة الرسولية فانضم اليه جماعة عرفوا « بفقراء ليون » و « قباقيبيين » و « اذلاء » ومع انه لم يكن في تبشيرهم ما يحظر منعهم رئيس اساقفة ليون وحرمهم البابا (١١٨٤) وطرد فالدي من ليون فجال في ايطاليا وجرمانيا ثم استقر في بوهيميا الى ان توفي (١١٩٧) وتفرق اتباعه في جهات شتى الدين لما رأوا ان الكنيسة رفضتهم قاموا بما لم يكونوا يقصدونه من محاربتها وتدرجوا من رفض رئاسة البابا الى رفض الكهنوت كله وما ينتج منه فجحدوا الاسرار والطقوس وسواها واذ عاشوا كبذوي آداب عالية اتبعوا وصايا الخلص بالحرف فحظروا الدفاع عن النفس والحرب والاقسام ، وقد حاول اينوكنديوس الثالث ردهم بالوسائل الاقناعية فلم يفلح فسمح بابادتهم مع الالبيجيين

---

(١) روى سميرنوف المورخ الكنسي الروسي ان الجيوش ترددوا الاول وهلة بالفتك في المهاجمين خشية ان يقتلوا الكاثوليك مع الهراطقة فاستشاروا بذلك القاصد الرسولي فاجابهم قائلا « اقتلوهم يا اولادي يعرف الرب الذين له »

٣)– طلائع الاصلاح

لما بلغت مطامع البابوات والاساقفة حدها الاقصى امتدت الثورة الى كل طبقات الشعب ولم تقتصر على الشيع فقط ولا سيما في القرنين الرابع عشر والخامس عشر حينما تحولت الكنيسة (ملكوت الله) الى مملكة بشرية فثار الملوك والامراء والعلماء حتى الاساقفة وسائر الاكليروس يطالبون اصلاح الكنيسة في الراس والاعضاء مبتغين نزع السلطة المدنية من الحبر الروماني وتحسين آداب الاكليروس وتنقية اللاهوت من افسادات المدرسيين الخ؟ وكانت جامعة باريس محورا للحركة الاصلاحية ولا سيما رئيسها الفيلسوف يوحنا جرسون (+١٤٢٩) وناظرها نقولا فون كليمانس (+١٤٤٠) فأنكر البابوات الحاجة الى الاصلاح واثبتتها الحكومات والمؤتمرات الاصلاحية (بيزا وكونستانس وباسل) وامتاز افراد من الشعب اظهروا الجرأة الفائقة لاخذهم على عاتقهم امر الاهتمام بترويج فكرة الاصلاح ومن هؤلاء ويكليف الانكليزي وهوس البوهيمي وسافونارولا الايطالي

يوحنا وكليف – (١٣٢٤–١٣٨٤) قام بحركاته الاصلاحية في شطر القرن الرابع عشر الاول وساعده على ابداء فكره ميل الحكومة الانكليزية للتخلص من سيطرة البابوات ورضاها عمن يقوم ضدهم فوضع مؤلفاً (١٣٥٦) دعاه "آخر ايام الكنيسة" ولما وقع النزاع بين جامعة اكسفورد والرهبان الناذري الفقر (١٣٦٠)

برهن شفاهاً و كتابة فساد الرهبنة ولما رفضت الحكومة الانكليزية (١٣٦٦) دفع الضريبة للبابا دافع عنها بمؤلف خاص فعينته الحكومة استاذا للاهوت في جامعة اكسفورد (١٣٧٢) وانتدبته (١٣٧٤) لمفاوضة القصر الباباوي في افينين فراى هناك بذاته سقوط الباباوية لذلك بعدما رجع الى وطنه قاوم الباباوية بشدة مسمياً الحبر الروماني ضد المسيح فاغتنم الفرصة اعداؤه الرهبان الناذرو الفقر واتهموه بالهرطقة لدى البابا غريغوريوس الحادي عشر فنجا من المحكومية (١٣٧٨) بمساعدة الحكومة الانكليزية ، ولما حدث الانقسام الباباوي اخذ يقذف الباباوية بكل مذمة على انه تطرف في افكاره كدرجة انه رفض الدرجة الاسقفية كلها مع الباباوية واكتفى بالكتاب المقدس دون التقليد الشريف وانكر الاسرار والطقوس في اثناء رفضه المطهر والغفرانات وقبح البتولية عند مقاومته الرهبانية على انه احسن بترجمة الكتاب المقدس الى الانكليزية وتاليفه لجنة لنشر المعارف الدينية بين الشعب وهذا اهاج المتعصبين ضده فحكم في مجمع لندن (١٣٨٢) على ٢٤ قضية من تعاليمه ولكن الملك ريتشارد الثاني حماه فانتقل من اكسفورد الى تريفورت (طرورت) حيث توفي (١٣٨٤) وقد حكم عليه بعد وفاته عدة مرات ولا سيما في مجمع روميه (١٤١٢) وكونستانس (١٤١٥) وبقي له اتباع كثيرون في الطبقة العليا عدا عن الشعب البسيط

يوحنا هوس (١٣٦٩ – ١٤١٥) – هذا كان عاملاً في الوجهة الاصلاحية اكثر من وكليف لان ذاك رفض كل المواضيع الحيوية في الدين اما هذا فبطابه الاصلاح بقي محافظاً على الخميرة الارثوذكسية لذلك كانت مبادئه اكثر قبولا من تالك . نشأ هوس في بوهيميا وتلقن المعارف في جامعة باريس ونال شهادة لاهوتي منها (١٣٩٨) ولما كانت البلابل الكنسية شاغلة كل فكر وكثيرون في بوهيميا كانوا يطلبون اعادة الارثوذكسية القديمة التي نشرها كيرلس ومثوديوس (كاقامة الصلاة بالسلافية ومناولة الافخاريستيا تحت الشكلين) . روج هوس الفكرة الاصلاحية وشغل مركز واعظ في معبد بيت لحم البوهيمي (١٤٠٢) علاوة على قيامه بتدريس اللاهوت في مدرسة براغ وفي هذا الوقت اطلع على مولفات وكليف بواسطة صديقه ايرونيم البراغي فاستحسن بعض مبادئه وعدل غيرها فاتهمه المتعصبون بالوكليفية وعقد موتمر الجامعة (١٤٠٨) الذي كانت الاكثرية فيه ضد هوس فحكم على ٤٤ قضية لوكليف لكن هوس استحصل امرا من ونسيسلاف (١٤٠٩) تحولت بموجبه الارجحية له (١) فاخذ مع حزبه يجاهر بمعاداة

(١) اذ كانت اصوات المدرسة ٤ لكل من البافاريين والبولونيين والسكسونيين والبوهيميين صوت فاقنع هوس الامبراطور بان الفئات الثلاث الاولى انما هي عنصر واحد جرماني لا حق لها باكثر من صوت واحد وانعكست بذلك الاية اذ صار للبوهيميين حزبه ثلاثة اصوات وللجرمانيين خصومه صوت واحد .

الديوان الروماني فقاومه رئيس اساقفة براغ (سينيكو) واستصدر امرا باباوياً (١٤١٠) بحرق مولفات وكليف ومحاكمة متبعيه ومنعهم عن التبشير في الكنائس الخصوصية فرفع هوس احتجاجاً الى البابا اثبت فيه وجود حقائق كثيرة في مولفات وكليف وثابر على الكرازة في معبد بيت لحم فاستدعاه البابا الى روميه فتوسط في المسالة الملك والجامعة فانقضت بسلام ولكن البابا يوحنا الثالث والعشرين امر (١٤١٢) بتجهيز حملة صليبية ضد اعدائه السياسيين ومنح غفراناً كاملاً لكل من ينتظم بهذه الحملة فثار هوس ضد هذا وصديقه ايرونيم احرق المنشور الباباوي علناً فاصدر البابا منشورا اخر (١٤١٣) حرم به هوس وقاص البراغي فوضع هوس رسالة وجهها الى يسوع المسيح يبين فيها ضياع الحق على الارض ثم اصدر تاليفاً موضوعه الكنيسة بين فيه ان الكنيسة انما تتالف من المومنين الذين ابتعد البابا عنهم فخسر العضوية المسيحية ولم يبق لحرمه اهمية على ان رئيس اساقفة براغ تمكن من طرد هوس منها . ثم استدعي الى مجمع كونستانس (١٤١٤) فذهب اليه تحت حماية الامبراطور سيجسموند وهناك سجن سبعة اشهر ولما اصر على مبادئه التي ابى رفضها الا ببراهين كتابيه حكموا عليه بالمحرقة وحرقوه في ٦ تموز (١٤١٥) وحرقوا ايضا صديقه ايرونيم البراغي في ٣٠ ايار (١٤١٦)

على ان الحركة الاصلاحية لم تتلاش بموت هوس لان البوهيميين

برمتهم قاموا ضد الكنيسة الرومانية يقودهم نيقولاوس سيد هوسي من نيتز (مسقط راس هوس) ويوحنا زيسكا بطل بوهيميا وطلبوا الاستيلاء على كاس بقوة السلاح وبدأت حرب شديدة مع متعصبي اللاتين امتد سعيرها بسرعة ولما توفي ونسيسلاس (١٤١٩) ابى البوهيميون ان يطيعوا خليفته سيجسموند الذي نكث بوعده في حماية هوس. وقد ارسل البابا مارتين الخامس عدة حملات صليبية لاخضاع البوهيميين، ففشلت وبعد وفاة زيسكا (١٤٢٤) استلم القيادة بروكوبيوس راصا الشهير الذي اوقع الرعب في كل الاصقاع المجاورة وظل النجاح مرافقاً البوهيميين الى افتتاح مجمع باسل (١٤٣١) الذي اهتم بمصالحتهم فانقسموا الى حزبين المعتدلين وهم الذين اشترطوا لقبولهم الاتحاد اربعة شروط ١ً المناولة بالشكلين ٢ً الكرازة في اللغة الوطنية ٣ً نزع العقارات من الاكليروس ٤ً مقاصة المجرمين منهم بحسب ذنوبهم ولقب هؤلاء كاليكستيين (نسبة الى الكاس «كاليكس») والمتطرفين الذين طلبوا عدا ما ذكر رفض الايقونات والاعتراف وغير ذلك ولقب هؤلاء ثابوريين (نسبة الى الجبل الذي اعتصموا به وقت الشغب ودعوه ثابور)

في سنة (١٤٣٣) حضر نواب الهوسيين وعددهم ثلاثمائة وبعد مناقشات طويلة عادوا على غير جدوى ومع ان المجمع قبل مطالب الكاليكستيين الاربعة بعدئذ لينضموا عاد البابا بيوس فرفضها

(١٤٦٢) فاصبحوا يتناولون الشكلين سرا اما الثابوريون فلبثوا مستقلين وانشاوا جماعة خصوصيه (١٤٥٠) عرفت باسم اخوة بوهيميا انتشرت في القرن السادس عشر كسائر الجماعات الاخرى التي اندغمت بالطائفة اللوتيرية

جيروم (ايرونيموس) سافانارولا — (١٤٥٢ — ١٤٩٨) الفكرة باصلاح الكنيسة امتدت حتى ايطاليا حيث الكرسي الباباوي نفسه وقد قام بنشر هذه الفكرة سافانارولا (١٤٩٠) والذي دفعه الى الجهر فيها اضمحلال الشعور الديني في ايطاليا لدرجة ان اهل روميه اصبحوا لايميزون بين المسيح ومركوريوس (اله التجارة عند الوثنيين) او بين والدة الاله وفينيس (الهة الجمال) او بين القديسين وفيرجل وهوراس وافلاطون واريستو. او بين الانجيل والاساطير اليونانية وذلك بسبب تلقيهم المعارف من المؤلفات الوثنية . في هذه الظروف نبغ سافانارولا الفراري المولد والدومنيكاني الرهبنة (١٤٧٥) والواعظ المؤثر (١٤٨٢) ذو المعيشة الصارمة والفكرة الحرة هذا ارسلته رهبنته (١٤٩٠) الى فلورانسا للوعظ فاتخذ ذلك واسطة لبث افكاره الاصلاحية فاخذ يخطي. البابا وسائر الاكليروس والشعب لاجل سلوكهم القذر وعدم ايمانهم منذرا اياهم بغضب يحل على ايطاليا فاثر كلامه في النفوس تاثيرا عظيما ولا سيما ان ما اوتيه من الذكاء جعل تهديداته الممكنة الحصول تتم كنبوة الامر الذي جعل الفلورانسيين ينقادون اليه كنبي فارتاع من ذلك اسكندر السادس

وخشي تاثيره على مركزه الحبري فعرض عليه الكردينالية ليجتذبه اليه اما هو فرفض انعامه على مسمع الجمهور الغفير وثابر على القدح في البابائات واظهار سقوطهم الادبي حتى سخط البابا عليه. فاستخدم هو نفوذه المعنوي على الفلورنسيين والف فيهم حكومة ثيوكراتية (١٤٩٤) (كاليهود) راسها المسيح وقاضيها هو فثارت عليه السلطة المدنية مع الروحية فلم يبال بها بل ثابر على التنديد بالسلطتين وسن قوانين صارمة للحياة الادبيه نفرت الشعب منه ولا سيما الاكليروس الفلورنسي الذي انما انقاد اليه مرغما فاغتنم البابا فرصة وجود حزب مضاد له وحرمه (١٤٩٧) فازداد بذلك عدد مقاوميه الذين تمكنوا من القبض عليه وتسليمه للمحاكمة فحكم عليه بالمرطقة واحرق حيا (١٤٩٨)

هذه النتيجة كان منتظرا حصولها لسافانارولا الذي مزج السياسة بالدين فلم يقف عند حد المصلح الكنسي بل تخطاه الى درجة قائد تنفيذا لماربه فحبط سعيه

الفصل الثالث – المعارف الروحية

اشهر الطرق اللاهوتية في الغرب

في القرنين التاسع والعاشر كان تفسير الكتاب المقدس مصدر المعارف الدينية فاللاهوتيون كانوا يحصرون اهتمامهم بحفظه بمقتضى تفاسير المعلمين ولكن في القرنين الحادي عشر والثاني عشر ولا سيما الاخير وجد ميل لتنسيق القضايا اللاهوتية على اسلوب علمي عقلي وتولدت هذه الحركة في زمن ترفع الباباوات السياسي وانتشار الفلسفتين الافلاطونية والاريسطية. ونشات في منهج مزدوج له صورتان رئيسيتان السخولاستيكية (المدرسية) والميستيكية (الباطنية)

الخطة المدرسية – تقوم بالعمل على اتحاد الوحي والفلسفة او الايمان والمعرفة فمن الوحي مادة اللاهوت ومن الفلسفة صورته على شرط ان لا تمس حقائق الوحي، ونشأ على ذلك القول المأثور في الاجيال المتوسطة ان الفلسفة خادمة اللاهوت، فاللاهوت المدرسي كان ياخذ التعاليم الكنسية كالخطيئة الجدية مثلا والتجسد والاستحالة ويبين كيف اخطأ الناس بادم وكيف صار الله انسانا وكيف يوجد المسيح في الافخارستيا بصورة تنطبق على المبادىء العقلية كلما هو يبغي رفع الايمان الى درجة المعرفة فهو بذلك قد احسن من جهة واساء من جهة اخرى. احسن بتوضيحه وتثبيته

وتحديده وتنسيقه القضايا اللاهوتية واساء لاستسلامه للروح الجدلي العقيم ولتشويشه المواضيع اللاهوتية بتقسيمات لا نهاية لها. لدرجة اصبح معها اللاهوتيون المدرسيون يهتمون بالتنسيقات اكثر من اهتمامهم بالتعاليم نفسها وصارت المبادئ اللاهوتية في هياتها العرضية لا في حقيقتها الجوهرية واضمحل كل ما لم ينتظم في دائرة اللاهوت المدرسي حتى الايمان الحي والمعقولات

الطرق الباطنية - بينما كان اللاهوتيون المدرسيون يجتهدون لتحصيل الحقائق الدينية بواسطة العقل والافكار قام بازائهم قوم طلبوا العقائد من طريق الشعور والاحساس الداخلي هذه الطريقة هي المعروفة بالميستيكيه (الباطنيه) التي ذهب ذووها الى ان معرفه الانسان لله لا تقوم بواسطة البراهين الجدليه وانما تقوم برفع النفس الى الله فيشعر المرء وهو في حالة التامل العميق بوجود الله وانه مكرس منه تعالى وللحصول على الشعور والاعتراف بالله (على رايهم) يجب ان يجتاز المرء درجات الكمال الثلاث :

١) التنقية او حل النفس من ربط الاحساس الطبيعي بالتنسك و٢) التكريس او عمل النفس المستقل عن التاثيرات الدينية و ٣) الكمال او الوجود في الله بحيث يتمكن المرء الموهب من الظهور الالهي من اتيان الاعمال الالهيه على الارض كالمعجزات والنبوات وسواها

خلاصة تاريخ الكنيسة - اللاهوت المدرسي وحلله

انسيلم رئيس اساقفة كنتربري (١١٠٩) ونظمه توما الاكويني الدومنيكاني (✠ ١٢٧٤) واخذ اهمية في القرن الرابع عشر لكن ما اوجده من التعقيدات والاضرار في المبادي الادبية بتبريره كثيرا من الذنوب اسقطه في اوائل القرن السادس عشر وان بقيت اثاره مدة طويلة. اما اللاهوت الباطني او السري فقد وطده برناره كليروف (✠ ١١٥٣) ونظمه بوناونتورا الفرنسيكاني وتغلبت فيه الخطة العمليه بالحض على الحياة الصالحه الحقيقيه في القرن الخامس عشر حيث قام اشهر ممثليه توما الكمبيسي (✠ ١٤٧١) صاحب كتاب الاقتداء بالمسيح المشهور. وفي ما يلي خلاصه تراجم اركان الخطتين

١) انسيلموس

ولد انسيلموس (١٠٣٣ في مدينة ايطالية اسمها اوستيا وعاش طائشا الى ان بلغ السابعة والعشرين من سنه ثم زهد في العالم فترهب في دير بالك (في فرنسا) سنة ١٠٦٠ ثم صار رئيساً للدير سنة ١٠٧٨ (وفي رواية بعد دخوله بثلاث سنوات) وسنة ١٠٩٣ انتدب لرئاسة اساقفة كنتربري (انكلترا) ثم حصلت نفرة بينه وبين ملك الانكليز وليم روفوس ادت الى تركه منصبه (١٠٩٧) وسفره الى ايطاليا وفرنسا حيث قضى مدة ثلاث سنوات. ثم عاد الى انكلترا بعد وفاة روفوس (١١٠٠) فلم يعامله هنري الاول باحسن من معاملة سلفه ترك كرسيه وذهب الى دير بالك حيث كان قد تنسك

وبقي هناك حتى استدعاه هنري نفسه (١١٠٦) فعاد وظل في مركزه الى ان توفي سنة ١١٠٩

وقد اشتهر انسيلم في الغرب بعلومه اللاهوتية ولا سيما طريقته الجدلية التي يورد فيها الاعتراض مرفوقا بالحل ولاجل ذلك لقبوه اوغسطينوس الثاني ومن اثاره القلمية تراجم القديسين والحق والتثليث والتجسد وقد قدسه البابا اسكندر السادس (١٤٩٤) ويعيد له في ١٥ نيسان

٢) توما الاكويني

ولد سنة ١٢٢٥ بقرب اكوين التابعة نابولي من اسرة شريفة وتفرغ في حداثته لطلب العلم فتخرج على الاستاذ البرت الكبير (١١٩٣ — ١٢٨٠) في كولونيا ثم تبعه الى كلية باريس فنال شهادتها (١٢٥٥) وبحيث انه انتظم في سلك الرهبنة الدومنكية اخذ على عاتقه امر الوعظ والتعليم فنال اعتبار معاصريه حتى لقبوه بشمس المدارس فتعين سنة ١٢٧٢ مدرسا للاهوت في مدرسة نابولي وقد لبى طلب البابا غريغوريوس العاشر لحضور مجمع ليون (١٢٧٤) ولكنه مرض على الطريق وتوفي في ٧ اذار سنة ١٢٧٤ وزعم بعضهم انه مات مسموما بايعاز كارلوس ملك نابولي

٣) برنردوس كليروف

ولد سنة ١٠٩١ في فونتين (قلعة قريبة من ديجون) الفرنساوية من ابوين مسيحيين توفيت امه وله من العمر ١٩ سنة فاعتكف

على النسك واختار لسكناه (١١١٥) محلا في ولاية شمبانيا كانت ملجأ للصوص فجعله باجتهاده جنة لقبها الذين زاروها آنئذ كليروفيل (الوادي البهي) ومنها اخذ برنردوس لقبه كليروف وسنة ١١٣٠ حصل نزاع على السدة البابوية بين اينو كنديوس الثاني وانا كلتوس فسعى برنارد مدة ثماني سنوات حتى فض الخلاف فخذل الاخير وثبت الاول. ولكن هذا لم يقدر له سعيه بل فضل آراء الحكام الزمنيين على رايه وبعد ما توفى اينو كنديوس وخلفاه كاستينوس ولوكيوس تبوأ السدة اجفانيوس الثالث (١١٣٥ — ١١٤٥) ففوض اليه دعوة المسيحيين الى الحملة الصليبية الثانية فلبي دعوته نحو من اربعماية الف شخص ولكن الفشل الذي اصاب هذه الحملة عاد عليه بالملامة فاصلحه بمقاومته الهراطقة وتوفي في ٢٠ آب سنة ١١٥٣

٤) بوناونتورا

ولد سنة ١٢٢١ في احدى مدن توسكانيا (ايطاليا) وترهب بحسب الطريقة الفرنسيسكانية سنة ١٢٤٣ (وقيل ١٢٤٨) ودرس في مدرسة باريس (١٢٥٣) ونال شهادتها (١٢٥٥) واقيم رئيساً عاما لرهبنته (١٢٥٦) ونال ثقة الجمهور حتى ان الكرادلة بعد اختلافهم انقادوا لرايه فاختاروا للسدة البابوية الكردينال تهيبو باسم غريغوريوس العاشر فكافأه هذا برفعه الى مقام الكرادلة ١٢٧٢ وفي سنة ١٢٧٤ استقدمه الى مجمع ليون واجلسه في المحل الاول بعده. ولكنه مرض قبل انتهاء المجمع وتوفي في ١٤ تموز سنة ١٢٧٤

من آثاره القلمية حياة المسيح وتفسير الاسفار المقدسة والفقراء وسواها

٥) توما الكمبيسي

راهب اوغسطني ولد سنة ١٣٨٠ ودخل دير مار اغنس (١٣٩٩) واشتهر في حياته بالنقاوة والتقوى. ويشف عن روحه المسيحية تاليفه المشهور « الاقتداء بالمسيح » وقد توفي سنة ١٤٧١ وله من العمر ٩١ سنه

الفصل الرابع

الادارة والعبادة والتهذيب

١) تاثير الجمع بين السلطتين

طموح البابوات في هذا الدور الى نيل الرئاسة العامة والجمع بين السلطتين الروحية والزمنية ادى الى النتيجتين التاليتين

١) استخدام القوة في معاملة المخالفين — فان السدة البابوية تحت هذه التاثيرات اجازت اثارة الحروب الدينية على المخالفين واول من سوغ ذلك البابا اوربانوس (١٠٩٥) حينما اوجب على دول اوروبا القيام بحرب صليبية لاستخلاص الاراضي المقدسة من المسلمين . ثم تخطت ذلك سفور المجمع اللاتراني الثالث (١١٧٩) مقاتلة الهراطقة . واستناداً الى تفسير غير وجيه للاية الانجيلية (لو ١٤ : ٢٣) القائلة « الزمهم بالدخول » انشئ ديوان التفتيش (سنة ١٢١٦) الذي ما برحت تتألم النفوس لمجرد ذكره حتى الان

٢) تعدد الاساقفة على المدينة الواحدة — فقد سمح الكرسي الروماني باقامة اسقفين على مدينة واحدة خلافاً للقوانين طمعاً بنشر سيادته على تلك المدينة واول ما حدث ذلك في التاريخ (١٠٩٩) حينما اقيم بزنارد بطريركاً لاتينياً على

انطاكية و بطريركها يوحنا السابع (١٠٩٠) لا يزال حياً وذلك حينما دخل الصليبيون بلاد الشرق وفعلوا مثل ذلك في اورشليم اذ عين وانبر بطريركا عليها (١٠٩٩) ولم تراع كرامة سمعان الثاني في القسطنطينية اذ شرطن توما موروزيني بطريركا عليها (١٢٠٥) مع معرفته بان بطريركها يوحنا كاثير حي بعد على ان هذا الخلل سرى الى العرش البابا وي نفسه ، فقد قضي اكثر هذا الدور بالتزاحم على السدة البابا وية ووجد في كثير من الظروف بابا وان معاً واحياناً ثلاثة

والمجامع التي عقدت في الغرب في هذا الدور انما كان غرضها تاييد هذه النظرية . فالمجمعان اللاتيرانيان الاول والثاني (١١٢٣ و ١١٣٩) غرضها مقاصة مقاومي البابا وات والتخطي لنيل السلطة الزمنية مع الروحية . والمجمعان اللاتيرانيان الثالث والرابع (١١٧٩ و ١٢١٥) قررا اخضاع المراطقة بالقوة . ومجمعا ليون الاول وفيانا (١٢٤٥ و ١٣١١) ازيد بهما تسيير الملوك طبق اماني البابا وات بالترهيب والترغيب فتقرر عزل فريدريك في الاول واسترضاء فيليب الجميل بالغاء تهمة الهيكليين بالثاني . ومجمعا ليون الثاني وفلورنسا (١٢٧٤ و ١٤٣٩) بذل الجهد فيهما لاخضاع الكنيسة الشرقية للغربية فذهبت تلك المحاولة جزافاً ولما ارادت مجامع بيزا (١٤٠٩) وكونستانس (١٤١٤—١٤١٨) و باصل (١٤٣١—١٤٣٧) تحديد سلطة البابا، قام المجمع اللاتراني الخامس (١٥١٢—١٥١٧) فالغى قراراتها وجعل سلطة البابا فوق المجامع المسكونية

٢) انحرافات جديدة في الطقوس

واصلت الكنيسة الرومانية انحرافاتها في الخدمة الالهية واليك اهمها احدثته :

معمودية الرش — استند الرومانيون في احداثها الى بعض الظروف التي سمحت فيها الكنيسة باستعمال السكب والرش في عماد المرضى او المسجونين ، فاستسهلوا ذلك واهملوا التغطيس واول ظهور هذه الطريقة في الغرب انما كان في القرن الثامن ولكنها لم تعم الغرب الا في القرن الثاني عشر

البرشان ومنع الكاس عن العامة — في هذا الدور استخدم اللاتين البرشان

في سر الشكر بدلا من الخبز المجزأ خلافا لما فعله المسيح ومنذ القرن الثاني عشر في ايام البابا بسكال الثاني اخذوا يتناولون شكلا واحدا (الجسد) بحجة التحفظ لئلا يهرق الدم بسبب الازدحام مبررين عملهم بان الجسد يتضمن الدم مع ان الا كليروس و بعض العلمانيين عندهم (كالملوك مثلا) يتناولون من الشكلين

عيدا الجسد والحبل بلا دنس — في القرن الثالث عشر ادعت الراهبة جوليانا اللييجية (في هولاندا) ان الله اعلن لها رضاه بتعيين عيد للجسد الالهي ، فامر روبرت اسقف لييج بتعييده في ابرشيته اولا (١٢٤٦) وثبته اوربان الرابع (١٢٦٤) وتعين للاحتفال به يوم الخميس الذي يلي احد الثالوث (بعد العنصرة بعشرة ايام) و بسبب المناظرات التي كانت تحصل بشان دعوى الحبل بلا دنس، في القرن الثاني عشر قررت كنيسة ليون (١١٣٨) التعييد له ، في ٨ ك ا وقبله الفرنسيسكان اما الدومنيكان فقد رفضوه وظل موضوع خلاف الى ان اثبته مجمع باسل (١٤٣٩) وامر بحفظه البابا سكستوس الرابع (١٤٧٦) اما العقيدة نفسها فلم تتايد الا في الدور السادس

التماثيل والالات الموسيقية — في هذا الدور اهتمت الكنيسه الرومانية كثيرا في المؤثرات الخارجية فعدلت عما يوجد الوقار في النفس الى ما يبهج الحواس الخارجية فاخذت تحفر الايقونات على هيئة تماثيل وادخلت الى البيعة استعمال الالات الموسيقية فاصبحت احتفالاتها الكثيرة ضربا من المشاهد العالمية ونضب الخشوع من طقومها

٣) السقوط الادبي في الغرب

لم ير من الحياة الادبية الدينية في الغرب في هذا الدور الا الوجهة المظلمة والشعاع الضئيل الذي كان يظهر احيانا كان يختفي بين ثنايا الظلام الكثيفة فان عدوى النقائص سرت الى كل الطبقات واصبح النهب ، وضروب القسوة وحب الرئاسة والمال والتهتك كشيء عادي لا يستنكف احد من اتيانه

الباباوات — من نصف القرن الحادي عشر الى آخر الثالث عشر كانت لهم

صورة التقوى ولكنهم على الحقيقة كانوا بعيدين عن الحياة الادبية التي لا لوم فيها ولا يستثنى من ذلك غريغوريوس السابع ، او اينوكنديوس الثالث اللذان مع انهما كانا من ارقى الذين تسنموا السدة البابا وية اديبا لكن استغراقهم في حب الرئاسة سهل لهم ارتكاب ما لا يجوز ارواء لمطامعهم . وقد اباحوا لانفسهم اتيان ضروب القسوة والتلون في منازعاتهم مع اسرة هوهنستوفين الامبراطورية اما باباوات القرنين الرابع عشر والخامس عشر فكانوا صورة مجسمة للبذخ والخلاعة والسيمونيا ولا سيما باباوات افينيون (١٣٠٩ — ١٣٧٧) ومتسنمي العرش في ابان الانشقاق الباباوي (١٣٧٩ — ١٤٤٩) الامر الذي اوجب اهتمام اباء مجامع بيزا وكونستانس وباسل لوضع حد لنقائص الباباوات

القصاد — سار على طريق الباباوات رجال القصر الباباوي الذين كانوا يأخذون من الاساقفة المشرطنين ثمن كل شيء حتى الحبر والورق ، وكل القضايا التي حلها قصاد البابا كان الحق فيها بجانب الذين دفعوا المال الاوفر

الاساقفة — كانوا ذوي صبغة زمنية محضة فانهم انما كانوا يرجون من وظيفتهم جمع الواردات لا اتمام الواجبات حتى قال احدهم (منسي اسقف ريمس) ان مركزه حسن لولا انه مكلف باتمام القداس ، واكثر الاساقفة بعد فشل الصليبيين اصبحوا بدون ابرشيات يتناولون الواردات لاتمام اهوائهم

سائر الاكليروس — اشتهر بانحطاطه حتى ان غريغوريوس السابع حظر عليه الزواج قصد رفع آدابه فآل الامر الى العكس اذ استبدل هؤلاء الخليلات بالخليلات بصورة صريحة والاساقفة لم يكونوا يردعونهم او يحاكمونهم الا طلبا للمال . اما المعارف الدينية فلم يكن عندهم منها سوى معرفة الليتورجيا باللاتينية ولكن بصورة غير متقنة واكثرهم كانوا يكلفون الرهبان الفقراء ان يتمموها عنهم باجرة زهيدة

العلمانيين — اشتهروا بالشراسة والروح الحربي مع الشبق والجهل الديني فتاريخ الاجيال الوسطى مملوء بذكر الحروب ذات القسوة البربرية . ومر الاكليل

لم يكن يعتبر ضروريا والسقوط الادبي بلغ الى درجه فقد فيها الشعب كل وسيلة للحصول على المعارف الدينية والرعاة بدلا من ان ينيروا الرعية حظروا عليها مطالعة الكتاب المقدس واقامة الخدم الالهية باللغة الوطنية فانتشرت الخرافات بين الشعب وساد التنجيم والسحر ومناجاة الارواح حتى ان الملوك انقادوا اليهم والعلماء (كتوما الاكويني) لم يستنكفوا ان ينشروا اراءهم في تآليفهم فاضعف نفوذ العرافين ثقة الزوجات برجالهن و بالعكس فثار الناس ضد المشعوذين وفتش عنهم اينوكنديوس الثامن (١٤٨٤) باهتمام ليقاصمهم كهراطقة

على ان الشعوذات لم تقتصر على العامة بل استخدمها الاكليروس نفسه فان كثيرين منهم بعد انتهاء الحملات الصليبية ادعوا انهم احضروا معهم ذخائر مقدسة من الشرق فظهرت ضفيرة والدة الاله في شارتري وقميص المسيح غير المنسوج في عدة مدن معا في تريز وانتورب وورمية و بريمي وغيرها ولم يقفوا عند هذا الحد بل اخترعوا عجائب كاذبة وامتاز بذلك ناذرو الفقر (الفرنسيسكان والدومنيكان)

الرهبنات الغربية

اولا — ناذرو الفقر

بسبب السقوط الادبي الذي عم كل الطبقات في الغرب في القرن العاشر نهض كثيرون من الذين حافظوا على التقوى المسيحية لايقاف تياره الهائل واول ما بدالهم عمله انعاش الروح الرهباني الذي ضعف حتى في ادبرة كلوني الشهيرة فظهرت عدة رهبنات ثبتها الباباوات اذ رأوا فيها ما يسند سلطتهم ومن اشهرها ما ياتي :

الرهبنة البرنارديه — انشاها (١٠٩٩) روبرت الشامباني الذي

تشرب الروح النسكي وهو حدث في احد اديرة بنديكتوس ووضع لها قوانين صارمة قصد تنشيط الفتور الرهباني الذي شاهده في الاديرة المذكورة وثبتها البابا باسكال الثاني غير انها لم تنتشر لصرامة قوانينها . ولكن انضمام برنارد (١٠٩١ – ١١٥٣) الذي نال احترام معاصريه اليها اكسبها شهرة عظيمة فانتشرت في كل اوربا منسوبة اليه ، فحصلت على غنى جزيل ونبغ منها عدد كبير من مشاهير الغربيين على ان الفتور سرى اليها على التمادي فساوت بذلك من سبقها

رهبنة الكرمليين – اسسها في نصف القرن الثاني عشر برتولو الكالابري الذي قدم مع الصليبيين الى فلسطين ثم اعتزل في جبل الكرمل وانضم اليه آخرون فثبت جماعتهم بطريرك اللاتين الاورشليمي واضعا لهم قانونا (١٢٠٥) ولما سقطت دولة الصليبيين في الشرق انتقلوا الى الغرب (١٢٣٨) حيث اضطروا ان يستبدلوا بقانونهم نظام احد الاديرة الفرنسيسكانية وتفرع منها رهبنة نسائية (١٥٦٢) بواسطة تريزيا الكاستيلية (١٥١٥ – ١٥٨٢)

رهبنة الفرنسيسكان – اسسها (١٢٠٨) رجل اسمه فرنسيس اشتهر باين قلبه واستسلامه الى الدينيات فزهد في العالم عند ما سمع قول المخلص في الانجيل : لا تحملوا ذهبا ولا فضة ولا عصا الخ : وجال نذيرا بالتوبة وبشيرا بالمسيح فتبعه رهط الف منهم رهبنته التي سماها « ميتوريت » – الاخوة الصغار واوجب عليهم نذر الفقر الاختياري والعفة والطاعة وقد ثبت هذه الرهبنة اوربانوس الثالث (١٢٢٣)

وسمح لهم بالتبشير وممارسة سر التوبة ونشا منها فرع نسائي بواسطة كلارا البتول (١١٩٣ – ١٢٥٣) وضع فرنسيس نفسه لها قانونا (١٢٢٤) وانتشرت الفرنسيسكانية في كل اوربا الغربية

رهبنة الدمنيكان – انشاها (١٢١٥) دومنيك (عبد الاحد) (١١٧٠ – ١٢٢١) الكاهن القانوني الاسباني لاجل رد الهراطقة الغربيين فانه اثناء سفره الى جنوبي فرنسا شاهد انتشار الهراطقة بسرعة فآلى على نفسه العمل على تقليص ظلها من تلك الاصقاع فاسس رهبنته المذكورة التي دعيت لاجل ذلك رهبنة الاخوة المرشدين سمح بها اينوكنديوس الثالث وعززها اونوريوس الثالث وسنة ١٢٢٠ نقح دومنيك قانونها وادخل اليه نذر الفقر الاختياري كالفرنسيسكان وتمتاز هذه عن الفرنسيسكانية بانها ذات صبغة علمية وكاتاهما عاشتا بين العالم عاملتين على تعزيز الكثلكة ولكن الاولى سارت في سبيل العاطفة داعية الى التوبه العملية والثانية في سبيل العقل داعية الى تقديم الاراء الايمانية لكن استسلام الرهبنتين الى الباباوات ادى الى ضعف تاثيرهم في العالم الغربي وابتعادهم عن منهاجهم الاصلي ٠

رهبنة اوغستين – من رهبنات الغرب المستحقة الذكر رهبنة اوغسطين التي ظهرت في نصف القرن الثاني عشر وضارعت في الاهمية الرهبنات السابقة ؛ من احد فروع هذه الرهبنة ظهر لوتير المصلح الشهير

ثانيا – طغمات الفرسان الروحيين

مع الرهبنات التى ذكرت ظهرت في الغرب طغمات اخرى لها صورة الرهبنة دعيت طغمات الفرسان الروحيين دعا لوجودها الحملات الصليبية واشهر هذه الطغمات ثلاث

١) طغمات اليوحناويين – انشاها بعض تجار آمالفي (من نابولي) (١٠٤٨) في اورشليم لاجل اعالة الفقراء والمرضى السياح ثم تحولت الى رهبنة (١٠٩٩) ثم اضيف الى واجبات اعضائها (١١١٨) المحاماة عن الزوار بالسلاح التي صارت بعدئذ من مميزات الطغمة الخاصة وقد استحث على هذه الخطة البابا كاليستوس الثاني (١١٢٠) وصدق عليها اينو كنديوس الثاني. وهم ينقسمون الى ثلاث رتب فرسان و كهنة وخدام ؛ واذ ارتاحت اوربا الى عملهم اغدقت عليهم الهبات فاثروا في مدة قصيرة و بطروا وخفت صرامة معيشتهم الادبية ؛ ولما استولى صلاح الدين على اورشليم (١١٨٧) انتقلوا الى عكا (١٢٥٧) ومنها الى قبرص (١٢٩١) فرودس (١٣٠٩) حيثما ظلوا هناك حتى استخلصها منهم سليمان القانوني (١٥٢٢) فانتقلوا الى مالطة (١٥٣٠) التي وهبهم اياها كارلوس الخامس ومن الجزيرتين اخذوا اسمهم فرسان رودس او مالطة

٢) طغمة الهيكليين – انشاها في اورشليم في اوائل القرن الثانى عشر تسعة فرسان فرنساويين برئاسة هو كودي باين للمحافظة على الزوار ومحاربة غير المومنين ، واستحسن طريقتهم بلدوين الثاني

ملك اورشليم فوهبهم قسما من قصره المبني على انقاض هيكل سليمان فاقاموا فيه. ومنه اخذوا اسمهم تمبلار بين (هيكليين) وقد ثبت هذه الطغمة اونوريوس الثاني (١١٢٨) وارتاح اليها الغربيون فنالت كالطغمة السابقة احسانات كثيرة اعتزت بها وبعد سقوط اورشليم وعكا هجروا فلسطين الى قبرص ومنها الى اوربا الغربية حيث قطنوا في املاكهم الغنية متخذين باريس مركزا لاعمالهم، غير ان فيليب الجميل خشي حركاتهم فاخذ يضطهدهم من سنة (١٣٠٧) واضطر البابا اكليمس الخامس ان يلغي طغمتهم فاصدر منشورا (١٣١٢) اعلن به انهم هراطقة

طغمة السيافين — لمثل هذه الغاية ظهرت في اوربا طغمة السيافين (١٢٠٢) التي اتحدت مع الفرسان التوتونيين (١٢٤٧) وهؤلاء الاخيرون كانت طغمتهم قد تاسست (١١٠٩) حينما حاصر عكا قلاوون

الدور الخامس

من سقوط القسطنطينية في الشرق (١٤٥٣) وظهور الاصلاح في الغرب (١٥١٧)

الى

مجمع اورشليم (١٦٧٢) في الشرق ومعاهدة وستفاليا (١٦٤٨) في الغرب

صفة هذا الدور

تحولت السلطة في الشرق من المسيحية الى الاسلامية بعد ما سادت فيه احد عشر قرناً ونيف . فحرمت الكنيسة الشرقية كثيراً من امتيازاتها واضطر الشرقيون ان يتذرعوا بالصبر الجميل والحكمة الوافرة في سبيل الاحتفاظ بمبادئهم الروحية وبسبب ذلك احب كل من الفريقين الكبيرين المتناظرين في الغرب ان يستميل الى رأيه ابناء الشرق اما الكنيسة فاعلنت في مجمع اورشليم موقفها الصريح بحيث ظلت بعيدة عن افراط المغالين وتفريط المصلحين

اما في الغرب فقد حاول اللاتين جهدهم ان يكرهوا البروتستان على الاذعان للرئاسة البابوية فلم يفلحوا اذ اصر هؤلاء على الانفصال واشتد اللجاج باولئك طلباً للاخضاع وبلغ الحنق بكلا الفريقين اشده حتى سالت الدماء انهاراً وانتهى ذلك الصراع الدموي باعتراف الاولين مضطرين للاخرين بالاستقلال الروحي واسفرت المعركة عن ظهور مذهبين كبيرين في الغرب هما البابوية والبروتستانية وتفصيل هذا الاجمال في ما يأتي

اولاً — تاريخ الكنيسة الشرقية

الفصل الاول

الكنيسة والحكومة

لما انتهت السلطة التركية الى محمد الثاني رجل الحروب

والفتوحات ضيق النطاق على القسطنطينية في ايام قسطنطين الحادي عشر، حتى فصلها عن سائر املاكها في اسيا واوربا . ثم هاجمها بشدة بجيشه العظيم الذي اطمعه بان اجاز له السلب بعد الفتح ثلاثة ايام فثبت جيش اليونان القليل العدد تجاه هذه الهجمة الهائلة الى الليل السابق صبح ٢٩ ايار (١٤٥٣) حيث سقطت المدينة بيد الاتراك وبسقوطها قضي على المملكة الشرقية المسيحية وما تفرع منها لان الفاتح استولى بعدئذ على سربيا (١٤٥٩) والموره (١٤٦٠) وطرابزون (١٤٦١) والبوسنه (١٤٦٣) والبانيا (١٤٦٧) وقد اصاب المسيحيين في هذه الفتوحات ضنك شديد اذ دمرت الكنائس ونهبت الاديرة وتناقص عدد المسيحيين جدا لاستشهاد (١) الوف وسبي كثيرين وتدين عدد ليس بقليل منهم بالاسلامية

على ان الفاتح كسياسي محنك جامل المسيحيين لتوطيد سلطنته في البلاد فاظهر رضاه عن انتخاب جناديوس سخولاريوس للمقام البطريركي ، واليه بذاته الاوموفوريون كما كان يفعل ملك بيزانطيه وسلمه العصا الفضية والمانتيا واهداه حصانا ابيض

(١) روى المطران يوسف الدبس (٧ ص ٢٨) عن الدوبهي ان الترك اسروا من المسيحيين في قبرس وحدها ٨٠ الفاً وقتلوا خمسين الفاً

وذكر فريد بك في تاريخ الدولة العثمانية طبعة مصر (ص ٤٠) انه على اثر فشل متياس المجري بالدفاع عن البوسنه ضيق الترك عليها جدا حتى اضطروا اغلب اشرافها لاتباع الاسلامية ونظموا من شبانها في سلك الانكشارية ١٣٠ الفاً

والف ذهب . ومنحه فرمناً يخوله حق التمتع بجميع الحقوق التي كانت لاسلافه وارفقه بكوكبة من الفرسان الى البطريركية . لكن ذلك لا يعني تجرد الفاتح من عواطفه الخصوصية فانه ما برح كمسلم يعمل لتاييد الاسلامية لذلك حول كنيسة اجيا صوفيا الى جامع وكذلك كنيسة الرسل بعد انتقال البطركية الى جوار كنيسة الكلية القداسة . كما انه خلع يواصف الاول لامتناعه من اكليل احد المقربين اليه . ووضع اخيرا (١٤٦٧) ضريبة على كل من طلب البطركية وفرض على المسيحيين ضريبة بشرية تدعى «عشر الاولاد» وبموجبها كانوا يختارون كل خمس سنوات مرة من اولاد المسيحيين الحسان البنية والهيأة الذين سنهم دون السنوات السبع ويعدونهم لخدمة الدولة بعد اشرابهم اياهم الروح الاسلامية (١)

وخلفاء الفاتح لم يرغبوا ان ينفذوا رغائب الفاتح بالامتيازات التي منحت للمسيحيين . فان ابنه بيازيد (١٤٨١) مع ما عرف به من الحمول ضيق على المسيحيين لدرجة انه وضع يده على تروكات سمعان الطرابزوني البطريرك المتوفى (١٤٨٩) وطرد نيفون خليفته لعدم ممالاته اياه على ذلك . وعزل يواكيم الاول (١٥٠٢) لانه اراد تجديد سقف احدى الكنائس . وحول عدة كنائس الى جوامع وبرضاه استشهد يوحنا الطرابزوني (١٤٩٢) ويوحنا ابيروت (١٥٠٠) الامور التي لاجلها لقب المسيحيون «عدو المسيح»

(١) مير الاميركاني نمرة ٥٩٨ وسميرنوف الروسي جزء ٢ نمره ٣ و ٥

وسليم الاول (١٥١٢) الذي قهر الفرس وملك سوريا ومصر واخذ الخلافة من العباسيين (١٥١٧) خيل اليه انه انما نجح بسبب ايمانه فاظهر شكره لله باجباره المسيحيين على التدين بالاسلامية

وسليمان الثاني سنة (١٥٢٠) الذي اوصل تركيا الى اوج العظمة والسودد كان كاسلافه يكره المسيحية فاصدر امرا سنة (١٥٦٢) ببيع الاوقاف الكنسية وادخال ثمنها الى الخزينة . ووضع رسوما على زوار قبر المخلص . وقصر المدة التي عينها الفاتح لجمع عشر الاولاد بحيث صارت تتكرر كل ثلاث سنوات او سنتين واحيانا كل سنة مرة ولم يقتصر على سوق من كانوا دون السنوات السبع بل تجاوزها الى الخامسة عشرة وذلك ليسد النقص العظيم الحاصل في جيشه بسبب كثرة حروبه وزاد الخراج كثيرا في ايامه لزياده النفقات التي اعفي منها الاتراك ووضعت على عواتق المسيحيين

وسليم الثاني سنة (١٥٦٦) الذي لقب نفسه مقوض المسيحية ضبط ايرادات كل الكنائس سنة (١٥٦٩) عدا كنائس العواصم الثلاث (القسطنطينية وادرنه وبروسة) وحينما تحطم الاسطول العثماني (١٥٧١) في واقعة ليبانت نقم على دول اوربا الغربية فامر بقتل جميع المسيحيين ولكان نفذ الامر فعلا لولا تعقل الصدر الاعظم (محمد باشا الصقللي)

ومراد الثالث (١٥٧٤) المشهور بشيعه وطمعه حول كنيسة

الكلية القداسة الى جامع ونفى البطريرك ارميا الثاني سنة (١٥٨٤) لمقاومته امره هذا استنادا الى فرمان الفاتح . ولكانت تحولت سائر الكنائس الى جوامع لولا مدافعة السفراء ودفع الاموال الباهظة لذلك انتقلت البطركية الى جوار كنيسة المختارة فديمتريوس فجاورجيوس في محلة الفنار سنة (١٦٠١) حيث لا تزال الى الان

ومحمد الثالث سنة (١٥٩٥) الذي اشتهر بقتله اخوته التسعة عشر ؛ قد نال المسيحيون في ايامه حظهم من تعديات الانكشارية الذين اذ سمح لهم بالزواج اغتصبوا احسن اراضي المسيحيين واجمل نسائهم. ولم يكن الملوك الذين اتوا بعد المذكورين باحسن من اسلافهم لانهم اشربوا جميعا بغض المسيحية فكانوا الاقل سبب يصدرون اوامرهم بقتل المسيحيين كما فعل مراد الرابع سنة (١٦٣٥) وابراهيم الاول سنة (١٦٤٥) ولكنهما عدلا عن ذلك الاول عملا بنصيحه احد عقلاء الدولة والثاني بمعارضة المفتي ابي سعيد زاده (١)

ولم يكونوا يبالون بخنق البطاركة لاسباب تافهة او بدون سبب كما جرى لكيراس لوكاريس سنه (١٦٣٨) وكيرلس بادي سنة (١٦٣٩) وبرثينيوس الثاني (١٦٥١) والثالث (١٦٥٧) وكان خلع البطاركة متواصلا لطمع الصدور العظام بنيل هدية البطريرك الجديد وحسبك ان تعرف ان في هذا الدور الذي هو عبارة عن نحو قرنين جرت مناوبة الكرسي ٦٨ مرة وكان بعض البطاركة

(١) انظر تاريخ فريد بك صفحة (١٢٦)

يعزلون ويردون الى الكرسي خمس مرات

لذلك زادت حالة المسيحيين سوءاً . فقد تفاقمت كمية الضرائب لان الملتزمين (اليهود) كانوا يضيفون الى الضريبة ما يشاؤونه بالتواطؤ مع الولاة . واقفل في وجوه المسيحيين باب الوظائف واذا استثنينا بعض اليونان الذين استخدمهم الترك في الاسطول لخبرتهم البحرية وتراجمة في القصر السلطاني (١٦٦٠) لعدم وجود من يسد مسدهم من المسلمين لما وجد مستخدم مسيحي . ذلك لان الحكومة اعتبرتهم مستعبدين لا اصحاب وطن . وقد حظر على المسيحيين تادية شهادة على مسلم ولبس عمامة بيضاء او خضراء ومنعوا من السير بقرب الجوامع الى غير ذلك من الشؤون التي ادت بكثيرين من ابناء المسيحيين الى جحود المسيحية واسلم عدد كبير من اليونان والسلاف ولا سيما في البوسنه والهرسك(١) والبانيا والاناضول . وسهل على هؤلاء ترك ايمان آبائهم وجود قانونين في تركيا الاول يقضي بسقوط القصاص عن المجرم بالاسلامية والثاني وجوب قتل المرتد عن الاسلامية . وبموجب هذا القانون استشهد نقولا كارامان في ازمير (١٦٥٧) لابائه الاسلامية ونقولا الفتى في القسطنطينية (١٦٧٢) لانه قرأ فقرة قرآنية بامر استاذه التركي

اهتمام الكنيسة الروسية بالشرق

لم تهتم مملكة اوربية بتخفيف مصائب الشرقيين اهتمام الروس

(١) فريد بك (ص ٤٠)

بهم . اجل ان بعض الاوربيين اهتموا بالشرق احياناً ولكن اهتمامهم كان لاغراض فزال بزوالها . اما الروس فقد واصلوا اهتمامهم بالشرق في كل الظروف لغير غرض سياسي

فباسيلي المظلم (١٤٢٥–١٤٦٢) ساعد جناديوس القسطنطيني يسمي يونان متروبوليت روسيا . ونال البطريرك الاورشليمي مساعدات ايفان الثالث (١٤٦٢–١٥٠٥) بيد البروتوسينجلوس يوسف . واغدق باسيلي الثالث (١٥٠٥ – ١٥٣٣) هباته على الشرق الارثوذكسي في ظروف متعددة حتى ان معيشة رهبان آثوس وسيناء كانت من روسيا . ويوحنا الهائل مع شدته لم يهمل الشرق من احساناته ففي سنة ١٥٥١ ارسل للبطريرك القسطنطيني ديونيسيوس الف ذهب واوصى به السلطان سليمان القانوني وسنة ١٥٦٥ بعث للبطريرك يواصف ١٥٧٠ روبلاً عدا الف ذهب بعث بها الى البطريرك الاسكندري ومئتي ذهب للانطاكي وستة آلاف روبل وزعت في آثوس وجواره عن نفس ولده . ولم يكن ابنه ثيودور (١٥٨٤–١٥٩٨) اقل سخاء منه فقد احسن استقبال البطريركين يواكيم الانطاكي (١٥٨٦) وارميا القسطنطيني (١٥٨٨) وزودهما بهدايا وافرة وارفقهما بتوصية للسلطان مراد الثالث

وكذلك بوريس غودنوف (١٥٩٨) الذي ارسل للبطريرك الاورشليمي صفرونيوس وحده الفي ذهب ونيف عدا الحلل الكهنوتية والاواني الكنسية

وميخائيل رومانوف (١٦١٣) حينما زاره ثيوفانس الاورشليمي (١٦١٩) اعاده مثقلاً بالهدايا ومنحه ازيد من الفي روبل

واليكسي (١٦٤٥) الذي في ايامه زار روسيا البطاركة الاربعة عدا غيرهم من اكليروس الشرق وكانوا كلهم يعودون مزودين بالاحسانات الوافرة

وآخر من زار روسيا في هذا الدور البطريرك الانطاكي مكاريوس ابن الزعيم الحلبي المشهور، زارها مرتين الاولى سنة ١٦٥٣ استمدادا لمساعدة القيصر والثانية سنة ١٦٦٦ صحبة البطريرك الاسكندري بائيسيوس بدعوة من القيصر لمحاكمة البطريرك الروسي نيكون

الفصل الثاني

مناظرات ومشاغبات

١) الارثوذكسية واللاتين

الارساليات اللاتينية — لما زالت السلطة المدنية الارثوذكسية من القسطنطينية؛ تقوت الارساليات اللاتينية في الشرق لعدم وجود من يقف في سبيلها. واستعمل المرسلون كل الوسائل الجائزة والمحظورة لاجتذاب الارثوذكس اليهم

ففي اواخر القرن الخامس عشر واوائل السادس عشر كانت الارساليات منحصرة بين ارثوذكس المورة والبانيا وجزر البحر المتوسط الخاضعة لجمهورية البندقية لذلك كاتب البطريرك

مكسيموس الفيلسوف سنة (١٤٨٠) دوق فينسيا طالبا منه المحاماة عن الارثوذكس في كريت ازاء مداخلات الاكليروس اللاتيني ، وخلفه سمعان عقد مجمعاً سنة (١٤٨٤) صدق على الحكم ضد الاتحاد الفلورانسي. ومن الحوادث التي تدل على تدخل اللاتين غير القانوني هو انتهاء الشماس ارسانيوس اليوناني الى اللاتين في اول القرن السادس عشر وطرده اسقف مونمباس (المورة) واخذه موضعه بمساعدة حكومة البندقية. لكن البطريرك يخوميوس حرمه ففر خشية الهياج

وفي شطر القرن السادس عشر الثاني تقوت الارساليات اللاتينية بعناية البابا غريغوريوس الثالث عشر. الذي لاجل اجتذاب اليونان اسس مدرسة كلية في رومية سنه (١٥٧٧) وشاد كنيسة على اسم القديس اثناسيوس سنة (١٥٨١) لاتمام الدروس والصلوات في اللغة اليونانية فالطلبة الذين كانوا يتلقون دروسهم مجانا من مدرسة لاتينية تشربوا روح الكثلكة فجاهر بعضهم باتباعها والبعض الاخر بقي ارثوذكسيا ولكن بالاسم فقط وكلتا الفئتين خدمتا الروح البابوية في الشرق. وقد عزز البابا غريغوريوس المذكور الارساليات اللاتينية بارساله سنة (١٥٨٣) وفداً جزويتياً الى الشرق مصحوبا بمساديات وافرة. وبمساعدة سفراء الدول اللاتينية وطدوا اقدامهم في القسطنطينية باذن من الحكومة التركية. وفي سنة ١٦٠٠ اسسوا كلية في غلطة وشادوا في سواها مدارس ومياتم

ومستشفيات ومدارس الخ وبظهورهم بمظهر المحسنين استمالوا الارثوذكس اليهم ونالوا ثقتهم ثم اخذوا ينشرون رسائل متعددة المظاهر تحبب الى الشعب المبادىء اللاتينية وتصغر في اعينهم الارثوذكسية . وكانوا مع هذا يعيدون طبع الكتب الارثوذكسية في رومية لاقناع الارثوذكس باخلاصهم على ان هذه النيات لم تبق مستورة تحت ستر تلك التظاهرات زمنا طويلا . بل انتبه الروساء الى اغراضهم الحقيقية وهي الاستئثار بحرية الشرقيين . وكان اولئك المحامون عن الارثوذكسيه في هذا الدور ارميا الثاني (القسطنطيني) وملاتيوس بيغاس (الاسكندري) اللذين بتعاليمهما ورسائلهما انتشلا كثيرين من الوقوع في فخاخهم وسنة ١٥٨٣ عقد ارميا مجمعا في القسطنطينية رفض فيه الحساب الغريغوري لانه لم يخل من الخطا ايضاً . وذلك لكي لا يكون الحساب الجديد ذريعة لسريان روح البابوية الى الشرق . ولكن بعد وفاة ارميا سنة (١٥٩٥) تسرب الخلل الى الكرسي القسطنطيني اذ تمكن الجزويت من استمالة روفائيل الثاني سنه (١٦٠٣ — ١٦٠٧) فعين احد المتحدين مع البابويين مطرانا لاحدى الابرشيات . ولكن ذلك لم يطل امره ، فقد قام على الكرسي (١٦٢١) رجل ترك في قلوب الغربيين اثرا لا يذكرونه بارتياح الا وهو كيرلس لوكاريس الذي جعل مساعيهم عقيمه في الشرق بمحاماته الحارة واستبساله في مقاومتهم وقد بذل الجزويت مساعي شديدة لاسقاطه وكلفهم ذلك نفقات

باهظة . ومع اسقاطهم اياه عدة مرات عاد فتمكن من الرجوع الى السدة بمناصرة الشعب ومساعدة سفيري انكلترا وهولاندا ؛ وظهر للحكومة التركية ان وشايات الجزويت لا اصل لها . لكن هولاء واصلوا مساعيهم في مقاومته حتى امنيت خنقا سنة (١٦٣٨) ونال حظه ايضاً البطريركان برثينيوس الثاني سنة (١٦٥١) والثالث سنة (١٦٥٧) ولكن البطريرك برثينيوس الرابع تمكن من الفوز عليهم واستحصل امرا بحرق منشوراتهم الضارة

اللاتين والاماكن المقدسة — ولم يكتف اللاتين في هذا الدور ببث الارساليات في الشرق لاخضاع الشرقيين للعرش البابوي بل حاولوا ايضاً لاستيلاء على الاماكن المقدسة مطمح ابصار المسيحيين عموماً . واذ كانت الاماكن المقدسة قبل الفتح الاسلامي وبعده تحت ولاية الارثوذكس ؛ شهر اللاتين حرباً عليهم ليستخلصوها منهم كما حاولوا ذلك في ايام الصليبيين فخذلهم صلاح الدين الايوبي (١١٧٨) طارداً البطريرك هرقل اللاتيني وعاضدا البطريرك الارثوذكسي . وقد فعل كالايوبي بتأييد حق الارثوذكس السلطان سليم الاول فاتح مصر وسوريا اذ امر بتسليم الكنائس للبطريرك دوروثاوس الارثوذكسي

ولكن في ايام السلطان سليمان الكبير (١٥٢٠–١٥٦٦) اغتصب اللاتين كنيسة المبلاد في بيت لحم على الشكل الغريب التالي :

جرت العادة ان يذهب كل رهبان الارثوذكس في بيت لحم

لحضور حفلة السبت العظيم في القدس فذهبوا هذه المرة ولم يبقوا في الكنيسة سوى القندلفت فتاقت نفس هذا للاشتراك في الحفلة فتبع الرهبان الى اورشليم واودع مفاتيح الكنيسة عند راهب فرنسيسكاني وطلب اليه ان يشعل القناديل مدة غيابه وفي اليوم الثاني لما عاد وطلب المفاتيح ابى عليه ذلك تسليمها فضج الارثوذكس ورفعوا دعواهم الى القاضي فحكم هذا (بتأثير الرشوة المستحقة الذكر) بان الكنيسة للاتين فتامل . . .

وفي ايام البطريرك صفرونيوس (١٥٧٩–١٦٠٨) زار اورشليم احد اغنياء الغربيين فاستحسن الجلجلة وطمع فيها لقومه فرشا الحاكم بستة آلاف ليرة ليستخلصها للاتين غير ان البطريرك عرف بالامر فدفع للحاكم مضاعف القيمة وحفظها للارثوذكس

وسنة (١٦٣٠) رشا الجزويت الصدر الاعظم قصد استلام الولاية على القيامة والجلجلة مدعين ان اوراق التملك التي بيد الارثوذكس مزورة وان السلطان سليماً الاول سلم الاماكن المقدسة للاتين لا لليونان ولكن البطريرك ثيوفانوس الاورشليمي (١٦٠٨ – ١٦٤٨) بمساعدة كيرلس لوكارس استحصل امرا برد كنيسة الميلاد المغصوبة وتثبيت حق الارثوذكس بالقيامة والجلجلة

٢) الارثوذكسية والبروتستان

لاهوتيو الشرق والمصلحون — اجتهد البروتستان باستمالة الارثوذكس اليهم كما اجتهد اللاتين . لكنهم تجنبوا الوسائل

الاجبارية التي استخدمها اولئك. واول مفاوضة حدثت بين الطائفتين كانت (١٥٥٩) في ايام البطريرك القسطنطيني يواصف الثاني وملانكتون ولوتر موسسي البروتستانية . وسبب ذلك انه لما بلغ يواصف حدوث اصلاح ديني في جرمانيا ارسل شماسه دمتريوس ميسوس لاستطلاع ذلك الشان . فلما عاد هذا من ويتمبرج اصحبه ملانكثون بصورة اعتراف اوغسبرج ورسالة للبطريرك بين فيها ان المصلحين انما عملوا ما عملوه بغية الابتعاد عن محدثات رومية؛ واما العقائد التي يويدها الكتاب المقدس والمجامع والآباء فهم ما برحوا مستمسكين بها . ورجا منه ان لا يصدق الاشاعات السيئة عنهم . فلما قرأ البطريرك الرسالة وقابلها على اعتراف اوغسبرج وجد بينهما تفاوتا بينا فابى ان يجاوبه على رسالته لاعتباره ان في الامر خدعة .

ثم تكررت المفاوضات في ايام ارميا الثاني حينما حضر الى القسطنطينية (١٥٧٣) استفان غيرلاخ بعية السفير الالماني مرفوقا برسائل من علماء جامعة توبنجن للبطريرك المذكور يظهرون له فيها اتفاق البروتستان مع اليونان في العقيدة الايمانية فاظهر البطريرك ارتياحه الى الاتحاد مشترطاً لاتمامه وجوب التمسك بكلام الله سواء كان مكتوبا ام نقل بالتقليد . وقبل ان يستلم علماء توبنجن (مرتين كروز ويعقوب اندري) رسالة البطريرك ارسلا له اعتراف اوغسبرج ورسالة يرجوان منه فيها ابداء رايه في مذهبهم

ولما بلغتهما رسالته ارسلا له رقيماً آخر يو . كدان له فيه انهم متمسكون بتعاليم الرسل والانبياء الموسسه على الكتاب والمجامع المسكونيه السبعة . فشعر ارميا ان البروتستان يستخدمون المواربة لاستمالة الارثوذكس اليهم . فاجابهم (١٥٧٦) برسالة اظهر فيها مع الاحداثات البابا ويه الانحرافات البروتستانية مويدا التعليم بالاسرار السبعة واكرام القديسين وما اشبه

فاجابه لاهوتيو توبنجن بعد سنة بما يفهم منه ان الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد للعقائد فراى ارميا في هذا الجواب حجة بينة للوهم على التناقض الظاهر بين قوليهم الاخير والاول فاجابوه برسالة مسهبة وقعها مشاهير لاهوتيي توبنجن يبررون فيها انفسهم من الزيغ والتناقض . واذ لحظ البطريرك ان هذه المفاوضات لا نتيجة لها اجابهم (١٥٨١) برسالة برهن فيها غلطهم في ما احدثوه خاتماً الرسالة بطلبه منهم ان لا يعودوا لازعاجه مرة اخرى بمراسلات عقيمة

بعد ذلك عاد التوبنجيون فكتبوا للبطريرك عدة رسائل لكن البطريرك بعد ما اطلع على الفوارق بين الارثوذكسية والبروتستانية ابى ان يجيبهم عليها وكان السعي للتوفيق بين الطائفتين فاشلا

مشاغب البروتستان — بعد فشل المفاوضات البروتستانية القلمية عمدوا الى ايفاد مرسلين الى الشرق لاجتذاب الارثوذكس

الى ارائهم ومصدر هذه الارساليات انما كانت جامعات توبنجن وو يتمبرج وجنيف التي عززها السفراء البروتستان في القسطنطينية ولكي يستميلوا قلوب الارثوذكس اليهم ظهروا لهم بمظهر المساعدين اياهم على اللاتين . فاستمالوا اليهم في اول الامر بعض الشرقيين المتخرجين في مدارس بروتستانية الذين بسبب وقوفهم في وجوه اللاتين وقفة الخصم العنيد جعلوا اللاتين يتهمون الارثوذكس كافة باتباع البروتستانية . واهم المشاغب التي حصلت من هذا القبيل كانت في ايام البطريرك كيرلس لوكارس . هذا قبل صيرورته بطريركا ساح في اوربا واطلع بتدقيق على تاريخ البروتستانية وتعرف بمشاهير علمائها . فكانوا له اصدقاء في مستقبل الايام لذلك لما حصل على الكرسي البطريركي كان كل من سفيري هولاندا وانكلترا يقفان كترس له تجاه هجمات اللاتين الموجهة اليه فاتهمه هولاء بالبروتستانية وايدوا تهمتهم بكتاب نسب اليه وهو مشحون بالاراء الكلوينية . وقد ظهر هذا الكتاب اولا في جنيف (١٦٢٩) باللغة اللاتينية وثانياً (١٦٣٣) باللغة اليونانية . فنقم الارثوذكس على بطريركهم وبرأه بعضهم وظلت هذه المشاغب الى وفاته (١٦٣٨) ولكي يتبرأ الارثوذكس من الاتهام بالبروتستانية عقدوا عدة مجامع في القسطنطينية واورشليم (١٦٣٨) وياش (١٦٤٣) حكموا فيها على اعتراف جنيف وفي مجمع اورشليم (١٦٧٢) الذي اتخذناه حدا اخيرا لتاريخ هذا الدور وضع تحديدة بطل تعاليم الارثوذكسية

وتمييزها عن البروتستانية ويرى شخص لوكاس من تهمة الانحياز للكلوينية

الفصل الثالث

المعارف الروحية

ضعف التدين في الدور الماضي ولكن الوسائل لتحصيل العلوم الروحية كانت ميسورة للجميع لذلك وجد آنئذ كثير من العلماء وبعض الملوك حصلوا الدروس اللاهوتية . اما في هذا الدور فقد اضمحلت وسائط المعرفة او كادت لتهدم المدارس وتقوض الاديره وغور ينابيع العرفان بسبب الفتوحات التركية . فان اليونان في هذه المدة انصرفت اذهانهم الى تحصيل القوت اليومي والاهتمام بسلامة ارواحهم واصبحت المعارف عندهم امرا ثانويا ولم يسلم من الجهل حتى الروساء الروحيون انفسهم . فقد علا السدة البطركية والكاتدرائية الاسقفية احيانا كثيرة اناس لا خبرة عندهم وكانت معارف الكهنة والشمامسة محصورة في القراءة والكتابة ومعرفة ما يلزم لاتمام فروضهم الدينية

لكن هذه الشدة لم تستطع ان تطفئ مصباح المعارف لان حياة الكنيسة كانت تستلزم التمكن منها لاجل املاء المراكز العالية وللمدافعة عن الارثوذكسية تجاه مهاجميها من فريقي اللاتين والبروتستان لذلك وجدت مدارس ابتدائية قرب الكنائس او في

بيوت الكهنة لتجهيز اشخاص للوظائف الكنسية الدنيا. ووجدت مدارس عالية لتلقين اللاهوت والعلوم المعروفة وقتئذ وفي كلا الطبقتين كان المدرسون في الغالب من الرهبان او الكهنة يتناولون رواتبهم من الطلبة لكن كثيرا من تلك المدارس كانت تتوقف او تقفل لعدم وجود دعائم ثابتة لها . ومن تلك المدارس نستطيع ان نذكر مدرسة القسطنطينية التي اسسها البطريرك جناديوس سنة (١٤٥٤) وقد سارت شوطا حسنا في بادىء امرها وفيها تخرج مكسيموس الفيلسوف وارميا الثاني ولكنها بالاجمال لم تكن مزهرة كما يجب ان تكون

وبالرغم عن الوسائل القاهرة التي ضيقت النطاق على المعارف في الشرق فقد نبغ في هذا الدور كتبة كنسيون يستحقون التقدير نذكر منهم الممتازين الذين لا نشك في ان المعيتهم انما اظهرها اضطرارهم للوقوف في وجه الارساليات اللاتينية والبروتستانتية

١) جناديوس سخولاريوس (+ بعد سنة ١٤٥٩) هو اول بطريرك قسطنطيني بعد الفتح . كتب في كل فروع اللاهوت ، من مولفاته المشهورة (١) « تاريخ الايمان » وضعه جوابا على استيضاح الفاتح اياه عن ماهية المسيحية ، برهن فيه حقيقة التثليث والتوحيد والتجسد وقيامة الموتى . (و ٢) « الانبثاق » في اربعة مجلدات برهن فيها انبثاق الروح من الاب فقط مفندا اعتراضات

اللاتين واحدا فواحدا بعد ما اتى على تاريخ الزيادة بالتفصيل و٣) « المطهر » و (٤) « رد الالحاد » تفنيدا لمآخذ عشاق الفلسفة الافلاطونية الوثنية و (٥) « نفس الانسان » و (٦) « النفس بعد الموت » موضوعها فلسفي لاهوتي و (٧) « خدمة الله » موضوعه اخلاقي ادبي

٢) مانوئيل البلوبونيسي — خطيب البطركية القسطنطينية ورئيس مدرستها في الشطر الاول من القرن السادس عشر . من مولفاته المشهورة « الدفاع » ردا على اللاتين

٣) نخوميوس روسان — الراهب الاثوسي الملقب راكيندیت (اللابس الفقر) نبغ في الشطر الاول من القرن السادس عشر . من مولفاته « وجود الله » « سر التجسد » و « اهمية الكتاب المقدس » و « تعليقات على الاباء اليونان » ضد اللاتين و« مزدري القدسات » ضد البروتستان

٤) غفرئيل سيفير مطران فلادلفيا (١٥٧٧) توفي سنة ١٦١٦ هذا لانه عاش في البندقية بين اللاتين اهتم بحفظ الارثوذكسية نقية من تشويهات اللاتين فخلف في هذا الموضوع مولفه المشهور « القضايا الخمس » و « الاسرار المقدسة »

٥) مكسيم مرغوني (✠ ١٦٠٢) اسقف سيتير خلف عدة تاليف منها (الانبثاق) و (متليتني اليونان) و(تراجم القديسين) (ومراثي يوحنا السلمي) وعدة مقالات ورسائل

٦) ملاتيوس بيغاس (+ ١٦٠١) البطريرك الاسكندري ونائب البطريرك المسكوني . من اشهر مؤلفاته « تعاليم روحية » و « مستحدث الكاتيشيس » و « سترومات » والمطهر » ومن احسن ما خلفه رسالاته الخصوصية والعمومية التي احسن فيها شرح العقائد الارثوذكسية ورد احداثات اللاتين

٧) جيورجيوس كرنز (+ ١٦٦٠) الصاقزي الاصل خريج جامعة بادوان والطبيب مهنة الذي فند بتآليفه الاراء اللاتينية (في رئاسة البابا والانبثاق) والبروتستانية (في الاسرار وسابق التحديد والنعمة وحرية الارادة واكرام الايقونات)

٨) نكتاريوس الاورشليمي — الذي ساس الكرسي الاورشليمي (١٦٦١ — ١٦٧٢) ثم استقال وتوفي سنة (١٦٧٦) اشتهر بجمعه كل ما كتبه الشرقيون ضد اللاتين ونشرها في مدينة ياش وله رسالة في الفوارق الكائنة بين الارثوذكسية والبروتستانية ومن تاليفه تاريخ ملوك مصر من اقدم ازمنتها الى ايام السلطان سليم لاول

الفصل الرابع

الادارة والعبادة والتهذيب

(١) الادارة الكنسية

بطريركية الاستانة — في هذا الدور حصل تغيير مهم في الادارة الكنسية لان الحكومة التركية اعتبرت البطريرك موظفاً مدنياً ورئيساً لعموم المسيحيين في المملكة فحصل بذلك على اهمية مدنية فوق اهميته الروحية . وقد خول الحق بالقضاء بين المسيحيين في امور كثيرة كالوصايا والمواريث والديون الخ وظلت له القابه السابقة وكيفية ترتيب حاشيته

على ان هذه الاهمية جعلت الدرجة البطريركية مطمحاً لانظار الكثيرين واخذ بعضهم يستخدم المال لاجل الوصول الى غرضه . وذلك ما جعل الفاتح يكف عن دفع الرواتب للبطاركة وليس ذلك فقط بل صار يتناول منهم هدية . وظلت قيمة هذه الهدية تزيد الى ان بلغت يوماً ما مئة وخمسين الف ليرة .(١) وصار يتسنم المركز من لم يكن له اهلاً وبسبب هذه المساعي الخبيثة سمح الصدر الاعظم لنفسه ، ان يسمي البطريرك وسائر الاكليروس كلاباً بدون ايمان ولا نظام

لكن الكرسي القسطنطيني ازدان برهط من العلماء الاتقياء الذين ما برحت الكنيسة تجلهم منهم

جناديوس سخولاريوس (١٤٥٤ — ١٤٥٩) افضل يوناني عصره كان استاذ المدرسة الكبرى في القسطنطينية (١٤٢٥) ثم تعين عضو شورى الدولة ثم حاكماً ملكياً . وهو احد الذين حضروا مجمع فلورنسا وجاهدوا عن استقامة

---

(١) ابطلت تادية الرسوم لنيل البطركية في ايام عبد المجيد انظر الدرة النفيسة ص ٣٣٩

الروي . وبعد عودته الى القسطنطينية صار مع مرقس الافسوسي أكبر المحامين عن الارثوذكسية ثم ترهب بعد وفاة مرقس وكرس نفسه للكتابة ضد اللاتين وذلك مما حببه الى اليونان فانتخبوه بعد الفتح للمنصب البطريركي فشغله مدة خمس سنوات كان فيها موضع التفات الفاتح ثم اعتزل منصبه بسبب مرضه ونسك في آثوس حتى توفي وقد كتب رسالة خاصة للفاتح في اصول المسيحية

ومكسيموس الفيلسوف (١٤٧٦ — ١٤٨٢) الذي نال ثقة الفاتح ومحبة الشعب لتقواه وعلمه وترجم الى التركية دستور الايمان مشروحاً بطلب من الفاتح

وارميا الاول (١٥٣٠—١٥٤٥) الذي اشتهر بجرأته ونزاهته وهو الذي سعى فحصل على فرمان جديد من السلطان سليمان القانوني يؤيد به الحقوق المسيحية التي منحت لهم من الفاتح بعد ان احرقها الاعداء

وارميا الثاني (١٥٧٢) — ١٥٩٥) العالم الصالح الذي اشتهر بمحاربته السيمونيا وبتعزيزه مصلحة الكنيسة روحياً ومادياً ولاجل نزاهته وصرامة معيشته عزل ثلاث مرات ثم اعيد الى منصبه

وكيرلس لوكارس (١٦٢١ — ١٦٣٨) الذي اشتهر بمقاومته الشديدة للاتين فحاولوا تبغيضه الى الشعب بوضعهم كتابات زائفة تحت امضائه . ثم بغضوه الى الحكومة فعزلته اربع مرات ومات مخنوقاً

الكرسي الاسكندري — هذا الكرسي ضاقت دائرته منذ انفصال الاقباط في القرن السادس . ثم نقص عدد الارثوذكس كثيراً في القرن السابع عندما دخلت مصر في حوزة الاسلام وفي هذا الدور لم يكن عندهم اكثر من عشرين الف ارثوذكسي لهم ثماني كنائس وديران ويسومهم ثلاثة مطارنة وعدة قسوس ومركز البطريرك انتقل الى القاهرة منذ سنة ٩٥٥ في ايام البطريرك ارسانيوس ومع انتياب هذه المصائب للكرسي الاسكندري ظل محافظاً على استقلاله الديني وعلى اهميته الاولى وما برح ثاني الكرسي القسطنطيني واشتهر بطاركة الكرسي الاسكندري في هذا الدور هم

يواكيم الاول (١٤٨٧ — ١٥٦٥) الذي ساس الكنيسة ٧٨ سنة واشتهر بتقواه وتقشفه

ملاتيوس بيغاس (١٥٨٨ — ١٦٠١) العالم الزاهد الذي اشتهر بمحاماته الحارة عن الارثوذكسية ضد تهجمات اللاتين

جراسيموس الاسبرطي (١٦٢١ — ١٦٣٠) الارثوذكسي الحر النزيه الذي رفض اغراءات الكلو ينيين وثبت محافظاً على مذهبه وان فقيراً

الكرسي الانطاكي — هذا الكرسي تضعضع ايضاً بظهور النساطرة واليعاقبة في القرن الخامس ومنذئذ توالت عليه المصائب باجتياح المسلمين سوريا في القرن السابع والحملات الصليبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر وبسبب توالي الزلازل على مركز الكرسي هجر البطاركة انطاكيه (١٢٦٨) ثم اتخذوا دمشق مركزاً لهم (١٣٤٢ او ١٣٥٩) وفي اواخر هذا الدور دخلت الارساليات الغربية الى سوريا فدارت بواسطتها سوق الانقسامات وادت فيما بعد الى ظهور الكثلكة في الشرق في الدور السادس كما سيأتي وبالرغم من سقوط الحالة في الشرق ظهر في الكرسي الانطاكي عدة بطاركة يستحقون التقدير منهم

يواكيم الضو (١٥٨٠ — ١٥٩٣) الذي حسن حالة الكرسي المادية بجولانه في رومانيا وروسيا (١٥٨٤) وبسعيه تشرطن السيد ايوب اول بطريرك روسي

يواكيم زيادة (١٥٩٣ — ١٦٠٤) الذي كان مطراناً على حمص واشتهر بصلاحه وتقواه ولعله هو الذي حضر مجمع القسطنطينية (١٥٩٣) في ايام ارميا الثاني وقدس الميرون (١٥٩٥)

افثيموس كرمة الذي كان مطراناً على حلب باسم ملاتيوس واشتهر بغيرته على الارثوذكسية وقد اهتم بترجمة الكتب الطقسية الى اللغة العربية (١٦٣٤)

مكاريوس الزعيم (١٦٤٧ — ١٦٧٢) هو اشهر بطاركة انطاكيه في هذا الدور . ومما اكسبه الشهرة الذائعة رحلتاه الى روسيا (١٦٥٣ و ١٦٦٦) التي وصفها بكتابة يحترمها الاثريون جداً لاهميتها

الكرسي الاورشليمي — نال الكرسي الاورشليمي ما نال سواه من المصائب فضاقت دائرته منذ القرن السابع بتسلط المسلمين على فلسطين ثم بتسلط الصليبيين في القرنين الـ ١٢ و ١٣ ثم ازداد تناقص عدد الارثوذكس بسبب الارساليات الغربية التي بدأت في اواسط القرن السادس عشر حتى بلغ بحسب احصاء بعضهم نحواً من ٢٥ الفاً

وتاريخ هذا الكرسي في هذا الدور عبارة عن نزاع مستمر قام فيما بين البطاركة الارثوذكسيين واللاتين الذين حاولوا الاستيلاء على الاماكن المقدسة في فلسطين ومن اشهر المدافعين عنها البطاركة جرمانوس (١٥٣٤) وصفرونيوس (١٥٧٩) وثيوفانس (١٦٠٨) وبائيسيوس (١٦٤٤) ونكتاريوس (١٦٦١) هولاء قضوا حياتهم في الاسفار من اورشليم الى القسطنطينية و بالعكس للدفاع عن حقوق الارثوذكس في الاماكن المقدسة واكثر بطاركة اورشليم كانوا يقيمون مدة طويلة في القسطنطينية ومنذ سنة ١٦٤٠ صار لهم مركز ثابت فيها اعني الامطوش الاورشليمي في القسطنطينية

وقد اخذت الجنسية اليونانية بالتفوق في الكرسي الاورشليمي منذ اواسط القرن السادس عشر وكانت قبل ذلك للكراسي الاسقفية بل المركز البطريركي نفسه مباحاً للعرب واليونان بدون فرق الى ان حصرها في اليونان البطريرك جرمانوس سنة ١٥٣٤ :

٢ — الخدمة الالهية

الهياكل — سقوط المملكة البيزانطية اثر على الخدمة الالهية تاثيرا سيئاً فان الفتوحات سببت خراب كثير من الهياكل وتحويل بعضها الى جوامع وما بقي كان عرضة للنهب في كل وقت . ولم يكن يسمح بتشييد معابد جديده او ترميم ما يتهدم من القديم الا

بصعوبات كلية ، لذلك كانت مواضع الخدمة في هذا الدور مما لا يفي بالغرض المقصود من وجودها لقلة عددها ولعدم انطباقها على الهندسة اللازمة وهي لا تختلف كثيرا عن محلات السكن العادية لفقرها وخلوها من قبه او صليب

الايقونات — ظهرت الايقونات في هذا الدور بمظهر بسيط جدا فان الايقونسطاس لم يوجد فيه سوى قليل منها بدون اطارات وهو كان من خشب غير مذهب ولا مزدان بنقش

الحلل — والملابس الكهنوتية كانت حقيرة منسوجة من صوف او قطن وقليل من الحرير

والاواني الكنسية — كلها تقريبا من نحاس او قصدير خالية من الزخرفة

اما الاحتفالات فقد حظر فيها قرع الاجراس وترييح الصليب او رفعه امام الميت بدون رسم معين وكان موظفو الاتراك يحضرون الخدم بعماماتهم وغلاييهم على ان الخدم كانت تكمل بحسب الطقوس القديمة وان حرمت من بهائها القديم

الوعظ — اهتمت الكنيسة الروسية بالوعظ جدا حتى انها اوجبته على كل كاهن اما الكنيسة اليونانية فخصصت له اشخاصا معينين بصفة قانونية ودعي عندهم واعظ الكرسي البطريركي ، الخطيب العظيم ، اما خطيب الاسقفيات المتجول فيدعى الكاروز الشريف ، وكان الوعظ الواسطة الوحيدة الباقية في الشرق لاجل

تعليم الدين

الخدم الجديدة — ودعت الحال في هذا الدور الى وضع خدمتين احداهما لاجل الراجعين الى المسيحية ممن سبق لهم اتباع الاسلام والثانية لاجل المرتدين من البابوية الى الارثوذكسية . وكانت الكنيسة تفرض على من اتبع الاسلامية وهو دون الرشد صوم اربعين يوما ومن اتبعها راشدا ست سنوات او سبع ثم يمسح بالميرون المقدس ويقبل . واما الراجعون من البابوية فقد اكتفى مجمع سنة (١٤٨٤) بدهنهم بالميرون المقدس

الاعياد — من الاعياد التي رتبت في هذا الدور تذكار لمرقس الافسوسي (١٩ ك ٢) وآخر لتيفون البطريرك القسطنطيني (١١ آب) وآخر لجناديوس ومكسيموس الفيلسوف (١٧ ت ٢) وآخر لتيوفيلوس البار (٨ تموز) وآخر لجيورجيوس السربي الشهيد (١١ شباط) وآخر ليوحنا اليانيني (١٨ نيسان)

التراتيل الكنسية — ممن اعتنى بوضع تراتيل روحية في هذا الدور : جناديوس سخولاريوس — وضع قانونا لغريغوريوس بالاماس . وبخوميوس روسان وضع ثمانية قوانين . ونقولاوس مالاكس (✠ ١٥٧٣) وضع ستيشيرات لخدمة اندراوس الرسول (٣٠ ت ٢) ولحبل حنه (٩ ك ٢) وادخلها الى كتب الخدمة التي اصدرها في البندقية . وملاتيوس سيريغوس (✠ ١٦٦٢) برتوسينجلوس الكرسي القسطنطيني وضع سنة ١٦٤٥ قانونا لابراد

فيتشور حينما كان في كيف

٣) الحياة المسيحية

سقوط المعارف والضغط السياسي على الخدم الدينية اثر على آداب اليونان فزادوا انحطاطا وكادت تمحى المبادي. الانجيلية من نفوسهم

فالاكليروس من كل الطبقات قلدوا الموظفين المدنيين فانتشر فيما بينهم روح الاستئثار والنميمة والكبرياء والطمع والترفه فاصبحت مراكزهم عبارة عن مهنة للمتاجرة بالروحيات

والعامة ظهرت في تصرفاتهم عادات وسجايا الفاتحين فاصبحوا قليلي الاكتراث بالدين والاداب . فدان كثيرون منهم بالاسلامية او اتحدوا مع اللاتين لاقل سبب . وهجروا الكنائس واهملوا الاعتراف وسائر الاسرار ولم يعودوا يحترمون سر الزواج فبعضهم كانوا يباشرون فعل الزواج بعد الخطبة راساً ويوجلون الاكليل الى امد غير محدود ؛ وبعضهم كانوا يخالطون المسلمات او يعطون بناتهم سراري لغير المسيحيين

على ان هذا الانحطاط لم يحرم البيعة من رجال صالحين . فقد نبغ بين الاكليروس بطاركة ابرار ومحامون عن الارثوذكسية وشهداء مثلوا القداسة الحقيقية . وظلت اديرة آثوس غنية بالاباء البررة . وفي اواخر هذا الدور تحسنت آداب المسيحيين بتوقف الضغط السياسي قليلاً

ثانيا - تاريخ المسيحية في الغرب

من بداءة الاصلاح (١٥١٧) الى معاهدة وستفاليا (١٦٤٨)

الفصل الاول

اصلاح جرمانيا وتاسيس اللوثرية

١) الاصلاح قبل مجمع سبير (١٥٢٦)

السخط على الكنيسة الرومانية والميل العمومي لتحسينها اللذان ظهرا في الغرب في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ولدا الاصلاح في اوائل القرن السادس عشر وقد رئس هذه الحركة مرتين لوثير احد رهبان مار اوغسطين في جرمانيا . ولد هذا الرجل من ابوين فقيرين وارومة حقيرة في ١٠ ت ٢ سنة ١٤٨٣ في مدينة ايسلابن (من سكسونيا) وتلقن العلوم في جامعة ارفرت حيث اقتبل اسكيم الرهبنة الاوغسطينية (١٥٠٥) وتحت ارشادات ستوبتز رئيس الدير الروحي الميل درس الكتاب المقدس وتاليف اوغسطين ولاهوتي الاجيال الوسطى ثم نال الدرجة الكهنوتية (١٥٠٧) وتعين استاذا في جامعة وتمبرج (١٥٠٨) وكان لوثير في بادي٠ مره مخلصا للكنيسة الرومانية معتقدا قداستها ولكن ما رآه في القصر الباباوي من الخلاعة والاستخفاف بالتقوى اثناء زيارته رومية (١٥١٠) احدث في نفسه انقلابا فكرياً هائلا وايقظ في نفسه الفكرة الاوغسطينية بفساد الانسان مهما سمت منزلته

وا عتقد ان التبرير انما يكون بالايمان وحده

في سنة ١٥١٧ حدث ما دفع لوثير للاقدام على مقاومة البابا وذلك ان لاون العاشر احتاج مالا فلجأ الى وسيلة منح الغفران للعامة بواسطة الاوراق. وضمن الاوراق المذكورة في جرمانيا البرت اسقف ماين وهذا وكل بيعها الى راهب دومنكاني اسمه يوحنا تتزل كان يبيعها كالسلع المادية. وضل الناس في تقديرها حتى توهموا انها تقيهم من كل قصاص عن الخطيئة وتعتقهم من مشاق الحزن عليها والاقلاع عنها . فاحتدم لوثير غيظاً و كتب ضد الغفرانات ٩٥ قضية وعلقها على باب كنيسة وتمبرج (كما كانت العادة وقتئذ في الاعلانات) فقراها الناس وشرحوها فرد تتزل عليها وصارت الغفرانات حديث الاندية في جرمانيا كلها فضلا عن وتمبرج ومال كثيرون لجهة لوثير ومنهم فريدريك الحكيم امير سكسونيا

وفي اول الامر لم يبال البابا بلوثير ولكنه لما راى تفاقم الخلاف استدعاه الى رومية (١٥١٨) فدافع عنه فريدريك وطلب ان يحاكم بحضور القاصد الرسولي في جرمانيا فحوكم مرتين الاولى امام الكردنيا كاجيتان الذي مال لاعدائه والثانية امام شارل ملتس القاصد الرسولي الذي مال للوثير واقنعه باظهار الطاعة للبابا والكف عن المناظرة متى كف خصومه. ولكانت انكفات الخصومة لو استطاع اللاتين ضبط عنفهم على لوثير ولكن ثار جدال في ليبسك بين يوحنا آك (استاذ كلية انكشتادت) واندراوس بودنشتين

الكرولستادي احد اساتذة جامعة وتمبرج وتلميذ لوثير. وتعدت المناظرة الى لوثير واندمج في مواضيع الجدل رئاسة البابا فزاد الميل الى لوثير في جرمانيا وانضم اليه استاذ آخر من اساتذة الجامعة هو فيليب ملانكثون العالم باللغتين العبرانية واليونانية والذي سند الاصلاح بعلمه ورصانته وانضم الى حزب لوثير عموم الاحرار الجرمانيين فشدد ذلك عزيمة لوثير ونشر رسالة سميت (بوق الاصلاح) دعا فيها سراة الجرمان الى كسر نير السيطرة البابوية. وفي الوقت نفسه اقنع لاهوتيو اللاتين البابا بخطورة القضية فاصدر منشورا (في ١٥ حزيران سنة ١٥٢٠) حرم فيه لوثير كهرطوقي وحكم على مولفاته بالحرق. فرد لوثير على المنشور برسالتين (الاستغاثة. الدجال) واحرق منشور البابا علنا (١٠ ك ١ سنة ١٥٢٠) فلعن البابا لوثير كهرطوقي متعنت (٤ ك٢ سنة ١٥٢١) وطلب من الامبراطور شارلكان (١٥١٩ - ١٥٥٦) مساعدته لمحو البدعة فعقد مجمع في ورمس (١٥٢١) لهذه الغاية لكن لوثير ابى ان يرفض شيئا من افكاره بدون آية كتابية او حجة عقلية وقد شعر منتخب سكسونيا بالخطر الذى يهدد لوثير لسبب ميل الامبراطور لارضاء البابا فارسل من اختطف لوثير قبل نهاية المجمع واخفاه في قلعة ورتبرغ مدة عشرة اشهر حيث ترجم الكتاب المقدس الى اللغة الجرمانية ولكن تطرف تلامذة لوثير في الاصلاح بالغائهم الخدم الالهية وتكسيرهم الايقونات وادعائهم الوحي اضطره للخروج من

نجباه لتهدئة الاضطراب الحادث بين مريديه انفسهم . على ان اشتغال الامبراطور بمحاربة فرنسا فسح مجال العمل للوثير وملانكثون فوضع ملانكثون اساس التعاليم الحديثه بكتاب سماه (المواضيع الالهية) وترجم لوثير العهد الجديد (١٥٢٢) لتطالعه العامة وفي مجمع سبير الاول (١٥٢٦) اغتنم امراء جرمانيا الشمالية فرصة غياب الامبراطور ونفرته من البابا فمنحوا حرية الاعتقاد للجميع فتنظمت الجماعة اللوثيرية بمناشير ملانكتون والتعليم المسيحي الذي اصدره لوثير مطولا ومختصرا

لو اكتفى لوثير باصلاح ما فسد من تعاليم الكنيسة الغربية لعمل حسنا ولكنه اندفع اندفاع السيل العرم فجرف في طريقه القبيح والحسن فقد اتخذ اساسا لمبداه الزعم بان الانسان انما يتبرر بالايمان فقط ولذلك رفض كل واسطة اخرى فانكر فائدة الاعمال التقوية كالصوم والبتولية والتقشف وازدرى الاسرار الكنسية زاعماً ان كل المؤمنين كهنة لله وجحد الاستحالة الجوهرية (مع اعتقاده بوجود جسد المسيح في القربان) ومع انكاره الوسائط الارضية انكر ايضاً الوسائط السماوية فرفض اكرام القديسين وذخائرهم وايقوناتهم ؛ ولما كسة اللاتين الذين اساءوا استخدام التقاليد الشريفة صرح بكفاءة الكتاب المقدس للخلاص وسمح بتفسيره لكل مؤمن . على انه عاد فقيد الحرية الدينية في دائرة لا يجوز تخطيها لما راى ان الحرية المطلقة تودي الى جحود الدين

نفسه وانحلال الرابطة العامة

على هذه المبادىء قام الاصلاح الذي نشره لوثير وهي اس الجماعة الجديدة التي انتسبت اليه ودعي متبعوها لوثريين

٢) الاصلاح في جرمانيا الى معاهدة وستفاليا

قبل مجمع سبير (١٥٢٦) كان الاصلاح بيد الثائرين من لاهوتيي جرمانيا ولكن من هذا التاريخ انتقل الى ايدي الامراء الجرمانيين الذين اندفعوا الى تاييد الاصلاح بدافع الطموح الى الاستيلاء على الاملاك الكنسية الجزيلة؛ فتعاهد في اول الامر يوحنا الدائم خليفة فريدريك الحكيم منتخب سكسونيا وفيليب امير هس ثم انضم اليهما امراء جرمانيا الشمالية فبعض المدن الحرة واول شيء قرروه (١٥٢٦) اعطاء الحرية الدينية ومن ذلك الحين ظهرت فئتان احداهما كاثوليكية والاخرى اصلاحية ولكن الامبراطور كان غير راض عن هذا الانقسام لذلك حالما عقد صلحاً مع فرنسا وتراضى (١) مع البابا عقد مجمعا ثانيا في سبير (١٥٢٩) للنظر في الاصلاح الكنسي ورد المعتزلين فتقرر بالاكثرية (الكاثوليكية) تنفيذ قرار مجمع ورمس (١٥٢١) بشأن

(١) كان البابا اكليمنضوس السابع قد تواطأ مع الفرنساويين والفينيسيين على مقاومته فاحتدم شارلكان غيظاً عليه فابطل سلطة اسبانيا وحاربه في ايطاليا فتح رومية (١٥٢٧) وحصره في قلعة مار انجلو وسمح باهانته وتحقيره لكن البابا افتدى نفسه من الاسر بار بعمائة الف دينار وتصالح مع الامبراطور

نفي لوتير والغاء قرار مجمع سبير (١٥٢٦) وحظر التعليم ببعض المبادىء الجديدة الى ان يجتمع مجمع عام يضع الحد الفاصل بشانها فاحتج تباع الاصلاح على ذلك (منكرين ان للاكثرية حق تقييد الاقلية في امور الدين والوجدان) فدعوا لسبب ذلك بروتستانت اي محتجين

فحضر الامبراطور بذاته الى اوغسبرج (١٥٣٠) لحل المشكل في مجمع عقده لهذه الغاية وقدم فيه الامراء البروتستان دستور ايمانهم مدبجا بقلم ملانكثون فرد عليه الكاثوليك برضى الامبراطور الذي قفل الباب دون اعتراض البروتستان على الرد وامر بوجوب العودة الى الديانة القديمة ريثما تتقرر المبادىء التي يجب التعويل عليها في مجمع ديني او موتمر ملوكي فثار الامراء البروتستان وعقدوا محالفة في سملكد (١٥٣١) لاجل حماية الاصلاح بقوة السلاح فاضطر الامبراطور (الذي لم تكن حالته الحاضرة تسمح له بمحاربتهم) للتساهل معهم فسمح لهم بحرية التدين حتى يجتمع المجمع والموتمر ويقرر الواجب ويعرف هذا الصلح بصلح نورمبرج (١٥٣٢)

على ان هذا الصلح لم يحسم النزاع لان ميول الجهتين لم تتفق وكل المحاورات التي دارت بين الفئتين لم تقرب احداهما خطوة نحو الاخرى فاستاء الامبراطور من البروتستان واكبر عنادهم فاغتنم فرصة وفاة لوتير (١٥٤٦) واختلاف الامراء فضربهم ضربة ساحقة (١٥٤٧) في حرب سملكد . وبعد ان اضعفهم حاول ضمهم

الى الكثلكة فسن دستورا متوسطا (١٥٤٨)دعي دستور الفترة لم يقبله الكاثوليك ولا البروتستان . فاضطر الخائفين لقبوله بقوة السلاح . ولما انتعش البروتستان بانضمام موريس السكسوني الى حزبهم اضطروا الامبراطور فامنهم في صلح باس (١٥٥٢) ثم اطلق لهم الحرية الدينية في موتمر اوغسبرج (٢٥ ايلول ١٥٥٥) مشترطا عليهم انه لا يجوز في المستقبل تغيير احد المذاهب العامة

وكان حظ صلح اوغسبرج كصلح نورمبرج اعني انه لم يلاش العداوة بين الحزبين بل بالعكس بسبب ظهور الجزويت لنصرة الكثلكة اشتد ساعد هؤلاء وتحفظ اولئك فتحالف امراء البروتستان من جهة (١٦٠٨) والكاثوليك (١٦٠٩) من جهة اخرى وادى ذلك الى حرب الثلاثين سنة (١٦١٨ — ١٦٤٨) التي اضرم ثقابها فرديننند الثاني لسلبه كنيستين بروتستانيتين في بوهيميا فثار البروتستان عليه فانتخبوا بدلا منه ملكا بروتستانيا ولكن الحظ خدم فرديننند اذ انتخب امبراطورا (١٦١٩)بعد نشوب الحرب بقليل فانتقم من البوهيميين (١٦٢٣) فاستندوا الى ذراع الدول البروتستانية الاخرى فساعدهم الدانمركيون (١٦٢٩) والاسوجيون (— ١٦٣٥) والافرنسيون(—١٦٤٧)ولم تضع الحرب اوزارها حتى ظهر القحط في عموم الممالك الجرمانية فرضي الكل بالصلح مكرهين.ويعرف هذا الصلح بصلح وستفاليا (١٦٤٨) الذي تساوت فيه حقوق الكاثوليك والبروتستان واصبح شمالي جرمانيا

بروتستانيا وجنوبيها كاثوليكيا

اللوثيرية في غير جرمانيا – في الوقت الذي بدات تنمو فيه بذور اللوثيرية في جرمانيا اخذت تمتد في سائر اصقاع اوربا بانتشار كتابات لوثير وحيثما وُجدت وجدت صدورا رحبة لاقتبالها لان الميل للتخلص من سيطرة الحبر الروماني الثقيلة كان عاماً وقد ساعد الملوك على انتشار مبادىء لوثير في اوربا كما حصنها الامراء في جرمانيا لذلك انتشرت اللوتيرية في اسوج ودنيمارك ونروج وبروسيا وليثلاند وايسلاند وكورلاند وغيرها

اسوج وفينلاند – بدات حركة الاصلاح في اسوج (١٥١٩) وقام بها الاخوان اولاف ولورانس بترسون وقد حماهما غوستاف باز (١٥٢٣ – ١٥٦٠) اول ملك اسوجي بعد انفصالها عن الدانيمك ؛ هذا عقد اجتماعاً في اوبسال للمناظرة بين مبشري اللوتيران ولاهوتيي اللاتين فاعطي الفوز لاولاف بترسون وسرى الاصلاح بسرعة فاقفلت الاديرة وسلمت املاكها للحكومة وترجم الاكليروس وترجم الكتاب المقدس الى الاسوجية (١٥٢٦) وتقرر اتخاذ اللوتيرية مذهب المملكة الرسمي (١٥٢٧) ومن اسوج انتقلت اللوتيرية الى فينلاندا الخاضعة لها يومئذ

الدانيمرك ونروج – اما في الدانيمرك فقد تردد خريستيان الثاني (الذي ظهر الاصلاح في ايامه) بين اللوثرية والكثلكة لكن خلفه فردريك الاول (١٥٢٣ – ١٥٣٣) ساوى بين الكثلكة

واللوثرية (١٥٢٧) وترجم في ايامه الكتاب المقدس الى الدانمركية اما خلفه خريستيان الثالث فقد جعل اللوثرية المذهب الرئيسي واوقف (١٥٣٦) كل الاساقفة الذين عارضوا الاصلاح وسلب الاملاك الكنسية وبمساعدة اللاهوتي اللوثيري يوحنا بوغنهاج البومراني وضع الترتيبات الكنسية اللوثيرية لكنائس الدانيمرك ومن الدانيمرك انتقلت اللوثيريه الى نروج الخاضعة لها يومئذ

بروسيا وتوابعها — كانت بروسيا في زمن الاصلاح تحت سلطة الفرسان التوتونيين (١٥٢٥) فحدث ما اسخط رئيس هذه العصابة البرت انسباخ (١٤٩٠ — ١٥٦٨) على خاله سيجسموند ملك بولونيا فانضم الى الاصلاح بغية الخروج من سلطته وتبعته طغمة السيافيين (حاملي الحراب) المدعوين فرسان ليثونيا الذي كانوا مستولين على لابلاند وايسلاند وكورلاند؛ بدات اللوثيرية (١٥٢٣) وتمكنت (١٥٦١) حينما غوتيارد كتلر الف طغمة الفرسان وانشأ مملكة مستقلة بمراقبة بولونيا وعدا ما ذكر دخلت اللوثيرية الى بوهيميا وهنكاريا وبولونياوسواها لكنها لم تسد فيها

لفصل الثاني

اصلاح سويسرا وتاسيس الجماعة المصلحة (الكلوينية)

زوينكل وتعليمه — الاصلاح في سويسرا حدث بعد جرمانيا لكنه كان مستقلا عنها على ان الاسباب واحدة ، والذي قام بحركة

الاصلاح في سويسرا انما هو اولريخ زوينكل (١) (١٤٨٤–١٥٣١)

(١) هذا ولد في ويلدهوس وتخرج في باسل (١٤٩٤) فبرن (١٤٩٧) ففينا (١٤٩٩) فاتقن عدة فروع ولا سيما اللاهوت والموسيقى والطبيعيات ثم انقطع الى مطالعة الكتاب المقدس (١٥٠٢) فثارت في نفسه شكوك كثيرة انماها في نفسه توما ويتمباج احد اساتذة توبنجن واذ خلا كرسي غلاريس من راعيه تعين زوينكل خلفا له (١٥٠٦) وسامه اسقف قونستانس قساً غير ان مدة قسوسيته الاولى لم تخل من سقطات ادبية ثم شغل في الحرب التي انجرت اليها سويسرا (١٥١٠–١٥١٦) وسببت هدر دماء كثيرة على غير جدوى فانسحب زوينكل الى دير سيدة اينسدلن (١٥١٦) وهناك صرح بما جال في خاطره مرارا من انحراف رومية عن تعليم الانجيل متخذا تقاطر الشعب لزيارة ايقونة عجائبية في صومعة القديسة ماريا واسطة للكرازة ضد زيارة الاماكن المقدسة والايقونات • ووالى وعظه في زوريخ التي انتدب للوعظ فيها (١٥١٩) ولا سيما حينما ظهر سمسون بائع الغفرانات في سويسرا فقاومه زوينكل بشدة ، وتجاوز في الطعن الى الاصوام والرهبنة والبتولية الخ وكان يصرح انه في الدينيات لا يسوغ الاستمساك بغير الكتاب المقدس فوجد آذانا صاغية لتعليمه • ومجمع زوريخ (١٥٢٠) قرر العبارة الاخيرة واتخذها قانونا وفي سنة ١٥٢٢ انفصل زوينكل ومن معه عن اسقف قونستانس رسمياً فطلب هذا من مؤتمر سويسرا الغاء الاصلاح ، فعضد الاصلاح نواب زوريخ وحصلت مناظرتان في زوريخ (١٥٢٣) ايد فيها زوينكل تعليمه بسبع وستين قضية فجاهر اهل زوريخ باتباع الاصلاح وادخلوه الى كنائسهم (١٥٢٤ و١٥٢٥) واقاموا خدمهم باللغة الوطنية بعد ان الغوا القداس والايقونات وحولوا الاديرة الى مدارس وسواها

واذ دخلت افكار زوينكل الى بعض ولايات سويسرا كباسل وبرن وستفهوزن ، وتشبث غيرها بالتعاليم الرومانية حدث انفجار هائل من تصادم افكار الفئتين ادى الى حمل السلاح فانكسر المصلحون امام الكاثوليك وقتل زوينكل

زوينكل علم نفس ما علمه لوثير من جهة الخلاص بالايمان وحده ولكنه تخطاه في تعليمه عن العشاء الرباني اذ ذهب الى انه اشارة بسيطة تذكرنا بالمسيح بخلاف لوثير الذي مع انكاره الاستحالة اعترف بوجود جسد المسيح في الخبز . وتخطاه ايضاً بطرحه الايقونات بخلاف لوثير الذي مع حظره اكرامها حظر اهانتها ايضاً وسمح بوجودها في الكنائس للزينة

كالوين وتعليمه — التغيير الذي احدثه زوينكل وقف بعد وفاته في سويسرا الجرمانية اما في سويسرا الفرنساوية فقد تابع نشره بعده وايم فاريل الذي ظهر سنة (١٥٣٢) والذي جعل اهل جنيف يجاهرون باتباعهم الاصلاح ويدخلون ترتيبات زوينكل الى كنائسهم (١٥٣٣) اما تأسيس الجماعة المصلحة فانما قام به يوحنا كالوين .

• كالوين رجل فرنساوي الاصل (١٥٠٩—١٥٦٤) اشتهر بذكائه وصرامة افكاره (١) ، تلقن الدروس اللاهوتية في جامعة باريس حيث تعرف بالافكار البروتستانية ومال نحو الحركة الاصلاحية

نفسه (١٥٣١)

(١) ذكر المورخون عن حدة كالوين عدة حوادث من اشهرها (١) اقالته سيباستيان كستاليو من وظيفة التدريس (١٥٤٤) لعدم مدحه تعليمه (٢) سجنه ايرونيموس بولساك (١٥٥١) لمخالفته رايه في القضاء المطلق (٣) حرقه سرفيتس لمخالفته معتقده في الثالوث المقدس (١٥٥٣) (٤) نفيه برنردين اوخين (١٥٦٣) لمخالفته بعض آرائه

(موسهيم)

فقطع علاقاته مع الكنيسة الرمانية وظهر بمظهر مصلح (١٥٢٩) واجتمع بملانكتون (١٥٣٨) في ستراسبرج ثم رئس الحركة الاصلاحية في جنيف واهتم اكثر من سائر المصلحين باصلاح العادات فوضع قوانين حظر فيها البذخ وحفلات الاعراس والالعاب والاغاني تحت القصاصات الصارمة وتهدد بالنفي او القتل من جدف او شتم الخ فثار حزب ضده اضطره للهرب من جنيف ثم فاز حزبه فاسترجعوه (١٥٤١) ومنذئذ قاد الافكار العمومية مدة عشرين سنة تمكن فيها من نشر افكاره الخصوصية وتاسيس الجماعة المنسوبة اليه

اخذ كلوين التعاليم اللوتيرية والزوينكلية فاصلح بعضها وضم اليها مبادي. تختص به لذلك كان لوثير يكرهه (١)

فقد وافق لوثير في ان الخلاص بالايمان وحده ولكنه زاد عليه التعليم بالقضاء المطلق اي ان الله منذ الازل عين اناسا للخلاص وآخرين للهلاك ؛ لكنه مع ذلك اوجب على تابعيه الحياة الادبية الصارمة ووافق زوينكل بازالة زينة الكنائس لكي لا يبقى ما يذكر الشعب باللاتينية ولكنه خالفه كما خالف لوثير في مسالة العشاء الرباني فان زوينكل كان يقول عنه ان العشاء السري انما هو رسم تذكاري لا فائدة منه سوى تهييج الانفعالات بما يمثله الخبز والخمر فكان كلوين يكره هذا القول كما كرهه لوثير واثبت ان

(١) قال كلوين : اني احترم لوثير واعتبره اعظم من خدم الله وان دعاني هو شيطانا. (النشرة ١٩٠٣ ص ٣٠٢)

المسيح يحضر روحيا مع شعبه بواسطة السر ويبارکهم والمتذکرون فيه موت الرب وفداءه ينالون نعمة لكنه رفض قول لوثير ان المسيح يحضر في الخبز والخمر بجسده الحقيقي حضورا سريا

امتداد الكلوينية — امتدت الكلوينية من جنيف الى سويسرا الفرنساوية والجرمانية وصارت ديانتها الرئيسية ثم انتشرت في سائر اصقاع اوربا ولا سيما فرنسا ونذرلاند وسكوتلاند وعملت على انتشار الكلوينية جامعة جنيف الكلوينية التي كانت تبث في الطلبة روح الكلوينية مع العلوم

فرنسا — دخلت الكلوينية فرنسا في ايام كلوين الذي ارسل اليها دعاة لتعليمه الحديث فصادفت افكاره قبولا من سائر الطبقات الموظفين والاكليروس والعامة وساعد على نشرها بعض امراء الاسرة المالكة في فرنسا واذ قاوم الملوك (فرنسيس الاول وهنري الثاني وفرنسيس الثاني) الكلوينية بشدة تالف من المضغوط عليهم حزب سياسي قوي (الهوغونوت) وقف في وجه الحكومة نفسها وادى ذلك الى حرب اهلية (١٥٦٢) نتجت عنها مذبحة برثلماوس الهائلة التي قتل فيها عشرات الالوف من الكلوينيين لكن لم يخمد شوكة الكلوينيين بل زادهم تشبثا في مبداهم الحديث وتطلبا للانتقام وقضي على الاسرة المالكة الكاثوليكية (١٥٨٩) وتحول الملك الى هنري الرابع الكلويني اول ملوك البوربون الذي اصدر فرمانا يعرف بفرمان نانت (١٥٩٨) منح به الحرية الدينية للجميع وسمح

للكلوينيين بطبع كتبهم العقائدية واتمام خدمهم الدينة ونيل وظائف مدنية ، وصدق على هذا الفرمان لويس الثالث عشر بفرمانه الذي اصدره (١٦٢٩) ويعرف « بفرمان العفو »

نذرلاند (البلاد الواطئة او هولاندا وبلجيكا) — دخلت روح الاصلاح الى نذرلاندا اولا بواسطة مولفات لوتير لكن قربها الى فرنسا وسويسرا قضى بتغلب الكلوينية فيها ، وفي اواسط القرن السادس عشر تالف فيها عدة جمعيات على منوال جمعية جنيف ، وقد حاول كارلوس الخامس الاسباني وخليفته فيليب الثاني ايقاف الكلوينية عند حد فلم يستطيعا وديوان التفتيش الذي اسس لهذا الغرض عكس النتيجة. فدافع النذرلانديون ببسالة عن حريتهم الدينية والسياسية بقيادة وليم الصامت وولده موريس اورانج واستقلت (١٥٨١) سبع ولايات نذرلاندية عن اسبانيا عرفت الان باسم هولاندا وباستقلالها نشر فيها المذهب الكلويني

سكوتلاندا — دخلت الكلوينية الى اسكوتلاندا بواسطة رجل يدعى يوحنا نوكس هذا اشتهر بمقاومة الكنيسة الرومانية (١٥٤٧) ولما سافر الى جنيف اتبع الكلوينية فعاد الى بلاده (١٥٥٥) ينشرها بغيرة فائقة وكانت خطبه الفصيحة تهز الاعصاب ؛ وتستميل الافكار فاخذ السكوتلانديون يطردون الكهنة ويحرقون الايقونات وخلا جو السياسة لنوكس بوجود ملكة سكوتلاندا (ماري ستيوارت) عند زوجها فرنسيس الثاني في فرنسا فضبط زمام السياسية (كما

ضبطها كلوين في جنيف) والغى الكثلكة جاعلا الكلوينية الديانة الحاكمة وظل الى وفاته (١٥٣٢) يدير شؤون كنيسة سكوتلاندا بروح كلويني واذعين (ككلوين) لكل جماعة شيخا قساً دعي الاسكوتلانديون قسوسيين.

الشيع البروتستانية قبل معاهدة وستفاليا

في تربة البروتستانية (التي اعطت حرية التفسير لكل واحد) نبت عدة شيع اشتهر منهم وقت الحركة الاصلاحية ثلاث:

١) الانابابتيست (معيدو المعمودية) — ظهر هؤلاء لاول مرة (١٥٢٠) في جرمانيا يقودهم توما ميونستير المبشر ونقولا ستورخ العامل الزويكي ومرقس ستيبنر تلميذ جامعة ويتمبرغ هؤلاء ادعوا الوحي وكانوا يدعون الناس لقلب نظامهم القديم الذي يحصر روح الله العامل فيهم ويؤسسوا جماعة قديسة تتمسك بالحرية والمساواة والاشتراكية وعرفوا آنئذ باسم انبياء زويكا» فنفوا من زويكا (١٥٢١) ومن ويتمبرغ (١٥٢٢) فجالوا يحضون الشعب على خلع رئاسة السادة الروحيين والمدنيين فنشأت من تبشيرهم ثورة الفلاحين (١٥٢٥) الهائلة لذلك قام ضدهم الكاثوليك والبروتستان معا وكانوا حيث يجدون منهم احدا يحرقونه بدون شفقة، لكنهم مع ذلك لم يتلاشوا بل نشروا مذهبهم في سويسرا ونذرلاندا وسنة ١٥٣٠ استولى احدهم (يوحنا ليدن) على ميونستير احدى مدن وستفاليا واعلن نفسه ملكا على صهيون معلناً الاشتراكية وسامحاً بتعدد الزوجات فسادت الفوضى والبربرية وقام الاهلون عليه فاسقطوه وشتتوا اتباعه في كل اوربا

وكاد الانابابتيست يتلاشون لو لم يلم شعثهم كاهن لاتيني يدعى سمعان مينون هذا انضم الى الشيعة (١٥٣٦) وعمل بنشاط مدة ٢٥ سنة حتى ضبط نظامها الكنسي وشدد على آداب متبعيها فاوجد من المتشردين السلابين جماعة منظمة سلمية محبة للعمل ولم يبق من مبادىء الانابابتيست القديمة سوى رفض معمودية

الاطفال واظهار جماعة قديسين وقد حظر على اتباعه الحرب والوظائف المدنية ونسبت هذه الشيعة اليه فدعيت مينونيت واكثرها موجود في هولاندا

٢) السوسينيين — مؤسس هذه الشيعة الاول ليلي سوشين (١٥٢٥ — نوفي ١٥٦١) رجل ايطالي الاصل تلقن دروسه اللاهوتية في سويسرا ثم في ويتمبرج على ملانكتون واشرب منه روح البروتستانية وتوصل الى الاعتقاد بانه انما يقبل من تعاليم الكتاب ما يمكن تفسيره بما يدركه العقل ولذلك رفض التثليث كشيء غير مفهوم واعتبر ان نبوة المسيح انما هي بنوة مجازية وان الروح قوة الهية ليس الا ، و بالتالي انكر الفداء والخطية الجدية ولكن افكاره هذه لم ترق للبروتستان فاضطر للمهاجرة مع اتباعه الى بولونيا وترانسلفانيا (١٥٥١) قصد ترويج فكرته هناك فاتبعه بعضهم غير ان تعزيز السوسينية وتنظيمها قام بها فوست سوشين (١٥٣٩— ١٦٠٤) الذي اهتم (١٥٧٤) بجمع تعاليم ليلي وتنسيقها واتخذت اساساً للسوسينيين الذين اصبحوا جماعة مستقلة ذات كنائس ومدارس ولكنهم طردوا من بولونيا بسعي الجزويت (١٦٥٨) ومنذئذ اخذوا في التقهقر ولم يبق منهم الان سوى عدد قليل في ترانسلفانيا (١)

٣) الارمينيون — انشأ هذه الشيعة يعقوب ارمينيوس (١٥٦٠—١٦٠٩) الهولاندي الاصل خريج مدرسة جنيف السويسرية (١٥٨٦) ومبشر هولاندا (١٥٨٨) واستاذ جامعة ليدن (١٦٠٣) هذا قاوم التعليم الكلويني بشان القضاء المطلق وكان يخطب في كل مكان ان الله لا يعين منذ الازل اناساً للهلاك الا لسبق معرفته فساد ارادتهم فانضم اليه كثيرون في هولاندا فحسده على نجاحه بعض رفقائه الاساتذة وقاوموه فحصلت حرب دينية في البلاد اثرت على صحة ارمينيوس فمات معتلا (١٦٠٩) وانتصر للكلوينيين موريس اورانج محرر نذرلاند

(١) احيا السوسينيون شيعة المونارخيين القديمة (موحدي الاقنوم) والاندريتيتار (ناكري التثليث)

(توصلا للتملك على هولاندا والغاء الادارة الجمهورية) فحكم على الارمينيين في مجمع دورت ريخت (١٦١٨–١٦١٩) وطردوا ولكنهم عادوا فنالوا حريتهم الدينية بعد وفاته (١٦٢٩) (٢)

الفصل الثالث

اصلاح انكلترا وتاسيس الانكليكانية

بلغت الحركة الاصلاحية انكلترا كما بلغت سائر اصقاع اوربا لكن الانكليز لم يهتموا في الوجهة اللاهوتية قدر ما اهتموا في المسائل الادارية ؛ والشيء المهم في نظرهم انما هو خلع سلطة البابا وحفظ اموال الانكليز من التسرب الى خزينته وجيوب اكليروسه والذي قام بالحركة الاصلاحية هنا انما هو هنري الثامن ملك الانكليز (١٥٠٩–١٥٤٧) هذا طلب (١٥٢٧) من البابا اكليمنضوس طلاق زوجته كاترين الاراغونية ليتزوج حنة بولين فلم يجسر البابا ان يسمح بمرغوبه خشية كارلوس الخامس ابن اخي كاترين فاستاء هنري واستصدر (١٥٣٣) من البرلمان الانكليزي قانوناً باستقلال الكنيسة الانكليزية عن سلطة البابا واعلن نفسه (١٥٣٤) رئيساً اعلى للكنيسة ثم اقفل كل الاديرة في انكلترا (١٥٣٨) وحول املاكها الى المملكة ولم يغير شيئاً من التعاليم وقتئذ ولكنه تحت تأثير صديقيه توماس كرانمير رئيس اساقفة كنتربري ووزيره كرومويل

(٢) الارمينيون يعتقدون بوجود تفاوت بين الاقانيم الثلاثة وعندهم الاب اعلى ويتلوه في الرتبة الابن فالروح القدس (كنز النفائس ص ١٣٧)

البرتستاني الدخيلة اصدر باسم البرلمان دستورا ايدغشر قضايا ، منها الاسرار الثلاثة المعمودية والتوبة والمناولة ومع ان افكاره لم تكن مضبوطة لكنها لم تكن ذات روح بروتستاني فقد اعترف بالاستحالة وضرورة الاعمال للخلاص واستحسن ابقاء الايقونات في الكنائس ؛ ثم اصدر منشوراً ذا ستة فصول تهدد فيه منكري الاستحالة ، وناقضي البتولية ، وتنفذ هذا القانون باضطهاد كثيرين من اللوتيريين

ادوارد السادس — ولكن في ايام خليفته ادوارد السادس (١٥٤٧—١٥٥٣) بدأ الاصلاح في التعاليم والخدم ولكن ليس كما في جرمانيا وسويسرا فان ادوارد كان صغير السن لا كفاءة عنده للتمييز بين حسن التعاليم وسيئها وتولى امر الاصلاح اوصياء الملك وهم مزيج كاثوليك ولوتيريين فالغيت الفصول الستة التي وضعها ابوه وسمح بزواج الكهنة و بالمناولة تحت الشكلين و بقراءة الكتاب المقدس ، واصدرت سواعي عامة (١٥٤٨) و٤٢ بندا للاعتراف الانكليكاني (١٥٥١) اتخذت فيها طريقة وسطى بين الكثلكة واللوتيرية (مثال ذلك انه جعل الكتاب المقدس ينبوع التعاليم الالهية واستحسن المحافظة على التقاليد ؛ وعن التبرير بالايمان وسابق التحديد قال ما يجوز فهمه بمعنى كاثوليكي و بمعنى بروتستاني ايضاً واعترف بوجود جسد ودم المسيح في الافخاريستيا حقيقة وابقى سر الكهنوت مع المعمودية والتوبة والمناولة)

ماري والبصابات — لما توفي ادوارد وتسنمت العرش ماري اخته

بنة كاترين الاراغونية المتعصبة للكثلكة ، حصل رد فعل فاعيدت الكثلكة واضطهد البروتستان وعوقب كثيرون بالحرق منهم كرانمير (١٥٥٦) ولكن حظ البرتستان قصر مدة ملكها فتوفيت (١٥٥٨) وخلفتها اختها اليصابات ابنة حنه بولين المشربة روح البروتستانيه والمحتاجة نصرتها فاضطهدت هذه الكثلكة بدورها واعيدت الديانة الممتزجة ، ثم استصدرت البرلمان حكمين خطيرين احدهما ايداع الرئاسة العليا بيد الملك ؛ وثانيهما توحيد العبادة ، وكل الذين ابوا انكار رئاسة البابا او استعمال كتاب الصلوات العامة عوقبوا او هاجروا ؛ على انهم اخيرا ارضاء لفئتي الكاثوليك والبرتستان حوروا الاثنين والاربعين بندا وتألف منها اعتراف جديد بتسع وثلاثين قضية وصدق عليها مجمع (١٥٦٢) وهي الان دستور الانكليكانية والديانة السائدة في انكلترا ، لكن الكاثوليك والبروتستان لم يعترفوا بهذه القضايا رغم ما بذلته اليصابات في سبيل اجتذابهم اليها ، فابتعد الكاثوليك الى ايرلاندا اما البرتستان فاتبعوا النظام القسوسي الاسكوتلاندي ثم انقسم هولاء ايضا الى حزبين بيورتان (متطهرين) واندبيندت (غير خاضعين . مستقلين) الاولون طلبوا اصلاح الكنيسة وهم ضمنها والاخرون قطعوا كل علاقة معها لبغضهم كل ما فيه رائحة الكثلكة

الفصل الرابع

محاربة (١) اللوثرية والبروتستانية

مجمع تريدنت — الحركة الاصلاحية التي اوجدها لوثير كانت لطمة شديدة للكنيسة الرومانية لانها لم تكن تهددها بالانقسام فقط بل بنقضها من الاساس ؛ فانه عدا قيام البروتستان ضدها احتج الذين حافظوا على الكثلكة على الحياة الكنسية السيئة وطلبوا الاصلاح بواسطة مجمع ، وقد شعر الباباوات انفسهم بالخطر المحدق بالكنيسة بسبب الحركة الاصلاحية فاثار لاون العاشر (١٥١٣ — ١٥٢١) الامبراطور كارلوس الخامس ضد لوثير واتباعه ، وادريانوس السادس (١٥٢١ — ١٥٢٣) وعد بالاصلاح ايقافا للثوره الدينية ، واكليمنضوس السابع (١٥٢٣ — ١٥٣٤) اوجد مشاكل سياسية ليشغل الثائرين عن طلب الاصلاح لكن هذه المساعي لم تات بفائدة ، وشعر الجميع حتى الامبراطور بوجوب عقد مجمع لحل المشاكل الدينية واجراء الاصلاح الكنسي المرغوب ورغماً عن تمنع الباباوات وتعللاتهم وافق بولس الثالث (١٥٣٤ — ١٥٤٩) على عقد المجمع ابتغاء ان يضرب الاصلاح

---

(١) انما حفظ الكثلكة من السقوط تجاه هجمات البروتستان القوية امور خمسة ١) تقسم البروتستان ٢) مجمع تريدنت ٣) الجمعية الجزويتية ٤) ديوان تفتيش ٥) انتصار اسبانيا للكثلكة

الضربة القاضية ويوطد الكثلكة بواسطة مجمع ينعقد تحت تاثيره فمين تريدنت الواقعة على الحدود بين ايطاليا وجرمانيا مكانا لعقد المجمع ، وابتدا المجمع جلساته (١٥٤٥) حينما كان الامبراطور مشغولا بمحاربة امراء البروتستان وكانت اكثرية اعضائه من اساقفة ايطاليا وحضر فيه سفراء من قبل امبراطور جرمانيا والملوك الاخرين واما البروتستان فلم يحضر منهم احد وتراس المجمع احد القصاد

الدور الاول من ١٣ كـ١ سنه ١٥٤٥ — ١٧ ايلول سنة ١٥٤٦

فتذاكروا قبل كل شيء في موضوع المفاوضات واختلفوا في اي يتقدم البحث فيه العقائد ام الترتيبات ؟ فطلب القصاد تقديم المباحث العقائدية اولا ؛ اما السفراء ففضلوا تقديم النظر في الاصلاحات الكنسية . اخيرا اتفقوا على ان يبحثوا في كلا الامرين معا ؛ ثم بحثوا في حق التصويت اتراعى فيه الجنسية ام الشخصية فتقرر اعتبار اصوات الافراد (وذلك يوصل لمصلحة البابا لان افراد الطليان تباع البابا اكثر من الجرمان وسائر الحضور) ثم بحثوا في مصدر الحقائق الدينية فتقرر ان الكتاب المقدس والتقليد الشريف هما ينبوع الدين والاداب ، ولكنهم لم يبحثوا في ما هو صحيح من تقليدات الكنيسة الرومانية ، ثم حظروا تحت القصاص الصارم تلاوة الكتاب المقدس بغير الترجمة اللاتينية المعروفة بالفولكاتا ؛ ثم قرروا وجوب الاعمال الصالحة مع الايمان الممنوح بالنعمة الالهية

للتبرير ؛ ثم صدقوا على الاسرار الكنسية السبعة وحكموا بثلاثين قضية على الافكار البروتستانية بشان الاسرار

وفي هذه الاثناء فاز الامبراطور بمحاربته الامراء البروتستان ولكي يردهم الى الوحدة الدينية والسياسية طلب من المجمع البحث في الاصلاحات الكنسية فحاول الايطاليون وضع حدود غامضة بهذا الشان وخالفهم اساقفة الحزب الامبراطوري طالبين التصريح الكافي حينئذ امر البابا بنقل المجمع الى بولونيا بحجة ظهور الوباء في تريدنت (١٥٤٧) فابى محازبو الامبراطور السفر فلم يستطع محازبوا البابا تقرير شيء في بولونيا مع انهم اجتمعوا اكثر من مرة

الدور الثاني (١ ايار سنة ١٥٥١ — ٢٨ نيسان ١٥٥٢) توقف المجمع اربع سنوات ثم عقده البابا يوليوس الثالث (١٥٤٩ — ١٥٥٥) بالحاح الامبراطور (١٥٥١) الذي اضطر نواب البروتستان الى حضوره لازالة اسباب الخلاف في المملكة ولكن اباء المجمع لم ينتظروا البروتستان واستانفوا اعمالهم (١ ايار سنة ١٥٥١) فحكموا على الافكار البروتستانية بشان سر الافخارستيا والتوبة والزيت بدون ان يصلحوا ما فسد في كيفية تتميم تلك الاسرار وصدقوا بصورة لطيفة على الغفرانات اما بخصوص الاصلاحات الكنسية كتحديد سلطة البابا وسواها مما عرضه الاساقفة الالمانيون للبحث فوضع القصاد تحديدات غير مضبوطة يمكن تفسيرها على ما

يريده البابا ، وحينئذ حضر نواب البروتستان ؛ ولكن محازبي البابا لم يقبلوا مفاوضتهم بحجة انهم هراطقة فاثار ذلك البروتستان وشهر موريس السكسوني الحرب فاوقف المجمع عشر سنوات مع ان البابا قرر اقفاله سنتين

الدور الثالث (٢٨ ك ٢ سنه ١٥٦٢ — ٤ ك ١ سنه ١٥٦٣) في هذه المدة توفي البابا يوليوس الثالث ؛ وخليفتاه مركلس الثاني وبولس الرابع وتسنم المنصة البابارية بيوس الرابع (١٥٥٩ — ١٥٦٥) وقام على العرش الامبراطوري فرديننند الاول (١٥٥٦ — ١٥٦٤) اخو كارلوس الخامس فاعيد عقد المجمع بظل الامبراطور والملوك الاخرين لقطع دابر الثورات الدينية فاستونفت الاعمال المجمعية للمرة الثالثة ، واستدعى البابا البروتستان لحضور المجمع هذه المرة ولكنهم رفضوا الدعوة . وتمكن البابا ومحازبوه من تهدئة خواطر نواب جرمانيا واسبانيا وفرنسا الذين كانوا يطلبون تخصيص البحث في الاصلاحات الكنسية فبعد التصديق على سري الكهنوت والزيجة واستشفاع القديسين واكرامهم بالايقونات الخ جرى البحث في الاصلاحات الكنسية الواجبة فتقرر اصلاح كتب الليتورجيا وتوحيدها وفرضوا اتمامها بالخشوع اللازم وحظروا على الكهنة المتجولين اتمامها في غير الاوقات والامكنة المعينة لها وجددوا القوانين القديمة لترشيح ذوي الاهلية للدرجات الكهنوتية وحظروا على الاساقفة والكرادلة الخروج من مراكزهم لغير اسباب مهمة

وحددوا استئناف الدعاوي الى البابا ووضعوا قوانين لتحسين آداب الاكليروس الخ

ولما انتهى المجمع (١) صدق على قوانينه التي وزعت على المناطق الكاثوليكية ليعمل بها وحصر البابا حق تفسير ما وضع بالكرسي الرسولي فاضعف بذلك اهمية ما جدد وضعه على انه بتأييده التعاليم الكاثوليكية وحكمه على البروتستانية واصلاحه المخازي المسببة العثرات صدم البروتستانية واوقف انتشارها

الجزويت — في تاريخ محاربة اللاتين للبروتستانية ياخذ المنزلة المهمة بعد مجمع تريدنت الرهبنة الجزويتية التي ظهرت ابن الحركة الاصلاحية . انشأ هذه الرهبنة القديرة (١٥٣٤ اغناطيوس لويولا (١٤٩١ — ١٥٥٦) الاسباني الاصل هذا نشأ جنديا باسلا وفي اثناء محاماته عن بمبلون ضد الفرنساويين (١٥٢١) اصابه جرح بليغ في رجله الزمه البيت مدة ، في اثنائها طالع سيرة فرنسيس ودومنيك زعيمي الرهبنتين الشهيرتين في الغرب فدفعه ذلك الى الاقتداء بهما فحول فكره من الخندية الزمنية الى الروحية ، وقامت في صدره رغبة حارة لتنصير غير المؤمنين فتوحد بعد شفائه ثم سافر الى اورشليم (١٥٢٣) لاتمام بغيته من ارشاد الامم الى المسيح فشعر بصعوبة كلية لجهله الحقائق الدينية التي يريد دعوة الامم اليها فعاد الى اوربا ودرس اللاهوت في باريس وفيها تسلط على افكار بضعة من رفقائه فتعاهدوا معاً على نذر الفقر الاختياري والعفة وتكريس النفس لارشاد غير المؤمنين الى المسيح (١٥٣٤ ولما لم يتسن لهم السفر الى الشرق بداعي

---

(١) استغرق المجمع منذ افتتاحه الى اقفاله مدة ١٨ سنة وعدد اجتماعاته ٢٥ منها ١٠ في الدور الاول و ٦ في الثاني و ٩ في الثالث وعني به ثلاثة باباوات بولس الثالث و يوليوس الثالث و بيوس الرابع

نشوب الحرب بين الاتراك والبندقة تحول عزمهم الى الغرب و بتاثير البابا بولس الثالث خصصوا ذواتهم للوقوف في وجه الحركة الاصلاحية فتشرطنوا كهنة في البندقية (١٥٣٨) وجالوا مبشرين في اوربا حتى بلغوا رومية فانتظموا فيها رهبنة قانونية واضافوا الى نذور الرهبنة الثلاثة (الفقر والعفة والطاعة) نذراً رابعاً هو الطاعة المطلقة للبابا واتخذوا للوصول الى بغيتهم التي هي توطيد البيعة ونشر الايمان طريقتين ايفاد مرسلين لتبشير الوثنيين والمسلمين والهراطقة وسواهم وانشاء مؤسسات خيريه ومدارس للتربية تعزز بالوعظ والاعتراف واذ اعتبروا انفسهم جنوداً ينقضون مملكة الشيطان سموا ذواتهم يسوعيين (جزويت) واتخذهم الباباوات ترساً منيعاً لرد هجمات البروتستان لذلك ثبت قانونهم بولس الثالث (١٥٤٠) ونالوا امتيازات كثيرة منه ومن خلفائه ولا سيما يوليوس الثالث

النظام الداخلي للرهبنة الجزويتية يقسمها الى اربع طبقات ١) المبتدئين وهم المجهزون في مدارسهم الخصوصية للانتظام في سلك الرهبنة واهم ما يؤهلهم لذلك التدريب على الخضوع المطلق وانكار الذات ٢) المساعدين وهم الذين يجوزون الامتحان من المبتدئين و يتعهدون باتمام النذور الثلاثة ٣) كواديوتور (الروحيون) الذين يعينون للتعليم والتبشير والتعريف الخ ٤) الاساتذة وهم المتعهدون بالنذر الرابع (الطاعة المطلقة للبابا) و يختار لهذه الطبقة المشهورون بمواهبهم من اهل الطبقة الثالثة و بيد هؤلاء اهم وظائف الرهبنة ومنهم ينتخب الرئيس العام لرهبنة ذو السلطة غير المحدودة الذي لا يكلف باطاعة غير البابا ، وحيثما وجدت الرهبنة كانت حرة من اية سلطة روحية كانت غير رئاستها لذلك كانت الجزويتية برئاسة الجنرال المقيم في رومية عبارة عن مملكة ضمن مملكة او بالاحرى كنيسة مستقلة ضمن كنيسة

بهذه القوانين الصارمة تمكن الجزويت من صد تيار البروتستانية في بعض

الجهات ونشر الكثلكة في اصقاع اخرى (١)

و بسبب الحركة الاصلاحية ظهرت عدة رهبنات اخرى لكنها لم تحصل اهمية الرهبنة الجزويتية من اشهرها الرهبنة التياتية نشأت (١٥٢٤) في ايطاليا غايتها تحسين حالة الاكليروس وهؤلاء تعهدوا باتمام كل الخدمة الكنسية مجانا) الكبوشيين (١٥٢٨) الذين كرسوا حياتهم لاحياء اعتبار الكنيسة الرومانية في الشعب ٣) البيار يين نشأوا في القرن السابع عشر لاجل بث الروح الكاثوليكي في الطلبة مجانا ٤) العازاريين (١٦٢٤) غرضهم بث الروح الديني في الفرنساو يين ثم تجاوزوا ذلك فدخلوا الشرق الارثوذكسي

---

(١) بسبب حذق واقتدار رجال هذه الرهبنة و بالامتيازات التي نالوها من الباباوات انتشرت بسرعة فائقة في كل الاصقاع الاوربية فبالمدارس نشروا مبادئهم و بالاعتراف امتلكوا ضمائر التائبين ، و بالمدارس والمستشفيات استمالوا اليهم الطبقات العالية والواطئة على ان تدخلهم في السياسية و تشبثهم بمبادىء لم يستحسنها المحققون عرضتهم لسخط الحكومات فطردتهم اسبانيا من بلادها (١٥٥٨) وهولاندا (١٥٧٨) وفرنسا (١٧٦٤) والغى الجمعية البابا اكليمنضوس الرابع عشر (١٧٧٣) ولكن البابا بيوس السابع شعر بحاجته اليهم فحلهم من الحرم (١٨١٢)

الدور السادس

من مجمع اورشليم (١٦٧٢) في الشرق ومعاهدة وستفاليا (١٦٤٨) في الغرب

الى

وقتنا الحاضر

صفة هذا الدور

بلغ الضغط السياسي حده الاخير في الشرق في هذا الدور فاحدث رد فعل في نفوس الشرقيين فتلمسوا مخرجاً من عبوديتهم مادة ومعنى . فالذين عيل صبرهم ولم يبق في قوس صبرهم منزع التمسوا النجاة مما نزل بهم من الحيف بالانضمام الى احدى فرق النصرانية الغربية التي لها مرجع سياسي اوربي بعضدها . والبعض الآخر ظل محافظاً على عقائده وواصل استعمال الوسائل الممكنة لرفع الحيف عنه فحصل شيئاً فشيئاً على بعض امانيه ولمعت له بوارق الامل بنيل ما بقي وقد نال عدد كبير في هذا الدور مع استقلالهم السياسي استقلالهم الديني ومن هؤلاء اليونان ورومانيا وصربيا وبلغاريا

اما في الغرب فقد اثرت ثورة النفوس على المبدا الثيوقراطي ومال القوم الى المبدا الديموقراطي فاخذت عروش الامبراطرة تتزعزع واحداً فواحداً وتحولت الاشكال الادارية الى الشكل النيابي الذي قامت على اساسه الكنيسة الشرقية الارثوذكسية منذ نشأتها . غير ان بعضهم في الغرب تطرفوا فتجاوزوا الحد في ارائهم واعمالهم فاشرفوا على الالحاد في الفكر وعلى الفوضى في العمل لكن النتائج السيئة التي مرت بهم جعلت قادة البشرية تمسك هذه الافكار عن الجموح وتعدلها بما يوول لخير الانسانية

تلك صفة الدور السادس يقظة روحية في الشرق اوجدها الضغط وعراك بين الفلسفة واللاهوت في الغرب اثاره الكفر

اولا – تاريخ الكنيسة الشرقية

الفصل الاول

الكنيسة والحكومة

عرف القارىء ما اتصلت اليه حالة المسيحيين من السوء في الدور الماضي لدرجة ان حياتهم كانت تتوقف على لفظه تبدر من احد المتعصبين (١) وقد زادت الحالة سوءا في اوائل هذا الدور ولا سيما حينما دخلت الدولة التركية في التوازن الاوربي ولم يعد يهمها استرضاء دول اوربا فكان سلاطينها يصدرون امرهم بقتل المسيحيين لاقل سبب كما فعل مصطفى الثالث (١٧٦٨) ولولا ان يرشى احد مقربيه ويستصدر عفوه عن المسيحيين لجرت دماؤهم انهارا على ان كل المساعي التي بذلت في سبيل تخفيف هذه الشدة لم تمنع حصول ضحايا في سبيل المسيحية حتى ضاق نطاق المناون الكبير عن استيعاب اسماء الشهداء الذين قتلوا في هذا الدور منهم شاب

(١) روى مورخ يوناني ان السلطان سليما الاول استفتى في اواخر حياته سنة ١٥٢٠ مفتي القسطنطينية عن اي العملين يكون اكثر زلفى الى الله اخضاع العالم كله للراية الاسلامية ام اجبار المسيحيين في المملكة العثمانية على اتباع الدين المحمدي ؟ ففضل الوجه الثاني فامر السلطان باكراه المسيحيين تحت طائلة الموت على التدين بالاسلامية فاستعمل البطريرك ارميا الاول كل ما لديه من الوسائل لرفع الضغط وبواسطة بعض مشائخ الانكشارية وبالاستناد الى فرمانات محمد الفاتح تمكن من حقن دماء المسيحيين

اسمه انجيلوس (١٦٨٠) واسير روسي اسمه بولس (١٦٨٣) وفتاة من بورصة اسمها ارغيرا (١٧٢٥) واخرى اسمها كاينا (١٧٦٤) الاولان لرفضهما جحود المسيحية والاخيرتان لمحافظتهما على شرفهما و بلغ عدد الذين اعتبرتهم الكنيسة شهداء قديسين نحوا من مئة

وقد ضاعت اهمية البطركية في هذا الدور و بعد ما كان البطريرك الجديد يقابل السلطان بذاته و ينال منه البراءة الموذنة بتعيينه بطريركا . تحول تثبيت البطاركة الى الصدر الاعظم وظل ذلك مدة طويلة واصبح التجاسر على البطريرك ممكنا لاي كان كما حدث سنة ١٧٣٠ حينما هجم الانكشارية على البطريرك بانيسيوس الثاني ودخلوا الكنيسة عنوة فاهرقوا الزيت ووطئوا القربان وحطموا الايقونات . وذلك لان البطريرك لم يدفع لهم الكمية المالية الكبيرة التي طلبوها منه

اما قضية عشر الاولاد التي استخدمها الترك لتسديد العجز الذي يقع في الجندية بسبب كثرة حروبهم فظلت نحو ثلاثة قرون و بلغ عدد المجموع من الاولاد في بعض الاوقات نحو الفين في السنة وظلت هذه القاعدة سارية معمولا بها الى ان قضى عليها القضاء الاخير السلطان محمود

في هذا الدور دخلت الحكومة التركية في طور جديد اذ رغبت في التمدن الاوربي بعد اشمئزازها منه وهذا ادى الى حصول المسيحيين على شيء من الراحة فاهتم السلاطين قبل كل شيء بالغاء

وجاق الانكشارية الذي ضيق على السلاطين جدا وقد بدأ في ذلك سليم الثالث (١٧٨٩) فلم يفلح وذهب ضحية هذا المسعى ولكن خلفه محمود الثاني (١٨٠٨) تمكن من نيل هذه الامنية (١٨٢٦) بعدما اخذ لنفسه الاحتياطات اللازمة . وادخل النظام الاوربي (١٨٣٨) وجال بنفسه في بلغاريا وتراكيا يوصي بالمسيحيين خيرا ولكن رغم كل هذه المساعي قد نالهم من الضنك في ايامه ما نالهم ولا سيما يوم ثار اهل المورة طلبا للاستقلال (١٨٢١) وحينما تحطم الاسطول العثماني في معركة ناڤارين (١٨٢٧) فتعكر جو العلاقات بين الترك والمسيحيين بعد ما صفا قليلا ووقع كثيرون من المسيحيين من اكليريكيين وعلمانيين ضحية تهيج الاتراك غير المعتدل . واشهر من قتل في ابان هذه الثورة البطريرك غريغوريوس الخامس (١٨٢١) فلما هدات الثورة (١٨٢٩) عاد السلام شيئاً فشيئا وهدا روع المسيحيين بانتشار روح المدنية بين الترك ، الذين صاروا يكرمون المسيحيين ويستخدمونهم في وظائف عديدة . وهؤلاء بنشاطهم وانصبابهم على الصناعة والتجارة حصلوا ثروة حسنة واخذوا ينشئون مدارس عديدة رفعتهم درجة عن سواهم

والفضل في المساعي التي آلت لراحة المسيحيين يعود الى السلطان عبد المجيد الذي في ايامه اصدر عدة فرمانات تحسنت بواسطتها حياة المسيحيين . فانه في السنة التي تولى فيها عرش السلطنة اصدر فرمانا عرف في التاريخ ، بخط كلخانة ، اعلن فيه

حرية المذاهب (٢ ت ٢ سنة ١٨٣٩) ولاجل ارضاء الدول الاوربية ونيل اعترافها بمدنية الدولة العثمانية وعدم تمييزها بين افراد رعاياها من اي مذهب كانوا اصدر ثلاثة فرمانات اخرى الاول (١٨٤٣) الغى فيه القانون الذي يقضي بقتل من يرتد عن الاسلامية . والثاني (١٨٥٤) يوجب فيه قبول شهادة المسيحي سواء كانت للمسلم او عليه . والثالث (١٨٥٥) قبل فيه تجند المسيحيين كالمسلمين اذ اعتبرهم ابناء وطن واحد لهم حق المحاماة عنه كالمسلمين . على ان اهم كل الفرمانات التي اصدرها انما هو الفرمان الذي اصدره (١٨٥٦) المعروف بالخط الهمايوني الذي صرح فيه بمساواة المسيحيين للمسلمين في الحقوق المدنية وحظر اهانتهم او التعدي عليهم . واعاد الامتيازات التي منحت لزعماء المسيحيين قديماً واعطى الرئاسة الروحية حق النظر في المسائل الطائفية التي مرجعها الشريعة الكنسية كالطلاق والمواريث وسواها

على ان هذه الاوامر التي انما صدرت ارضاء لدول اوربا لا عن طيبة خاطر بل للاحتفاظ بكيان الدولة لم تق المسيحيين من الشدائد وقاية تامة . فنالهم من الضنك في ايامه ما نالهم وحسبك مذبحتي البانيا (١٨٤٣) وسوريا (١٨٦٠) والقوانين التي اصدرت لم تنفذ بالفعل الا في الاستانة وضواحيها . وبعض تلك القوانين اهمل برضى الحكومة كتجنيد المسيحيين الذي ابدل بدفع بدل نقدي حل محل الخراج السنوي ولما تسنم الاريكة الملوكية السلطان عبد العزيز

(١٨٦١) صدق على الامتيازات التي اعطيها المسيحيون من اسلافه (١٨٧٥) وتلاه بذلك عبد الحميد الثاني (١٨٧٦) الذي نشر القانون الاساسي واعدا بالمحافظة على راحة المسيحيين على ان ذلك لم يمنع الرعاع من الفتك بهولاء والتنكيل بهم وما زالت اصدية المذابح الارمنية (١٨٩٥) واعمال الجمعيه المحمدية (١٩٠٩) وفظائع الحرب العظمى (١٩١٤ — ١٩١٨) وكارثة ازمير (١٣ ايلول سنة ١٩٢٢) تصمي الاذان وتدمي القلوب

الفصل الثاني

مذاهب ومناظرات

١) بين الارثوذكس واللاتين

جمعيات التبشير — راى الباباوات ان مساعي الجمعية الجزويتية في الشرق لم تكن بلا ثمرة لفائدة السيادة البابوية ، فعضدوهم بارسال مبشرين من جمعيات اخرى ولا سيما جمعية نشر الايمان الكاثوليكي التي اسسها البابا اربانوس السادس لهذا الغرض سنة ١٦٢٢ فملىء الشرق بالمبشرين اللاتين من دومنيكان وفرنسيسكان وبرناردين وكرمليين الخ وهولاء استمالوا بعض الارثوذكس بالمال تارة وبالتفسيحات الكنسية اخرى . وتقووا في القرن الثامن عشر الى درجة ان الارثوذكس اصبحوا يأتمرون باوامرهم توهما من هولاء بهم انهم انما يعلمون نفس تعاليم كنيسة القسطنطينية . لذلك عقد بطاركة الشرق مجمعاً في القسطنطينية . (١٧٢٢) حكموا فيه على ثماني قضايا لاتينية (١ — رئاسة البابا ٢ — الزيادة في الدستور ٣ — المطهر ٤ — صيام السبت ٥ — حظر المناولة

على الاطفال ٦ — الفطير ٧ — سعادة القديسين ٨ — اكل المخنوق)

على ان مساعي اللاتين لم تنجح كما توقعوا وفي مدة اربعمائة سنة ما استطاعوا ان يستميلوا الا العدد القليل واكثر هولاء من احط اعضاء الكنيسة ، والكرامي التي اوجدوها في الشرق انما اوجدوها للتباهي وهي على الحقيقة غير ضرورية لان المنضوين اليها اكثرهم من بقايا الصليبيين لا من المتحدين . ولم يكن هذا كافياً لاخضاع الشرق الارثوذكسي لسلطة الباباوات بل بقي على استقلاله الروحي وكانت نتيجة الارساليات تقوية النفرة بين الارثوذكس والكاثوليك بدلا من تقريب قلوب الفئتين

الاراضي المقدسة — لم يكن الفشل الذي اصاب الغربيين في اواخر الدور الماضي كافياً للقضاء على مطامعهم في الاستيلاء على الاماكن المقدسة . بل اعادوا الكرة في هذا الدور ايضاً ففي سنة ١٦٧٣ حاول المركيز نوتنيل سفير فرنسا تسليم المواضع المقدسة للاتين واستعمل لذلك كل الوسائل الجائرة فلم يفلح . ولكن الحكومة التركية اضطرت بعد الحرب النمسوية ان تتعهد بتسليم الاماكن المقدسة للاتين . واصدرت بذلك عدة فرمانات (١٦٩١ و ١٧٠٠ و ١٧٠٦) فخسرت الكنائس زينتها اذ هدم اللاتين بسرعة المائدة الكبيرة المشيدة امام القبر المقدس وايقونسطاس كنيسة بيت لحم ليغيروا معالم هذه المعابد . وكانت هذه الظروف احرج مواقف الارثوذكس في فلسطين

وفي سنة ١٧٥٦ لما كثر عدد اللاتين في اورشليم حاولوا اخراج الارثوذكس منها . فهجم بعضهم في احد الشعانين على الكنائس الارثوذكسية وسلبوا زينتها واهانوا المصلين فيها . لكن ذلك آل لخير الارثوذكس فيها فان البطريرك برثينيوس (١٧٣٧ — ١٧٦٦) رفع شكوى حارة للسلطان عثمان الثالث التمس فيها كف تعدي الاجانب على الوطنيين المخلصين واذ كانت الحكومة التركية وقتئذ تتململ من كثرة تدخل الاجانب في شؤونها الخصوصية اعادت النظر في

مسئلة ملكية الاماكن المقدسة بتدقيق فوجدت ان فرمانات اليونان اقدم عهداً مما بيد اللاتين فاعيدت الكنائس للارثوذكس بموجب فرمان صدر سنة (١٧٥٧) ولكن سمح للاتين باتمام الخدم الكنسية فيها

ولما احترقت كنيسة القيامة بيد اثيمة (١٨٠٨) استحصل البطريركان بوليكربوس الاورشليمي وكلينيكوس القسطنطيني امراً بتجديدها فعارضهم اللاتين معارضة شديدة بغيـة ان يكون لهم يد في تجديدها فلم يفلحوا وفاز الارثوذكس بتكميل البناء ولم يستطع اولئك ايقافهم . وبلغت نفقات التجديد اربعـة ملايين ريال صرف ثلثاها لاجل استرضاء مأموري الحكومة التركية والثلث البـاقي لاجل البناء

ولكن اللاتين لم يرتضوا بهذا الفشل فاستحصلوا بواسطة السفراء امراً باستلام القبر المقدس (١٨١١) وحظروا على الارثوذكس اتمام الخدمة الالهية في الكنيسة فصعب الامر على الارثوذكس جداً و بذلوا آخر ما عندهم من القوة في هذا السبيل فتكلل جهادهم بالفوز النهائي وتمكنوا من استرداد حقوقهم المغصوبة (١٨٢٠)

وفي نصف القرن الماضي عظمت قوة اللاتين وازداد ضغطهم على الارثوذكس فادى ذلك الى اشهار روسيا الحرب على تركيا (١٨٥٣) وتسوى الخلاف بعدها بين الارثوذكس واللاتين وطويت صفحة هذا النزاع

مساع جديدة لاجل الاتحاد

من اشهر البابات الذين حاولوا اخضاع الشرقيين للكرسي الروماني في هذا الدور هما البـاباوان بيوس التاسع (١٨٤٦ — ١٨٧٨) ولاون الثالث عشر (١٨٧٨ — ١٩٠٧)

فالاول اصدر منشوراً (١٨٤٨) دعا فيه الشرقيين الى الاتحاد زاعما ان رؤساء الكنيسة الشرقية كانوا في ما سلف يستمدون سلطانهم من الكرسي الروماني ومن اغراءاته تعهده للشرقيين بالمحافظة على تقاليدهم وطقوسهم اذا خضعوا له .

فتصدى للرد على هذا المنشور كثيرون من الشرقيين ولا سيما التيموس السادس البطريرك القسطنطيني الذي اجاب بان اعادة الصلات بين الكنيستين تتوقف على الغاء ما احدثه اللاتين وقد اذاع بطاركة الشرق (٦ ايار ١٨٤٨) منشوراً عمومياً في ٢٣ فصلا اظهروا فيه انحراف المنشور الباباوي وفندوا ادعاءاته بالدقة اللازمة . وبينوا ما هي الاحداثات اللاتينية التي تمنع الاتحاد . ولما اراد البابا بيوس التاسع (١٨٦٨) عقد المجمع الفاتيكاني استدعى اليه الاساقفة الشرقيين ولكن هولاء رفضوا الدعوة لان البابا استدعاهم كرئيس لا كاخ متقدم

وقد تحدى البابا لاون الثالث عشر خطة سلفه فسعى جهده لاستمالة الشعوب الشرقية فارسل منشوراً سنة ١٨٨٠ يستدعي فيه الشعوب السلافية للخضوع للكرسي الروماني الذي زعم انهم انما تنصروا بمساعيه بواسطة الرسولين مثوديوس وكيرلس

فرد كثيرون من لاهوتيي بطرسبرج على هذا المنشور وفندته ايضا جريدتا الصوت الدهني (في اثينا) والحقيقة الكنائسية (في القسطنطينية) مبينين ان رسولي السلاف يونانيا الاصل والذي ارسلهما انما هو بطريرك القسطنطينية وقيصرها

واغتنم فرصة تبوء يواكيم الرابع السدة البطريركية سنة ١٧٨٤ فارسل له رسالة تهنئة وهي اول مرة بعد الانشقاق اظهرت رومية فيها عواطفها الحبية للكرسي القسطنطيني فتفاءل بعضهم بذلك خيراً واستدلوا على حلول الولاء بدل النفار ولكن فهم اخيراً ان ذلك مبني على صداقة شخصية بين الزعيمين اوجدهما تعارفهما اثناء مرور السيد يواكيم برومية (١٨٨٣) يوم قصد اوربا التماساً للاستشفاء من داء المّ به

وفي سنة ١٨٩٤ عاد فاصدر منشوراً آخر يدعو فيه الشرقيين الى الخضوع للسدة الرومانية . فاجابه على منشوره هذا البطريرك القسطنطيني التيموس السابع ومجمعه (١٨٩٥) برسالة عمومية تضمنت ٣٥ فصلا بين فيها ان الاتحاد انما يتم بالغاء الاحداثات اللاتينية . التي منها الزيادة في الدستور ، واستعمال الارش في المعمودية ، والفطير في المناولة ، وحذف البركة من اقنين التقديس ، وحظر

الكاس على العامة ، والاعتقاد بالمطهر ، و بالحبل بلادنس ، و بعصمة البابا ورئاسته العامة الخ

ففشل هذا المسعى كغيره من المساعي لان البابا وات لم يطلبوا الاتحاد لذاته وانما طلبوه ليخضعوا الشرقيين لسلطانهم ليس الا

٢ — بين الارثوذكس والبروتستان

مبشري البروتستان — لما رأت الجماعات البروتستانية ان طوائف المبشرين اللاتين اموا الشرق لاستمالة الارثوذكس اليهم بثوا هم ايضاً دعاتهم لهذه الغاية نفسها فزاحموهم على موائد الشرق الساذجة فلم يحرموا نيل شيء من امانيهم بواسطة المدارس التي انشأوها والكتب التي الفوها وطبعوها على ان النتائج التي حصلوها من هذه المساعي لاتوازي ما بذل في هذا السبيل وكانت صلات الارثوذكس مع البروتستان على الغالب احسن مما كانت مع اللاتين . لان البروتستان حافظوا على مظاهر الولاء ، ولم يتعرضوا لشيء من اوقاف واملاك هولاء فظلت المعاملات بين الفريقين سلمية . واهم موثرات البروتستان على عواطف الارثوذكس هي الجامعة الاميركانية في سوريا ودار الايتام في فلسطين ونشريات المطابع الانكليزية والاميركية في مصر و بيروت

(الانكليكان والاتحاد)

بين الطوائف البروتستانية وجدت طائفة استقلت بافكارها عن اللاتين والبروتستانت معاً ومنذ اول ظهورها في القرن السادس عشر اعلنت مبادئها للارثوذكس وكثيرون من رجالها الكبار اعترفوا بانها الكنيسة الوحيدة التي احتفظت بالتعاليم والترتيبات الكنسية المسيحية القديمة وقد ذكرنا في الدور الخامس المساعي التي بذلها زعماء هذه الطائفة للتفاهم مع الارثوذكس بواسطة البطريركية القسطنطينية

غير ان تشديد بطاركة القسطنطينية في المحافظة على ما سلم اليهم من كلي وجزئي . وحداثة عهد هولاء في الدربة الكنسية احبطت تلك المساعي

على ان ذلك لم يمنع استئناف المفاوضات بين الاسقفيين والارثوذكس . ففي اوائل القرن الثامن عشر حينما زار انكلترا (١٧١٥) ارسانيوس رئيس اساقفة تيبة لغرض خيري ؛ تالب حوله اساقفه الانكليكان واستجوبوه عن عدة قضايا دينية لم تضع لها كنيستهم حدا ضابطا. فاجابهم عليها بدقة حسب اعتقاد الكنيسة الارثوذكسية واذ نالت اجوبته استحسانهم دخلوا معه في البحث عن المبادىء الاساسية في الكنيستين فصرح لهم عن وجوه الاتفاق والاختلاف بين الفريقين . فاعلنوا له رغبتهم في الاتحاد اذا تساهل الارثوذكس معهم ببعض القضايا التي منها جعل ميزة بين التقليد والكتاب وعدم مناجاة القديسين في الصلاة والاعراض عن استعمال كلمة « استحالة » في الافخاريستيا . فطلب اليهم ان ينظموا تقريرا بمطالبهم هذه ليرفعه الى بطاركة الشرق ففعلوا . فلما عاد ارسانيوس من انكلترا مر بروسيا واطلع القيصر (بطرس الاكبر) والمجمع المقدس على ما دار بينه وبين الانكليكان وبعث من هناك بالمطالب المذكورة الى بطاركة الشرق . فدارت المفاوضات بين اساقفة الروس والانكليكان بهذا الشان اما بطاركة الشرق فكان جوابهم (١٧٢١) انهم لا يستطيعون ان يقبلوا الانكليكان برابطة الاتحاد اذا لم يقبلو

كل ما رسمته المجامع المسكونية فاعاد هولاء الكرة بواسطة المجمع الروسي المقدس طالبين الاتحاد مع الارثوذكس وشارحين ما يعتقدونه فاجابهم المجمع المقدس (١٧٢٣) انه ارسل شروحاتهم الى بطاركة الشرق وطلب منهم ارسال لاهوتيين للمباحثة معهم في القضايا الثلاث المختلف عليها . وفي اثناء ذلك وردت اجوبة الشرقيين بواسطة ارميا الثالث مرفوقة بملخص الاعتقاد الارثوذكسي الذي وضعه المجمع الاورشلمي (١٦٧٢) فلما راى الانكليكان عدم تساهل البطاركة بشيء انقطعوا عن المكاتبة . اما المناظرة التي رغب فيها يطرس الاكبر فلم تتم لوفاته سنة ١٧٢٥ على ان فشل هذا المسعى لم يقض على الولاء الكائن بين فريقي الارثوذكس والانكليكان . وقد شعر بعد ذلك محبوا الاتفاق ان الفشل نتج من ان كلا من الفريقين اكتفى بعرض مبادئه على الاخر ليسلم بها دون درس كماليات ولزوميات تلك المبادىء ولو اظهر الفريقان شيئاً من رحابة الصدر لاحتمال ضعف بعض التصورات واحلالها المحل المناسب لحصل التفاهم بينهما ولا سيما اذا راعى كل منهما ما رسخ في عواطف الاخر من استحسان بعض الانظمة والفرائض التي لا تمس جوهر العقائد الواجب اعتبارها اساسا للاتحاد

لذلك اهتم كثيرون من لاهوتيي الانكليكان في اوائل القرن التاسع عشر بدرس كل ما هو قديم في المسيحية لمعرفة روح الكنيسة في ادوارها المتعددة . فقادهم الدرس الى الاعتراف بان

الكنيسة الارثوذكسية ظلت امينة على التعاليم والترتيبات المسيحية القديمة واوجبوا على ذواتهم درس الارثوذكسية في حالتها الحاضرة واعداد الانكليكانية للاتحاد معها . وقد قام باحياء هذه الفكرة العلامة بالمير كبير لاهوتيي او كسفورد الذي ظل يفاوض المجمع الروسي بهذا الشان عشر سنوات (١٨٤٠—١٨٥٠) ولاجل تعريف الانكليكان بالارثوذكسية ترجم الكاتيشيس الارثوذكسي الى الانكليزية ليطالعه الانكليكان وسرت هذه الروح الى اميركا فتالفت فيها (١٨٦٠) جمعية سميت « الجمعية اليونانية الروسية » وفي انكلترا جمعية اخرى دعيت « شركة الكنيسة الشرقيه » غرض كلتيهما ايجاد تفاهم بين الارثوذكس والانكليكان ووضع اساس لاتحادهما

وقد اتسع نطاق هذه الحركة واتخذ هيأة جدية عمومية على اثر تقرير المجمع الفاتيكاني (١٨٦٩) المعصمة البابوية . اذ ازداد تقرب الانكليكان للارثوذكس وتحسنت الصلات معهم حتى ان جريدتهم الرسمية المدعوة (المناظرة الكنسية) فتحت (١٨٨٦) بابا خاصاً لهذا الشأن بعنوان « اتحاد الديانة المسيحية » نشرت فيه كل ما يوول لتعزيز روابط المحبة بين الطائفتين فاعلن القس وليم كاريت مبشر الانكليكان في اليابان ارثوذكسيته

وقد انشئت اسقفية خاصة في جبل طارق (١٨٨٣) لتكون صلة تعارف بين الشرق الارثوذكسي والغرب الاسقفي كما صرح

بذلك اسقف الجبل المذكور حينما زار البطريرك المسكوني وصلى في كنيسة البطريركية (٩ ت١ ١٨٩٨)

وزاد تقرب الانكليكان للارثوذكس حينما نقم عليهم البابا لاون الثالث عشر واذاع منشورا (١٨٩٦) اعلن فيه فساد شرطونيتهم فقاموا قومة رجل واحد يلتمسون صيانة مركزهم باللواذ الى الارثوذكسية. فالفوا لجنة لاهوتية غرضها التفاهم مع الارثوذكس وقرروا ارسال نخبة من طلبة مدارسهم اللاهوتية الى مدارس اللاهوت الارثوذكسية وقبول طائفة من طلبة الارثوذكس في مدارسهم اللاهوتية . وقد رئس هذه اللجنة السيد وليم كوللنس مطران جبل طارق الانكليكاني والسيد اغاثانجيلوس مطران ريغا الارثوذكسي (١٩٠٦) وانشئ فرع لهذه الجمعية في اميركا عهد برئاسته الى السيد باركر اسقف بروكلن وبوشر فعلا في تنفيذ هذه القرارات وممن سبقوا سواهم الى تنفيذها المستر براون احد خريجي مدرسة كمبريدج اللاهوتية الذي انتظم (في آب ١٩٠٧) في سلك طلاب مدرسة خالكي الارثوذكسية . وقد اخذ كل من الفريقين يراعي احساسات الاخر فلما سئل البطريرك الاورشليمي عن صحة المعمودية الانكليكانية اجابهم بروح مسيحي (١٠ اذار ١٩٠٧) انها اقرب المعموديات الى الارثوذكسية كما ان مطران الانكليكان رفض ضم المستائين من ارثوذكس الكورة (١٩٠٧) الى الانكليكانية وعمل على تهدئة خواطرهم الثائرة . ولما دخلت الجيوش البريطانيه

سوريا ابى القس ان يصلي بالفرقه التي دخلت الى حمص في غير الكاتدرائيه الارثوذكسيه مع معرفته بوجود كنيسه بروتستانية مصرحا ان رئاسته العليا لم تفوض اليه تبادل الصلاة مع غير الارثوذكس لانها الطائفة القربى

وفي ٢٢ ايار سنة ١٩١٩ وصل الى دمشق السيد ولر اسقف فون دي لاك رئيس البعثة الاميركية الاسقفية ليدعو الكنيسة الانطاكية الى الاشتراك في المؤتمر العام المقصود منه ايجاد تفاهم بين الكنائس المسيحية تمهيداً لحصول اتحاد روحي بين الجميع فاوفدت الكنيسة الانطاكية السيد جراسيموس مطران بيروت لهذا الغرض وقد حضر مؤتمر بورتلاند الذي افتتح في ٦ ايلول سنة ١٩٢٢ وتقرر فيه عقد مؤتمر عام (١٩٢٥)

اما الشرطونية الانكليكانية فقد استفتى سيادة مطران كنتربري السيد رندل البطريرك المسكوني ملاتيوس متاكساكي بشان صحتها وعدمه فاجابه برسالة مورخة في ٢٨ تموز سنة ١٩٢٢ يظهر فيها ميلة الخاص للاعتراف بصحتها واذاع في الوقت نفسه منشورا للكنائس الارثوذكسية في العالم لتبدي رايها في هذا الشان

وكل ذلك يدل على ان الوقت الذي يحصل فيه التفاهم بين فرق المسيحية قد اقترب

الفصل الثالث .

المعارف الروحية

(١) المدارس

بلغ الشرقيون في الدور الماضي درجة من الجهل تستوجب الاسف حتى كادت تعم الامية جميع الطبقات . والاكليروس نفسه قل من كان فيه يحسن القراءة جيدا . لكن هذه الغفلة التي عرتهم بسبب الضغط السياسي قد تفككت عراها في هذا الدور شيئاً فشيئاً . فصار المسيحيون يرسلون اولادهم الى المدارس الاوربية لتلقي فنونها الجديدة واخذوا ينشئون مدارس في الشرق فساعدت الاكليروس على الترقي الفكري وهولاء عملوا على توسيع نطاق المعارف الروحية بقدر الامكان ومن اشهر هذه المدارس ما ياتي :

١) مدرسة يانيا – انشئت في الشطر الثاني من القرن السابع عشر وكان احد اساتذتها ملاتيوس المورخ الكنسي الشهير (+١٧١٤) ومن خريجيها اڤانيوس البلغري العالم الكبير (+١٨٠٦)

٢) مدرسة مسخوبول (البانيا) – انشئت في اواخر القرن السابع عشر وصارت اكاديمية في القرن الثامن عشر ولكنها تهدمت مع المدينة حين حاصرها الاتراك

٣) مدرسة بطمس – انشأها (١٧١١) مكاريوس الكاهن المتوحد صاحب البوق الانجيلي (+١٧٣٧) وقد أمها الطلاب

من كل صوب وخرجت كثيرين في اللاهوت والفلسفة ولكنها بعد وفاة جراسيموس (١٧٤١) خليفه مكاريوس في ادارتها قلت اهميتها

٤) مدرسة آثوس — انشئت (١٧٥٣) بسعي كيرلس الخامس وهي، فيها مراكز لخمسمائة طالب وعين لادارتها اڤانيوس البلغري المشهور. وقد لبست «اكاديمية آثوس» (كما دعوها آنئذ) دورا مهما في عالم العلم وتخرج فيها كثيرون ممن نالوا شهرة واسعة ولكنها بعد خروج اڤانيوس بخمس سنوات تقهقرت واقفلت

هذه اشهر المدارس اليونانية التي انشئت في القرن الثامن عشر لكن بعض الشبان لم يكتفوا بما تلقنوه فيها؛ بل كانوا يقصدون مدارس اوربا لترقية معارفهم. فبعضهم اموا ايطاليا حيث استقر علماء اليونان بعد سقوط المملكة البيزانطية؛ فغصت بهم جامعة بادوان وكلية القديس اثناسيوس، وبعضهم قصدوا كليات جرمانيا او بعض العلماء المشهورين لاخذ دروس خصوصية. على ان جميع هولاء تشربوا روحاً غير ارثوذكسية لاقتباسهم المعارف من مدارس لاتينية او بروتستانية. لذلك حالما تنظمت المدارس الروسية في اواخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر اخذ الشرقيون يقصدونها. وهناك ولا سيما في اكاديمية كياف حصلوا على كل مساعدة

ولما نهض اليونان في القرن المنقضي نهضتهم المعروفة ارتقت

بنهوضهم المعارف الروحية ايضا فظهرت عندهم المدارس القانونية العالية وسعى نظير سعيهم السوريون فظهرت في الشرق عدة مدارس اشهرها ثلاث

١) مدرسة خالكي – انشاها في جزيرة خالكي (١٨٤٤) جرمانوس الرابع لاعداد خدمة للدرجات الكنسية العليا؛ يدرس فيها اللاهوت بفرعيه العقائدي والادبي والتاريخ الكنسي والتفسير عدا العلوم المدنية من فلسفة وتاريخ وطبيعيات ورياضيات الخ وتدرس فيها اللغات اليونانية واللاتينية والتركية والافرنسية والسلافية ومدتها سبع سنوات الاخيرتان منها مخصوصتان للاهوت وقد اخرجت لعالم الدين كثيرين من النوابغ بهمة استاذها الاول قسطنطين تيبالدس

٢) مدرسة المصلبة – انشاها في اورشليم (١٨٥٣) كيرلس الخامس لاعداد كهنة ومعلمين للشعب، بروغرامها اضيق من بروغرام خالكي قليلا ومدتها سبع سنوات ايضا. ولكن قلما انهاها طالب. وكان في نية منشئها تلقين المعارف لعموم الطلبة دون تمييز بين يونان وعرب لكن هذه النية لم تتحقق بل اخذت بعد مدة صبغة يونانية محضة، الامر الذي جعلها تتعطل مرارا فتعطلت اول مرة سنة (١٨٧٦ – ١١٨٢) ثم اقفلت ثانية (١٨٨٨ – ١٨٩٢) ثم اقفلت ثالثة (١٩٠٩) ولا تزال مقفلة والمامول ان تزول الخلافات في الكرسي الاورشليمي فيلتفت غبطة البطريرك الحالي الى المعارف ويعيد

المدرسة الى سابق عهدها

٣) مدرسه البلمند – انشئت لاول مرة في زمن رئاسة الارشمندريت اثناسيوس القصير (١٨٣٠ – ١٨٤٢) ثم اقفلت واعادها (١٩٠٠) ملاتيوس الثاني البطريرك الانطاكي . بروغرامها يقابل السمينارات الروحيه في روسيا ومدتها ست سنوات وطلبتها يدرسون مجانا على امل تكريسهم ذواتهم للخدمة الروحية

وهنالك عدة مدارس اخرى عاليـة كجامعة اثينـا الموسسة (١٨٣٧) التي انشئ فيها فرع للاهوت (١٨٤٣) وثلاثة سمينارات روحية انشاتها حكومة اثينا (١٨٥٦) ومدرسة بيروت الروحية التي انشاها المطران غفرئيل (١٨٨٥) ويهتم الان غبطة البطريرك الانطاكي الحالي غريغوريوس الرابع مع سيادة مطران بيروت جراسيموس ان يعيد لها مجدها السابق ومدرسه حمص الوسطى التي انشاها السيد اثناسيوس عطاالله مطران حمص الحالي (١٩٠٨) وغيرها

(٢) مشاهير الكتاب في الشرق

بظهور النهضة الادبية الروحية في الشرق ظهر عدد من الكتاب لهم حرمة جزيلة في عالم الكتابه امتاز منهم الاتي ذكرهم

١) دوسيثاوس الاورشليمي (✠ ١٧٠٧) اشتهر بتاريخه بطاركه اورشليم وتاليفه هذا هو المرجع الوحيد لتاريخ البطركيه الاورشليميه

٢) ملاتيوس مطران اثينـا (✠ ١٧١٤) اشتهر بتاريخـه

الكنسي الموضوع بثلاثة مجلدات ضخمه وهو اول تاريخ مدرسي لطلبة المدارس الروحيه اليونانيه

٣) ايليا المنياتي (+ ١٧١٤) اسقف كيزيك (المورة) اللاهوتي العالم والواعظ الذائع الصيت اشتهر بكتابه «صخرة شك» وبمواعظه الصوميه

٤) اسكندر جلاديوس (نبغ في الشطر الاول من القرن الثامن عشر) اتم دروسه في انكلترا. وجال كثيرا في اوربا؛ واشتهر بكتابه «حالة الكنيسه اليونانيه الحاضرة» الذي الفه سنه ١٧١٤ وقدمه لبطرس الاكبر وبسط فيه حالة المعارف اليونانيه في عصره وبرهن صحة اعتقاد الارثوذكس بشان الصلاة لاجل الراقدين والاستحاله الجوهرية واكرام القديسين والايقونات

٥) افجانيوس البلغري (١٧١٦ – ١٨٠٦) عالم كبير تلقى دروسه الابتدائيه في الشرق ثم حصل دروسه العاليه في اوربا واتقن اللغات اللاتينيه والايطاليه والافرنسيه والالمانيه والعربيه وقد خدم المعارف في الشرق خدمه جليلة بترجمته الى اليونانيه أحسن المولفات في اللاهوت والمنطق وعلم ماوراء الطبيعه والفصاحه

٦) نيكيفوروس ثيوطوكي توفي في اوائل القرن التاسع عشر حصل حظاً من معارفه في البندقيه ثم قصد اوربا فدخل في مدرسة ليبسك الجامعه حيث كان صديقه افجانيوس البلغري ومن اشهر مولفاته «جدول مولفات الاباء» وتفسير الاناجيل ورسائل الاحد

٧) اثناسيوس مخلع الدمشقي (✠ ١٨١٣) مطران حمص (١٧٩٢ ب ١٨٠٥) العالم الكبير والفقيه المتفرد . من آثاره القلمية ترجمة « البوق الانجيلي » الى اللغة العربية اذ كان قساً في القسطنطينية سنة ١٧٨٠ وما زال الحمصيون حتى الان يتناقلون قصصاً عن فتاواه تدل على تفرد بالذكاء والخبرة

٨) قسطنطين الايكونوموس (✠ ١٨٥٧) الكاهن اليوناني خطيب الكنيسة القسطنطينية في ايام غريغوريوس الخامس اشتهر بمولفاته « الترجمة السبعينية » و « الكاتيشيس » و « الدرجات الكهنوتية الثلاث » و « سلسلة بطاركة القسطنطينية »

٩) قسطندي الاول (✝ ١٨٥٩) البطريرك القسطنطيني (١٨٣٠ — ١٨٣٤) خريج الاكاديمية كياف اشتهر بمولفاته « حالة القسطنطينة تاريخيا واثنوغرافياً » وبرده على بوريه الجزويتي « بشأن الاماكن المقدسة » وردّه على « الاناباتيست » لرفضهم تعميد الاطفال و « سلسلة بطاركة انطاكية »

١٠) الخوري يوسف مهنا الحداد (١٧٩٣ — ١٨٦٠) الذي اعتبره الدمشقيون كوكب دمشق في عصره . حصل علومه لذاته وكان واسطة لتخريج كثير من نوابغ السوريين في المدرسة التي انشأها بدمشق (١٨٣٦) من اثاره تعريب بضعة اسفار دينية كانت الارثوذكسية في عصره باشد الحاجة اليها . وقد كان احدى الضحايا البريئة التي افترست ظلما في حادثة الستين (١٨٦٠) بدمشق

١١) زخريا ماثا (١٨٧٧) رئيس كهنة تيرا اشتهر بتاليفه سلسلة بطاركة القسطنطينية الذي ترجمته الى الروسية مجلة القراءة المسيحية

١٢) جراسيموس يارد مطران سلفكيه (١٨٨٩ — ١٨٩٩) ترهب ودخل احدى مدارس الاستانه (١٨٦٠) ثم حصل علومه العالية في روسيا (٦٢ — ٧٢) حيث نال من كلية بطرس برج العلمية الشهادة الرسمية من الصنف الاعلى وسمي استاذا لمدرسة بسكوف ثم رئيساً لمدرسة ريغا ثم استاذا لتاريخ الكنيسة البزنطية في مدرسة بطرسبرج . كان خطيباً مفوها وعلامة في اللاهوت والفلسفة . من مولفاته « اتحاد الكنائس » نشرته مجلة اللاهوت الروسية (١٨٦٧) و « انتيموس بطرك اورشليم » نشرته المجلة المذكوره (١٨٦٩) ومن انفس ما وضعه تاريخ العلامة فوتيوس البطريرك القسطنطيني الذي نشرته قبل جمعه (١٨٧٢ — ٧٣) مجلة القراءة المسيحية في بطرسبرج الذي نال لاجله الرتبة الاولى في اللاهوت والديبلوما الدكتورية وترجم الى اللغة الالمانية . ومما عربه « خلاص الخطاة » و « دليل المستفيد » و « اقرار بيلاطس » وسواها .

وفي المدة الاخيرة كثر عدد المنشئين في الشرق نخص منهم بالذكر الاستاذ وهبة الله صروف (+١٩١٣) الذي اهتم باصلاح لغة الكتب الطقسية التي طبعت في اورشليم . والمطران روفائيل هواويني اسقف بروكلن (+ ١٩١٥) الذي من احسن اثاره القلمية مجلة الكلمة في عشر مجلدات ، والافخولوجي الكبير العربي . والسيد جراسيموس

مسرة مطران بيروت الحالي الذي من اهم ما خدم بطبعه ارثوذكس سوريا، الانوار في الاسرار، وتاريخ الانشقاق، في ثلاث مجلدات والتيبكون الكنسي

الفصل الرابع

الادارة والعبادة والتهذيب

١) الادارة الكنسية

لم تكن الادارة الكنسية مختلة في دور من الادوار اختلالها في هذا الدور ذلك لان الضغط السياسي من جهة، والعجز المالي من جهة ثانية، والفقر العلمي من جهة ثالثة، ربكت قابضي دفة الادارة الكنسية واسقطت هيبتهم. واذا اضفت الى ما ذكر القلاقل والاضطرابات التي شغلت كل الدوائر الكنسية، لا تستغرب حصول الخلل الاداري معها. ففي الاناضول تجهيزات متوالية لاجل محاربة الدول الاوربية والمناطق التي تبغي الاستقلال. وفي مصر ثورة المماليك وقيام علي بك الكبير (١٧٥٥—١٧٦٨) وفي فلسطين الخاصمات المتواصلة لاجل الاماكن المقدسة (١٥٢—١٨٥٣) وفي سوريا فظائع احمد باشا الجزار (١٧٧٠—١٨٠٤) وفتوحات ابرهيم باشا المصري (١٨٣١— ١٨٤) وزاد على ذلك استيقاظ روح التعصب الجنسي في الشرق الذي اقام حاجزا كبيرا بين قلوب الرعاة والرعية فاستقل الاخيرون النير اليوناني وملوا زعامته بعد الذي رابه من ميله للاستئثار بالسلطة في سوريا وفلسطين. وادعى الزعماء اليونان ان الوطنيين لا يصلحون للزعامة التي تستلزم اقداما وشهما خسرهما هولاء بتعودهم الاستكانة للفاتحين زمنا طويلا. كل ما تقدم كان من الاسباب الكافية لتطرق الخلل الى الادارة الكنسية وتوسيع الطريق للارساليات الاجنبية التي وسعت الخرق فتعذر رتق الفتوق التي حدثت، وادى ذلك الى ظهور الكثلكة في

الشرق والمنازعات المستمرة بين ابناء الجنس الواحد والوطن الواحد . وقد تفاقم خطب ذلك الخلل بوجود اكثر من زعيم واحد في المنطقة الواحدة . وحسبك ان الكرسي الانطاكي وحده له اربعة روساء عدا رئيسه الاصلي وهم بطاركة السريان اليعاقبة والموارنة والروم الكاثوليك والسريان الكاثوليك واضطر البابوات ان يتساهلوا في المبدا القويم — الذي يستلزم خليفة واحدة لا اكثر للمراكز الرسولية — طمعاً باخضاع الشعوب الشرقية للسدة الرومانية . وزعم فقهاء الرومانيين بعد ذلك ان لا مانع من تعدد الاساقفة لان اقتصار كل كرسي على اسقف واحد انما هو رسم بيعي لا الهي (١)

على ان ما تقدم ذكره آل الى خير الكنيسة اذ افاق زعماءها من غفلتهم ، ونبههم الى احسان رعاية القطيع الروحي ، والاهتمام بقطع اسباب الاختلال من اصولها . فوضعت انظمة حددت فيها حقوق الاساقفة وابناء الابرشيات وسنت قوانين للانتخابات البطريركية منعاً للمداخلات غير العادلة وقطعاً لرغبات ذوي المطامع . ولما نشر الخط الهمايوني (١٨٥٦) استفاد الكرسي القسطنطيني من الامتيازات الممنوحة للكنيسة فوضع قوانين حدد فيها حقوق الاكليروس وواجباته طبقاً للسنن الدينية والمدنية وعرض ما وضع للحكومة (١٨٦٠) فجرى التصديق عليه بعد درسه (١٨٦٢) وتالف بموجبه في القسطنطينية ثلاثة مجالس روحية اولها المجلس البطريركي اعضاوه ستة من حقوقه الحكم في الدعاوي الروحية المحلية البدائية . وثانيها المجمع المقدس اعضاوه ١٢ من حقوقه مراجعة القرارات البدائية والنظر في قرارات مجالس الاساقفة . وثالثها المجلس المختلط الدائم اعضاوه ١٢ ايضا اربعة اكليريكيون وثمانية علمانيون ومن حقوقه الحكم في المسائل المادية والزمنية التي تحال اليه وفقاً لما يخوله اياه القانون بداية واستئنافاً وتمييزا ففي الدرجة الاولى ينظر دعاوي المركز البطريركي وفي الثانية ينظر الدعاوي

(١) تاريخ الكنيسة لاكليمس داود ص ٦٣٣

المستانفة اليه من المطرانيات وفي الثالثة يميز قرارات مجالس الاساقفة

وقد حذا حذو الكرسي القسطنطيني رهبان القبر المقدس فسنوا قانونا للبطريركية الاورشليمية اقره الباب العالي (١٨٧٣) وفعل كذلك صفرونيوس البطريرك الاسكندري (١٨٧٠—١٨٩٩) وملاتيوس البطريرك الانطاكي (١٨٩٨) فنظمت الشؤون الادارية العليا في البطريركيات الاربع تنظيما حسنا

اما سائر الكنائس الارثوذكسية المستقلة ولا سيما التي نشأت في القرن التاسع عشر فاستقلت روحيا باستقلال البلاد سياسيا كاليونان ورومانيا وصربيا والجبل الاسود فاختارت الادارة المجمعية التي فضلتها الكنيسة الروسية على الادارة البطركية غير ان بعضهم عادوا فاستحسنوا الادارة البطريركية فاصبحت الكنائس الارثوذكسية المستقلة التي تسار الان بادارة بطريركستة: القسطنطينية والاسكندرية والانطاكية والاورشليمية والروسية واليوغوسلافية واما ما بقي فادارتها متروبوليتية او مجمعية

ومما يجب ذكره ان البطريركيات الاربع الشرقية القديمة بالرغم عما عانته من ضروب الشقاء فقد نبغ فيها عدة بطاركة يستحقون التقدير ثمن هولاء في الكرسي القسطنطيني

كلينكوس الثاني (١٦٩٠—١٧٠٢) التقي الحسن الادارة والغيور على مصالح الشعب . الذي حبا بترقية عقليات الرعية انشأ في الفنار «مدرسة الامة الكبرى»

بانيسيوس الثاني (١٧٢٧—١٧٣٢) الذي اشتهر بحظره الدرجة الكهنوتية على الامميين فعزل اربع مرات ثم اعيد الى الكرسي

صموئيل الاول (١٧٦٣—١٧٧٤) ذو العقل الكبير والنسب الشريف والحياة النقية . مصلح نظام البطريركية القسطنطينية واشهر من تسنم سدتها بلا منازع والمحامي الحار عن الارثوذكسية ضد مطامع اللاتين . الذي لاجل صرامة حياته عزل مرتين ثم نسك في خالكي الى ان توفي (١٧٨٠)

غريغوريوس الخامس الشهيد (١٧٩٨—١٨٢١) المشهور بتقشفه وغيريته

الذي مات كثوري لاجل تفانيه في حب ملته

قسطنديوس الاول ١٨٣٠—١٨٣٤) اراعي الساعر والمنشىء المجيد

يواكيم الثالث (١٨٧٨—١٨٨٤ و ١٩٠١—١٩١٢) امم البطاركة المتاخرين واجراهم موقفا ازاء الحكومة وامضاهم عزيمة وقد فضل ان يتخلى عن منصبه على ان يمالىء الحكومة على ما يضر بمصلحة الكنيسة

. من البطاركة المستحق الذكر في الكرسي الاسكندري :

فوزما — العالم الواسع الدراية الذي كان محجة محبي الاطلاع على شوون الشرق من الاوربيين وقد قابله لهذا الغرض الرحالة الاوربي بوكوك (١٧٣٧

برثينيوس الحكيم — الذي عرف كيف يتقي الاخطار مع شعبه يوم الاضطرابات الحاصلة في مصر على اثر الاحتلال الفرنسوي في اواخر القرن الثامن عشر

ايروثاوس الاول (١٨١٨—١٨٢٥) ذو الاخلاص الممتاز والغيرة الفائقة

ايروثاوس الثاني (١٨٤٧—١٨٥٨) الذي اشتهر بتحسينه حالة الكرسي المادية والادبية

صفرونيوس (١٨٧٠—١٨٩٩) الذي احسن تنظيم ادارة الكرسي الاسكندري ووضع نظاما لانتخاب البطاركة الاسكندريين لا يتسع بعده المجال للاختلاف

اما الكرسي الانطاكي الذي استاثر بزعامته الاكليروس اليوناني نحو قرنين (١٧٢٤—١٨٩٧) فقد طفح كيل استبدادهم حتى قسام السوريون قومة رجل واحد وقلبوا ادارتهم واول مطران سوري اقيم في الكرسي الانطاكي رغم مقاومة اليونان انما هو غفرئيل مطران بيروت (١٨٦٩) ثم توالى انتخاب الوطنيين حتى ملئت الابرشية بهم وسنة ١٨٩٩ انتخب للكرسي بطريرك سوري عربي هو المثلث الرحمات ملاتيوس دوماني الذي خلفه (١٩٠٦) العلامة غريغوريوس حداد غبطة البطريرك الحالي

ومن اشهر البطاركة الانطاكيين

اثناسيوس الثالث (١٧٢٠—١٧٢٤) الذي اشتهر بمقاومته الارساليات الغربية وبسعيه عقد مجمع القسطنطينية (١٧٢٢) وحكم على احداثات اللاتين التي بدات تتفشى في الشرق . وقد خلف عدة مولفات منها تعريبه «صخرة شك»

سلبسترس القبرصي (١٧٢٤—١٧٦٦) المشهور بصرامة حياته لدرجة نفر بها الحلبيين من الارثوذكسية فقامت على اثر ذلك من الارثوذكس طائفة مستقلة عرفت باسم الروم الكاثوليك

مثوديوس (١٨٢٣—١٨٥١) الذي اشتهر بمحاربته الكثلكة واستحصاله على امر يوجب فيه على اكليروسهم لبس القلانس المقرنة وتخصيص المدورة بالارثوذكس وفي ايامه (١٨٤٧) ارتد الى الارثوذكسية مطران آمد المكثلك مع رعيته وكثير من اهالي صور وصيداء واوقفت للكرسي كنيسة القديس ايباتيوس في موسكو (١٨٤٨)

اياروثيوس (١٨٥١—١٨٨٥) الذي اشتهر بتساهله مع السوريين وهو اول من سام من اليونان مطرانا سوريا لسوريه وهو الذي البس كهنة السوريين الارثوذكس القلانس بدل الطرابيش (١) وفي ايامه ارتد الى الارثوذكسية نحو خمسة آلاف من الكاثوليك (١٨٦٠) واسترد كنيسة القديس يوحنا الدمشقي

ملاتيوس الدوماني (١٨٩٩—١٩٠٦) هو اول بطريرك وطني بعد استئثار اليونان بالكرسي نحو قرنين وقد اشتهر بعمله اكثر مما بعلمه فقد انشأ المدرسة الاكليريكية في البلمند واصلح بناء المركز البطريركي مضيفاً اليه ردهة واسعة ومكتبة للمطالعة حوت انفس الاسفار وبنى صفين من الحوانيت في دير القديس جاورجيوس الحميراء البطريركي يستخدمها التجار في المعرض التجاري الذي يحصل في الدير كل سنة

اما الذين امتازوا في الكرسي الاورشليمي فهم

صفرونيوس الكلسي (١٧٧٢—١٧٧٤) الخطيب الشهير الذي لسعة معارفه

(١) النعمة ٢ ص ١٩ وهنالك انه حصل في ٢٣ نيسان سنة ١٨٥٢

وعظم فضيلته نقل الى الكرسي القسطنطيني فكانت جماهير الارثوذكس تتوافد الى سماع وعظه من جميع الانحاء

اثيموس الانطاكي الذي علا السدة الاوزشليمية (١٧٨٩—١٨٠٧) فكان كوكب عصره وزينة بطاركة اورشليم خبيرا في اللغات الثلاث العربية والتركية واليونانية وقد نقل عدة اسفار الى اللغة العربية ومما طبعه ووزعه مجانا لفائدة ابناء العرب كتابا «الهداية» و«تفسير المزامير» وهما اوسع ما كتب من نوعهما في اللغة العربية

كيرلس الثاني (١٨٤٥—١٨٧٢) الذي انشأ مدرسة المصلبة اللاهوتيه (١٨٥٣) وشاد مستشفى ومطبعه ومدارس ثانويه واصلح ما تهدم من الكنائس واحدث سواها ورفض التوقيع على حرم البلغار (١٨٧٢) فعزل بسعي البطريرك القسطنطيني

مشكلة بروكلن

ومن الحوادث التي لابد من ذكرها وان كانت مما يؤلم الخلاف الذي حدث بين الارثوذكس السوريين في اميركا الشمالية على اثر وفاة الاسقف رافائيل هواويني (١٤ شباط ١٩١٥) اذ رشح بعضهم الارشمندريت افثيميوس عفيش ليخلفه في الاسقفية ورفضه آخرون واشتد اللجاج بينهما فاسرع محازبوه لسيامته بواسطة السيدين افدوكيم واسكندر الروسيين ونفر المخالفون نفرة شديدة جعلتهم يتشبثون بالسيد جرمانوس مطران زحلة الموجود وقتئذ في نيويورك لجمع اعانة لمدرسة زراعية في عميق وانتدبوه للوكالة عن البطركية الانطاكية التي اعلنوا انضمامهم اليها . واحتج اولئك على عملهم لاعتبارهم الابرشية روسية . وظلت المناظرات قائمة مدة طويلة

حصل فيها ما لا يحمد فلما وضعت الحرب العمومية اوزارها جرت المكاتبات بين الكرسي الانطاكي وبروكلين مركز الخلاف وبعد مفاوضات كثيرة ومكاتبات عديدة حصلت بين غبطة البطريرك الانطاكي والسيد تيخون بطريرك روسيا وسواه من روساء الكنائس الارثوذكسية المستقلة جزم غبطته بوجوب تلبية طلب الحزب الانطاكي في اميركا الشمالية مستنداً الى قرار المجمع الانطاكي سنة ١٩٢١ والى جواب غبطة البطريرك تيخون في ١٧ ك ٢ سنة ١٩٢٢ والى قرار البطركية السريبة ١٩٢٢ والى قرار البطريركية المسكونية والى قرار مجمع روساء الكهنة الروسيين في كارلوفيتس ١٩ ايار سنه ١٩٢٣

فكلف غبطته السيد جراسيموس مسرة مطران بيروت الموجود حالا في بروكلن في ٩ ايار و٨ حزيران شرقي سنة ١٩٢٣ بترشيح ثلاثة اشخاص لرئاسة الكهنوت ليختار المجمع الانطاكي المقدس احدهم ويسام مطراناً على الذين يريدون الخضوع للكرسي الانطاكي

على ان الحزب الروسي لم يرق له هذا العمل اذ كان يتوقع اصدار حكم باخضاع الحزب الثاني لرئيسه فارسلوا الاحتجاجات البرقية الى روساء الكرسي الانطاكي. وخاضت جرائد الحزبين في الموضوع خوضاً لا يرضي محبي السلام

٢) الخدمة الالهية

في الدور الماضي بلغت الخدمة الالهية غاية الجفاف بسبب الضغط السياسي من جهة ولسبب الفقر المالي من جهة اخرى ولانصراف اذهان الناس عما اعتبروه كماليا من الشوون غير ان الاحوال بدأت تتحسن منذ اواخر الدور الخامس فاخذت حالة الطقسيات تسترجع رونقها السابق شيئا فشيئا

وصار في الامكان ترميم الكنائس المتهدمة . وتمكن بعض المطارنة في جهات متعددة من انشاء كنائس حديثة ، بواسطة هدايا تناولها ذوو النفوذ من رجال الدولة التركية . وسمح شيئا فشيئا باستدعاء الناس الى الصلاة بقرع الناقوس اولا ثم بتعليق الجرس ثانيا . وان لم يتم ذلك بدون صعوبات ومنازعات لاستنكاف متعصبي المسلمين من سماع صوت الاجراس والنواقيس . واخذ البطاركة يقفون في القداس بدون خوف على النسر ذي الراسين ويلبسون التاج والصاكوس (١) في كل خدمة بعدما كانوا يحتفلون بلبسها ثلاث مرات فقط في السنة (في اعياد الميلاد والفصح والعنصره)

وتحسنت الحلل الكهنوتية وسائر ما يلزم لاتمام الخدم الالهية عما كانت تقدمه الكنيسة الروسية الى كنائس الشرق بواسطة

(١) روى السيد « مسره » في تاريخه عن جدعون ودوسيثادس ان ما ذكر في المتن بدىء في استعماله من ايام البطريرك جنادیوس على رواية وفي رواية اخرى منذ ايام كيرلس لوكارس

بطاركتها ومتقدمي الاساقفة فيها . واضيف في هذا الدور للافخولوجيون عدة خدم كنسية استلزمتها الظروف الخاصة منها خدمة المرتدين الي الارثوذكسية سواء كان هولاء من اصل ارثوذكسي او يهودي او اسلامي ومنها خدمة ترجيع بطريرك معتزل الى منصبه وغير ذلك

وقد اشتهر من بطاركة القسطنطينية في الاهتمام بطقوس الكنيسة كيرلس السادس (١٨٠٨ – ١٨١٨) وانثيموس الرابع (٨٣٩)

وقد اضيف في هذا الدور للمناون الكنسي عدة اعياد للذين استشهدوا او جاهدوا في سبيل المسيحية في ظروف متعددة ومن هولاء ديونيسيوس الجديد رئيس اساقفة ايجينا الذي توفي في ١٧ ك ١ سنة ١٦٢٤ في جزيرة زاكنثوس وطنه الاصلي ، وقد تقرر التعييد له في ايام البطريرك غفرئيل الثالث (١٧٠٢ – ١٧٠٧) ومنهم احمد كالغاس الدفتردار الذي قطع راسه في ٣ ك ١ سنة ١٦٨٢ لتنصره . ومنهم البار والشهيد نخوميوس الجديد الذي استشهد في ٧ ايار سنة ١٧٣٠ ومنهم لوقا المتيليني الذي اميت شنقاً في ٢٣ اذار سنة ١٧٩٢ ومنهم ديمتريوس القسطنطيني الذي قطع راسه في ٢٧ ك ٢ سنة ١٨١٤ وآخر شهيد في سبيل المسيحية هو المطران خريسوستوموس مطران ازمير الذي مثل به الاتراك تمثيلا شنيعا حينما استعادوا ازمير من اليونان سنة ١٩٢٢ (١)

(١) ذكرلنا القادمون من ازمير ان القائد التركي استقدمه اليه مع مفوض

وفي اخر هذا الدور زادت احتكاكات الارثوذكس بالطوائف المسيحية الاخرى . وشوشت الارساليات الاجنبية على الروساء الشرقيين عملهم اذ اكثروا من التساهل في شوون الخدمة الالهية ما جعل كثيرين من الضعفاء يهجرون الارثوذكسية التماساً لمصالح النفس الامارة . فارتفعت اصوات نوابغ الارثوذكس من كل صوب تلتمس من زعمائها التساهل بعرضيات الشوون الطقسية صيانة للبقية الباقية من الارثوذكسية . واهم من تعرض لهذه الشوون جريدة « النهضة الجديدة » في الاستانة فقد قتلت الموضوع بحثاً وتحث تاثير الغيرة تطرفت احيانا في ابحاثها . ووجد لهذه الفكرة انصار في كل الكنائس الارثوذكسية المستقلة ولا سيما في سربيا وروسيا ورومانيا . واخيرا عقد موتمر ارثوذكسي عام في الاستانة في ١٠ ايار سنة ٩٢٣ دعيت اليه كل الكنائس الارثوذكسية المستقلة فتناول البحث فيه المواضيع الاتية

الطائفة بحجة مفاوضتهم بشوون تهم الطائفة الارثوذكسية وكان الاهلون قد فروا ولم يبق منهم الا العدد القليل جدا فنصح بعضهم المطران بالانزواء وعدم المقابلة فابت عليه عزة نفسه الجبن وقال لهم « خير لي ان اموت من ان ينزع احد فخري » اني لا ابرح ازمير ما دام فيها مسيحي واحد . وهكذا مثل امام القائد مع اثنين من رجال الطائفة ففتك القائد فورا بالرجلين وحجز المطران و بعد ما حاكمه في مجلس عسكري اثبت فيه عدم امانته للترك امانته بصورة مولمة جدا فانه بعد ما انتزع شعر ذقنه امر بنزع اسنانه واحدا فواحدا ثم نزعت اظفار يديه ورجليه و بعد ما بتر اصابع يديه ورجليه قطع ساعديه وساقيه ثم دق عنقه

١) الاهتمام بتقويم جديد اصح من التقويمين اليولي والغريغوري
٢) اختصار الاعياد او تعييدها في الاحاد التي تليها
٣) تحديد درجات موانع الزواج
٤) السماح بزواج الاكليروس على ثلاثة وجوه ١) زواج الاساقفة ٢) زواج الكهنة المترملين ٣) عدم محظورية تقديم احد سري الاكليل والكهنوت على الاخر
٥) اختصار الفروض في المدن وحصر الطقوس الموجودة في الاديرة
٦) اختصار الصيامات وتحديدها
٧) تعديل قيافة الاكليروس من ثياب وشعور الرووس واللحى
٨) درس قضيتي الهجر والطلاق
٩) طريقة لقبول الاكليروس الاجنبي في الارثوذكسية
١٠) تعيين اوقات لمجامع ارثوذكسية ترمي الى نشر الدعوة في توثيق عرى الاتحاد بين الكنائس وتكون سبيلا للمفاوضات في شؤون عامة (١)

(١) من احسن ما اطلعنا عليه من الخدم الالهية في هذا الدور خدمة ابتهالية موقرة اقيمت في كاتدرائية المخلص العظمى في سوث وارك يوم الثلاثاء الواقع في ٩ اذار سنة ٩٢٠ بحضور السادات رندل رئيس اساقفة كنتربري وزافان بطريرك الارمن وخريسانذس مطران طرابزون وبرسوم رئيس اساقفة سوريا على السريان الارثوذكس لاجل مسيحيي الاناضول ونجاتهم من خطر الموت والشدائد المتنوعة وقد نظمت هذه الخدمة على النمط الشرقي الارثوذكسي
ركوع الا ثم الكرازة الكبرى (السلاميات) بنغم سريي ثم الاكتاني

٣) الجماة المسيحية

ان التقهقر الذي اصاب الارثوذكسية في اقتصادياتها بسبب الازمات السياسية التي انتابتها في كل دوائرها الشرقية في هذا الدور ؛ قد أدت الى فقرها العلمي . وهذا ادى الى انحطاط الاخلاق في الكثير من ابنائها . فانحلت الجامعة الروحية او كادت وسقطت هيبة الروساء لعدم توقع الشعب منفعة حسنة عن ايديهم بعد ما غلتها السيادة غير المسيحية . ولم يعد يرى احدهم عيباً في المروق من الديانة الارثوذكسية الى سواها . بل كان بعضهم يقدمون على ذلك لاقل سبب عدا الذين كانوا قد هجروها طمعاً بمنصب اوخوفاً من نازلة وكان يرتكب هذا المحظور احيانا جماعات برمتهم . ففي الاناضول والبلقان عدد ليس بقليل من مسيحيي البلاد دانوا بالاسلامية لانها ديانة الفاتحين . وبعض هولاء طمعا بنيل مساعدة دول الغرب الكاثوليكية اتبعوا الكثلكة وآثار ذلك ما زالت ظاهرة في البانيا وسائر شواطىء الادرياتيك . على ان بعض الذين برحوا الارثوذكسية ظلت قلوبهم مرتبطة بها وبقيت عواطفهم تحن اليها فلما زالت الدواعي التي سببت هجرهم اياها عادوا اليها بدموع نادمين على ما عملوا . ولما اعلنت الحرية في المملكة العثمانية

الخاص بالضيقات ثم افشين لاجل الحاصلين في الضنك وافشين آخر لاجل ازالة الانقسامات الكنسية ثم افشين ليوحنا فم الذهب موضوعه التماس الاتحاد ثم ركوع ثالث وصلاة لاجل راحة الذين زقدوا في الايمان من مسيحي الشرق

سنة ١٩٠٨ قدمت عرائض من عدد كبير من مسلمي الاناضول الشرقي يطلبون فيها السماح بعودتهم الى ديانتهم المسيحية لانهم انما تركوها مكرهين . وكانوا مسلمين ظاهرا وفي السر يتممون فروض ديانتهم الاصلية . كما ان الارمن الذين اكرهوا في سوريا مدة الحرب على اتباع الاسلامية قد عادوا الى مذهبهم حالما وضعت الحرب اوزارها

وقد استيقظ روح التعصب في الشرق بسبب وجود الارساليات الاجنبية فيه ومهاجمتها الارثوذكسية بشدة مما ولد في نفوس ابنائها نفور عام منها فتعصبوا ضدها بحق وبدون حق .

وتمسكت العامة بالرسوم الخارجية تمسكا شديدا حتى خيل اليهم ان تحوير بعض الطقوس مفسدة للدين . وبلغ الهوس في بعضهم درجة قاموا معها ضد اصلاح لغة الكتب الطقسية . وضد ادخال العلوم الجوغرافية في المدارس لتوهمهم ان القول بدوران الارض حول الشمس مناف لتعاليم الكتاب . وقام محل الاهمال الماضي في الواجبات الدينية رد فعل غريب اذ اخذ القوم يحافظون اشد المحافظة على الصيامات والترتيبات الكنسية وتشبهوا في ذلك بالرهبان والنساك فكلفوا انفسهم قدر ما تطيق او ازيد من طاقتها قليلا . وحذرا من الانحراف عن جادة الشريعة الارثوذكسية دفعت الغيرة ثلاثة من رهبان القسطنطينية المتعلمين وهم اغابيوس ونيقوذيوس وثيوذوريثوس وجمعوا في اواخر القرن الثامن عشر

(١٧٩٣—١٨٠٠) بامر البطريرك القسطنطيني كلينكوس مواد الناموس الكنسي كلها في مجلد واحد سموه البيذاليون (دفة (١) المركب) ثم نشروا الكتاب مطبوعا باللغة اليونانية في مطبعة ليبسك سنة ١٨٠٠ في ٥٥٦ صفحه بحجم كبير وحرف دقيق ولما نفدت نسخ هذه الطبعة واصبحت نادرة الوجود اعيد طبعه في اثينا سنة ١٨٤٥

على ان السوريين سبقوا الى هذه المأثرة فان البطريرك الانطاكي سلبسترس (١٧٢٤ —١٧٦٦) سعى بترجمة القوانين الناموسية الى اللغه العربية وفي الكرسي الانطاكي عدة نسخ من هذا السفر النفيس الذي يهم كل ارثوذكسي الاطلاع عليه وبين ايدينا نسخة نقلها سنة ١٧٩٠ ديب بن عيسى اللاذقي الاصل . على ان هذا السفر الجليل ما برح يتداول بين ايد قليلة بالنسخ فحبذا لو سعى اولو الغيرة لابرازه مطبوعا لفائدة الارثوذكسيين وتثقيفهم كما فعل اخواننا اليونان في القسطنطينية واثينا واذا كانت الكلفة جسيمة فليه عز الى من يوثق بخبرته وعلمه فيلخص المواد الناموسية

(١) انما اتخذوا له هذا الاسم الرمزي لانهم وضعوا في صدر الكتاب صورة مركب فيه ركاب كثيرون ارادوا بالمركب الكنيسة وبالركاب الارثوذكس وبالربان العظيم يسوع المسيح والنوتية الرسل وخلفائهم اما الشراع فتشير الى العقائد والسواري الى الصليب والمرساة الى الرجاء والدفة التي بها يساس المركب الشريعة والبحر الحياة الحاضره والرياح التجارب

تلخيصاً يصان بـه موداها وتطبع هـذه الخلاصـة وتنشر لتعزيز الارثوذكسية بمعرفة ابنائها اصول شرائعهم الروحية وفروعها فلا يكون للغش والخديعة سبيل اليهم

لكن ما شكا الناس من الافراط فيه في الماضي نشكو من التفريط فيه الان . فان ذلك التعصب غير الممدوح قد تحول الان الى عدم مبالاة في الدين وفي المبادي . وقد دخل زوان التمدن الحديث بين الشرقيين فضعفت فيهم التقوى ولم يبق لتلك الغيرة المتقدة على الشؤون الروحية اثر يذكر . وانقاد الناس بكليتهم الى تلبية شهوات النفس الامارة بالسوء فانصرفوا عن الدين ومبادئه القويمة وتعاليمه النافعة الى مخازي الكفر والاستسلام للشهوات الشبابية فهزاوا بالدين ورجاله ما شاووا وسمحوا لانفسهم بارتكاب ما يحظره العقل والضمير . لكن كثيرين ممن غلبتهم عواطفهم اخذوا يفيقون من غفلتهم الان وشعروا بانهم مخطئون فيما زعموا وعملوا حتى قال احد فلاسفة الاجتماع المتاخرين : تدين الناس فيما سبق انقيادا لسلطان العواطف ولكنهم سيتدينون في المستقبل اتباعاً للعقل والبصيرة .

وصلابة العواطف وضعف الوجدان اللذان اوجدتهما الحرب العظمى في قلوب الناس قد خفت وطأتهما . فاخذت الروح المسيحية تعود الى الافئدة رويدا واستجمع المسيحيون قواهم لموازرة ذوي البوس فيهم على تعدد اشكالهم . والمرجو ان النازلة البشرية العظمى تو.ول

خير الانسانية جمعاء بما توقظه في افئدتهم من روح التدين الصحيح وتقريب قلوب الجماعات المسيحية المتنائية احداها نحو الاخرى

ثانياً — تاريخ الكنيسة الغربية

من معاهدة وستفاليا (١٨٤٨) الى الان

الفصل الاول

الجماعات البروتستانية

بين الكاثوليك والبروتستان

معاهدة وستفاليا التي ختمت بها الحرب الثلاثينية ؛ منحت المساواة الدينية مع المدنية للجميع . غير ان ذلك لم يرق للمتعصبين من الكاثوليك ولا سيما الباباوات والجزويت . لكن لا حرم البابا اينو كنديوس العاشر (١٦٤٤—١٦٥٥) للمعاهدة المذكورة وحل الكاثوليك من المحافظة عليها ؛ ولا مساعي الجزويت الشديدة ؛ استطاعت ان توثر على الشعب . اذ قد حل الاهتمام بالتوازن الدولي محل الاهتمام بالمصالح الدينية . ووضعت حدود جغرافية بين الكثلكة والبروتستانية . فتوطدت البروتستانية في سويسرا وهولاندا وانكلترا ونروج والدانيمارك عدا جرمانيا الشمالية . واستقرت الكثلكة في بلجكا وفرنسا وبولونيا وبوهيميا وهنكاريا وجنوبي جرمانيا واوستريا عدا ايطاليا واسبانيا نصيرتي الكثلكة . ولم يعد

يطمع الكاثوليك بالضغط على البروتستان حيث رسخت اقدامهم؛ كما ان البروتستان لم يحاولوا التمكن حيث سادت الكثلكة. ولكن مع كل ما ذكر لم تخلُ هذه الحقبة من تحامل احدى الفئتين على الاخرى وحصول اصطدامات بين الفريقين ادت الى اهراق دماء كثيرة واضطهادات عنيفة

فمن اشهر حوادث ضغط الكاثوليك على البروتستان ماحدث في هنكاريا وفرنسا اذ اوقف ليوبولد الاول امبراطور النمسا (١٦٥٨ — ١٧٠٥) في سنة ١٦٧٢ اربعمائة واعظ لوتيريين ومصلحين واجبر كثيرين من البروتستان ان يعودوا الى الكثلكة ونفى كثيرين ممن ابوا الاذعان لمشيئته

ولويس الرابع عشر ملك فرنسا (١٦٤٣ — ١٧١٥) منع البروتستان من مصاهرة الكاثوليك . وحظر عليهم الوظائف المدنية ثم الغى سنة ١٦٨٠ امري نانت ونيم وطرد ثلاثمائة الف بروتستاني بواسطة الدراغون

اما عداء البروتستان للكاثوليك فقد ظهر في انكلترا خصوصا فان الكاثوليك بعدما جازوا اضطهاد اليصابات للكثلكة (١٥٥٩) طمعوا بارجاع الكثلكة الى انكلترا الان السلطة الملوكية كانت تتناوبها ملوك كاثوليك وبروتستان وقد قوي الحزب الكاثوليكي خصوصاً في ايام شارل الثاني وخلفه يعقوب (١٦٦٠ — ١٦٨٨) على ان صداقة الكاثوليك للملكيين هي نفسها كانت سبب اضطهادهم

فقد نسب اليهم تعس البلاد في ايام كرومويل (١٦٥٣ — ١٦٥٨) ونسبت اليهم دسيسة (١٦٧٨) فثار الشعب ضدهم وهلك منهم كثيرون

على ان انتشار التساهل الديني في اوربا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر اوقف حوادث النزاع بين الفئتين واذا حدث شيء فانما يحدث بصورة منازعات كتابية

التبشير البروتستاني والجمعيات الكتابية

لما انقضى القرنان السادس عشر والسابع عشر وأمن البروتستان على مركزهم السياسي وجهوا افكارهم الى نشر مبادئهم فتألفت منهم جمعيات لهذا الغرض كانوا يجمعون الاموال الطائلة لارسال مبشرين الى كل الاصقاع واول ارسالية تبشيرية انشئت في انكلترا (١٧٠١) وتلتها ارساليات اخرى من هولاندا، وسويسرا، والدانيمرك، واسوج وجرمانيا والولايات المتحدة ؛، وغرضهم في الغالب نشر المسيحية بين الوثنيين الخاضعين لاوربا او المستقلين كالهند والصين واليابان وافريقيا واوستراليا وسواها غير ان نجاح المبشرين لا يقابل ما بذل لاجله ماديا وادبيا اذا استثنينا اميركا وبعض جزر اوستراليا (كسندويج التي صارت كلها لوتيرية)

بازاء البعثات التبشيرية نشأت الجمعيات البيبليشية (الكتابية) واول جمعية تنظمت لهذه الغاية الجمعية البريطانية (تاسست في انكلترا ١٨٠٤) وتلتها على الاثر جمعيات انشئت في سائر الممالك

البروتستانية فترجم الكتاب المقدس بسعيها كله (واحيانا اسفار منه) الى لغات كثيرة ليوزعه المبشرون حيث يبشرون مجانا او باسعار متهاودة

تقسم البروتستان

النقص الحيوي في التعاليم البروتستانية بحرية التفسير وعدم وجود مرجع لضبط الاراء المتعددة لاشى الوحدة ليس في الشخصيات فقط بل في القواعد الاساسية وقد شعر اللوثيريون بهذا الخلل فاهتموا منذ البداءة بوضع ضوابط (١٥٨٠) عرفت بمراسيم كونكوردي اتخذها اللوثيريون دستورا ، على ان هذا الدستور نفسه صار سببا لتشعب اراء اللوثيريين ،

اللوثيران الارثوذكس — فقد استمسك بهذه المراسيم جماعة من اللاهوتيين واتخذت اساسا للقواعد اللاهوتية كما نظمها يوحنا غرهرد (توفي ١٦٣٧) وبالغ بعضهم بالتزام جانبها لدرجة انهم اتخذوها مصدرا للتعاليم الدينية واصبح الكتاب المقدس في نظرهم مجموع عبارات واذ قصروا مباحثهم على المواضيع العقائدية واهملوا الوجهة الادبية الحيوية اصبحت تعاليمهم جافة لا حياة فيها ولرغبتهم في المناظرات كرهوا كل ما في الكثلكة والبروتستانية معا مما لا ينطبق على مراسيمهم ودعوا انفسهم «ارثوذكس اللوثيران» تيها وافتخارا ومن مشاهيرهم ابراهيم كالوف توفي (١٦٨٦) وكفين استادت توفي (١٦٩٥)

البيانيون — تطرف ارثوذكس اللوثيران في الاستمساك بالنظريات ولد خطة اخرى اشتهت بمناقضتهم على خط مستقيم اذ ابتعدت تماما عن المباحثات العقائدية وقصرت اهتمامها على الادبيات زاعمة ان الحياة المسيحية لا تتولد من الحدود الايمانية والتفاسير المدرسية بل من الايمان القلبي والشعور الروحي ، واول واضع لهذه الخطة يعقوب سبنر ١٦٣٥-١٧٠٥ وقد نظمها تلاميذه الذين اشتهر منهم اوغسطس فرنك (توفي ١٧٢٧) وكرسوا انفسهم لنشر مبادئها (١٦٨٦)

فضيق عليهم ارثوذكس اللوثيران وسموهم بياتيزم (رافضي العقائد) فالتجأوا الى جامعة هال (١٦٩٤ التي صار فرنك استاذا فيها، ومنها انتشرت الى جهات اخرى، غير ان الاداب الحسنة التي ازدان بها البياتيزم اصبحت ظاهرية في القرن الثامن عشر وادى ذلك الى تقهقرها،

سوبرانا تورالیزم وراتسونالیزم - تحت تاثير البياتيزم نشأت فرقتان حديثتان في شطر القرن الثامن عشر الاخير احداهما رفضت العقائد اللوثيرية الوضعية واكتفت بالكتاب المقدس وحده لذلك دعيت سوبرانا تورالیزم والثانية حكمت العقل وحده في ما يجب التعويل عليه من المبادئ فرفضت مع دستور التعاليم اللوثيرية الوحي نفسه لذلك دعيت راتسونالیزم (عقليين)

الكلوينيون (المصلحون) والانكليكان — ولم يسلم من هذه الانقسامات الكلوينيون والانكليكان فقد تجاذبت المصلحين الاراء الارمينية والعقلية لكن الاخيرة اثرت على اللاهوت الكلويني اكثر ولا تزال آثارها حتى الان، والانكليكان عدا انسلاخ البيوريتان (المتطهرين) والاندبيندنت (المستقلين) عنها نشأ فيها ثلاثة احزاب سميت الكنيسة العالية والواطئة والعريضة، الاولى احتفظت ببعض المبادئ الكاثوليكية والثانية اقتصرت على بعض المبادئ البروتستانية والثالثة توسطت بينهما مع تمسك بمبادئ العقليين والحزب الاول هو الذي كان ولا يزال يظهر الميل للاتحاد مع الكنيسة الارثوذكسية

الشيع البروتستانية الحديثة

عدا الاحزاب والطرق اللاهوتية التي اوجدتها البروتستانية ظهرت شيع جديدة اشتهر منها:

١) الكويكرس (المرتعدون) اسسها (١٦٤٧ جورج فوكس (توفي ١٦٩٠) الذي علم ان المسيحي يستنير راساً من الروح القدس بدون احتياج الى مطالعة الكتاب المقدس او اقامة المظاهر الدينية فاضطهدتهم الحكومة الانكليزية فانتقلوا الى اميركا (١٦٥٦ وتوطنوا بنسلفانيا التي كانت تخص وليم بين و توفي

(١٧١٨) احد المنضمين الى جمعيتهم فازهرت هناك ولما نالوا حريتهم الدينية (١٦٨٩) بفرمان وليم الثالث المعلن التساهل الديني انتشروا في جرمانيا وهولاندا عدا انكلترا واميركا . في اجتماعاتهم يصمتون جميعاً الى ان يحرك الروح احدهم فيقف فيهم واعظاً او مصليا او مرنما وهم ذوو آداب صارمة يتجنبون (كالمينونيت) التجند والوظائف والاقسام .

٢) الهورنهوت — تالفت هذه الشيعة من بقايا اخوة مورافيا (١٧٢٢) وقد اخذوا اسمهم من مدينة هورنهوت السكسونية حيث اجتمعوا لاول مرة برئاسة الكونت تشيندورف توفي (١٧٦٠) وفي سنة ١٧٤٩ قبلوا اعتراف اوغسبرج اللوثيري لكنهم ظلوا متشبثين بعادات الكنيسة القديمة وحفظوا الدرجات الثلاث واذا اعطوا المحل الاول للوجهة الادبية حظروا المناظرات الدينية فاكتسبوا رضى العموم وانتشرت شيعتهم في كل ممالك اوربا وفي اميركا ايضاً

٣) الميثوديست (النظاميون) — افتكر بتاسيس هذه الشيعة (١٧٣٠) احد تلامذة اكسفورد الاتقياء يوحنا وسلى توفي (١٧٩١) فالتف حوله عدة تلامذة تالفت منهم حلقة غير كبيرة غايتها اصلاح آداب الانكليكان ، فلما انهى وسلي دروسه (١٧٢٦) جال ينذر ويعظ وانضم اليه (١٧٣٢) شاب اخر وافقه في المشرب والموهبة الخطابية يدعى جورج وبتفيلد توفي (١٧٧٠) فجالا كلاهما يرشدان القوم الى الحياة الصالحة فتالفت ممن تبعهما (١٧٣٩) جماعة قانونية تمكنت من اعداد مبشرين آخرين ومع حدوث خلاف بين وسلي ووبتفيلد (١٧٤١) بشان القضاء الالهي انتشرت شيعتهما في اكثر مدن انكلترا واميركا لان غايتهما لا تمس العقائد . على ان تشبثهم بعرى التقوى تحول مؤخرا الى رياء فريسي

٤) اورشليم الجديدة — اسسها (١٧٤٥) عمانوئيل سويد نبرغ (١٦٨٨—١٨٧٢) العالم الاسوجي الذي بتاثير مرضه العقلي خيل اليه انه مدعو لتاسيس كنيسة اورشليم الجديدة واظهار معاني الكتاب الحقيقية فرفض التثليث وزعم ان الاله الواحد نفسه نزل الى الارض بهيئة انسان ونزع سلطة الارواح

على العالم واصبح بعدئذ خلاص الانسان باعماله لا بايمانه وان الحالات التي تعقب الموت ثلاث عالم الارواح والسماء وجهنم ففي عالم الارواح تتضح اعمال النساس فينتقل الصالحون الى السماء والاشرار الى جهنم وعنده ان السماء ثلاث طبقات اعداها للارواح الصالحة والثانية لمضارعي الملائكة والثالثة للملائكة وفي رايه انه توجد في السماء كنائس ومدارس ووظائف وحياة زوجية روحية ، والسعادة تنتج من الحب المتبادل والعمل الحسن والثياب الجميلة والمساكن المتقنة الخ وان الارواح الشريرة في جهنم يعذب بعضها بعضاً الى ان ترتقي فتصير ابالسة

على ان مذهب سويدنبرج لم ينتشر كثيرا لانه لم يعمل واسطة لنشره سوى توزيع مؤلفاته على المعاهد العلمية التي استهجنت فكرته و بعد وفاته وجد قليل من اتباعه في انكلترا واميركا الشمالية وسويسرا

٥ الارفينجيين — في احدى الشيع الباطنية اسسها (١٨٣٢) ادوارد ارفين (١٧٩٢—١٨٣٤) لمناهضة العقليين من البروتستان الذين انكروا الوحي ، تعلم ان المواهب الرسولية كالعجائب والنبوات والتكلم بالالسنة يمكن ان تظهر في الوقت الحاضر بمن ازدان بالاداب اللتامة بواسطة الصلاة والايمان فوجد لكلامه تاثيراً في قلوب كثيرين الذين واصلوا اجتماعهم بعد وفاته (١٨٣٤) وانتخبوا منهم ١٢ رسولا سسوا الجماعة بنظام يتراوح بين الكثلكة والارثوذكسية وجالوا مبشرين في كل مكان لكنهم ما اجتذبوا اليهم الا القليل في انكلترا واميركا الشمالية

الفصل الثاني

الكنيسة الرومانية

الباباوات والممالك الكاثوليكية ١

آخر من سند العظمة الباباوية بعد مجمع تريدنت والرهبنة الجزويتية : الممالك الكاثوليكية المحامية ، غير ان معاهدة وستفاليا

وضعت حدا للحروب الدينية فقلت بعدئذ اهمية البابوات في الممالك الكاثوليكية ولا سيما عندما اتجهت افكار الملوك الى التوازن الدولي. فاصبحوا لا يبالون بشيء في سبيل الاحتفاظ بالتوازن الدولي. ولاجل هذه الغاية كانوا بدون حياء يتنصلون من السلطة البابوية ليكون تابعوهم ضمن دائرة نفوذهم مدنياً ودينياً ايضاً، وقد حاول البابوات مرارا ان يحتفظوا بنفوذهم السابق فلم يفلحوا بل آل الامر الى العكس

ففي فرنسا تحددت السلطة البابوية لان لويس الرابع عشر (١٦٤٣–١٧١٥) بالرغم عما اتصف به من الغيرة على الكثلكة احتفظ لذاته بحق توزيع المراكز على الاساقفة، حتى في الاماكن التي كان الحق بتوزيعها للكرسي البابوي فعارضه البابا اينوكنديوس الحادي عشر لكن الملك عقد مجمعا (١٦٨٢) نظم فيه للاكليروس الافرنسي (الذي كان يسعى منذ زمن للتخلص من سلطة البابا) اربعة قوانين هذا ملخصها: ١) لا يجوز للرئاسة الكنسية عزل اوتنصيب الملوك لان الله لم يهب بطرس او خلفاءه سلطة زمنية

٢) يجب ان تعتبر تحديدات المجامع المسكونية اعلى من البابا طبقا لما قرره مجمع قونسطانس

٣) لا يجوز احداث اقل تغيير في قوانين وعادات المملكة والكنيسة الفرنسوية

٤) الاوامر البابوية الدينية تنفذ حينما تصدق عليها كل الكنيسة

ومع ان الاساقفة اضطروا ان يعلنوا (١٦٩٣) بسماح من الملك رفضهم ما قرر لكن القوانين الاربعة ظل معمولا بها في الكنيسة الافرنسية

الغاء الجزويتية — في القرن الثامن عشر ازداد ضعف البابوية لدرجة انها اضطرت ان تلغي الرهبنة الجزويتية ركنها الاعظم ارضاء للملوك الكاثوليك، الذين اقلقتهم مساعي الجزويت وحركاتهم السياسية المتواصلة فسجنت البرتوغال (١٧٥٧) بعضهم لاشتراكهم بمؤامرة ضد الملك ثم نفتهم الى رومية، وطردتهم فرنسا (١٧٦٤) واسبانيا (١٧٦٧) ومثل ذلك فعل سائر الملوك الكاثوليكيين الذين طلبوا بالحاح من البابا اكليمنضوس الثالث عشر الغاء الرهبنة. فلم يحتمل هذا التشديد ولتاثره اعتل وتوفي. فطلبوا مثل ذلك من خليفته اكليمنضوس الرابع عشر (١٧٦٩ — ١٨٧٤) فتردد كثيرا في تلبية هذا الطلب ولكنه اضطر اخيرا فالغى الجزويتية وكل معاهدها (١٧٧٣) ولكنه بمنشوره هذا خسر حياته ونسب تسميمه للجزويت الذين والوا اجتماعاتهم سرا بالرغم عما قرر

ضياع الاملاك البابوية — بعد الغاء الجزويتية تدفقت على البابوية مصائب عديدة في جرمانيا احدث الامبراطور يوسف الثاني (١٧٨٠ — ١٧٩٠) اصلاحات جديدة بموجبها انحصرت ادارة الكنيسة الخارجية بالحكومة والداخلية بالاساقفة ولم يبق للبابا اقل تاثير، وفي النمسا حاولوا تاسيس كنائس جنسية مستقلة عن السلطة

البابوية وبسبب الثورة الفرنساويه (١٧٨٩) سقطت السلطة البابوية ليس في فرنسا فقط بل في كل الدائرة الكنسية وعانى البابوان بيوس الثالث والرابع انحطاطاً لم يشاهد مثله منذ ايام بونيفاس الثامن واستولى الفرنساويون على الاملاك البابوية (١٧٩٦) واسروا بيوس السادس (١٧٩٨) واكره بيوس السابع ان يقيم في فرنسا (١٨٠٩) ولكنه بعد سقوط نابليون (١٨١٤) عاد الى رومية واعاد له موتمر البندقية حقوقه الروحية والمدنية

ضياع السلطة المدنية — بعد رجوع بيوس السابع اعاد الرهبنة الجزويتية ترس البابوية المتين (١٧ آب ١٨١٤) لكن انتشار المعارف في القرن التاسع عشر وميل الشعوب للاتحاد الجنسي والاستقلال السياسي اعقبا كل مساعي الجزويت، وقامت (١٨٢٠) مع الحركة السياسية حركة ضد الجزويت في اسبانيا وايطاليا وفرنسا واخذت الاصوات ترتفع في كل ايطاليا ضد سلطة البابا الزمنية. فاتحدت (١٨٦١) الامارات الايطالية تحت رئاسة فيكتور عمانوئيل ملك سردينيا الذي ضم اخيرا الدائرة البابوية الى ايطاليا المتحدة؛ واتخذ رومية عاصمة للمملكة (١٨٧٠) فحرمه البابا بيوس التاسع وفرزه من الكنيسة، وهذا لم يؤثر شيئا على مجرى الحوادث بل مضى عمانوئيل على عزمه وقضى على المملكة البابوية. ولكنه مع ذلك احتفظ بشخص البابا واعلن انه مقدس لا يمس بصفته رئيساً روحيا لكل العالم الكاثوليكي وسمح له بامتلاك الفاتكان. وعين له راتبا

سنويا يعتاض به عما خسره من املاك الدائرة الكنسية . على ان ذلك لم يرض البابا واعتبر نفسه هـ. وخلفاوه امرى الفتكان

تعدد الطرق الدينية

مع محاربة الكنيسة الرومانية لاعدائها الخارجيين اضطرت ايضاً ان تناضل خصومها الداخليين فقد نبت في حقلها نفسه خطتان دينيتان احدثتا فيها تشويشاً مدة طويلة

(١) الجانسينية — استنبتها كرنيليوس جانسين (١٥٨٥—١٦٣٨)[٣٣] احد اساقفة هولاندا الذي ذهب الى ان حرية المرء مقيدة لاستعبادها للميل فان اتى الميل من النعمة اندفع المرء نحو الفضيلة ، وان اتى من الطبيعة الساقطة اندفع نحو الرذيلة لذلك خلاص الانسان متوقف على النعمة التي تظهر الاميال الانسانية وتوقظ فيها محبة الخير والندامة على الشر . وانما قال ما قاله لمقاومة الجزويت الذين كانوا يبررون في الاعترافات الخطايا المفعولة عن غير قصد ، وقد انتشرت مبادئ جنسين بواسطة دير نسائي يدعى بورت رويال (الديوان الملوكي) وتالف حزب كان اعضاؤه مثالا حسناً لانكار النفس والنشاط في اعمال البر

ولما طبع كتاب جنسين (١٦٤٠ بعد وفاته بسنتين) المدعو اوغسطين (لانه اعتمد فيه على افكار اوغسطين) شعر الجزويت بالخطر الذي يتهددهم فدفعوا البابا اور بان الثامن الى شجبه كملطخ بالضلال ، فقاوم الجنسينيون هذا الشجب مبررين جنسين . حينئذ استخرج الجزويت خمس قضايا وصموها بالهرطقة فحكم عليها (١٦٥٣) اينوكنديوس العاشر فدافع عن المؤلف رهط من لاهوتيي هولاندا وفرنسا منهم الاب سيرون صديقه وارنولد وباسكال فاشتد هياج الجزويت وسعوا للحط من كرامة انصاره فطرد بسعيهم اونولد من مدرسة سربون (١٦٥٥) اما باسكال فوقف في وجههم مدة طويلة وبتاثير كتاباته وكتابات حزبه اضطر اكليمنضوس التاسع ان يعترف ان الحكم انما كان على الفصول الخمسة لا على

جنسين ، فازداد بذلك لجاج الجزويت اذ هيجوا لويس الرابع عشر ضد جنسين فاقفل دير بورت رويال ومدرسته . واستصدروا منشورا من الكليمنضوس الحادي عشر (١٧١٣) يحرم فيه مئة قضية وقضية من تعاليم جنسين ، فثار الجنسينيون ضد البراءة وظلت المناضلات بين الفئتين حتى خمدت نار الجزويت بالطرد من الممالك الكاثوليكية فهدأ الاضطراب وقامت في هولاندا كنيسة كاثوليكية المبدأ مستقلة عن رومية (١٧٢٣) عرفت بكنيسة الجنسينيين ولا تزال حتى الان ومركزها في اوترخ

الكويتيزم — طريقة دينية ثانية احدثها ميخائيل بولينوس الكاهن الاسباني التقي ، الباطني المشرب (١٦٧٥) بغية انعاش روح التقوى في الكنيسة الرومانية فذهب الى ان المسيحية الكاملة انما تقوم بالاستغراق في التامل الالهي حيث تنشأ المحبة النقية البعيدة عن الطمع في الثواب او الخوف من العقاب ، وهذا انما يتم بالابتعاد عن التشويشات التي تحدثها الطقوس المختلفة ، فاتبع هذا التعليم كثيرون في اسبانيا وفي رومية اذ كان فيها كاهنا (١٦٦٩) فقاومه الجزويت وحكم عليه بالسجن كهرطوقي (١٦٨٧) فتوفي (١٦٩٦) على ان ذلك لم يلاش طريقته التي انتشرت في ايطاليا وفرنسا . ومن مريديها الغيورين مدام هيون ومرشدها الروحي لاكومب اللذان جالا في فرنسا مذيعين منفعة المحبة الالهية بدون الهياكل والطقوس فكتب ضد هذه الطريقة بوسوي (١٦٢٧—١٧٠٤) وحكم عليها كهرطقة (١٦٥٩) وسجنت مدام هيون وحامى عنها فنلون (١٦٥١—١٧١٥) الاسقف الافرنسي الشهير ولكنه لما حكم البابا اينوكنديوس السابع عشر على مؤلفه (١٦٩٦) خضع لحكمه فتضعضعت الطريقة

اولترامونتانيزم — الانقسام والتشويش اللذان حصلا بظهور جنسين ومولين سببا رد فعل نتج عنه ظهور خطة جديدة متطرفة بالانقياد للبابا وية والاهتمام بتاييدها عرفت باسم «اولترامونتانيزم» زعمت ان سلطة البابا غير محدودة دينيا وزمنيا . هذه الفكرة التي كانت قبل القرن الثامن عشر محصورة ضمن النطاق

الباباوي ، انتشرت الان بين الشعب بسعي الاكليروس والجمعيات ولا سيما الرهبنة الجزويتية العامل الاقوى على انعاش هذه الفكرة لذلك كانت تتقهقر في زمان ضعفهم وتتايد في زمن قوتهم ، وهذا الحزب موجود الان في كل الاصقاع الكاثوليكية ، وملخص تعاليمهم ان السلطة الباباوية هي السلطة الالهية الوحيدة على الارض وهي غير محدودة ويجب على المسيحيين طاعة البابا واسترشاده ومن متبعيه فقط تتالف الكنيسة الحقيقية . وقد اشتهر هذا الحزب بتعصبه ليس ضد المذاهب الاخرى بل ضد كل فكر مخالف له دينياً كان ام ادبياً ام سياسياً وغايته اعادة اللاتينية الباباوية التي كانت في ايام غريغوريوس السابع

العقائد المستحدثة

لم تكف الكنيسة الرومانية عن عادتها باحداث تعاليم لا يمكن اثباتها من الكتاب المقدس ولا من التقليد ، وفي المدة الاخيرة احدثت العقيدتين التاليتين :

١) الحبل بلا دنس — هذا الفكر نشأ في القرن الثاني عشر وبتاثيره ترتب له عيد في عدة اماكن . ولكن قاوم هذا الفكر والتعييد له كثيرون من مشاهير اللاهوتيين اللاتين كبرنارد كليروف (توفي ١١٥٣) وتوما الاكويني (توفي ١٢٧٤) وغيرهما كما انه وجد من حامى عنه منهم كدونس سكوت (توفي ١٣٠٨) فالباباوات في بادئ الامر امروا باقفال باب البحث ولم يسمحوا بالعيد الا في شطر القرن الخامس عشر الاخير ومجمع تريدنت عند ما ذكر هذا التعليم لم يشا تدوينه ولا تسميته اعتقادا حسنا وظلت هذه القضية رايا خصوصيا الى نصف القرن التاسع عشر حينما (بتاثير الحرب الاولترامونتاني) ضمها بيوس التاسع الى العقائد الكنسية بعد ما استطلع افكار الكاثوليك وشعر بانقيادهم الى الافكار الاولترامونتانية ، واعلن ذلك في ٨ ك١ سنة ١٨٥٤

٢) عصمة البابا — الفكر بعصمة البابا وقداسته من توليدات القرون الوسطى المظلمة على انه منذ بدا للناس ناله ما نال قضية الحبل بلا دنس فبعضهم ايده

وبعضهم رفضه . ومن مؤيديه توما الاكويني ، وللباباوات انفسهم آراء مختلفة في هذا الموضوع فان ادريانوس السادس (١٥٢١—١٥٢٣) ارتأى ان البابا يمكن ان يخطئ في الامور الدينية باصداره مناشير هرطوقية ومجمع تريدنت لم يقرر شيئاً بشان العصمة وهكذا ظلت هذه القضية رأياً خصوصياً الى القرن التاسع عشر حينما اخذ البابا بيوس التاسع الاحتياطات اللازمة لتقريرها (١) واعلنها كقضية ايمانية في ١٨ ايلول سنة ١٨٦٩ متهددا بالحرم كل منكر ان الحبر الروماني معصوم عن الضلال في الدين والاداب

الكاثوليك القدماء

تقرير هذه القضية لم يجر بدون زوبعة اسفرت عن ظهور جماعة جديدة عرفت باسم الكاثوليك القدماء قام بتاسيسها قيم الفرع اللاهوتي في جامعة مونيخ « دولينجر » الذي قاوم تعليم العصمة في المجمع جهارا وبتاثيره تنظمت جماعة الكاثوليك القدماء ليس في مونيخ فقط بل في مواضع اخر جرمانية ايضا (كولون وبون وغيرهما) وقد انتخبوا لانفسهم اسقفا الدكتور رينكنس استاذ مدرسة بون وشرطنه في روتردام (في ١١ آب سنة ١٨٨٣) اسقف ديفنتر الجنسيني ومنذئذ قطعوا علاقاتهم مع الكنيسة الرومانية واعتبروا انفسهم الكنيسة الكاثوليكية القديمة وهم يتمسكون بتعاليم المجامع

(١) كسيامته اساقفة بدون ابرشيات ليكونوا من حزبه ، واستدعائه اساقفة ايطاليا واسبانيا المستسلمين له . دون الكثير من فرنسا وجرمانيا وبرتوغاليا ، لتوقعه معاكسة هؤلاء اياه . واستمالته ٣٠٠ اسقف باتفاقه عليهم من جيبه الخاص . وتقريره المباحثات باللاتينية التي لم يكن الجميع يحسنونها ، وتسليم ادارة المجمع لحازبيه ، وكتم المذاكرات عن العموم الخ

المسكونية التي سبقت لانشقاق؛ واجتهدوا كثيرا ان يعيدوا العلاقات الحبية مع الكنيسة الشرقية الارثوذكسية والجماعات المسيحية في الغرب ولاجل هذه الغاية عقدوا (١٨٧٥ — ١٨٧٦) في بون موتمرين سميا موتمري اصدقاء الاتحاد الكنسي حضرهما عدا الكاثوليك القدماء نواب من لاهوتيي الشرق الارثوذكسي وروسيا ومن اكليروس الانكليكان وخدمة البروتستان ، على ان الكاثوليك القدماء ابوا التساهل في بعض المبادي اللاتينية فلم يتم الاتحاد

الكاثوليك القدماء لم ينجحوا بضم احد العلماء الرومانيين اليهم لعدم مبالاة هولاء بالمسائل الدينية ، والطبقة الساذجة ما برحت تنقاد للاكليروس الروماني الذي استطاع ان يستأثر بها . والحكومات الكاثوليكية والبرتستانية نظرت الى هذه الجماعة بفتور لعدم تحديدها مبادئها ونياتها ؛ فهي كمبتعدة عن البابوية وغير متفقة مع الارثوذكسية اتخذت لنفسها بين الجماعات المسيحية مركزا غير محدود وغامض

لذلك ارتأى بعض زعماء الكاثوليك القدماء في هولاندا وجوب ادخال اصلاح فعلي في الخدمة الالهية . فقرر رايهم في ٦ ك ٢ سنة ١٩٠٩ في مجمع عقد لهذه الغاية ، اصلاح ثلاث قضايا ١) حذف زيادة ، والابن ، من دستور الايمان ٢) ذكر اسم الاسقف المحلي دون البابا ٣) استعمال اللغة الهولاندية بدل اللاتينية

ميول الاتحاد

ان الكاثوليك القدماء حذوا حذو الانكليكان في سيرهم ازاء الارثوذكسية . فقد برزوا الى الوجود كطائفة مستقلة اخذوا يدرسون مبادي الارثوذكسية ويتوددون الى ابنائها وظل ذلك شانهم حتى الان ففي سنة ١٨٩٢ عقد مجمع في زوريخ حضره عدد كبير من الاساقفة واللاهوتيين من المانيا وانكلترا وفرنسا وروسيا واليونان وفي خطبة رئيس المجمع العلامة هركوز صرح ان الكنيسة الشرقية هي بلا مراء رسولية وجامعة بالمعنى الحقيقي

وقد اهتم كثيرون بدرس قضية الاتحاد درساً دقيقاً على امل الوصول الى نتيجة مرضية ومن هولاء الجنرال اسكندر كيرايف (١) الروسي الذي كرس نفسه لهذا الدرس مدة اربعين سنة اعني منذ ظهر الكاثوليك القدماء (١٨٧٠) حتى توفي (١٩١٠) هذا الرتأى بعد مباحثه الدقيقة ان الحلقة التي يمكن ان تصل طرفي الكنيسة الغربية (رومية ووتمبرغ) احداهما بالاخرى انما هي الكاثوليكية

---

(١) هو احد قواد الجيش الروسي انقطع مدة اربعين سنة لخدمة العلم والتاريخ وكان فيما خصص نفسه له ابحاث التاريخ الكنسي الذي درسه درسا دقيقاً تتبع فيه سير الانشقاق والمساعي المبذولة في سبيل تلافيه تتبعاً وافياً وخلف في هذا الموضوع ابحاثاً هامة جمعتها اخته بعد وفاته (١٩١٠) في مجلد واحد وقد روى مودها الدكتور اللاهوتي اميل ميشو احد اساتذة كلية بون في مجلة الكنائس العمومية (١٩١١) التي يدير شوونها انظر مجلة الكلمة ٢ ص ١٦٦

القديمة كما انها الواسطة ايضا لايلاف الشرق والغرب وكتابته المسهبة في هذا الشأن دارت حول النقط الثماني الاتية :

١) ضرورة اتحاد الكنائس ٢) شروط هذا الاتحاد ٣) موقف الارثوذكس ازاء قدماء الكاثوليك ٤) ازاء الانكليكان ٥) ازاء البروتستان ٦) مسئلة «ومن الان» ٧) الاستحالة ٨) مسئلة المورابين

ومن اقواله الجميلة في الاتحاد ما ياتي ملخصا: لنتحدن بالروح اتحادا نزيها. اعترفوا بالجوهريات وتساهلوا في طريقة التعبير. لا تشكوا بنا لاستعمالنا بعض الاصطلاحات العالية كما اننا لانحتقركم لاجل اصطلاحات تستعملونها لم نالفها. لسنا نسعى وراء الغلبة ولكننا نتطلب عودة اخوتنا الذين يولمنا فراقهم» اه

وكما نبغ بين الارثوذكس كثيرون من محبي الاتحاد والساعين اليه كذلك ظهر بين ابناء الكنيسة الغربية انداد له ومن هولاء الاب مكسمبليان السكسوني (١) هذا بعد ما طاف في الاصقاع

(١) هو الشقيق الاصغر لملك سكسونيا اعتزل العالم وهو شاب بعد وترهب (١٨٩٦) مكرساً حياته لخدمة الدين فحصل درجة دكتور في اللاهوت والحقوق الكنسية واذ كان مشغوفا بالتاريخ الكنسي الذي درسه في سويسرا عدة سنوات اراد ان يختبر بذاته ما قراه عن الكنيسة الشرقية فساح ثلاث سياحات طاف فيها سوريا وفلسطين ومصر وبوكوفينا ورومانيا والقسطنطينية وآثوس وروسيا والقوقاس وغاليسيا ووضع المعلومات التي اتصل اليها في سفر نشره مطبوعا في فريبرغ (١٩٠٧) وفي مقالة مسهبة نشرها تباعا في مجلة «رومية والمشرق» التي تصدر في ايطاليا (٩١٠) انظر الكلمة ٧ ص ٨٧ الخ

الشرقية ثلاث مرات و درس حالة الشرقيين كما يجب ابدي رايه في امكانية الاتحاد. وصرح ان فشل المساعي السابقة ناتج عن نقص جوهري في تلك المساعي. وهي انها خلت من فضيلتين جوهريتين هما الاخلاص والمحبة. النقص الاول سبب عدم الاقرار باسباب الانشقاق المشؤوم اذ ان الغربيين حبسوا انفسهم في دائرة تصوراتهم ليقتاتوا بارائهم الخصوصية دون ان يهتموا بالاطلاع على براهين الشرقيين ودرسها. وهكذا صدرت احكامهم صارمة و بالتالي فاسدة واما الشرقيون فقد داخلهم الريب بكل ما ارتآه الغربيون واتخذوا من الماجريات السابقة اساساً لشكوكهم في اخلاص اخوانهم فتعذر الاتحاد (ثم يقول) قد اعتدنا نحن الغربيين ان لا ندرس الا كتبنا وان لا ننظر الى القضايا الا من الوجه الذي يناسبنا وبعد هذا كله نتساءل دائما بدهشة مابال هؤلاء العنيدين يرفضون الاتحاد الذي نعرضه عليهم في حين اننا اظهرنا لهم كل انواع اللطف و المجاملة

والنقص الثاني وهو خلو المفاوضات من روح المحبة الذي بانه في ما ياتي :

قد تشاطر الغرب والشرق النقص البشري عدة قرون لان كلا منهما اظهر ما استطاعه نحو الاخر من البغض والحقد فالاحتراس والريبة في الشرقيين والازدراء والكره في الغربيين اصبحا بمثابة تقليد متوارث في كلا الفريقين يكاد يتعذر استئصاله

فلاجل اعادة الوحدة والسلام يقتضي اولا تبادل الاحترام بين الفريقين وعلى اثر ذلك يفسح مجال للعطف ثم للمحبة

ان الشرق يماثل ذاك المطروح على الطريق بين حي وميت وليس من سامري رحيم فينا يراف به و يضمد جراحاته الدامية . وقد مر به كثيرون من كهنتنا ولاويينا دون ان يصيخوا سمعاً لاناته وتنهداته اذ كان غرضهم اخضاع الشرقيين لسيادة رومية ليس الا

اجل ان الغرب اجتهد في ما مضى ان يكسر شوكة الاسلام و بعد سقوط القسطنطينية التهبت غيرته ضد الاتراك . ولكن هذا كله لم يكن الغرض منه منفعة المسيحيين الشرقيين وانما كانت غايته تاليف ممالك لاتينية في الشرق والاستئثار بمصالح اصحاب البلاد الاصليين

اذا لاجل الاتحاد يجب سلوك سبيل الحقيقة المجردة والمحبة الخالصة اه .

على ان التعصب الذي ما برح ضاربا اطنابه في الاصقاع الغربية خنق هذه الافكار في مهدها واضطر الاب المذكور ان يسحب كلامه . لكن ما عاناه الناس من مرارة التعصب حول الفكرة العامة عنه وجعل كثيرين من نوابغ المسيحيين يسعون جهدهم لازالة الحواجز ما بين فروع النصرانية المتعددة وقد ارتأى بعضهم وجوب التفاهم اولا ثم التآلف والاتفاق على جوهريات العقائد وترك الحرية للجميع في عرضيات المذهب ومحبو السلام ينتظرون نتيجة حسنة للمؤتمر العام الذى يعقد سنة ١٩٢٥ في اميركا الشمالية حقق الله الامال

تذييل

لكي يستوعب القارئ تاريخ المسيحية بدون ان يفوته شيء من المعلومات التي لا يمكن اخذها الا من المطولات نلحق بالطرفة فصلين اولهما نلخص فيه المعلومات الهامة عن المناطق الارثوذكسية المستقلة وتاريخ استقلال كل منها وثانيها يتضمن خلاصة ما عرفناه عن كل من الطوائف الشرقية. ودونك ما رأينا ذكره مفيدا

اولا — المناطق الارثوذكسية المستقلة

لم يكن لاول عهد النصرانية تفاوت بين اساقفتها ولكن لما اتسع نطاق المسيحية وتعددت اساقفتها استلزم حسن النظام فيها ان تقسم البلاد المسيحية الى دوائر يرجع رؤساء المدن فيها الى احدى المدن الممتازة ويعتبر رئيس تلك المدينة الام مرجعاً اعلى لسائر المدن التي تنضوي اليها

وقد امتازت في قرون المسيحية الاولى عدة مدن بعضها لاهميتها السياسية وبعضها لمركزها الديني وبعضها لمنزلتها العلمية. ولكن التطورات السياسية والدينية غيرت وضعية تلك المدن بحسب الموثرات التي صادفتها وقد امتاز من هذه المدن في الشرق «اورشليم وانطاكيه وافسس. وقيصرية وهرقلية وطرنوفا واوخريدة وقبرص وسالونيك وايلك واسكندرية» وفي الغرب «رومية وقرطجنة

وزافنا واهكو بليا وميلان واهكس لا شابل (آخين) وتوليدو وكنتربري

على ان بعض هذه المدن قصر امتيازها على استقلالها عن غيرها وبعضها قام امتيازها بانضواء غيرها اليها . ولكن التطورات الطارئة جعلت نجم بعضها يعلو ويتالق وبعضها يافل ويسقط الى ان انفردت بالزعامات العليا خمسة مراكز هي رومية والقسطنطينية والاسكندرية وانطاكية واورشليم

رومية بصفتها عاصمة الامبراطورية الرومانية القديمة والقسطنطينية لانها العاصمة الجديدة لقياصرة بيزانطيه واسكندرية لانها قاعدة الاقليم المصري وانطاكية لانها «عين المشرق» واورشليم لان سر الفداء تم فيها

فلما حصل الانقسام العظيم بين الشرق والغرب (١٠٥٤) استأثرت روميه بالرئاسة الروحية في الغرب اما في الشرق فقد استقلت عدة مناطق بحصولها على الاستقلال السياسي واليك الدوائر الارثوذكسية المستقلة في الوقت الحاضر مع زبدة من تاريخ كل منها مرتبة بحسب تاريخ استقلالها

١) انطاكية

انطاكية هي اقدم الكراسي المسيحية بلا منازع وفيها لقب النصارى مسيحيين لاول مرة (اع ١١ : ٢٥) وبها ابتدا الجولان للتبشير خارج اليهودية (اع ١٣ : ٤) وكانت سلطة اسقفها تمتد من

سواحل بحر الروم غربا الى اقصى المملكه الفارسية شرقاً ومن كيليكيا وارمينيا شمالا الى حدود فلسطين جنوبا وقد خضع لهذا الكرسي من الشعوب الكلدان والسريان والفرس والكرج واللاز والارمن والعرب واليونان والهنود والصينيون وبلغ عدد الاساقفة المنضوين الى لوائه في بعض الاوقات مئتي اسقف ونيف . غير ان طوارئ كثيرة ضيقت حدوده ففي القرن الخامس انسلخ عنه الكلدان والفرس بسبب نسطوريوس وفي القرن السادس انسلخ عنه السريان والارمن بسبب المونوفيزيتيه وفي اواخر القرن السابع انسلخ عنه لبنان وفيثقيه بسبب المونوتيليتية . فاذا اضفت الى ذلك ما اصابه بسبب هجمات العرب والترك وسواهم من الغزاة الفاتحين لا تستغرب بعدئذ اذا عرفت ان مطارنة الكرسي الانطاكي لا يتجاوزون عدد الرسل في الكمية الا قليلا وشعبهم لا يزيد عن ثلاثمائة الف نسمة ومعظم القوى العاملة فيه هاجرت البلاد التماساً لاسباب المعاش

٢) الاسكندرية

الاسكندرية كانت اعظم مدينة في القسم الشرقي من المملكة الرومانية ومهدا للعلوم والفلسفة في القرون الاولى المسيحية . وفيها ظهر اشهر المناضلين عن الدين المسيحي كاكليمنضوس واوريجانوس واثناسيوس الكبير وفيها كانت المدرسة اللاهوتية الشهيرة التي جعلت لاساقفتها من النفوذ والسطوة ما يكاد يعطيهم الاولية في

العالم المسيحي قاطبة . وقد كان ينضوي الى هذا الكرسي في زمن تقدمه عشرة مطارنة و٩٣ اسقفاً كل منهم يرئس دوائر واسعة وشعباً غزير العدد . ولكن بدر هذا الكرسي اخذ يميل نحو النقصان منذ القرن الخامس حينما ظهرت المونوفيزيتية اذ تعصب القبط للبطريرك ديوسقوروس الذي حكم عليه المجمع الرابع (٤٥١) ونفي بامر الملك مرقيان فانحاز له الاقباط لاعتقادهم انه ظلم باعتباره اوطاخي المذهب وانضم الى القبط الحبش الذين ظلوا على ولائهم للقبط لا يقبلون زعيما لا يشرطنه لهم بطريرك الاقباط . ومن ذلك الوقت حتى الان لم يستطع الارثوذكس ان يجدوا الى الجرح الذي يضمه السلف الصلوم بلسما شافيا يوصل الى مصالحة القبط مع اخوانهم الارثوذكس وعودة مياه الاتحاد الى مجاريها . وعدد الارثوذكس الان في الكرسي الاسكندري لا يزيد عن مئة وخمسين الفا في ست ابرشيات نحو ثلثهم من سوريا

٣) القسطنطينية

القسطنطينية هي الكرسي الثالث بين كراسي الشرق من جهة استقلاله ولكنه الاول من جهة الاهمية ظل هذا الكرسي خاضعا لمطرانية هرقلية الى ان جدد قسطنطين بيزانطية وسماها باسمه ونقل اليها عرش الامبراطورية سنة ٣٣٠ ودعيت رومية الجديدة وقد عقد في القسطنطينية المجمعان المسكونيان الثاني والسادس وفي المجمع الثاني المنعقد سنة ٣٨١ تقرر ترقية كرسي القسطنطينية

واعطاوه امتيازا وكرامة تضاهي كرامة اسقف رومية وجعل الثاني في الترتيب بين الكراسي المستقلة. وبعد ما كان تابعاً لمطرانية هرقلية اصبحت هذه تابعة له ثم انضم الى الكرسي القسطنطيني على التمادي ولايات اسيا والبنطس والاقليم الايلري كله. وقد وجد على رئاسة الكرسي رجال اشتهروا في تاريخ الكنيسة شرقاً وغرباً ونال اسقفها لقب البطريرك المسكوني (٥٨٨) في ايام القديس يوحنا الصوام اشارة الى اهمية الكرسي بين سائر الكراسي الارثوذكسية وما يرح هذا الكرسي على اهميته في الشرق وينضوي الى رئاسته منة ابرشية فيها نحو اربعة ملايين ارثوذكسي (١)

٤) اورشليم

هذا الكرسي كان لاول عهده تابعا لمطرانية قيصرية فلسطين ولكن المجمع المسكوني الاول (٣٢٥) رقى اسقف اورشليم الى المطرانية (ق ٧) وقد انتشر الفكر بوجوب اعطاء اورشليم اعتبارا خاصا لان السيد المسيح اتم فيها سر الفداء بموته مصلوبا لذلك سماها المجمع الثاني في احدى رسائله ام جميع الكنائس. ولما عقد المجمع الثالث (٤٣١) طلب اسقفها يوفينالیوس ان يعطى السلطة على فلسطين وبلاد العرب وفينيقية فرفض طلبه وقتئذ فلج في نيل مرغوبه حتى سمح له القيصر تيودوسيوس الثاني واصدر امرا ملوكيا بذلك لقبه فيه بطريركا. فاحتج البطريرك

(١) هذا التقدير تم قبل تبادل السكان الترك واليونان الجاري الان طبعه

الانطاكي على ذلك لان القيصر وهبه ما هو مختص بالكرسي الانطاكي ولما عرضت القضية على المجمع الرابع المسكوني (٤٥١) قرر ارجاع فينيقية وبلاد العرب الى الكرسي الانطاكي ومنح السيادة لاسقف اورشليم على كل فلسطين معترفاً به بطريركا ومنذئذ اصبح خامس كرسي في العالم المسيحي وكان ترتيبهم في اوقات الاجتماعات الرسمية ٠ على هذا المنوال الروماني والقسطنطيني فالاسكندري فالانطاكي فالاورشليمي فلما حصل الانقسام بين الشرق والغرب اخذ القسطنطيني المركز الاول واصبح الاورشليمي في الترتيب رابعاً ٠ وفي الكرسي الاورشليمي الان نحو اربعين الف نسمة في ١٥ ابرشية ٠ وكان عدد ابرشياته في القرون الاولى ٥٩ ابرشية مرجعها ثلاث مطرانيات قيصرية وبيسان وبيترا

٥) قبرص

قبرص هي جزيرة كبيرة في البحر المتوسط اشتهرت في ايام الرومانيين بخصبها وغنى سكانها ٠ وهي اول موضع زاره الرسولان بولس وبرنابا في سياحتهما الاولى (اع ١٣ : ٥) وبرنابا نفسه قبرصي الاصل (اع ٤ : ٣٦) وهي ثاني صقع قبل فيه الانجيل بارتياح ٠ ولذلك كان لها اعتبار خاص في المسيحية ونالت امتيازا على سواها منذ القرون الاولى حتى ظن بعضهم انها كانت مستقلة منذ نشأتها وراى بعضهم انها كانت تابعة لانطاكية ثم استقلت لاجل ظروف خاصة ٠ وكيفما كان الحال فان استقلال قبرص روحيا اعترف به

كنسياً استنادا الى الاسباب التالية :

١) رسولية الجزيرة – يعني انها اخذت المسيحية مباشرة عن الرسل

٢) وجد فيها انجيل القديس متى بخط برنابا الرسول موضوعاً على صدر برنابا نفسه (٤٨٨)

٣) اعلى مكانتها يوستنيانوس العظيم لانها سقط راس زوجته ثيودورة

٤) يزعا يوستنيان الاجدع بعد ما استخلصها من ايدي العرب لذلك اعطيت حق انتخاب مطارنتها وسيامتهم في المجمع الثالث (٤٣١) وقرر مجمعا القسطنطينية الخامس (٥٥٣) وترولو (٦٩٢) استقلالها التام عن الكرسي الانطاكي ويلقب رئيس اساقفتها بصاحب الغبطة ويوقع امضاءه بحبر احمر وفي الجزيرة الان نحو مئتي الف نسمة من الروم الارثوذكس ترجع في شؤونها الروحية الى ثلاثة مطارنة رئيسهم الاعلى رئيس اساقفة نيكوسيه

٦) سيناء

طور سيناء احد الجبال المقدسة في الاديان الثلاثة (الاسرائيلية والمسيحية والاسلامية) اتخذه اتقياء المسيحيين منسكا منذ القرن الثاني . وقد نال رهبانه اضطهادات عنيفة في الدور الاول . ومن مرويات التقاليد الكنسية ان هيلانة ام قسطنطين الكبير بنت برجين في الموضع الذي بني عليه الدير الحالي لجماعة الرهبان من

الغارات البدوية . ويظن ان القديسة ميلانه نفسها هي التي بنت كنيسة الطبقة الباقية الى الان . كما ان يوستنيانوس الكبير بنى الدير الحالي (٥٤٥) للغرض نفسه اما دير القديسة كاترين فالمرجح ان بناءه كان (٣٦٠)

كان طور سيناء لاول عهده ضمن ابرشية فاران التابعة مطرانية بترا التي كانت احدى ابرشيات فلسطين . ولكن لما سقطت بترا في اواخر ايام الامبراطور فالانس (٣٧٨) تحول مركز الابرشية الى فاران ثم انتقل منها الى طور سيناء (٦٤٩) ومنذئذ اعتبر الدير مستقلا يدير شؤونه مطران خاص لقبه مطران طور سيناء وفاران ورايثو . والذي امعن في درس التاريخ الكنسي يعلم كم كان من الاهمية لرهبان الدير في القرون الاولى . ولا سيما في ابان الانقسامات والبدع

وقد حاول بطاركة الاسكندرية اكثر من مرة مد سيطرتهم على الدير لانه واقع ضمن منطقتهم ولكن الرؤساء ابوا عليهم ذلك . وظل الدير مستقلا حتى الان ورئيسه المرجع الاعلى للدير وللاماطيش المختصة به . ولقبه رئيس اساقفة طور سيناء . ويقتات من ارزاق الدير عدد كبير من ابناء السابلة ومن فقراء البدو الضاربين في تلك الجهات

٧) روسيا

مر في ما تقدم ان الروس اقتبلوا المسيحية كافة في ايام

فلاديمير (٩٨٨) بواسطة الكنيسة القسطنطينية لذلك كانت في اول نشأتها خاضعة للكرسي القسطنطيني وبقي مطارنة كياف — التي كانت اعلى مركز ديني في روسيا — ينالون الشرطونية من بطاركة القسطنطينية وهم من الجنس اليوناني واول من تعين من الروسيين لمطرانية كياف انما هو ايلاريون (١٠٥١) الذي انتدب للمطرانية المذكورة بسعي ياروسلاف الحكيم. وظل خلفاوه ينالون الشرطونية من بطاركة القسطنطينية بارادة الامراء الروس انفسهم الى القرن السادس عشر وكان قد تحول المركز الديني الاعلى الى مدينة فلاديمير (١٢٩٩) فموسكو (١٣٢٨) ففي سنة ١٥٨٦ زار البطريرك الانطاكي (يواكيم الضو) الاصقاع الروسية لجمع الاحسان الى كرسيه فطلب القيصر تيودور بوريفتش مساعدته بترقية مطرانية موسكو الى البطركية ففاوض بالامر البطريرك القسطنطيني ارميا الاول فاقتنع وحضر بذاته الى روسيا (١٥٨٨) وفي ٢٦ ك ٢ سنة ١٥٨٩ ارتقى السيد ايوب مطران موسكو الى الوظيفة البطريركية وهو اول بطريرك روسي. واجتمع في القسطنطينية مجمع (١٥٩٣) صدق على ما حصل. على ان الروس ظلوا يلتمسون التصديق على المرشح البطريركي من القسطنطية الى سنة ١٦٥٧ حينما استقلت الكنيسة الروسية تمام الاستقلال في ايام البطريرك نيكون (١٦٥١ — ١٦٨١) واصبحت ادارة الكنيسة الروسية بيد بطاركتها الذين بلغ عددهم عشرة اولهم ايوب وآخرهم ادريانوس ولما

تسنم العرش القيصري الامبراطور بطرس الاكبر مال الى الغاء الوظيفة البطريركية فلما توفي البطريرك ادريانوس سنة ١٧٠٢ سلم المركز الى اسطفان ياورسكي مطران ريازان يديره بصفة وكيل بطريركي وفي سنة ١٧٢١ ارتاى القيصر ابدال الادارة البطريركية بالمجمعية فاستحسن الاساقفه الروسيون رايه واعترف بطاركه الشرق بان المجمع المقدس الروسي هو ذو سلطة مساوية لسلطتهم وكان المجمع لاول عهده مولفاً من رئيس ونائبين واربعة مستشارين واربعة مدبرين. وظل المجمع المقدس يدير شوون الكنيسة الروسية بنجاح الى ان حصلت الثورة الروسية وقلب العرش الامبراطوري فاستحسن اساقفة الروس باجتماع عقد في ١٥ آب سنه ١٩١٧ اعادة الوظيفه البطريركيه لتعذر اجتماع اعضاء المجمع المقدس عند كل ازمه فانتخب تيخون بطريركا على كل روسيا وتعين للمنصب بصفة رسميه في ٢٨ ت ٢ سنة ١٩١٧ وما برح يدير شوون الكنيسه بمشقه شديدة لمعاكسه البولشفيك اياه. وينضوي الى الكرسي الروسي اكثر من مئه ابرشيه فيها نحو ثمانين مليون ارثوذكسي

٨) اليونان

دخلت المسيحية لاصقاع اليونانية منذ ازمنة الرسل واسس بولس نفسه كنيستي اثينا (٥٢) وكورنثوس (٥٣) وقد نالت كورنثوس اهمية عظيمة في الدور الاول لاعتبارها احد المراكز الرسولية. ولكنها انضمت في اوائل الدور الثاني مع سائر كنائس

اخائيا الى ايليريا الشرقية التي كانت قاعدتها تسالونيكيه بسبب تقسيم المملكة في ايام قسطنطين الى مقاطعات ادارية فاصبح رئيس اساقفة تسالونيكيه متقدماً على اساقفة اخائيا كلها. فلما حدثت المنازعات الاريوسية في القرن الرابع لاذ اساقفة ايليريا الشرقية باسقف رومية وظلوا كذلك الى ان ظهرت مسئلة الايقونات في القرن الثامن فانقطعت كل علاقة لهم باسقف رومية بامر الملك لاون الايصوري وانضوى اساقفة اليونان كلهم الى الكرسي القسطنطيني فلما تسلط اللاتين على المملكة البيزانطية في القرن الثالث عشر واستولوا على بلاد اليونان طردوا الاساقفة الارثوذكسيين واقاموا بدلا منهم اساقفة لاتينيين. فعنوا لسلطانهم مرغمين الى ان استولى العثمانيون على الموره فعاد الارثوذكس الى مراكزهم الرسمية. ولما استقلت البلاد مدنياً طلب الشعب استقلاله الروحي ايضاً (١٨٣٣) فاعلنت الحكومة اليونانية استقلال الكنيسة روحيا وتالف مجمع دائم اعتبر رئيسا اعلى في الكنيسة اليونانية وهذا المجمع تالف من خمسة مطارنة يرئسهم الاقدم سياسة فسعى بطريرك القسطنطينية الاعتراف باستقلال اليونان الروحي واعلن (١٨٤١) عدم قانونية المجمع لانه تالف بدون تصديقه. فتدخلت الحكومة اليونانية بالامر وفاوضت البطريرك القسطنطيني (١٨٥٠) فعقد مجمعاً لهذه الغاية حضره البطريرك الاورشليمي كيرلس مع خمسة بطاركة قدماء. فتقرر استقلال كنيسة هلاس روحيا واعلن

ذلك لسائر الدوائر الارثوذكسيه المستقلة وتنظم المجمع المقدس (١٨٥٢) بتعديل بعض قوانينه الاولى وتعين مطران اثينا رئيساً دائماً للمجمع . وقد اتسع نطاق اليونان بعد حرب البلقان (٩١٢) ولكان زاد اتساعه ايضا في نهاية الحرب العمومية لولا الفشل الذي اصاب اليونان في الاناضول (٩٢٢) ولم تتنظم بعد حالة الابرشيات اليونانية ولكن يقدر ان عددها سيكون نحو خمسين (١) ابرشية ينضوي اليها نحو خمسة ملايين ارثوذكسي

٩) رومانيا

دخلت المسيحية رومانيا في الدور الاول بواسطة الرومانيين الذين استوطنوها في القرن الثاني ومنهم اخذت اسمها الحالي وكانت تدعى في القديم داكيا لذلك كانت ترجع في شؤونها الادارية الى الحبر الروماني فلما اراد يوستنيان العظيم تعزيز البلدة التي ولد فيها (اوخريده) رفع مقامها سنه ٥٣٥ ودعاها يوستنيانه الجديدة او الاولى (تمييزا لها عن سالميس التي سميت ايضا يوستنيانه الثانية) منحها الاستقلال الكنسي جاعلا اياها مرجعا اعلى لسائر اسقفيات الدانوب (الطونا) وقد حاول بطاركة القسطنطينية اخضاعها لادارتهم اكثر من مرة فلم يفلحوا وظلت مستقلة الى ان دخلت في حوزة الدولة العثمانية فتسنى اذ ذاك لبطريرك القسطنطينية ان

(١) كانت ابرشيات اليونان ٣١ ثم انضمت اليها كريت وفيها تسع ابرشيات ثم انضم اليها بعد الحربين ما يناهز عشر ابرشيات

يتسلط عليها . وقد تم ذلك في ايام صموئيل الاول (١٧٦٨) بدعى الرومانيين انفسهم التماسا للاستفادة من نفوذ البطريرك القسطنطيني وظلت رومانيا خاضعة للكرسي القسطنطيني الى ان استقلت اداريا (١٨٥٦) فاهتم الشعب اذ ذاك باعادة استقلاله الكنسي وفي ايام اميرها كوزا تنظم مجمع كنسي على مثال مجمعي روسيا واليونان ترجع اليه رومانيا في شوونها الدينية لكن مجمعها يلتئم مرتين في السنة اتباعا للقانون الرسولي (ق ٣٩) واعضاء المجمع ثمانية يرئسهم مطران بخارست . اما بطريرك القسطنطينية غريغوريوس فقد اعترض على عملهم هذا (١٨٦٥) فاضرت الامة الرومانية على طلب الاستقلال الروحي فنالته بعد مناقشات عديدة واعترف باستقلالها الكنسي يواكيم الرابع (١٨٨٤-١٨٨٦) وعادت المكاتبات السلمية بين المركزين

وقد انضم الى رومانيا بعد الحرب مقاطعات بوكوفين (١) وترانسلفانيا (٢) وبسارابيا (٣) فبلغ عدد الارثوذكس فيها الان نحو تسعة ملايين يدير شوونها مجمع مقدس يرئسه مطران بخارست

(١) بوكوفين - كانت خاضعة لمطارنة ملدافيا الى سنة ١٧٧٥ حينما الحقت بلوستريا وسنة ١٧٨٤ انتقل المركز الاسقفي الى تشرنوفيتش من رادوفيتش فلما تجزأت النمسا بعد الحرب كانت بوكوفين من حظ رومانيا وعدد الارثوذكس في بوكوفين نحو اربعمائة الف

(٢) ترانسلفانيا - مقاطعة كبيرة موقعها الى الشرق من النمسا على محاذاة رومانيا

١٠) يوغوسلافيا

يوغوسلافيا اسم مملكة بلقانية كبيرة تألفت بعد الحرب من عدة ممالك وامارات باسمي الصرب التي اظهرت تفوقا في الشجاعة والدربة وحسن المبدا اثناء الحرب العامة الطاحنة . فنالت امنيتها التي كانت تصبو اليها منذ عدة قرون وهي ايجاد سربيا العظمى وقد تألفت يوغوسلافيا الان من سربيا القديمة والجبل الاسود والبوسنة والهرسك وسلافونيا وسائر المقاطعات التي انضمت اليها من النمسا ويقدر عدد الارثوذكس في يوغوسلافيا بنحو ١٢ مليوناً يرئسهم ديمتريوس بطريرك سربيا العظمى واليك خلاصة

وثلاثة اخماس اهلها (الذين يزيد عددهم عن المليونين) من الرومان لذلك لم تكن مخلصة للنمسا وقد حصلت بسبب ذلك ثورة دموية (١٨٤٨) وظلت الحركات السرية تتوالى فيها بغية الانضمام الى رومانيا الى ان نالت امنيتها بعد الحرب العظمى وفي ترانسلفانيا از يد من ثمانمائة الف ارثوذكسي كان مرجعهم الاعلى في ما سبق مطران هرمنستاد

(٣) بسارابيا — مقاطعة واقعة بين الدانوب والدنيستر سكانها يزيدون عن المليون كانت في الاصل قسما من داكيا القديمة ثم اتحدت مع البغدان في القرن السادس عشر ودفعتا الجزية معاً لتركيا ثم الحقت بروسيا (١٨١٢) وفي (١٨٥٦) اخذت تركيا القسم الجنوبي منها والقسم الشمالي الحق بالبغدان ثم استعادتها روسيا (١٨٧٨) وكانت رومانيا قد اشتركت بالحرب طمعاً باستردادها فلما اخذتها روسيا نقمت عليها فلما حدثت الثورة الروسية (١٩١٧) اغتنمت رومانيا الفرصة واستعادتها

عن اهم المقاطعات التي تألفت منها يوغوسلافيا

السرب — تنصر السرب في القرن التاسع و يظن بعضهم ان تنصر السرب كان قبل هذا العهد . وكانوا في بادئ امرهم خاضعين لبابا رومية لسكناهم في صقع رومانى ولكنهم انضموا مع سائر الشعوب السلافية الى بطريركية القسطنطينية وفي القرن الثالث عشر (١٢٢١) استقلت الكنيسة السربية وترأسها رئيس اساقفة ابيك الذي لقبه السرب بطريركا وظلوا كذلك الى ان دخلوا في حكم الدولة العثمانية التي استرابت ببطاركة ابيك فألغت مركزهم (١٧٦٦) واخضعت ابرشيات السرب للبطريرك القسطنطيني فلما نالت السرب استقلالا اداريا (١٨٣٠) طلبوا الاستقلال الكنسي ايضاً فسمح لهم بطريرك القسطنطينية ان يدير شؤونهم مطران بلغراد تحت اسم مطران كل سربيا ورضي ان يقام هذا المطران من العنصر السربي ولكنه حفظ لنفسه حق التصديق على انتخاب المطران المذكور وتعهدت الحكومة السربية للبطريركية القسطنطينية مقابل تساهلها هذا) بتقديم هدية سنوية لخزينة البطركية وفي سنة ١٨٨ تألفت في بلغراد ادارة مجمعية على منوال كنائس روسيا واليونان ورومانيا يرئسها مطران بلغراد وقبل الحرب كان في سربيا خمس ابرشيات عدد ارثوذكسها نحو ثلاثة ملايين

البوسنه والهرسك — تنظمت مع المنطقة السربية وظلت تابعة لها الى آخر القرن العاشر . فلما دخلت في حوزة الكرواتيين فالهنكاريين في القرن الحادي عشر اتبع الكثلكة كثيرون من الارثوذكس ارضاء للعنصر السائد وفي القرن الخامس عشر استولى الاتراك عليهم . فدان كثيرون منهم بالاسلامية ولا سيما الذين اتبعوا منهم بدعة بطارن (في القرن الثاني عشر) وفي هذه المنطقة نحو ثمانمائة الف ارثوذكسي لهم اربعة مطارنة يتقدمهم مطران سارايف

الجبل الاسود — دخلت المسيحية الجبل وقت دخولها سربيا ومنطقة الجبل خضعت لاول عهدها لمطرانية موغلينون احدى ابرشيات اوخريده فلما استقل الجبل في شطر القرن الرابع عشر الثاني استقلت كنيسته ايضاً . وسنة ٤٨٥

انتقل كرسي المطرانية الى تسيتين . فلما هاجمه الاتراك كانت ادارته الروحية تتبع حالته السياسية فتخضع احيانا لبطريرك القسطنطينية ثم استقل نوعياً وتسنى له الاستقلال التام (١٨٧٨) وكان يدير شؤونه مجمع يرئسه رئيس اساقفة تسيتين الى ان وقعت الحرب العامة فانضم في نهايتها الى سربيا العظمى المدعوة يوغوسلافيا ويقدر عدد الارثوذكس فيه بمقدار ثلاثمائة الف

سلافونيا — هي احدى ايرشيات النمسا سابقا عدد الارثوذكس فيها يناهز المليونين في سبع ايرشيات يتقدم اساقفتها مطران كارلوفيتش وكان يدير شؤونها قبل انضمامها الى السرب مجمع مؤلف من اكليريكيين وعلمانيين يجتمع مرة كل ثلاث سنوات باذن حكومة النمسا وبحضور احد موظفيها . وقد كشلك من هذا الحقل نحو ثلاثين الفاً بتاثير الحكومة الكاثوليكية . وكان هذا الضغط الديني مع الضغط السياسي الواقع (١٨٤٠) احد الاسباب التي هيأت السلافون للثورة على النمسا فحدرتهم بمنحهم اسم مملكة (١٨٦٨) ولما كانت تلك المنحة اسمية لا فعلية تربصوا الظروف للاستقلال فكان لهم ذلك في الحرب العامة . وانضموا الى السرب سياسياً وروحياً تحت الاسم المذكور اعلاه يوغوسلافيا

دلماثيا — مقاطعة جبلية قائمة على شاطئ الادرياتيك الشرقي واهلها آخر من تنصر من السلاف . ولم تتنعم دلماثيا باستقلال سياسي يذكر لوقوعها بين البندقية وهنكاريا وفي القرنين الاخيرين تداولتها البندقية وفرنسا والنمسا . وكان الدلماتيون فيما سبق ارثوذكساً ولكن تناوب الحكومات غير الارثوذكسية عليهم حول مجرى افكارهم نحو الكثلكة وبتاثير تعصب الحكومات حرموا في القرن الثامن عشر من اسقف ارثوذكسي يدير شؤونهم الروحية . فلاذوا احيانا باساقفة السرب وطورا باساقفة البوسنه والهرسك فلما استولى الفرنسويون على دلماثيا (١٨٠٨ سمحوا لهم بانشاء اسقفية فاسسوا اسقفية في سبينن (١٨١٠) فلما تحولت دلماثيا الى اوسترياً (١٨١٥) خضعت لمطران كارلوفتس ولكن انتقل مركز الاسقف الى زلرا (جادرا) (١٨٤١) ثم اسست اسقفية اخرى في كاطارو

(١٨٧١) وكلتا الاسقفيتين كانتا خاضعتين لمطران بوكوفين فلما انتهت الحرب انبعث منربها العظمى . وقد اتبع الكثلكة من الدلماتيين نحو ثلاثمائة الف ولم يبق منهم على الارثوذكسية ازيد من ثمانين الفاً

١١) بلغاريا

ان الشعب البلغاري الذي تنصر في القرن التاسع وتنظمت شؤونه الروحية في ايام الامير سمعان (✠ ٩٢٧) استقل عن رئاسة البطريرك القسطنطيني (٩٣٠) واعترفت كنيسة القسطنطينية بدميانوس رئيس اساقفة دورستول (سليستريا) رئيساً على الكنيسة البلغارية ينضوي الى ادارته ٣٠ اسقفاً بلغارياً . ولكن لما استولى اليونان على بلغاريا كلها (١٠١٩) ضاع استقلال الكنيسة البلغارية فلما اعاد البلغار استقلالهم (١١٨٥) انشأوا اسقفية جديدة في ثرنوفا قاعدة بلغاريا وقتئذ عدا اوخريدا التي دخلت ضمن نطاق مملكة بيزانطيه ولما تعاظمت بلغاريا وتصاغرت بيزانطيه في القرن الثالث عشر اضطرت بطريركية القسطنطينية ان تعترف باستقلال رئيس اساقفة ترنوفا (١٢٣٤) . فلما سقطت بلغاريا بيد الاتراك (١٣٩٣ — ١٣٩٨) الحقت ترنوفا بالقسطنطينية بعد ما تحولت كاتدرائيتها الى جامع . اما اوخريده فظلت مستقلة روحيا كالسابق الى سنة ١٧٦٧ حينما خضعت لصموئيل الاول الشهير التماساً لموازرته وفي مدة عبودية البلغار (من القرن ١٥ — ١٩) ضاع كثيرون من البلغار جنسيتهم ومذهبهم فبعضهم تتركوا او ترووا وبعضهم دانوا

بالاسلامية او انحازوا الى الباباوية . على ان ضغط اليونان الشديد على العنصر البلغاري ولد في نفوسهم نفرة من البطريركية القسطنطينية فقاموا يطلبون الاستقلال الروحي مدة طويلة . ونالوه بعد مناضلات استمرت ١٢ سنة (١٧٦٠-١٧٧٢) لكن البطريركية القسطنطينية لم تصدق على ذلك بل بالعكس قاومتهم جهدها وحرمت الاكسرخوس وسائر اساقفة البلغار اما البلغار فلم يبالوا بالحرم المذكور واستمروا على استقلالهم

وظلت البطريركية تقاومهم حتى سمحت الحكومة التركية (١٨٩١) بارسال مطارنة بلغار الى ابرشياتهم مزودين بالبراءات الرسمية . وبلغ عدد الارثوذكس في بلغاريا نحو اربعة ملايين في عشرين ابرشية يديرشؤونها مجمع يرئسه رئيس اساقفة العاصمة (صوفيا)

١٢) جورجيا او بلاد الكرج

هي مقاطعة كبيرة موقعها ما بين جبال القوقاس واراراط من الشمال الى الجنوب وما بين قزوين والبحر الاسود من الشرق الى الغرب ومساحتها ٣٥٬٥٠٠ ميل مربع وعدد سكانها بحسب احصاء سنة ١٩١٥ / ٣٬١٧٦٬١٥٦

دخلتها المسيحية في النصف الاول من القرن الرابع بواسطة نينا الاسيره السورية التي تنصر بواسطتها ميرمان ملك الكرج وانضم حقل جورجيا الى البطريرك الانطاكي لانهم قبلوا المسيحية بواسطته واول اسقف تعين لهم انما هو يوحنا السوري وفي سنة

٤٤٨ عين لهم جاثليق كرجي اسمه بطرس واعطي حقوق الكنائس المستقلة عدا انتخابه وشرطونيته اللذين انيطا بالبطريرك الانطاكي وقسمت آنئذ بلاد الكرج الى ١٢ ابرشية على عدد الرسل اقيم عليها اساقفة كرجيون وفي هذا العهد انشأ الملك فاختانغ الاول مدينة تفليس التي اتخذت عاصمة للمملكة وكانت مركز السلطتين الدينية والمدنية.

وظلت جورجيا خاضعة للبطريرك الانطاكي الى القرن الحادي عشر حينما هاجمت العصابات الاسيوية بلاد الكرج واستولى السلاجقة على تفليس (١٠٨٨) فانقطعت العلاقات بينها وبين الكرسي الانطاكي (الذي كان قد سبق فخول الاساقفة الكرجيين حق شرطونية الجاثليق في القرن السابع بسبب تعذر السفر ما بين جورجيا وانطاكية واكتفى وقتئذ باخذ الرسوم كل ثلاث سنوات مرة) فاعلن الجاثليق ملشيصاداق نفسه رئيسا اعلى على جورجيا وصدق على استقلاله البطريرك بطرس الثالث الانطاكي المعروف في التاريخ بوداعته ومحبته للسلم

على ان ملوك الكرج عادوا فحرروا البلاد من سلطة السلجوقيين وانتعشت في البلاد الكرجية الحياتان الدينية والمدنية في القرن الثاني عشر ولا سيما في ايام الملكة تامار التي يحسب عصرها العصر الذهبي لبلاد الكرج. ولكن القرون التالية الى الثامن عشر كانت قرون بلايا على الكرجيين لتعرض بلادهم لغزوات الطغاة من

المغول والفرس والاتراك الذين استعملوا اشد الاضطهادات لتحويل الكرج عن المسيحية فلم يفلحوا . فلما قويت شوكة روسيا وجاورتهم لاذوا بها فوضعت يدها على البلاد الكرجية فكان اخر ملوكها جرجس الثالث عشر (١٧٩٨—١٨٠٠) وبعد انضمام جرجيا مدنيا الى روسيا التحقت المنطقة المذكورة ايضاً بروسيا كنسيا وكان آخر جثالقتها انطونيوس الثاني الذي استقال (١٨١١) وعين له خلف كرجي سمي اكسرخوساً فلما توفي هذا الاخير توالى بعده على الكرسي اكسرخوسات روسيون وظلوا كذلك الى ان استقلت جمهوريات القوقاس الثلاث ارمينيا وجورجيا واذربيجان (١٩١٧) فحصلت جورجيا على استقلالها الكنسي الذي كانت تصبو اليه ويبلغ عدد الارثوذكس فيها نحو مليون وثلاثمائة وخمسين الفاً

١٣) بولونيا

بولونيا احدى الممالك القديمة المعروفة في التاريخ كانت تمتد من البلطيك شمالا الى البحر الاسود جنوباً ومن الدنيبر شمالا الى الاودر غربا . ظلت بولونيا وثنية الى القرن العاشر حينما تنصر اميرها متسيلاف بواسطة اقترانه بالاميرة دومبروفكا المسيحية واقتفى اثره وزراوه وسائر الرعية وقبلوا الاول عهدهم بالمسيحية النصرانية على المذهب الشرقي ولكن الطقوس اللاتينية حلت محل اليونانية بعد وفاة الاميرة دومبروفكا واقتران الدوق بامراة مكسونية واصبحت الاكثرية الساحقة فيها على المذهب اللاتيني

وتقدمت بولونيا تقدما عظيما في العلم والمدنية على اثر تنصرها ولكن الحروب الاهلية التي حدثت فيها في القرنين الحادي والثاني عشر بسبب التنازع على العرش ادت الى ضعف البولونيين ودخول المغول بلادهم (١٢٤١) على ان زهوها عاد اليها في القرن الرابع عشر في ايام فلادسلاف الاول وكازيمير الثالث فاخذت تمتد حدودها حتى انضمت اليها هنكاريا وبروسيا وليفونيا ووضعت يدها على كورلاندا (١٥٦١)

غير ان الخلاف الذي استحكمت حلقاته بين فريقي الارثوذكس والكاثوليك فيها ادى الى تدخل روسيا بشؤونها ثم استهدفت الى خسارة استقلالها (١٨٤٦) بعد ما تجزات عدة مرات (١٧٧١ و١٧٩٠ و ١٧٩٤ و١٨١٥) لكن البولونيين ظلوا طامحين بنظرهم الى الاستقلال حتى نالوه في الحرب الكبرى وردت البلاد المجزاة الى اصلها فاصبحت بولونيا كسابق عهدها مملكة مستقلة ذات شان يذكر. وباستقلال البلاد طلب الارثوذكس فيها (وعددهم نحو خمسة ملايين) استقلالهم الكنسي فنالوه

١٤) البانيا

الالبان عنصر مهم من العناصر المستقرة في شبه جزيرة البلقان وهم من اقدم الشعوب في اوربا الشرقية وموطنهم شرقي الادرياتيك عددهم يزيد على المليونين وفيهم صفات حسنة منها الشجاعة والنشاط وحسن الدخيلة. بلغتهم المسيحية كما بلغت شعوب

البلقان ولكنهم لم يتعمقوا بدرس اصولها . فلما فتح الاتراك بلادهم قاوموهم لاول وهلة مقاومة شديدة . ولكنهم في آخر الامر حالفوا العثمانيين ودان الاكثرون منهم بالدين الاسلامي . كما ان عددا ليس بقليل منهم انقاد للمذهب الكاثوليكي . والباقون على المذهب الارثوذكسي لا يزيدون عن مائتين وخمسين الفاً نالوا استقلالهم الكنسي (١٩٢١)

وهنالك عدة مناطق ارثوذكسية ينتظر الخبيرون استقلالها منها الكنيسة الصينية التي روي ان اساسها رسولي اذ قيل ان الرسولين فيلبس وبرثلماوس قد وصلا اليها ووجدت في بعض انقاضها اثار مسيحية من الصدر الاول للنصرانية والكنيسة اليابانية التي يزيد عدد الارثوذكس فيها عن مئة الف نسمة يعود الفضل بتنصرهم لجمعية انتشار الايمان الارثوذكسي الروسية . وكنيسة تركستان الشرقية التي يقدر عدد الارثوذكس فيها بستمائة الف ارثوذكسي ونيف . هذا عدا الموجودين في الديار الاميركية شمالا وجنوبا من ابناء الاصقاع الارثوذكسية . كما ان عدة مقاطعات في روسيا لم يتقرر مصيرها بعد

على ان الخبيرين باصول الاجتماع اصبحوا يخشون على الارثوذكسية لتطرف ابنائها بالروح الشورورية التي سادت فيها بحيث يخشى ان يتحول روح الاستقلال الى روح انفصال . وهذا ما انتبه اليه زعماء الارثوذكسية في الايام الاخيرة وطلبوا استئناف عقد مجامع مسكونية لانعاش روح الاتحاد في المناطق الارثوذكسية المستقلة وحبذا الفكرة

ثانياً — الطوائف الشرقية

ان سمو المعاني التي تضمنتها العقائد المسيحية ، وعدم وجود تحديدات لضبط تلك المعاني في الدورين الاول والثاني ، وحماسة المعلمين الاولين وعدم تأني

احدهم على الاخر ، ادت الى ظهور اختلافات في التعبير عن مبادىء المسيحية . وتشبث كل من فريقي المتنازعين بالصورة التي ظنها تـودي المعنى الصحيح . فحدثت عدة انقسامات في الشرق المسيحي ، ادت الى ظهور عدة طوائف شرقية كانت في الاصل طائفة واحدة بالراي والعمل . وتحولت تلك القوة العظيمة المتحدة التي لم تكن تقتحم ، الى اجزاء صغيرة تطرق اليها الوهن والضعف . ولا سيما بعد ما اخذت كل منها تتربص بالاخرى ريب المنون ، وتسعى لتنكيس اعلامهـا بما تصل اليه اليد . وبعد مـا دالت دولة اكبر هذه الطوائف (الامبراطورية الشرقية) شعر الكل بالخطأ الذي ارتكبوه مشتركا البعض بالقسوة والصلف والبعض بالتمرد والعناد وعادوا يفكرون بالوسائل التي تعيدهم الى تلك الوحدة الشريفة . فعسى ان لا تـذهب مساعي المخلصين من زعماء هذه الطوائف ادراج الرياح . اما الطوائف الشرقية التي نشير اليها في هذه العجالة فهي الكلدان والسريان والارمن والقبط والحبش والموارنة . واليك خلاصة تاريخية عن كل منها :

١) الكلدان

الكلدان من اقدم امم الارض (ارميا ٥ : ١٥) وقيل ان لفظة «كسديم» العبرية الواردة في (تك ١١ : ٢٨) انما يراد بها الكلدانيين وقد قلبت اللام سيناً وفقاً للبابلية

في التقاليد الكلدانية انهم بشروا بالمسيح لاول مرة من المجوس وهم عائدون الى بلادهم . ثم مر بهم توما الرسول وهـو ذاهب الى الهند فبشرهم بالمسيح . ثم ارسل لهم خاصة ادي الرسول (✝ ٤٩) الذي نصر ابجر ملك الرها وقومه . وخلفه تلميذه ماري (✠ ٨٢) الذي طاف الاقطار الكلدانية مذيعـاً فيها كلمة الخلاص

ثم اقتفى اثره بضعة رجال احسنوا الجهاد في سبيل المسيحية . منهم ابراهام الكشكري (٩٨-١٢٠) وشمعون برصباعي (٣٢٩-٣٤١) والجثالقة شهدوست (٣٤١-٣٤٣) وبارباعشمين (٣٤٣-٣٤٦) ومنظما الكنيسة الكلدانية اسحق (٣٩٩-٤١٠) وداديشوع (٤٢٠-٤٥٨)

وقد لقي مسيحيو الكلدان اضطهادات عنيفة من ملوك الفرس فوق ما عانوه من اضطهادات الرومان واشهر هذه الاضطهادت الاضطهاد الاريعيني العظيم الذي اثاره سابور ذو الاكتاف (٣٤١-٣٨١) واستشهد فيه عدد كبير من الكلدانيين وقدر عدد الذين فتك بهم سابور بسبعة الاف وسبعمائة

وبالرغم عن هذه الاضطهادات العنيفة ثبت الكلدان في ايمانهم المسيحي بل سعوا في نشره حتى عم العراق والجزيرة والاهواز والفرس وتخطاها الى الهند والصين ايضاً ونبغ منهم علماء وقديسون نحترمهم الكنيسة شرقا وغربا منهم افراهات الساتح ويعقوب النصيبني (✠ ٣٣٨) وعقبشيما الاسقف (اكبسيما) وايتالاها الشماس (ايتالا) (✝ ٣٧٨) وماروتا اسقف ميافارقين

ولكن شان فضيلة الكلدانيين تحزبهم لنسطور بطريرك القسطنطينية (٤٢٨-٤٣١) اذ توهموا ان المجمع الثالث تحامل عليه برئاسة كيرلس الاسكندري . واهم من عمل على نشر الاراء النسطورية في بلاد الكلدان انما هو برصوم اسقف نصيبين (٤٣٥) الذي ظل يسعى في هذا السبيل باجتهاد يفوق التصديق (٤٤٠-

٤٨٥) حتى وطد النسطورية في بلاد الفرس واقنع فيروز شاه ملك الفرس بطرد الارثوذكس من بلاده لتمسكهم بمذهب قياصرة الروم اعداء الاكاسرة، واول من جاهر باتباع تعاليم نسطور انما هو «بابي» جاثليق المدائن الذي اعلن نفسه بطريرك المشرق وانفصل عن الكرسي الانطاكي (٤٩٨) مستقلا بادارة مسيحيي الكلدان

ومن ذلك الحين استقل الكلدان في شؤونهم الروحية ونالوا حظوة لدى ملوك الفرس فصارت بلادهم مهدا للنسطورية وتكاثر عددهم في العراق والجزيرة وكردستان ايضا ويحسب الفضل الاكبر للكلدان في نشر المسيحية في بلاد الهند والصين. على ان التعاليم النسطورية لم تبعد الكلدان عن روح الارثوذكسية فقد ظهر بين اساتذة مدارسهم وجاثالقتهم انفسهم من اعلن اعتقاده بروح ارثوذكسية. من هؤلاء حنانا الحدياني الرئيس السادس لمدرسة نصيبين اللاهوتية النسطورية (٥٧٢–٦١٠) والجاثليق ايشوعياب الثاني (٦٢٨–٦٤٥) الذي اوفدته بوران ملكة الفرس لخطب ود قيصر الروم هرقل فاعلن ارثوذكسيته في القسطنطينية وقدس في كنيستها. وتناول الارثوذكس القربان من يده

ولما سقطت المدائن بيد العرب سنة ٦٣٧ تشتت شمل الكلدان الذين في العراق فاتخذ بعضهم الشرق وجهة لهم ولم يستقروا الا في الصين حيث كان الجاثليق يشوعياب الثاني المذكور اعلاه قد سبق فارسل مبشرين اليها (٦٣٥) فاحسن ملك الصين استقبالهم

وسمح لهم بالسكنى في بلاده واصدر سنة ٦٣٩ منشورا اعطى فيه الحرية للمسيحيين وسمح لهم بتشييد كنيسة فاذاعوا المسيحية في في الصين

لكن العرب بعد الفتح الاسلامي احسنوا معاملة النصارى فاطمأنت خواطر الكلدان واستقر قدمهم في البلاد ونالوا حظوة في عيون الخلفاء ولا سيما في ايام العباسيين (٧٥٠-١٢٥٨) فزهت مدارسهم في نصيبين وسلوكية وترجموا للخلفاء عدة مؤلفات نافعة من اليونانية الى العربية

وفي القرن الثاني عشر اجتذبوا الى الايمان المسيحي امراء التتر المعروفين بالكيرايت القاطنين جنوبي بحيرة بيكال واحد امراء هذه القبيلة المدعو اونك او فانكخان هو اساس الاشاعة التاريخية عن عظمة مملكة الشيخ يوحنا (١١٤٤) والرابع من هؤلاء الامراء خضع لجنكزخان المغولي (١٢٠٢) الذي احسن معاملة النساطرة . وظل هؤلاء على نمو الى ايام تيمورلنك (١٣٦٩-١٤٠٥) الذي حصرهم في بقعة ضيقة حوالى كردستان

ومن هذا الوقت ظهر ضعف النساطرة واخذوا يخطبون ود الكرسي الروماني التماساً للمساعدة ثم ينقلبون عليه . ظهر الانقسام فيما بينهم في القرن السادس عشر . بداعي قانون سنه شمعون الرابع (في اواخر القرن الخامس عشر) يقضي بحصر الخلقة في اسرته ، فلما توفي شمعون السابع سنة ١٥٥١ خلفه من اسرته شمعون برماما فرفضه

الحزب المعاكس واختار يوحنا سولاقا الذي اقتبل رتبته من البابا يوليوس الثالث (١٥٥٣) واتخذ هولاء مقرا لهم سعرت او ارومية اما جثالقة النساطرة فاتخذوا القوش (قرب الموصل) مقرا لهم وظلوا يتولون المنصب كابرا عن كابر الى سنة ١٨٠٢ حينما انحاز ايليا الثالث عشر الى المذهب الروماني واستلم زعامة النساطرة جثالقة قوجانس. و بداعي القانون الذي يحصر الجثلقة في الاسرة لم يبق من يتولى هذا المنصب الا الاحداث فتولاه (١٩٠٤) شاب اسمه بنيامين قتل اثناء الحرب العامة (١٩١٨) وعمره ٣١ سنة ثم خلفه شمعون بولس وتوفي (١٩٢٠) وهو دون العشرين سنة . ثم خلفه شمعون ايشاي (يسى) الحالي وهو في الرابعة عشرة من عمره

و بالنظر لفقر هذه الطائفة و بعد ابنائها عن مناهل العرفان ، لعبت بهم ايدي سبا فانضم منهم عدد كبير الى الكاثوليك وعدد ليس بقليل الى البروتستان وسنة ١٨٩٨ انضم منهم الى الارثوذكس بواسطة المجمع المقدس الروسي نحو ثلاثين الفاً . وقد نقص عددهم كثيرا بسبب التعدديات الكثيرة التي تنتابهم من مجاوريهم . فقد قتل منهم الاكراد سنة (١٨٤٦) عددا كبيراً وضحي منهم في الحرب العمومية عدد كبير حتى اضطروا ان يهجروا بلادهم و يلجأوا الى القوى الروسية. وظلوا يعانون الشقاء تحت سلطة البولشفيك حتى مات كثيرون منهم والباقون تمكنوا من العودة الى بلادهم في السنة الماضية ورأيناهم بذاتنا بعضهم ارثوذكساً و بعضهم كاثوليكياً و بعضهم

بروتستانتاً وبعضهم لا يزالون على مذهبهم القديم. ويبلغ عدد الباقين منهم على النسطورية نحو ٣٠ الفاً معظمهم في العراقين العجمي والعربي ويدير شؤونهم الجاثليق شمعون ايشاي الموجود موقتاً في الموصل يعاونه اربعة اساقفة احدهم يسمونه السايوم (الراسم) لانه هو الذي يسيم الجاثالقة والثاني يقيم في الهند لادارة شؤون النساطرة فيها واسمه ايموتاوس وهو اقدر النساطرة واكثرهم خبرة يتقن الكلدانية (السريانية الشرقية) والانكليزية (١)

مشاهير النساطرة

يتخيل القارىء لاول وهلة ان الحمول ضرب اطنابه بين النساطرة بعد انفصالهم وانزوائهم في المشرق والواقع خلاف ذلك فقد نبغ فيما بينهم علماء مشاهير ومولفون يشار اليهم بالبنان بعضهم تخرجوا في مدرسة الرها وبعضهم في مدرسة نصيبين واليك طائفة من المذكورين

نرساي الملفان الذي نظم مدرسة نصيبين واستلم ادارتها العليا (٤٥٧—٥٠٢) وابراهام الكشكري المعروف بالكبير الذي وضع قوانين الرهبنة للنساطرة في القرن السادس . ايشوعياب الحديابي البطريرك (٦٥١—٦٦٠) الذي ترك مولفات كثيرة احصى منها عبد يشوع الصوباوي ١٦ مجلداً . وايموتاوس الاول الكبير (٧٧٨—٨٢٣) الذي نقل كرسي الجاثلقة «من سليق وقطيسفون» المدائن الى بغداد . وايليا الجوهري مطران دمشق (٨٩٣) الذي الف كتاباً في فقه

(١) وعنه اخذنا قسماً من المعلومات التي لخصناها عن النساطرة بواسطة صديقنا العلامة السيد سويريوس افرام مطران السريان الارثوذكس في سوريا واستعنا على الباقي بما كتبه بافيديس واكليمس داود وادي شير وسواهم ممن يؤخذ بقولهم

البيعة بالعربية الفصحى وحاول التوفيق بين مذاهب النصرانية الثلاثة النسطورية واليعقوبية والملكية مبينا ان الفرق بين هذه المذاهب بالمسيح انما هو لفظي لا معنوي . وجرجس اسقف اربل والموصل (٩٤٥) الذي شرح اسرار الكنيسة وطقوسها وايليا بن شيني اسقف نصيبين الذي نبغ في القرن الحادي عشر وله مولف جدلي في اللغة العربية الفصيحة تضمن مناظرته مع احد علماء المسلمين . وابو الفرج عبدالله ابن الطيب (توفي ١٠٤٣) الذي وضع بالعربية تفسير الكتاب المقدس وكتابا في الفقه الكنسي . وماري بن سليمان القسيس الذي وضع بالعربية الفصيحة تراجم بطاركة النساطرة وله كتاب المجدل اللاهوتي المشهور وهو من نوابغ النساطرة في القرن الثاني عشر . وايليا الثالث البطريرك (١١٧٦ — ١١٩٠) المعروف بابي حليم صاحب الخطب العربية البليغة المشهورة . وخميس بن قرداح صاحب الميامر السريانية التي يتلوها النساطرة في كنائسهم . وعبد يشوع الصوباوي (١٢٩٠—١٣١٨) الذي خلف مولفات كثيرة نفيسة منها تفسيره للاسفار المقدسة «والفردوس» الذي اودعه اسرار اللغة السريانية وفنونها . كما فعل الهمذاني والحريري في مقاماتهما وله كتاب في الفقه الكنسي جمع فيه وهو معتمد النساطرة في كنسياتهم . وعمرو بن متى العالم النسطوري المشهور الذي نبغ في اواسط القرن الرابع عشر اشتهر بكتابه المجدل الذي توسع فيه اكثر من مجدل ماري بن سليمان والف سلسلة ابطاركة النساطرة ضمنه ما ذكره ماري مع تعليقات عليها واضاف من اتى بعده الى ايامه . ويشوعياب بن مقدم مطران اربل والموصل الف (سنة ١٤٤٤) كتاب نحو سرياني منظوم على الوزن السباعي وله عدة قصائد واحاجي محفوظة في مكاتب سعرت . والقس صليبا بن داود المنصوري الشاعر (١٥١٠—١٥٢٢) له عدة قصائد في التوبة والموت وفي اساتذة اليونان . والاسقف يوسف الذي نظم مدراشا يرثي به البطريرك ايليا السابع (١٥٩١)

ومن مشاهير بطاركة الكلدان في الحقبة الاخيرة شمعون باصيدي (١٤٣٧

١٤٧٢) ذو المطامح العالية الذي اصدر قانونا بحصر الجثالقة في اسرته (١٤٥٠) فسبب انقسام الطائفة وتبددها . وايليا الخامس (١٥٠٢—١٥٠٤) الذي اهتم بمسيحيي مالابار وسام لهم ثلاثة اساقفة . ويشوعياب صاحب الغرامات ابن القس ايليا الموصلي الذي نبغ في اواسط القرن السادس عشر . وشمعون الحادي عشر (١٦٢٥—١٦٥٦) الذي نال من السلطان ابرهيم العثماني حق الحكم المدني واستمر الحكم بيد الجثالقة ١٢٠ سنة (١) . وشمعون يونان جاثليق قوجانس (١٧٨٠—١٨٢٠) الذي استلم زعامة النساطرة بعد ما انحاز ايليا الثالث عشر الى الكثلكة (١٨٠٢) وشمعون بنيامين الذي قتل في بلاد العجم (١٩١٨) لتصديه للدفاع عن رعيته

اما مذهب النساطرة في الحاضر فليس كما قرأ عنه الناس من خصومهم . ولعل نوابغ النساطرة هذبوه فاصبح في حالته الحاضرة ليس بعيدا عن الارثوذكسية بسوى اللفظ فانهم بالرغم عن قولهم ان في المسيح اقنومين كما ان فيه طبيعتين . لكن هذين الاقنومين صار منهما روية واحدة او حسب التعبير اليوناني «بروسبون» واحد . ومن هذا يظهر ان ما نسميه نحن اقنوماً يسمونه هم روية وما ندعوه طبيعة يسمونه اقنوماً وهذا اصل الخلاف الذي لا يتجاوز اللفظ . قال العلامة كيريا كوس استاذ اللاهوت في جامعة اثينا : اذا صرفنا النظر عن البدعة النسطورية — التي لا وجود لها الان بين الكلدان والتي يتوهمها الناس فيهم — نرى انهم يتفقون في سائر القضايا مع الارثوذكس مما يدل على ان مصدرهم ارثوذكسي ومع ذلك لم يهتم احد بعد في سبيل مصالحة هاتين الكنيستين وتقريب قلوب احداهما نحو الاخرى »

---

(١) نقل لنا هذه الرواية عن كتاب رآه بمارديين السيد سويريوس افرام

٢) السريان

السريان هم احفاد الاشوريين القدماء لهم في التاريخ القديم ذكر لامع فقد بسطوا سيطرتهم آنذاك على الديار الشرقية وما برحت آثار سوددهم ظاهرة بما بقي من مكتوبات لغتهم سواء كان في الطروس الرقية او المكتشفات القديمة

وقد اخذ السريان المسيحية في القرون الاولى في نفس الوقت الذي سرت فيه المسيحية الى كلدان. ويتفق الفريقان على مشاهير الشرق وقديسيه لاعتبار الطائفتين واحدة قبل ظهور النسطورية والمونوفيزيتية. ومستقر السريان كان لاول عهدهم بالمسيحية فيما بين النهرين وشمالي العراق وكردستان وسوريا وكانت الرها مركز العلوم الدينية والدنيوية للسريان. ثم جاء وقت قسمت فيه البلاد السريانية الى قسمين عرفت عند اصحابها بالغربية والشرقية. يفصل بين القسمين الفرات فما كان الى غربيه فهم السريان الغربيون والباقون الشرقيون. وقد نبغ من طائفة السريانية كثير من العلماء والقديسين ما برحت الكنيسة تحترمهم في الشرق والغرب منهم القديس افرام السرياني (✠ ٣٧٨) واسحق الشيخ (شتهر سنة ٣٨٠)

وكان السريان لاول امرهم خاضعين للبطريرك الانطاكي كسائر طوائف المشرق فلما ظهرت المونوفيزيتية وحرمت في المجمع الخلكيدوني (٤٥١) خيل للسريان ان المجمع في عمله هذا مال للنسطورية فاستاءوا جدا وبتأثير رصوم الارشمندريت (✠ ٤٥٨)

الذي يعتبره السريان قديساً وصانع عجائب ثاروا على المجمع الرابع ورفضوا قراراته . وظهر في تلك الآونة بين السريان نوابغ صرفوا مواهبهم لتوسيع شقة الخلاف بين فريقي المتنافرين. منهم فيلوكسينوس (اخسنايا) اسقف منبج (٤٨٥-٥١٨) نابغة عصره في اصناف العلوم وسويرس البطريرك الانطاكي (٥١٢-٥١٨) الخطيب المصقع والمنشئ المجيد ويعقوب زلزل (البرادعي) اسقف الرها (٥٤١-٥٧٨) ذو العزيمة الحديدية التي لاتفل . كما ان القياصرة الارثوذكس استعملوا الشدة في رد السريان الى وحدة الايمان فنفر السريان من هذه المعاملة. ومكنهم من متابعة الانفصال ميل بعض القياصرة الى المونوفيزيتية وهكذا تم انفصال المونوفيزيت عن الارثوذكس وبعد انفصالهم انقسموا الى ثلاث طوائف السريان في ما بين النهرين وما وليها والارمن في الاناضول الشرقي والقبط في مصر وعرفت السريان طائفة مستقله منذ القرن السابع . فنبذوا المجمع الخلكيدوني نهائيا وقبلوا المجمع الافسوسي المعروف باللصي (٤٤٩) واعتقدوا بطبيعة واحدة في المسيح بعد الاتحاد وفي القداس الالهي يستعملون كالكلدان الخبز الخمير ممزوجاً بزيت وملح ويرسمون الصليب باصبع واحدة

فلما ظهر العرب وامتدت فتوحاتهم الى الشمال اصبح السريان تحت سلطتين بعضهم خضعوا للعرب في الشرق والاخرون خضعوا لبيزانطية في الغرب . وهؤلاء الاخيرون تحسنت حالتهم شيئاً فشيئاً

مع القياصرة . وقد اعلن كثيرون من زعمائهم الارثوذكسية . منهم بولا الثالث الحبشي (٥٤١ – ٥٧١) الذي قطن في القسطنطينية وعلى اثر مناظرة حصلت بينه وبين يوحنا السرمي بطريرك القسطنطينية (٥٦٥– ٥٧٨) اعلن بولا ارثوذكسيته واتحد اثنان من اساقفته بالكنيسة

وكان بطاركة السريان في اول الامر يقطنون في قرى انطاكية وحلب وحران والرقة والرها وظلوا كذلك الى ايام يوحنا التاسع (٩٦٥–٩٨٦) الذي استقدمه نيكيفور الى قرب ملاطية فبنى ديرا على نهر البارد واتخذه مقرا لنفسه وسمي دير البارد . وارادنيكيفور بهذا استمالة السريان الى الارثوذكسية ومصالحتهم بواسطة احسانه معاملتهم . غير ان هذه المساعي لم تسفر عن النتيجة المرغوبة . فقد حصلت مناظرة في القسطنطينية (١٠٢٩) بين يوحنا بن عبدون بطريرك السريان (١٠٠٤–١٠٣٢) وعدد كبير من اساقفته وقسوسه مع الارثوذكس بشان الطبيعتين . لم تؤد الى نتيجة وظل كل متشبثاً برايه

غير ان النزاع الذي حدث على البطركية فيما بين اثناسيوس السادس (١٠٥٨) وبين يشوع برشوشان (١٠٦٣) في ايام قسطنطين دوقا (١٠٥٩– ١٠٦٧) والتحامل الذي وقع على اثناسيوس مدة خمسة اعوام . ادى الى لواذه بدير ارثوذكسي في ملاطية وانضمام ستة عشر الفاً الى الارثوذكسية منهم بطرس ابن الطويل مطران مرعش .

وكان ذلك سنة ١٠٧٢

وبعد مئة سنة من هذه الحادثة اهتم الامبراطور مانوئيل بمصالحة السريان مع الارثوذكس فارسل لكل من جاثليق الارمن وبطريرك السريان رسالة يستدعيهما للمصالحة مع الارثوذكسية بواسطة البطريق ثيودوريان فلما اجتمع رسول الامبراطور بايو انيس الخيشومي وثيودورس بن وهبون • وفد بطريرك اليعاقبة في روم قلعه وجرت بينهم مجادلات كثيرة • سلم بطريرك السريان ببعضها ورفض البعض الآخر وانتهت المقابلة بعدم الحصول على نتيجة تامة

وقد احصى بعض المولفين ابرشيات السريان سنة ١٠٧٣ فبلغت ١٧ مطرانية و ٤٦ اسقفية ولكن هذا العدد تناقص بعد مدة فال مولفا اخر يحصيهم ١٤ مطرانية و ٣٨ — ٤٥ اسقفية

على ان السريان تحت الضغط الشديد الذي وقع عليهم دان كثيرون منهم بالاسلامية ثم ارتدوا من هولا • المفريان اغناطيوس بن قيقي (٩٩١) اسلم في بغداد ثم ادعوى (١٠١٦) والف ميمرا موثرا يظهر فيه ندامته والبطريرك اغناطيوس يشوع الاول (١٥٠٩ — ١٥١٠) اكره على الاسلامية ثم ندم وهرب الى قبرص حيث اظهر توبة عميقة فوضع عنقه للداخلين والخارجين الى الكنيسة ليدوسوه • واغناطيوس نعمة الله (١٥٥٧ — ١٥٧٦) كان بين يدي والي ديار بكر مرة فرفع هذا عمامته ووضعها على راسه وقال لمن حوله • قد اسلم البطريرك • ففر هذا ولاذ بالباباغريغوريوس الثالث عشر

واشد المحن التي مرت بالطائفة السريانية انما هو الانشقاق الكبير الذي ظل نحو ثلاثة قرون متتابعة فقد بدا الشقاق بعد وفاة ميخائيل الكبير (١٢٠٠) بين اثناسيوس التاسع وميخائيل الثاني وانشطرت به الطائفة السريانية شطرين. فتبع الاول اهالي سوريا وطور عبدين وبلاد الروم وتبع الثاني اهالي تكريت والموصل ونصيبين وماردين والخابور، وسبب الانقسام ان الاساقفة ساموا الاول بطريركا بدون حضور المفريان (١) فنقم هذا عليهم واقام يشوع سفتانا ابن اخي ميخائيل الثاني ولم يكن هذا غاية الرزية بل اتسعت شقة الخلاف في اواخر القرن الثالث عشر وانقسمت الطائفة ثلاثة اقسام تحت رئاسة ثلاثة بطاركة احدهم وهو الاصلي يقيم في ماردين والثاني في كيليكيا والثالث في طور عبدين وظلت بطركية كيليكيا ١٥٢ سنة الى ان الغاها بهنام الاول (١٤٤٥) وبقيت بطركية طور عبدين نحو ١٣٠ سنة الى ان الغاها نوح البقوفوي (١٤٩٦)

هذه المحن التي ابتليت بها الطائفة السريانية اضعفت فيها روح الاستقلال الذي انما تعززه الوحدة ويميته الانقسام. فاخذوا يميلون الى كل من يدون فيه قوة يستمدونها لمقاومة ابناء جنسهم فدان

(١) مفريان كلمة سريانية معناها المثمر يطلقونها على كبير اساقفتهم الذي كان يقيم في تكريت وهو عندهم بمنزلة السايوم عند النساطرة لانهم تولية البطاركة بدونه

بعضهم بالاسلامية وانضم بعضهم الى الارمن ولاذ بعضهم بالحبر الروماني وكان اندراوس اخيجان اول من اعترفت به الحكومة بطريركا للسريان الكاثوليك (١٦٦٤) لكن هذا لم ينه النزاع بل زاد نار الخصام اضطراما. واشتد العراك بين الفريقين حتى كل كل منهم. واصبحت الطائفة السريانية شطرين مستقلين احدهما متشبث بتقليدات اسلافه والاخر مذعن لرئاسة الحبر الروماني. وقد نكبوا في الحرب العامة نكبة عظيمة كسائر طوائف المشرق فذهب منهم نحو ثمانين الف نسمة بعضهم استشهدوا لانهم مسيحيون وبعضهم ماتوا بتاثير الجوع والامراض وسائر النكبات التي وقعت بداعي الحرب. ويقدر عدد الباقين في الشرق ب ١٢٠ الف نسمة منتشرون في العراق وما بين النهرين وسوريا وفلسطين

غير ان منهم عددا لا يستخف به في الهند في ولايتي كوتشين وتراونكور يبلغ عددهم بموجب احصاء سنة ١٩١١ نحو ٣٣٥ الف نسمة في سبع ابرشيات اساقفتها من الهنود انفسهم وعندهم قاصد بطريركي شرقي برتبة مطران

والسريان شعب نشيط عامل مقتصد لذلك قلما ترى فيه متسولا. وبالرغم عن الازمات الشديدة التي مرت به فما برح محافظاً على مركزه الاقتصادي لحبه الدأب في العمل وبعده عن تقليد الغربيين بالاسراف والبذخ

مشاهير السعاقبة

وان كان النوابغ بين السريان اقل عددا من نوابغ النساطرة لكن السريان كانوا اعلى كعباً في العلم . مكنهم من حسن التحصيل درسهم اللغات الاجنبية ولا سيما اليونانية منها . وقد انشاوا عدة مدارس عدا مدرسة الرها من اهمها مدرسة دير قنسرين واليك طائفة من نوابغ السريان المشهورين :

احوداي (اخو امه) اول مفريانات السريان (٥٧٥) توما الحرقلي الذي ترجم العهد الجديد من الاصل اليوناني الى السريانية (٦١٦) . يعقوب الرهاوي المشهور بكل علم وفن (٧٠٨) ديونيسيوس البطريرك المؤرخ (توفي ٨٤٥) . موسى بركيفا المعروف بابن الحجر اسقف الموصل الذي الف كتباً كثيرة لاهوتية من اهمها « الفردوس » (توفي ٩٠٣) . وابن عدي (يحيى بن حميد التكريتي) الذي من اهم مولفاته دفع اعتراضات المسلمين على المسيحية باللغة العربية (٩٧٤) . وابو نصر يحيى بن الحريري التكريتي الذي كتب في اصول الديانة المسيحية (١٠٤٠) . وديونيسيوس بن صليبا اسقف ديار بكر الذي فسر كل الكتاب المقدس تقريبا مستمدا شروحه من مفسري اليونان والسريان الاقدمين عدا ما كتبه في التثليث ودفع اعتراضات خصوم السريان (توفي ١١٧١) . والبطريرك ميخائيل الكبير الذي اشتهر بتاريخه الكبير الذي يستمد مولفو السريان اكثر معلوماتهم عنه (توفي ١٢٠٠) وابو الفرج ابن العبري اشهر مولفي السريان بلا منازع (توفي ١٢٨٦) الف اكثر من ثلاثين كتابا بالسريانية والعربية كلها قيمة يعتبرها عدا السريان جمهور الكتاب لاجل منزلتها التاريخية وفي كتابه الجامع اظهر نزاهة قلما ابرزها غيره من المولفين اعتذر فيه عن امرضه لسائر المذاهب المسيحية واعلن انها وان اختلفت في الظاهر فهي لا تتباين في الجوهر

وبعد ابن العبري لم يظهر من يضارعه في علمه حتى قال بعضهم : ان مصباح العلم عند السريان طفىء بموت ابن العبري

وممن يجدر بالذكر بعد ابن العبري ابن وهيب له نافورة يخدم السريان القداس

يوحنا (توفي ١٣٣٣) والبطريرك يهنام الاول الحسني له قصائد بالسريانية ونافورة حسنة (توفي ١٤٥٤) وهو الذي الغى بطركية كيليكيا والبطريرك نوح البقوفادي الذي كان مطرانا على سريان حمص الى سنة ١٤٩٠ ثم ذهب الى ماردين بدعوة من البطريرك وسنة ١٤٩٤ توفي سالفه فتسنم السدة باجماع السريان . له ديوان شعر سرياني حسن ورسالة تاريخية توفي ١٥٠٩) . و باسيليوس عبدالغني المنصوري مفريان المشرق (توفي ١٥٧٤) له نافورة مطولة تدل على تضلعه في السريانية و يوحنا بن غرير اسقف الشام (توفي ١٦٨٧) الذي خلف عدة مولفات جدلية و باسيليوس شمعون مفريان طورعبدين استشهد سنة ١٧٤١ لمحافظته على مبداه الديني له عدة مولفات لاهوتية جدلية منها سلاح الدين وترس اليقين ومركبة الاسرار العقلية» والخوري يعقوب القطربلي (توفي ١٧٨٥) صاحب كتاب «زهرة المعارف» في النحو السرياني (١)

(٣) الارمن

الارمن هي احدى الطوائف الشرقية القديمة ويذهب الارمن استنادا الى تقاليد قديمة انهم اخذوا المسيحية عن الرسولين تداوس وبرثلماوس وان الاول نصر ابجر ملكهم في الرها . على ان الامر الثابت الذي لا يمارى فيه ولهم حق الافتخار به هو ان اول ملك مسيحي انما هو ترديات ملكهم الذي تنصر بارشادات غريغوريوس المنير سنة ٣٠١ يعني قبل منشور ميلان الذي اطلقت فيه حرية الاديان باثنتي عشرة سنة واعتبرت الامة

(١) اخذنا قسما من معلوماتنا عن السريان من السيدين يوليوس بطرس مطران سريان حمص سابقاً والعلامة سويريوس افرام مطران سريان حمص حالا واستمدنا الباقي من بافيديس وابن العبري واكليس داود وسواهم

الارمنية من ذلك التاريخ طائفة مسيحية . نال غريغوريوس المنير رسول الارمن الشرطونية من ايوندیوس متروبوليت قيصرية كبادوك سنة ٣٠٢ وتولى من ذلك التاريخ الرئاسة الروحية على الامة الارمنية حيث ظل على راسها مدة ربع قرن نظم فيه الكنيسة الارمنية احسن تنظيم ولما توفي سنة ٣٢٥ (قبيل عقد المجمع النيقوي) كان عدد الابرشيات المسيحية نحو اربعمائة . فتابع عمله اولاده وحفدته الذين يعتبرهم الارمن قديسين وهم ارستاك (استشهد ٣٣٣) وفرطانيس ابن غريغوريوس البكر (✠ ٣٤١) واوسيك بن فرطانيس (استشهد ✝ ٣٤٧)

على ان نجاح المسيحية وتوطدها في ارمينية انما تم بعد ما ترجم الكتاب المقدس الى اللغة الارمنية بواسطة النابغة الارمني الكبير القديس مسروب الذي كان تلميذا للبطريرك نرسيس (٣٥٣ — ٣٧٣ وكاتما لاسرار الملك . هذا بالاتفاق مع البطريرك اسحق الكبير (٣٨٩ — ٤٢٨) باستمداد معاونة الملك توفق الى اختراع الحروف الهجائية التي يفاخر بها الارمن سائر اللغات لتضمن حروفها الـ ٣٨ جميع المقاطع التي يمكن للانسان التلفظ بها دون الاستعارة من لغة اخرى . ولما قرر الاعتماد على الحروف المشار اليها باشر الترجمة كل من القديسين اسحق ومسروب ونخبة من التلامذة يبلغ عددهم ١٦٠ فترجموا العهد القديم من اللغة اليونانية الى الارمنية عن النسخة السبعينية التي ارسلت لهم نسخة منها بطركية القسطنطينية وبدئ

في القرجة سنة ٤٠٤ وتمت سنه ٤٣٣ ثم اخذوا يترجمون الخدمة الالهية وسائر الصلوات الكنسية عن ليتورجيا كنيسة قيصرية التي وضعها باسيليوس الكبير

وظلت علاقات الارمن مع الكنيسة الارثوذكسية حسنة الى ان ظهرت بدعة اوطيخا التي اريد بها مقاومة البدعة النسطورية ولكن مبتدعها تطرف في رايه فشذ عن الصواب فحكم عليه ايضاً في مجمع خلكيدون (٤٥١) كما حكم على نسطور في افسس (٤٣١) غير ان الاضطرابات السياسية التي كانت حاصلة آنئذ في بلاد الارمن — اذ اجتاح يزدجرد الثاني (٤٣٨–٤٥٧) بلادهم وساق كثيرين من الاساقفة اسرى الى بلاد الفرس — لم تمكن الارمن من حضور المجمع الرابع . فاغتنم هذه الفرصة اعداء المجمع ولا سيما يوسف الارشمندريت († ٤٥٨) الذي طرده الاباء من المجمع لتحزبه لاوطيخا وتلميذه صموئيل الذي اخذ ينادي في ارمينيا بهمة لاتعرف الملل ان اباء المجمع الخلكيدوني تابعوا نسطور في بدعته . ولما كانت اللغة الارمنية آنئذ لا تحوي الفاظا تضبط المعنى الذي حدده المجمع الرابع خيل اليهم ان الاباء بقولهم طبيعتين ارادوا اقنومين وتاصل هذا الوهم في اذهانهم بتاثير صموئيل المشار اليه فعقدوا مجمعاً في تويين — المدينة التي سبق فاتخذها يوحنا الاول (٤٧٨ — ٤٩٠) مقرا لجاثالقة الارمن منذ سنة ٤٨٤ — وحكموا فيه على المجمع الرابع كنسطوري وبهذا اعلنوا انفصالهم عن الكنيسة وكان ذلك

سنة ٥٥٤

وقد اثرت الاضطرابات السياسية على معنويات الارمن فقد تجزأت بلادهم عدة اقسام وكانت تنقاد غالبا لمن يحكم الجزء الاكبر من البلاد وساد عليها بالتتابع كل من الفرس (٤٢٨ — ٦٣٣) واليونان (— ٦٩٣) والعرب (— ٨٦٢) ففي هذه التقلبات السياسية كانت ارمينيا ساحة قتال. ووقع الارمن تحت تأثيرين متضادين فارضاؤهم لليونان كان يستلزم قبول قرارات المجمع الخلكيدوني في حين ان الفرس والعرب كانوا يطالبونهم بعكس ذلك لكي تنقطع علاقاتهم مع اليونان . هذه الحالة الحرجة لازمت الارمن من القرن السادس الى التاسع واوقفتهم موقفاً حرجا جدا ولدته الحالة السياسية على ان اليونان بالرغم عن حراجة الموقف تمكنوا من اقناع الايبريين بصحة راي المجمع الخلكيدوني بعد ما كانوا واقفين وقفة المتردد وصرح جاثليقهم كوريون بتخطئته مجمع تويين لمخالفته المجمع الخلكيدوني . كما ان يوحنا الباكر اوندي جاثليق الارمن (٥٧٤ — ٦١١) اعلن اتفاقه مع اليونان. وعقدت بعد ذلك عدة مجامع تقرر فيها قبول التعليم الارثوذكسي بشخصية المسيح ولكن دون اشارة الى المجمع الخلكيدوني . وقد حضر القيصر هرقل بذاته مجمع ارزروم (٦٢٨) بعد انتصاره على الفرس ورأس المجمع اسدراس جاثليق الارمن . وظل الارمن على وفاق مع اليونان كل مدة حكمهم فلما استولى العرب على بلادهم (٦٩٣) فترت العلاقات

بتاثير الحكومة التي يهمها انفصال الارمن عن اليونان

ولكن العواطف الودية التي اظهرها الارمن لليونان قد اخذت تذبل في مدة العرب ثم نامت تماماً في ايام الباكرادونيين (٨٥٩–١٠٤٥) لكثرة الاضطرابات التي حدثت في البلاد الارمنية وقد قدر بعضهم ان الذين قتلوا من الارمن في هذه المدة يزيدون عن مئة الف نسمة واضطر كثيرون منهم ان يهاجروا . بعضهم الى القوقاس و بعضهم الى جورجيا واخرون قصدوا اوربا فاستوطنوا بولونيا وملدافيا وفلاخيا وهنكاريا والذين استصعبوا الابتعاد عن الاناضول موطن الاسلاف اتخذوا الجنوب وجهة لهم واستوطنوا كيليكيا وسموها ارمينيا الصغرى . وفي هذه المدة التي كان فيها الارمن امارة صغيرة لها استقلال يناسبها (١٠٨٠–١٣٨٥) حدثت عدة مفاوضات بين الارمن واليونان تحسنت معها العلاقات الودية . وانتعشت روح الولاء بين الفريقين ولا سيما حينما سعى الامبراطور مانوئيل كومنين (١١٤٣–١١٨٠) مع الجاثليق نرسيس الرابع الارمني (١١٦٦–١١٧٣) بعقد مجمع تتوطد فيه العلاقات الحبية بين اليونان والارمن ويتم الاتحاد فبعد المذاكرات التي حدثت فيما بين مندوبي الامبراطور تيوريان اليوناني واوهان الارمني (١١٧٠) اجتمع مجمع روم قلعه الرابع (١١٧٩) وتقرر فيه قبول المجمع الرابع المسكوني وان السيد المسيح بطبيعتين ومشيئتين وفعلين . ولكن وفاة الامبراطور (١١٨٠) وما تلا ذلك من الحملات الصليبية اضطرت الارمن ثانية لقطع العلاقات

مع الكنيسة الارثوذكسية وان يحنوا عنقهم لنير الصليبيين . على ان هذا الاتفاق القسري اخل بزوال اسبابه مبقياً عند الارمن شيئاً من آثاره كاستعمال اساقفة الارمن الخاتم والتقديس على فطير وغير ذلك

ان القرون الستة التي قضاها الارمن بعد خروجهم من تحت سلطة اليونان الى سلطات اخرى كانت قرون امتحانات وشدائد . وحسبك ان الكرسي الاعلى ظل ينتقل من مدينة الى اخرى مدة ٥٤٠ سنة (١) (٩٠١–١٤٤١) لذلك وجدت الارساليات اللاتينية مجالا واسعاً للعمل في حقل الطائفه الارمنية . وقام باعباء التشويقات اللازمة الفرنسيسكان والدومينكان وتلاهم اليسوعيون . فلم يمر وقت طويل حتى لقيت هذه البذور اراضي تستثمرها غير انها كثيرا ما كانت تزهر ثم لا تلبث ان تذوي الى ان كان القرن الثامن عشر . فاعلن الاسقفان ملكون تاسياسيان وابرهيم ارتربفيان عصيانهما على الرئاسة الروحية العليا واتباعهما الكثلكة . فأقامت رومية الثاني بطريركاً على الذين انحازوا للكثلكة (١٧٣٩) وهكذا ظهرت فرقة جديدة رسمية من ابناء الطائفة الارمنية مرجعها الاعلى رومية وقد عرفتها الحكومة بصورة رسمية (١٨٣٠)

(١) بقي الكرسي في توبين من سنة ٤٨٤ الى سنة ٩٠١ ثم انتقل الى تسوراونك (٩٢٨) ومنها الى اختامار (٩٣١) فاركينا (٩٤٣) فآني (٩٩٢) فسيواس (١٠٥١) فزامبنادق (١٠٦٥) فروم قلعة (١١٤٧) فسيس (١٢٩٣) فاخميازين (١٤٤١)

وهذا جرأ البروتستان ايضا على عمل بروباغندا فيما بين الارمن وساعدهم على ذلك الاختلافات الحادثة فيما بين مراكز الارمن الرئيسية فلم يمر وقت طويل حتى تالفت من المنقادين لمبشري البروتستان طائفة خاصة (١٨٤٧) وعانى الارمن في المدة الأخيرة من الام السياسة ما خسرهم عددا كبيرا من ابنائهم ولا سيما ابان المذابح الارمنية (١٨٩٥) ووقت الحرب العظمى (١٩١٤-١٩١٨) والارمن الان يبلغون نحو مليون نسمة في خمسة بطركيات اخيازين وهي مركز الجاثليق وسيس واختامار والقسطنطينية واورشليم

مشاهير الارمن

القديس مسروب (توفي سنة ٤٤٠) الذي اخترع الحروف الهجائية الارمنية

القديس يوسف البطريرك الذي اظهر بسالة فائقة ضد الفرس حينما حاول هولاء اكراه الارمن على المجوسية فاسر واستشهد (٤٥٤)

كيود اراهيز (٤٦١ — ٤٧٨) الذي لم يحوله عن ايمانه لا الاضطهاد ولا النفي ولا السلاح نفسه

يوحنا باكروان (٥٧٤ — ٦١١) الذي اجتهد كثيرا في التوفيق بين الروم والارمن ولكان نجح ولا وقوعه اسيرا بيد الفرس

نرسيس الثالث (توفي سنة ٦٦١) الذي استطاع بحكمته ان يصون موقفه الحرج بين الفرس واليونان

يوحنا الفيلسوف (توفي سنة ٧٢٨) الذي اصلح الكتب الطقسية ووضع للارمن مجموع القوانين الكنسية المعروفة بالحق الكنسي

زخريا نزالك (توفي ٨٧٢) الذي حصلت المكاتبة بينه وبين العلامة

فوتيوس الكبير بطريرك القسطنطينية لاجل الاتحاد

يوحنا الخامس (توفي ٩٣١) الذي عدا تاريخه المضبوط قد عانى الالام في سبيل مركزه وبينما كان يشفع لدى فاتح توبين قاعدة ملوك الارمن حبس وحفظ رهينة حتى فكه قومه بالمال

حنانيا الحكيم (توفي ٩٦٧) الذي قرن بين المقدرتين الدينية والسياسية فحصلت الكنيسة الارمنية بواسطته على شيء من الهدوء والسلام

غريغور الثاني (محب الشهداء) الذي قضى مدة بطركيته (١٠٦٥ — ١١٠٥) في الدرس والمطالعة

نرسيس شينورهالي (اللطيف) (توفي ١١٧٣) الذي قدم خلاصة المبادىء الارمنية في تقرير رفعه للامبراطور مانوئيل كومنين (١١٦٥)

غريغور تاتيف العلامة الكبير (توفي ١٤١٠) الذي ازال الشقاق الارمني واصلح بطاركة اختامار مع سائر الكراسي (١٤٠٩) واحيا المدرسة اللاهوتية الارمنية بسعيه

ايجر الطوقاتي الذي سافر الى اوربا (١٥٦٢) لدرس حالة المطابع المخترعة حديثا ثم انشا المطابع الارمنية في بلاده واصدر اول مطبوعاته في فينيسيا (١٥٦٥) وبعد ذلك تعددت المطابع الارمنية في القسطنطينية واخميازين واصبهان وامستردام التي صدر فيها الكتاب المقدس مطبوعا بالارمنية (١٦٦٦)

موسى (١٦٢١ — ١٦٣٢) صاحب الاصلاحات المهمة في الكنيسة الارمنية

فيليب الاول (١٦٣٣ — ١٦٥٥) الذي اكمل مساعي سلفه بالاصلاح ثم جاب الاصقاع الارمنية فرتب شوون البطركيات وانهى في القدس الشقاق الحاصل بين اخميازين وسيس

شمعون الاول (١٧٦٣ — ١٧٨٠) الذي يعتبر اهم رجل في هذا القرن عند الارمن فانه نظم الاكليريكية وانشأ مطبعة ومعملا للورق واصلح التقاويم الكنسية

ابراهام الاول (١٨٠٩ — ١٨٣١) الذي تنظمت في ايامه الشؤون الطائفية وانشيء اول مفوض طائفي (١٨١٠) . واحسن من يختتم بذكره مشاهير الارمن البطريرك ملاخيا اورمانيان الذي وضع باللغة الافرنسية (١٩١٠) احسن تاريخ للكنيسة الارمنية وعنه لخصنا اهم المعلومات التي اوردناها في هذا الباب

٤) القبط

الاقباط من الشعوب الشرقية العريقة في القدم ، تتصل مدنيتها باقدم ازمنة التاريخ . ويفخر الاقباط بتشرف بلادهم بزيارة الاسرة المقدسة لاول سنة من التاريخ المسيحي (١) وبانهم اخذوا اصول الديانة المسيحية عن القديس مرقس الانجيلي الذي يعتبر كاروز الديار المصرية واول اساقفتها . وتاريخ الكنيسة المصرية في القرون الاولى من ابهج التواريخ لسبوغ عدد كبير فيها من اشهر رجال الدين والعلم وحسبك ذكر اثناسيوس

(١) في تقاليد القبط ان السيد المسيح جاء الى مصر مع والدته ويوسف النجار وسالومي . ومروا بمدينة « بسطه » واتوا الى « سمنود » ثم اجتازوا غربا بجبل النطرون . ولما وصلوا الى الاشمونين اقاموا فيها اياما ثم قصدوا جبل قسقام الذي بني فيه دير العذراء المعروف بالمحرق ، وحينئذ مات هيرودس . فظهر ملاك الرب ليوسف فعاد بمن معه الى مصر ونزل في بابيلون وحل في مغارة قديمة بني عليها دير القديس سرجيوس ثم رحلت الاسرة المقدسة الى المطرية حيث اغتسل افرادها هناك من عين ماء فتباركت وتقدسة ونمت بقربها شجرة بلسم ما برحت موجودة الى الان اهـ

(انظر تاريخ القبط لسليم سليمان جزء اول ص ٢٦٩)

واثناسيوس وكيرلس لتظهر لك منزلة البلاد العلمية الدينية. لكن المناظرة التي حدثت فيما بين الكرسيين القسطنطيني والاسكندري – وكان الفوز فيها سجالاً تارة للاخير كما حدث في المجمع الثالث وتارة للاول كما حصل في المجمع الرابع – كانت ذيولها محزنة اذ انسلخ في الاولى عن الارثوذكسية نصارى المشرق وفي الثانية نصارى مصر ومعهم السريان والارمن

وانما انحاز المصريون لديوسقوروس لانه كان عالما خبيرا، ولانهم تخيلوا تحامل الرومانيين عليه واتهامهم اياه تهمة هو بري منها. ولكن اخذ ديوسقوروس بناصر اوطيخا وصلابته في هذا المسلك ادت الى كره البعض اياه. ولا سيما بعد ما ضحي فلافيان القسطنطيني في مجمع افسس الثاني (٤٤٩) فقام عليه محاربو القسطنطينية وآل ذلك الى نفيه (٤٥١) وموته (٤٥٤)

وقد حافظ المصريون على ولاء ديوسقوروس، فلم يقبلوا بروتيريوس خليفه له واقاموا بدلا منه بطريركا عنيدا اسمه تيموتاوس ايلوروس (٤٥٧). وهذا وسع شقة الخلاف بين الفريقين المتناظرين وادى ذلك الى قتل بروتيريوس وستة من قسوسه. فاستاء الامبراطور وامر بنفي ايلوروس واقام مكانه تيموتاوس الابيض وهو رجل شهد الحزبان بفضله. ولكن باسيلسكوس الاوطاخي المذهب اغتصب العرش (٤٧٦) واعاد ايلوروس الى الكرسي، فلما مات هذا اقام القبط بطرس موغوس مكانه (٤٧٧) فابعده زينون

حال رجوعه الى العرش واعاد تيموتاوس الابيض . وهذا عن سذاجة طوية وحباً يمنع القلاقل التمس من القيصر ان يعطي المصريين حرية لانتخاب بطاركتهم ففعل ؛ فاستقل الاقباط بانتخاب البطاركة ولكنهم بدلا من ان يسيروا في سبيل واحدة اختطوا لهم طريقا اخرى . فانقسمت الكنيسة المصرية الى قسمين قسم حافظ على رابطة الاتحاد مع سائر فروع الارثوذكسية وقسم انفرد بذاته . وقد حاول القياصرة ارغام هذا الحزب على الخضوع للرئاسة الروحية الموالية للكراسي الارثوذكسية الاخرى فلم يفلحوا ونتج عن استعمال الصرامة زيادة نفرة القبط من القياصرة وكرههم لاخوانهم المصريين الموالين لليونان . فالغوا اللغة اليونانية من كنائسهم وسهلوا للعرب سبيل افتتاح البلاد المصرية (٦٤٠) وهولاء مكافأة للقبط على معروفهم ؛ واحتراسا من بقاء يد لليونان في مصر طردوا البطريرك اليوناني وايدوا القبطي (بنيامين) وبقي الكرسي الاسكندري خاليا من بطريرك للارثوام مدة ٩٧ سنة (١) رغما عما ازدان به البطاركة الارثوذكس من الوداعة والتقوى المسيحية مما لم ينكره عليهم كتاب الاقباط انفسهم ومن هولاء البطاركة تيموتاوس الابيض (٤٦٠ – ٤٨٢) وابوليناريوس القائد (توفي ٥٦٩) ويوحنا القائم بالحق (✠ ٥٧٩) وافلوجيوس (٦٠٦) ويوحنا الرحيم (✠ ٦١٩) وسواهم

(١) ابن البطريق جزء ٢ ص ٤٥

على ان مصيبة القبط في الولاة الذين اقامهم العرب على مصر لم تكن اخف وطاة من حكم الامبراطرة . بل بالعكس اذ قد ذاقوا منهم الامرين ولشدة الضغط ثاروا عدة مرات (٧٢٥ و ٧٥٠ و ٨٣٢) ولكن هذه الثورات عادت عليهم باشأم العواقب وزادت الشدة حتى اضطر اكثر الاساقفة للمهاجرة . ودان كثيرون منهم بالاسلامية فرارا من الاضطهاد و بلغ عدة الذين اسلموا في نصف القرن الثامن ٢٤ الفاً وفي سنة ٨٣٣ اسلم اكثر اهالي الطبقة السفلى فصار عدد المسلمين في مصر يوازي عدد الاقباط . وقلد كثيرون منهم عادات المسلمين فاستعملوا الطلاق وتعدد الزوجات والتسري . وممن اهتم باستئصال هذه العادات البطريرك يوحنا النقيوسي (٦٧٧ — ٦٨٦) ومرقص الخامس (١٦٠٢ — ١٦٢٩)

واول صدمة شعر القبط بشدتها انما هي تحويل كتابة الدواوين من القبطية الى العربية (٧٠٦) وتلا ذلك طردهم من الوظائف لاقل سبب . ولكن الحكام كانوا يعيدونهم الى وظائفهم كلما راوا انفسهم بحاجة اليهم كما حصل ذلك مرارا (٨٤٩ و ١٢٧٩ و ١٣٠٠ و ١٣٥٥ و ١٤١٨ و ١٧٨٦ و ١٨٥٤

على ان حياة القبط كانت معرضة للخطر لاقل حادث ففي سنة ١٣٢٠ ثار المسلمون على القبط بتحريض احد الدراويش فهدموا كنائس القدار المصري واحرقوها بالنار واذ قابل هذا العمل بمثله احد الرهبان حصل هياج عظيم لم يستطع الناصر تهدئته حتى سمح

للمسلمين بقتل اي شخص راوه من الاقباط واقفلت معابد القبط مدة سنتين ولم يجسر احد من القبط ان يظهر خارج منزله وظل الامر كذلك حتى ادركت الامبراطور البيزانطي رافة بالاقباط فتشفع فيهم لدى الناصر فكف الاضطهاد ولكن حظر على القبط ركوب الخيل او البغال ولبس العمامة البيضاء تحت خطر القتل. وكان الرعاع يثورون على القبط لاقل سبب فيفتكون بهم و يهدمون كنائسهم وينهبون منازلهم و كثيرا ما كانت الحكومة تشجع هولاء على عملهم هذا وتصدر اوامرها باجبارهم على الاسلامية كما فعل صلاح الدين خليل (١٢٩١ — ١٢٩٤) والصالح (١٣٥٥) والخليفة المتوكل (١٣٨٩)

ولم يكونوا في ايام العثمانيين احسن حالاً مما مضى فقد دان عدد كبير منهم بالاسلامية وقت الفتح (١٥١٧) ولا سيما ارباب الصنائع والفنون منهم وكان الباشوات (آل ١١٩) الذين حكموا مصر الى غزوة نابليون يعتبرون انفسهم في منفى لا تلطف شدته الا بالحصول على الثروة التي انما تحصل بسهولة من الاقباط . فكان هولاء يفرون من وجه المظالم الى الاسلامية . وظل عددهم يتناقص حتى بلغ في ايام يوحنا السادس عشر (١٦٧٦—١٧١٨) مئة وخمسين الفاً وكانوا في زمن الفتح سبعة ملايين (وفي رواية اخرى ٢٥ مليوناً)

لكن القبط ارتاحوا قليلاً بعد استشهاد الاب كليمانت

الفرنسوي (١) (١٧٠٣) ولم تصدر الحكومة بعد ذلك امرا بقتل احد لاجل دينه (٢). غير ان ميل نابليون وقواده لاسترضاء المسلمين عرض القبط للاهانة مدة وجوده في مصر (١٧٩٨-١٨٠١) (٣)

وما كاد القبط يتنفسون الصعداء تحت حكم محمد علي باشا الكبير (١٨٠٥-١٨٤٨) حتى داهمتهم الانشقاقات الطائفية المسببة عن التشويقات الاجنبية. واهتم المعلم غالي († ١٨٢٢) بجعل صفة رسمية لمتبعي الحبر الروماني كما ان البروتستانية عرفت رسمياً في

(١) روت مدام بوتشر الانكليزية في تاريخها (مجلد ٤ ص ٢١٧ — ٢١٩) ان هذا الاب اتهم بخيانة مرجعه ففر ولاذ بالحكومة التركية ولكي ينال حمايتها اعلن عزمه على اتباع الاسلامية. فلما بلغ ذلك الموسيو ماريه القنصل الفرنسوي ارسل له رسالة شديدة اللهجة حضه فيها على العودة الى حضن السفارة وهو يدفع عنه التهمة بمعاقبة المتهمين فلم يقبل ثم ندم على ما فعل واراد العودة الى النصرانية فهاج المسلمون فقطع الوالي راسه في ١٧ ايار (١٧٠٣)

(٢) روت مدام بوتشر (٤ ص ٢٧٤) ان عبدي باشا والي الدولة مر مع اسمعيل بك في حي الاقباط فساله ما اسم هذا الحي فما كاد اسمعيل بك يلفظ اسمه حتى امر عبدي باشا بهدم الحي برمته. فتدارك كبار الاقباط الامر قبل التنفيذ ووعدوا بدفع ٣٥ الف ريال حمل السوريون منها ١٧ الفاً

(٣) روت بوتشر (٤ ص ٢٨٢ و ٣٠٢) ان نابليون اعلن نفسه مسلماً في مصر واقتفى خطواته قائده الجنرال مينو وسمى نفسه عبدالله وتزوج بابنة احد العمامة وطرد كل الموظفين القبط واوجب فض المشاكل المتعلقة بالاحوال الشخصية بحسب الشرع الاسلامي

النصف الاخير من القرن التاسع عشر (١)

على ان معنويات القبط انتعشت في القرن التاسع عشر وقد بلغ عددهم سنة ١٨٥٥ نحو ٢١٧ الفاً وكان وقتئذ مجموع سكان القطر خمسة ملايين . اما الان فينافز عددهم المليون في ١٥ ابرشية ومرجعها الاعلى الانبا كيرلس الخامس بابا وبطريرك الاسكندرية والحبشة والنوبة (٢) وسائر الكرازة المرقسية وقبيل طبع هذه النبذة عيد القبط ليوبيله الذهبي

مشاهير الاقباط

نشأ بين القبط كسائر الطوائف الشرقية عدة نوابغ اشتهروا في عالمي العلم والدين فنختار منهم في كل من القرون التي وليت الانقسام واحدا او اثنين لنعيد صلة التعارف بين الطوائف الشرقية المتآخية ونضع في راس هؤلاء المشاهير «شنودة» شيخ زهاد الاقباط الذي توفي في النصف الثاني من القرن الخامس ثم ديسكور يدس النباتي المشهور — الذي نبغ في القرن السادس وما برح مؤلفه النباتي الدقيق الذي وضعه تلبية لاقتراح اميرة رومية موجودا في مكتبة فينا الى الان ومنهم :

---

(١) تاريخ الامة القبطية لسليم سليمان (١ ص ٦٩ و٧٤)

(٢) سقطت الحكومة المسيحية من النوبة منذ اواخر القرن السادس عشر وظل بدر المسيحية في تناقص في تلك البلاد الى ان كادبافل في اواخر القرن التاسع عشر حيث وجد الجنرال غوردون في الخرطوم (١٨٨٥) اسقفاً قبطياً له ابرشية فيها سبع كنائس كان مسيحيوها يمارسون عبادتهم سرا . فارسله الجنرال الى القاهرة قبل سقوط الخرطوم بيد الدراويش وظل الاسقف المذكور حيا الى ربيع سنة ١٨٩٧ (يونشر ٤ ص ٣٣١)

فرمان الرحالة الكبير – الذي نبغ في اواخر القرن السادس وضع كتاباً جغرافياً يحوي امورا دقيقة عن بلاد الهند وسواها من الاقطار التي جابها عدا عما جاء فيه من المعلومات التي يهتم لها الاثريون كثيرا في وقتنا الحاضر

يوحنا النقيوسي — المؤرخ القبطي الشهير عاش في اواخر القرن السابع وكتب تاريخا من الخليقة الى عصره يعتبر من اهم التواريخ لتضمنه اهم ما يقال عن دخول العرب الى مصر الذي حدث في عصره

موسى اسقف اوسيم — الذي اشتهر بتقواه وحبه للسلام وسعيه المتواصل لازالة اسباب الشحناء بين قومه وكانت له حرمة فائقة عند القبط توفي في النصف الثاني من القرن الثامن

البطريرك شنوده الاول—(٨٥٩—٨٦٩) الذي رد كثيرين من المتشبثين باراء ابوليناريوس وسابيليوس واوطيخا الى الصواب وعانى من خيانة بعض رهبانه وسعاياتهم تعباً شديدا ولكن براءته ظهرت للحكومة في آخر الامر وخزي الوشاة

سويريوس ابن المقفع اسقف الاشمونين — نبغ في النصف الثاني من القرن العاشر ومن آثاره تاريخ بطاركة القبط جمعه من سجلات قديمة ثم ترجمه الى العربية وله اكثر من عشرين مولفاً معظمها موجود بمتاحف اوربا

الشيخ يحيى بن عقاره — المعروف بابي زكريا نبغ في اواسط القرن الحادي عشر وكان من مشاهير الكتاب في هذا القرن اوصله استعداده الى مكانة عالية عند الخلفاء

ميخائيل مطران دمياط — نبغ في القرن الثاني عشر ومن آثاره القليلة مجموعة القوانين القبطية

الشيخ المؤتمن ابو المكارم سعدالله بن جرجس بن مسعود — وضع في اوائل القرن الثالث عشر (١٢٠٩) تاريخاً للاديرة والكنائس القبطية وهو موجود في مكتبة باريس الاهلية

ابن العسال — كنية لعدة اشخاص اشهرهم الصفي ابو الفضائل الذي خلف مولفات كثيرة من اشهرها مجموعة القوانين القبطية الذي جمعه سنة (١٢٢٨)

ابن كاتب قيصر — علم الرئاسة ابو اسحق العالم المصري المشهور بابن كاتب قيصر نبغ في القرن الثالث عشر ومن نفائس مولفاته تفسير سفر الرويا .

ابن الراهب — ابو شاكر بن بطرس بن المهذب توفي في الشطر الثاني من القرن الثالث عشر وهو مورخ فلكي من اهم مولفاته تاريخه من ادم الى سنة ١٢٥٧ م

ابن كبر — شمس الرئاسة ابن الشيخ الاكمل الاسعد (توفي ١٣٢٣) كان من افاضل قسوس القبط . من اهم مولفاته « السلم الكبير » وهو قاموس للغة القبطية طبع في رومية (١٦٤٣) بالقبطية واللاتينية والعربية ويحسب من انفس الكتب

ابو رويس — هو احد مشاهير الانقياء القبط كان ذا عزم ثابت لم تزعزعه عواصف التجارب القوية بل احتمل الاضطهاد والسجن وظل ثابتا في ايمانه وتوفي في اوائل القرن الخامس عشر ودفن في دير العذراء بالخندق المعروف باسمه

جرجس المزاحم الشهيد — ولد لاب مسلم وام مسيحية واعترف بالمسيح في ايام البطريرك يوحنا الرابع عشر (١٥٧٠ — ١٥٨٥) فنال اكليل الشهادة

ابو دقن — كاتب قبطي مشهور نبغ في اواسط القرن السابع عشر خلف كتابا شرح فيه طقوس الكنيسة القبطية بلهجة معتدلة دلت على سمو في الاداب والاخلاق

المعلم ابراهيم الجوهري — من افاضل القبط في القرن الثامن عشر واشتهر بعمل الخير والبر بجميع الناس على اختلاف ادبانهم ومذاهبهم فكان حبيب المسلمين واليهود والنصارى (توفي ١٧٩٤)

يوساب اسقف اخميم — عالم قوي الحجة من مولفاته كتاب دعاه « سلاح المومنين » دفع به اعتراضات خصوم القبط ومناظريهم وهو الذي كلفه البطريرك يوحنا الثامن عشر بالرد على رسالة البابا توفي في اوائل القرن التاسع عشر

الياس بقطر — من نوابغ الاقباط الممتازين توفي سنة ١٨٢١ وله من العمر ٣٧ عاما وهو اول مصري وضع قاموسا افرنسيا عربيا بناء على طلب رجال المجلس

العلمي وقدمه الى نابليون سنة ١٨٠٦ وظل يشتغل في تنقيحه واصلاحه الى سنة ١٨١٨

البطريرك كيرلس انوابع = ابو الاصلاح (١٨٥٤ = ١٨٦١) من اشهر نوابغ القبط في القرن التاسع عشر اصلح الاحباش مع مطرانهم الانباسلامه (١٨٥٢) وكلف لفض الخلاف على الحدود بين الحكومة المصرية والحبش ففعل (١٨٥٦) وانشا اول مدرسة للبنات عند القبط . وكان صديقا حميما للروم الارثوذكس وسعى للاتحاد فلم يمهله الاجل

القمص فيلوثاوس = العالم المتفقه والخطيب المصقع صاحب المولفات العديدة الدالة على طول باعه وقوة حجته . مما لم يمح بعد من ذاكرة الذين عرفوه او سمعوا شيئاً عن مواهبه (توفي ١٩٠٤)

(لخصنا ما تقدم عن عدة مولفات قبطية موثوق فيها . منها تاريخ الامة القبطية في عصر [illegible] والمسيحية للالمعي سليم سليمان والخريدة النفيسة للقمص افرام البرموس وتاريخ الامة القبطية للسيدة [illegible] بنشر الانكليزية عدا ما استفدناه من تاريخ الكنيسة لبافيديس وسواه)

٥) الحبش

هي احدى الامم القديمة العهد في الوجود التاريخي وتعرف بلادها في التاريخ القديم باسم ايثوبيا وتسمى عند العبرانيين بلاد كوش وكانت في القديم مملكة كبيرة تشتمل على بلاد الحبش الحالية وعلى جزء من مصر والنوبة وشنعار و كردوفان وسكانها من نسل حام (تك ١٠ : ٦) ومن تقاليدهم ان اول ملوكهم منيليك الاول كان ابناً لسليمان الحكيم مولود له من ملكة سبا (١) (١ مل

(١) خلاصة روايتهم ان سليمان احب ملكة سبا ونظم فيها قصيدة (نشيد الانشاد) ثم تزوجها وعادت الى بلادها وهي حامل فولدت غلاما سمته

١٠ : ١ — ١٤) ويفخر الحبش بان عظماءهم كانوا اكثر الناس اهتماما بدرس المسيحية ومن السابقين الى التنصر ومن هؤلاء خصي كنداكة ملكة الحبشة الذي عمد على يد فيلبس (اع ٨ : ٢٦ — ٤٠) سنه ٣٧ للمسيح

على ان انتشار النصرانية في الحبش لم يتم الا في اوائل القرن الرابع بواسطة فرومنتوس الذي كان اول اسقف عليها (٣٤١)

ومما تحفظه النصرانية للحبش بالذكر الجميل هو كفهم اضطهاد الحميريين عن العرب المسيحيين في اليمن سنة ٥٢٤ والقضاء على ملكهم دونان (ذو نواس) الذي اساء معاملة مسيحي نجران وتنصيبهم ملكا على المسيحيين حكم هو ونسله مدة ٧٤ سنة وبناؤهم لهم كنيسة جميلة في نجران وضعوا فيها عظام الشهداء واقاموا لهم اسقفا اسمه كريختيوس كان عالما كبيرا خطيبا مفوها

منليك فلما كبر ارسلته الى اورشليم تخفى سليمان الفتنة من وجوده عنده فنصبه ملكا على الحبشة وسماه داود باسم جده واعاده الى والدته سنة ٩٦٤ ق م فلما توفيت والدته سنة ٩٥٥ ق م افضى الحكم اليه وهو اول ملوك الاسرة السليمانية في الحبش ويزعمون ان الاسرة المالكة من هذه السلالة ملكت حتى الان ٢٨٧٨ سنة ويقسمون مدة حكمها الى ثلاثة ادوار الاول الى تنصر الحبشة سنة ٣٤١ والثاني الى زمن المحنة (الذي فيه استولت على السلطة امراة يهودية اسمها يوديت استير مدة اربعين سنة (٩٣٧ = ٩٧٧) واسرة مسيحيه اسمها الذكوة حكمت مدة ٣٥٤ سنه ٩٧٧ — ١٣٣١) زعيمها مار تقلا هيمانوت والثالثه من سنة ١٣٣١ الى الان «الهلال ١٨ ص ٤٥١ — ٤٦٣».

وبمساعي الحبش انتشرت المسيحية في بلاد النوبة في القرن السادس بواسطة القس يوليانوس وظلت هذه البلاد مسيحية برمتها الى القرن السادس عشر حين دال استقلالها بالفتح العثماني ثم اخذ صرح النصرانية ينهار فيها شيئاً فشيئاً حتى كاد يتلاشى في ايام المهدي في اواخر القرن التاسع عشر (١)

وللحبش ايضا في سبيل الاسلام ماثرة هامة ما برح المسلمون يذكرونها لهم بالشكر وذلك انهم آووا اليهم مهاجري الصحابة قبيل الهجرة النبوية وحموهم من خصومهم واحسنوا جوارهم ولما طلبهم القرشيون ابى النجاشي تسليمهم

وممن يحفظ للحبش ذكرا جميلا الامة القبطية فان ملوك الحبش حاموا عن القبط اكثر من مرة كلما وقع هولاء في نكبة وفي وقت المحنة التي اصابتهم (١٣٢٠) ارسل امبراطور الحبشة رسالة تهديد للناصر يكلفه فيها رفع الاضطهاد عن القبط والا قطع مجرى النيل عن مصر . ومثل ذلك ما حدث سنة ١٤٢٩ و ١٤٥٣ و ١٥٠٢ وغيرها . وكانت اهم ايرادات البطريركية القبطية من الاحباش الذين كانما آنسوا فيها عجزا سددوه

على ان علاقات الحبشة مع القبط عراها الفتور في بعض الاحيان . وكثيرا ما كان يودي الخلاف بينهما الى التقاطع . ومن

(١) لما اعيد فتح السودان (١٨٩٨) ارسم له البطريرك الحالي اسقفا ترقى اخيرا فصار مطرانا ثم بنيت كنيسة كبرى في الخرطوم وسبع كنائس في جهات اخرى « الحلقة الثانية من تاريخ الامة القبطية ص ٢٣٩ »

ذلك النفرة التي حدثت في القرن العاشر واستمرت مدت سبعين سنة . والتقاطع الذي حدث في القرن الثالث عشر وظل اكثر من نصف قرن ، والمنابذة التي وقعت في القرن السادس عشر وجعلت ملك الحبش يطلب مطرانا من الحبر الرومانى في اوائل الفتح العثماني فاضطر بطريرك الاقباط ان يسترضيه ويسيم له مطرانا

وفي سنة ١٥٤٠ نشبت حرب حامية الوطيس فيما بين داود ملك الحبش و بين محمد الغرايني ملك زيلع ، كان الفوز فيها للاخير الذي كان يكره المسيحيين كرهاً شديدا فاضطر ملك الحبش ان يستعين ببعض دول اوربا . فامدته البرتوغال باربعمائة وخمسين جنديا معهم ستة مدافع بقيادة خريستفوروس داغاما اخي نائب الملك . ففازوا في معارك كثيرة على الغرايني (١٥٤١) ولكن الخصوم اغتالوا القائد بالقرب من معبر سنافي (١٥٤٢) فتشتت شمل الجيش وطالت محنة الحبش بهاجمات القبائل الغالية اياهم من الجنوب واضطروا آخر الامر ان يخلوا لاولئك الغزاة بقعة من بلادهم فاقاموا فيها. وصارت لهم اهمية في البلاد جعلت النجاشي ياسوس يصاهرهم . فاستاء الحبش منه وتنحوا عنه فقضى ما بقي من حياته مغموماً . ثم خلفه عدة ملوك لم يكن لهم من الملك سوى الاسم اذ كان يدير دفة الزمامة اشخاص وصفهم تاريخ الحبش بالجنكة ولداها . منهم الريشي ميخائيل الذي في ايامه زار الحبشة السائح بروس الانكليزي (١٧٧٠). والريشي والد اسيلاسيه

(١٧٩٠–١٨١٦) الذي في ايامه حضر الى انتالو عاصمة تيغري المستر سولت اول انكليزي دخل الحبشة بصفة رسمية . وعلي من إمهرة (١٨٣٣–١٨٥٥) الذي في ايامه اقيم المستر ولتر بلون قنصلا للانكليز في الحبش

ثم قبض علي زمام الحكومة بيد من حديد ليج كاسا المعروف في التاريخ باسم الملك تيودورس (١٨٥٥–١٨٦٨) ويعتبر من اعظم ملوك الحبش في التاريخ الحديث . ثم خلفه تيودورس الثاني (–١٨٧٢) ويوحنا الثاني (–١٨٨٩) ومنليك الثاني (–١٩١٣)

وهذا الاخير عزز موقف الحبشة . اذ نجح في دفع مطامع اوربا (١٩٠٦) وبعد محاربته ايطاليا اعتبرت الحبشة دولة متحايدة لا يجوز لاحدى الدول التعدي عليها . ولما ارتاح بال هذا الملك من الشؤون السياسية التفت الى ترقية البلاد ادبيا فانشأ عدة مدارس يتلقى فيها ابناء الحبش الدروس الابتدائية بحسب نظام التربية الحديثة وسلم ادارتها لاول عهدها للمدارسي الفاضل حنا بك صليب القبطي . ومن تلامذة هذه المدرسة الامبراطور ليج ياسو الذي خلع (١٩١٦) واستامت العرش بعده الاميرة زوديتو ابنة الامبراطور منليك (١) .

وعاصمة الحبشه الان مدينة ادس (٢) ابابا . وفي الحبش الان

(١) الهلال ١٨ ص ٤٥١ الخ

(٢) ظلت اكسوم عاصمة للحبش الى القرن الثالث عشر حينما نقل العرش

من النفوس نحو ١٢ مليونا منهم الثلثان مسيحيون والباقي مسلمون ويهود ويدير شؤون المسيحيين فيها مطران يعاونه سبعة اساقفة ومرجعهم الاعلى البطريركية الاسكندرية القبطية (٣)

شاهير الحبشة

يعتبر في مقدمة هولاء القديس فرومنتوس اول اسقف سيم على الحبشة في القرن الرابع ويتلوه في الاهمية القديس « ازقير » الذي يعيد له الاحباش في ٢٠ ت ٢ ويذكرون انه استشهد اثناء تبشيره في بلاد اليمن (تاريخ النصرانية ص ٦١ والاسقف كريجنتيوس الذي استصحبه ملك الحبشة الى اليمن لتنصير الحمير بين في القرن السادس وهو عالم كبير وخطيب مفوه بقي من اثاره مناظرة وقعت له مع احدر باني اليهود

المطران يعقوب — الذي عاصر البطريرك يوسف في اوائل القرن التاسع غير انه لم يستطع اكتساب رضى الملكة فطردته واقامت موضعه سواه فاجتاح البلاد غلاء ووباء اعتبره الملك عقابا نزل بهم لتكديرهم المطران فاسترضاه فعاد (الخريدة ٤ ص ١١٧ و يوتشر ٢ ص ٢٣٢)

الانبا بطرس — الذي سامه البطريرك فرمان (٩٢١ — ٩٣٣) مطرانا على الحبشة بعد انقطاع العلاقات مدة طويلة بين القطرين واقامه الملك وصيا على ولديه القاصرين فقام بحق الوصاية . ولكن احد الرهبان

الى تغولة « ايكون عملاق » احد ملوك الدولة السليمانية (١٢٥٥ ثم نقل الكرسي بعدئذ الى غندار . على ان اكسوم ظلت ناجمة الى سنة ١٥٤٠ حينما خربها محمد الغرايني ولم تقم لها قائمة بعد ذلك (دائرة المعارف للبستاني)

(٣) بلغ عدد الاساقفة الذين ارسلوا الى الحبشة الى اول القرن التاسع عشر ١٠٥ اساقفة (تاريخ الامة القبطية ٢ ص ٢٢٧)

خانه وسبب له النفي حيث قضى في اواسط القرن العاشر . فاستاء القبط لهذا الحادث وقاطعوا الحبش مدة سبعين سنة

(بوتشر ٢ ص ٢٨١—٢٨٤ والجريدة ٥ ص ١٩ و ٢٠)

المطران دانيال — الذي سامه البطريرك فيلوثاوس (٩٧٩—١٠٠٤) بعد التقاطع السابق وانما سامه بناء على التماس ملك الحبشة الحار وتوسط ملك النوبة

(بوتشر ٣ ص ٢٢)

المطران سويريوس — الذي خلف انبا عبدون وابطل تعدد الزوجات وسواها من العادات التي لم يهتم باصلاحها اسلافه فنقم عليه كثيرون (١٠٨٦) ولكنه تمكن اخيرا من الفوز بامانيه العادلة

(بوتشر ٣ ص ٦٥—٧٣ والجريدة ٥ ص ٤١ و ٤٢)

المطران جرجس — الذي شرطنه البطريرك ميخائيل الرابع (١١٠٢) فلم يحسن السياسة فثار عليه الاحباش فطرده الامبراطور واعاده الى مصر حيث طرحه الافضل في غياهب السجون

المطران ميخائيل — الذي اتفق مع ملك الحبشة على طلب زيادة مطران للحبشة فوق العدد المعين فرفض البطريرك غبريال الثاني (١١٣١—١١٤٥) هذا الطلب رغم توسط الخليفة بالامر (بوتشر ٣ ص ٩ والجريدة ص ٥٨)

المطران كيلوس — سامه البطريرك يوحنا الخامس في اواسط القرن الثاني عشر تلبية لطلب امبراطور الحبشة فحصل له استقبال شائق وعاش عيشة مسيحية مدة اربع سنوات . ولكن احد قسوسه ارتكب ذنباً فامر بجلده فمات فثار اهله ففر الى مصر فحاكمه البطريرك وقطعه

(بوتشر ٣ ص ١٦١—١٦٥)

المطران اسحق — الذي سامر الكنيسة الحبشية سياسة حسنة جدا مدة اربعين سنة فقدسوه بعد وفاته في اوائل القرن الثالث عشر ومن اثاره النقوش الحجرية الجميلة التي حفرت بسعيه وظلت اثرا مدهشاً الى الان

المطران توما الحبشي — الذي سامه اغناطيوس الانطاكي في اواسط القرن الثالث عشر نكاية بابن لقلق بطريرك القبط لانه تعدى على حقوقه ورسم مطرانا على القدس (بوتشر ٣ ص ١٩٩ والخريدة ص ٧٣)

قيل — الذي ارسله ملك الحبشة سفيرا الى ابي النصر (١٤٥٣) يوصيه خيرا بالاقباط فسعى لكف الاضطهاد عنهم (بوتشر ٤ ص ٧٦)

المطران يوسف — الذي ارسله البطريرك غبريال السابع (١٥٢٦—١٥٧٠) تلبية لطلب قلوديوس الحبشي فاستقبله الاحباش بحفاوة عظيمة ٠ وكان وجوده سببا لانسحاب برمودز البطريرك اللاتيني (بوتشر ٤ ٠ ١١١—١١٤)

الشماس غبريال المصري الراهب — الذي نبغ في اوائل القرن السابع عشر وترجم تاريخ يوحنا النقيوسي الى الحبشية (تاريخ الامة القبطية ٢ ص ١٣٢)

ثيودورس الكاهن الحبشي — الذي ارسله ملك الحبشة برئاسة وفد الى بطريرك الاقباط (١٧٤٣) يرجوه سيامه مطران جديد بدلا من خريستوذولس المتوفى فذاق الاهوال على الطريق اذ قبض على الوفد حاكم مصوع المسلم واجبر احد رفقائه على الاسلامية وفر الثاني وظل هو ثابتا على مبداه الى النهاية ونجا بعد عذاب سنتين (بوتشر ٤ ص ٢١٣ و ٣٥١)

ابونا سلامه — هو الاب اندراوس احد تلامذة المدرسة الانكليزية في القاهرة اقيم اسقفا على الحبشة (١٨٤١) وكان من المنتظر حصول اصلاحات حسنة على يديه ٠ ولكن الامبراطور نقم على الانكليز فسجنه لانه تلميذ مدرستهم فقضى (١٨٦٧) (دائرة المعارف للبستاني ٦ : ٦٨٠)

الانبا بطرس مطران شوا — الذي اشتهر بجراته فعين مطرانا للحبشة (١٨٨٢) وابى ان يمسح منليك امبراطورا لانه سبق فعاهد النجاشي يوحنا على مسح ابنه خليفة له ٠ فمسحه الانبا متاوس الاسقف الذي سعى له الامبراطور فصار مطرانا (١٩٠٢) على ان الانبا بطرس ظل على رايه ومجر العاصمة وانضم الى الراس ميخائيل ولما خلع الامبراطور ياسو ١٩١٦) واعلن والده الراس ميخائيل

الحرب على الاميرة زوديتو وقع في اسر جند الحكومة ثم اخلي سبيله فاصبح في الحبشة مطرانان

(الهلال ٢٥ ص ٣٣٨ وتاريخ الامة القبطية ٢ ص ٢٢٧)

٦) الموارنة

الموارنة الفرع الثالث من ارومة الشجرة السريانية القديمة والثاني السريان المغاربة المعروفون باليعاقبة والاول السريان المشارقة المعروفون بالكلدان او النساطرة

ومن مفاخر الموارنة ان احدى نساء بلادهم استطاعت ان تنال بغيتها من السيد المسيح بقوة حجتها وخلوص ايمانها (مر ٧ : ٢٦) . وانهم اخذوا المسيحية من الحواريين . وان القديس سمعان العمودي كان السبب لتنصير من بقي من ابناء جلدتهم على عبادة الاصنام

وقد ثبت الموارنة على الايمان واخلصوا الطاعة للكرسي الانطاكي اكثر من سائر الطوائف الاخرى فلم يوخذوا بغواية نسطور شأن الكلدان الذين انفصلوا من الكرسي الانطاكي (٤٩٨) ولا انقادوا للعاطفة الجنسية كما فعل السريان ثم استقلوا (٥٣٨) بل ظلوا متحدين مع الكرسي الانطاكي وقبلوا معه قرارات المجمع الرابع الخلكيدوني وايدوها بكل ما اوتوه من القوة . الامر الذي جلب عليهم نقمة ابناء جنسهم وجعل ساويرس يسكب عليهم جام غضبه بواسطة الاسقف بطرس الحموي فنالهم منه اذى عظيم

(٥١٧) (١) وظلوا مباحة للاضطهاد حتى تسنم السدة الملوكية يوستينوس (٥١٨) ففرج عنهم ثم خلفه الامبراطور يوستينيانوس (٥٢٧) فعوض عليهم خسارتهم ورمم ما تهدم من اديرتهم

وظل الموارنة على ولاء مع البيعة الارثوذكسية عموما والكرسي الانطاكي خصوصا . الى ان خطر للقيصر هرقل (٦١٠ – ٦٤١) ان يتخلص من النزاع الذي طال امده فيما بين السريان واليونان بشان الطبيعة والطبيعتين فارتاى بناء على مشورة اثناسيوس بطريرك اليعاقبة (٦٢٩) اتخاذ حد متوسط يتفق عليه الفريقان وهو ان يقال ان السيد المسيح له طبيعتان ومشيئة واحدة وظن انه بهذا يرضي الفريقين . لان الجزء الاول من الفقرة هو راي الخلكيدونيين والثاني راي السريان اليعاقبة غير ان هذا الفكر اوجد تشويشا عظيما في البيعة اذ لم يقبله سوى عدد قليل والباقون من الفريقين قاموا ضده . فاصدر القيصر امرا (٦٣٩) بوجوب قبول الراي المذكور . فاذعن لامره اساقفة رومية والقسطنطينية والاسكندرية لكن الشعب هاج جدا ضد هذه الفكرة حتى اضطر قسطانس الثاني ان يصدر امرا (٦٤٨) يحظر فيه البحث بالمشيئة والمشيئتين . ولكن الاضطراب ظل يتهدد راحة المملكة حتى حكم في المسئلة المجمع السادس (٦٨١) شاجبا الاعتقاد بوحدة المشيئة وموحيا الاعتقاد بطبيعتين ومشيئتين

(١) اصل الطائفة المارونية لدريان ص ٥

في المسيح؛ تخضع الانسانية منها للالهية . ومنعاً لتجدد القلاقل تعقبت الحكومة اصحاب هذا الراي بكل قوتها ففروا من وجه السلطة المدنية الى فينيقية واعتصموا بجبل لبنان حيث وجدوا لهم ملاذا بحمى الراهب يوحنا مارون الذي كان ابناً لاغاتون حاكم سروم (دريان ص ١٢) وخالا للامير ابراهيم زعيم الموارنة فاستقرت الطائفة في تلك البقعة عزيزة الجانب لا تصل اليها سلطة الحكومة وقام يوحنا مارون اول اسقف عليها (٦٨٥). وبالنظر لما اوتيه الموارنة من الشجاعة والاقدام استطاعوا ان يحافظوا على استقلالهم الروحي والمدني رغم ما بذله القياصرة البيزانطيون والخلفاء العرب على ان مناواتهم القياصرة والخلفاء ومخالفتهم ابناء جنسهم (السريان) في المذهب احرجت موقفهم فاضطروا للاعتصام بقمم لبنان الوعرة المسالك الصعبة المرتقى . واتخذ زعماؤهم كفرحي وبانوح مركزا للرئاسة . ولذلك كان تاريخهم غامضا في القرون التي وليت الانقسام (٧١٣ — ١١٨٢)

فلما فتح الصليبيون سوريا استأنس الموارنة بهم واتحدوا معهم على خصومهم . واعلنوا بواسطة البطريرك اللاتيني ايميريك (١١٨٢) خضوعهم للحبر الروماني ورفضهم راي هرقل بالمشيئة الواحدة وكان عدد الذين انضموا الى الصليبيين نحو اربعين الف نسمة من سكان جبيل والبترون وطرابلس وسفح لبنان (غوليلموس

الصوري) (١)

١٠١ موارنة قبرص فانضموا الى الكرسي الروماني (١٤٤٥) بمساعي مطرانهم ايليا

على ان اقتراب الموارنة من المبادى. اللاتينية لم يحصل دفعة واحدة كما يتراءى للقارى. لاول وهلة بل استغرق مدات طويلة بذل فيها اساقفة رومية جهدهم حتى امتلكوا قلوب الموارنة شيئ فشيئاً بواسطة بطاركتهم ومن هولاء البطاركة ارميا الممشيتي الذي سافر الى رومية (١٢١٤) ولما عاد الى لبنان ادخل الى الخدمة الالهية ما استحسنه من الطقوس اللاتينية (دريان ص ٢٧) فكافأه البابا بمنحه عدة امتيازات . وسمعان الثاني الذي نال من البابا اسكندر الرابع (١٢٥٦) لقب البطريرك الانطاكي مكافأة له على عنايته بالافرنج

(١ ينكر علماء الموارنة الحديثون سقوط طائفتهم ببدعة المشيئة الواحدة انكارا شديدا ولهم مدافعات تدل على ذكاء فائق و برعة منطقية ممتازة غير ان التزيه المنصف لا يستطيع ان يقتنع كل الاقتناع ببراهينهم السلبية ولا سيما وانه يضطر اذ ذاك ان يضرب بشهادة المورخين الكثيري العدد – الذين بلغت او كادت تبلغ شهادتهم درجة التواتر – عرض الحائط . ومن هولاء يوحنا الدمشقي (توفي ٧٦٠) وتيموثاوس بطريرك الاسطرة (توفي ٨٢٣) وابن بطريق (توفي ٩٤٠) وابن المقفع القبطي (٩٧٨) والمطران داود الماروني (١٠٥٩) وغوليلموس الصوري اللاتيني (توفي ١١٩٣) وابن العسال القبطي (توفي بعد ١٢٣٩) وابن العبري السرياني (توفي ١٢٨٦) وعبد يشوع الصوباوي (توفي ١٣١٨) وعمرو بن متى النسطوري (توفي بعد ١٣٤٩)

اللاجئين الى جبل لبنان . وسمعان الثالث الذي اكرم بتسليمه مغارة الصليب (١٣١٣) . ويوحنا الجاجي الذي اثنى عليه البابا اجفانيوس الرابع برسالة خاصة (١٤٤١) لتصريحه بطاعة الكرسي الرومانى . وبطرس ابن حسان الذي ارسل له البابا بولس الثاني صك التثبيت (١٤٦٩) مرفوقاً بشرح العقائد الرومانية ليبثها في ابنا طائفته وسمعان الحدثي الذي قاومته الطائفة لاول قيامه (١٤٩٢) وحظر عليه التماس التثبيت من رومية ، فتوسط بالامر جبرائيل ابن القلاعي ومكن البطريرك من ارسال صك الطاعة للحبر الروماني (١٥١٤) مرفوقاً بشرح معتقد الموارنة . فمنحه البابا لاون العاشر الباليون وهو اول باليون بابوي ناله الموارنة

لكن هذه المساعي كلها لم تحل دون انتقاض الموارنة على الكرسي البابوي احيانا. ففي اواخر القرن الثالث عشر جاهر بطاركهم لوة بالمونوثيلية (الدبس ٦ ص ٣٧٤) فهاج القاصد الرسولي الطائفة ضده وانزله عن الكرسي . وفي (١٣٨٧ — ١٤٠٤) حاول البطريرك داود يوحنا اجبار الموارنة على اتباع طقس اليعاقبة فقاومه اهل جبة بشري وبلاد جبيل (الدبس ٦ ص ٤٦٤)

وفي اواخر القرن الخامس عشر جاهر عدد ليس بقليل من الموارنة بالميل الى مذهب اليعاقبة، فتلافى الامر جبرائيل ابن القلاعي ونجحت مساعيه (الكرمس داود ص ٥٩٢ والدبس ٤ ص ٣٦٣)

هذه الحوادث الدالة على نزوع الموارنة الى الاستقلال جعلت

الكرسي البابوي يهتم بهم اهتماماً عظيماً تفادياً من انتقاض عام . فارسل البابا غريغوريوس الثالث عشر قاصداً بابوياً (١٥٧٤) لفحص الكتب المارونية وملاشاة المخالف منها . ثم ارسل لهم منشورا (١٥٧٧) نهاهم فيه عن استعمال الزيادة في التقديسات الثلاث وما ماثلها مما خالفوا فيه العادات اللاتينية . وبعد اتمام ما تقدم انشأ لهم في رومية مدرسة لاهوتية (١٥٨٤) لتخريج عدد من ابناء الطائفة يكفي لنشر المعارف بين ظهرانيها (١) . فخرج من هذه المدرسة علماء اعلام ما برح الموارنة يفاخرون بهم السوى ولا سيما الذين نبغوا منهم في القرن السابع عشر . وقد نالت بهم الطائفة ثقة الحبر الروماني ومحبة ملوك اوربا الكاثوليكيين فمنحتهم الدولة الافرنسية حمايتها (١٦٤٩) وجدد لهم هذا العهد الملكان لويس الخامس عشر (١٧٣٧) والسادس عشر (١٧٨٧)

وفي سنة ١٧٣٦ عقد المجمع اللبناني بامر البابا اكليمنضوس الثاني عشر فارتبطت فيه الطائفة بالكنيسة اللاتينية ارتباطاً وثيقاً حتى في كثير من الطقوس والعادات . وتدخل الحبر الروماني في كل شيء من شؤونها فابادوا الخلاف في اواسط القرن الثامن عشر

(١) انشئت هذه المدرسة في رومية في ٢٧ حزيران سنة ١٥٨٤ على ايام البطريرك سركيس الرزي . وظلت قائمة نحو ٢٢٠ سنة ثم هدمها الفرنسويون وقت احتلالهم رومية في اوائل القرن التاسع عشر . ولكن البابا لاون الثالث عشر جددها في ٣٠ ت ١ سنة ١٨٩١ تلبية لالحاحات البطريرك يوحنا

على الانتخابات البطريركية الغى البابا بنديكتوس الرابع عشر الانتخابين السابقين واقام سمعان عواد الخامس (١٧٤٣) عوضاً عن المنتخبين الاولين

وفي الشطر الثاني من القرن الثامن عشر حصل تشويش عظيم في الطائفة المارونية بسبب الافكار التي نشرتها الراهبة حنة هنديه عجيمي (+ ١٨٠٢) فازعجت الطائفة اكثر من ربع قرن (١٧٥١ — ١٧٧٩) وادى ذلك الى سخط البابا بيوس السادس وتوقيفه البطريرك يوسف اسطفان خمس سنوات لدفاعه عنها ثم اعيد الى منصبه (١٧٨٤) بتوسط بعض امراء الموارنة

وقد سارت هذه الطائفة خطوات واسعة نحو الرقي العلمي والمدني في القرن التاسع عشر حتى بلغ عدد مدارسها في القرن الحالي نحو اربعمائة مدرسة فيها ما يناهز اثني عشر الفاً من الطلاب . وعدد ابناء هذه الطائفة يوازي ثلاثمائة الف نسمة يدير شؤونهم الروحية ١٢ مطراناً يرئسهم الشيخ الجليل البطريرك الياس بطرس الحويك الحالي ومقامه في دير بكركي في لبنان

والموارنة وان خضعوا للكرسي الروماني لكنهم كطائفة شرقية ما برحوا محافظين على استقلالهم في امور كثيرة كزواج الكهنة ومناولة الشكلين في الافخارستيا وسواها

مشاهير الموارنة

اعظم قديس عند الموارنة غير مدافع انما هو القديس مارون الناسك الذي كان صديقاً للذهبي الفم كما يظهر من احدى رسائله المحفوظة الى الان ٠ توفي سنة ٤١٠ على رواية بعضهم او سنة ٤٣٣ على رواية آخرين ويعيد له الموارنة في تاسع شباط والارثوذكس في ١٤ منه

ويأتي بعده تلاميذ مار مارون الذين من اسمهم بردات الزاهد الذي اشتهر بالتقوى وحسن السيرة ٠ وقد ذكره ثيوفان المؤرخ بتاريخ سنة ٤٥٢ وبعد هولاء ياتي

القس ثيودورس — الذي كان رئيساً لدير القديس مارون في ضواحي القسطنطينية ووجد توقيعه على المجمع الخامس سنة ٥٥٣ (رواه الدبس عن الدويهي ٤ ص ٥٣٠)

يوحنا مارون — الذي تنتمي اليه الطائفة المارونية وهو اول من تسقف عليها بعد استقلالها عن الكرسي الانطاكي (توفي ٧٠٧)

ثيوفيلوس الرهاوي — (توفي ٧٨٥) له تاريخ حسن وترجمة عده قصائد لهوميروس الى السريانية (ابن العبري ص ٢٢٠)

قيس الماروني — نبغ في اواخر القرن التاسع ومن آثاره تاريخ بدأ فيه من الخليقة وانتهى في ايام المكتفي (٩٠٢) ذكره المسعودي

عبدالله بن الطيب—الفيلسوف العراقي الاصل (توفي ١٠٤٣) خلف مولفات كثيرة من اسمها «تفسير العهدين» و «فقه النصرانية»

المطران داود— من نوابغ الموارنة في القرن الحادي عشر من آثاره القلمية «كتاب الهدى» الذي وضعه (١٠٥٩) يشتمل على ٥٩ باباً في الاخيرة منها قوانين خمسة مجامع مكانية واربعة مسكونية ومراسيم الملوك قسطنطين وثيودوسيوس ولاون

توما الكفرطابي - اشتهر في القرن الثاني عشر ومن مولفاته كتاب المقالات

العشر الذي حاول فيه اثبات مشيئة واحدة لطبيعتي المسيح

البطريرك ارميا الحمشيتي — (١١٨٣—١٢٣٠) وهو اول بطريرك ماروني اعلن خضوعه للسدة الرومانية

البطريرك لوقا النبهراني — (١٢٨٣—١٢٩٠) الذي روى ابن القلاعي انه مال الى القول بان اللاهوت سد مسد النفس البشرية في المسيح

(الدبس ٦ ص ٣٧٤)

البطريرك جبرائيل الحجولي — روى دريان (ص٣٨) انه صار بطريركا (١٣٥٧) واستشهد حرقاً بالنار في ظاهر طرابلس (١٣٦٧) لتمسكه بالمسيحية ابان اضطهاد المسلمين للنصارى (الدبس ٦ ص ٤٦٢)

المطران الياس — اسقف الموارنة في قبرص نبغ في القرن الخامس عشر وسعى فاخضع موارنة قبرص للكرسي الروماني

ابن القلاعي — درس في رومية ثم انضوى الى الرهبنة الفرنسيسكانية ثم صار اسقفاً في قبرص (١٥٠٧) (توفي ١٥١٦) خلف مولفات كثيرة في اللغة العربية من اهمها كتابه في الناموس الكنسي

ابراهيم الحاقلاني — تخرج في مدرسة الموارنة في رومية (توفي ١٦٦٤) ومن اشهر مولفاته رده على ابن السلداني انتصارا لابن البطريق

البطريرك اسطفان الدويهي — من اشهر بطاركة الموارنة (توفي ١٧٠٤) له مولفات كثيرة من اهمها تاريخه وكتابه اصل الملة المارونية

مرهج بن نيرون الباني — خريج مدرسة رومية واشهر نوابغها (توفي ١٧١١) من اشهر مولفاته «اصل الموارنة» و«اصلاح الايمان»

المطران جرمانوس فرحات — (توفي ١٧٣٢) له مولفات كثيرة لغوية ودينية من اشهر الاخيرة تعريبه الترجمة السريانية المعروفة بالبسيطة

العلامة يوسف السمعاني — اشهر علماء الموارنة على الاطلاق (توفي ١٧٦٨) مولفاته كثيرة من اهمها المكتبة الشرقية التي كان لها دوي عظيم في العالم الغربي

البطريرك يوسف التيان — خريج مدرسة الموارنة في رومية (توفي ١٨٢٠) من اثاره مناظرته المطران جرمانوس آدم الملكي الكاثوليكي على سلطة البابا المطلقة اذ انكر آدم امتدادها على الاساقفه مجتمعين واثبتها التيان

البطريرك بولس مسعد - (توفي ١٨٩) خلف عدة مولفات من اهمها الدر المنظوم ردا على اسئلة البطريرك مكسيموس مظلوم

المطران يوسف الدبس — (توفي ١٩٠٧) من اهم مولفاته تفسير الانجيل وتاريخ سوريا الديني والمدني في ثماني مجلدات ضخمة ومنها ارتشفنا عدة نقط لتاريخ الموارنة

٧/ الغرب في الشرق

« او انضواء بعض ابناء الطوائف الشرقية لرئاسات روحية غربية »

لما انشطرت الكنيسة الغربية الى شطرين في اواسط القرن السابع عشر وقامت منذئذ (١٦٤٨) طائفتان مستقلتان اعترفت بهما حكومات الغرب احداهما اعترفت بان البابا المرجع الاعلى للكنيسة وعرفت بالكنيسة الباباوية والثانية انكرت ذلك المبدا من اساسه وسميت البروتستانية . اخذت كل منهما تسعى لاستمالة الطوائف الشرقية اليها تاييدا للمبدا الذي خالفتها عليه الطائفة الاخرى وكان غرض كل منهما لاول وهلة استشهاد الشرق لصحة راي احد فريقي الغرب ولكنهما انستا بالشرقيين ضعفا فاطمعهما ذلك باكثر مما طلبتا واخذتا تسعيان كل واحدة منهما من طريق لضم الشرقيين اليها . فارسلتا وفود المشوقين الى الشرق و بذلتا من الاموال ما لا يكاد يحصره عد . ولاغراض سياسية ساعدت دول اوربا المبشرين فعضدت فرنسا والنمسا الارساليات اللاتينية . كما ان انكلترا وهولاندا ايدتا الارساليات البروتستانية . وقد قام فريقا المرسلين باعمال خيرية اكتسبوا بها محبة الشرقيين واستمالوا الاذهان لسماع ارشاداتهم ونصائحهم وسواء كان ذلك البر لغرض في النفس ام للخير المجرد فقد لقيت تشويقات المرسلين استعدادا في الطوائف الشرقية لما سبق لها معاناته من ضروب التعس

والشقاء . فان الانقسامات المتعددة التي توالى ظهورها في الشرق ، والاحقاد التي ملأت الاكباد على اثرها ، والفقر الذي ضرب اطنابه في البلاد بسبب النكبات المتوالية ، وضياع الاباء والشمم بضياع السيادة والانتقال من عبودية الى اخرى ، وانطفاء مصباح المعارف بانصراف الاذهان الى التماس ضروريات المعيشة . كل ذلك كان من الاسباب التي هونت على الشرقيين ترك الطوائف التي ولدوا فيها واحناء العنق لرئاسة اخرى اجنبية

١) المنضوون للحبر الروماني

شعرت السدة البابوية منذ قرون عديدة بالضعف الذي استولى على الشرقيين فطمحت ابصارها الى اخضاعهم لسلطتها وحصلت عدة دواع سياسية اضطرت الشرقيين لالتماس مساعدة الحبر الروماني لكي يكون لهم من نفوذه ما يحرك عواطف الدول الاوربية نحوهم . ومع ان تلك المساعي عادت باسوأ النتائج على الشرقيين كما يعلم من يتحرى تاريخ الحملات الصليبية ، لكنهم كانوا يعيدون الكرة في حالات يأسهم . ولم يدع الحبر الروماني فرصة تفوته لمد سيطرته على الشرق ففاز بجزء عظيم من امنيته

لاجل هذا الغرض أنشأ البابا غريغوريوس الخامس عشر مجمع انتشار الايمان (١٦٢٢) ثم الحق به خلفه البابا اربانوس الثامن (١٦٢٣ — ١٦٤٤) مدرسة غايتها تهيئة مبشرين للطوائف الشرقية وضاف الباباوات الذين خلفوه الى تلك المدرسة مطبعة كبيرة طبع فيها عدة مولفات في اللغات الشرقية (١) وجرى الاهتمام بانشاء عدة

(١) السلاسل التاريخية ص ٣ واكليريس داود ص ٥٨٧

مدارس ومطابع في اهم مدن الشرق كالقسطنطينية والاسكندرية وازمير واورشليم وبيروت والموصل وسواها

ولما راى المرسلون اللاتين صعوبة اجتذاب الشرقيين فيما لو كلفوا متابعة الكنيسة الغربية في كل شيء . التمسوا من احبار رومية التساهل مع الشرقيين في ما يعذب لهم التمسك به فتساهلوا معهم تساهلا انتقده لاهوتيو الكاثوليك انفسهم (١) فقد سمحوا بتعدد البطاركة والطقوس في الكرسي الواحد ، وان تعترف احدى الطوائف بقداسة شخص ما وتنكرها الاخرى ، وان يقدس بعضهم على خمير والاخر على فطير ، الخ وكاد يقتصر الامر في الاخير على طلب الخضوع للحبر الروماني .

هذا التساهل ادى الى انضمام نحو مليون نسمة من الشرقيين الى الكرسي الروماني منهم نحو مئة الف من النساطرة و ٧٠ الفاً من السريان و ١٢٠ الفاً من الارمن و ٢٠ الفاً من القبط و ٥٠ الفاً من الحبش و ٢٠ الفاً من الروم ، والموارنة برمتهم . وقد اقيم لكل من الطوائف الخاضعة للكرسي الروماني بطريركا خاصاً

واول من نال درع الرئاسة من البابا انما هو يوحنا الجاجي (+ ١٤٤٥) بطريرك الموارنة . ومن زمانه الى الان قام على الطائفة المارونية ٢٩ بطريركا آخرهم البطريرك الياس بطرس الحويك الحالي الذي سيم (١٨٩٩)

(١) الكليس داود ص ٥٨٠

وياتي بعده يوحنا سولاقا (١٥٥٣–١٥٥٥) اول بطريرك كاثوليكي قام على الكلدان. ثم قام بعده سبعة عشر بطريركا آخرهم البطريرك عمانوئيل يوسف توما (١٩٠٠)

وبعده اندراوس مربى (١٦٦٢–١٦٧٧) اول بطريرك على السريان الكاثوليك. وقام بعده عشرة بطاركة آخرهم البطريرك افرام الرحماني (١٨٩٨)

وبعده بطرس ابرهيم (١٧٣٩–١٧٤٩) اول بطاركة الارمن الكاثوليك وتلاه اثنا عشر بطريركا آخرهم البطريرك بطرس ترازيان (١٩١٠)

وبعده كيرلس طاناس (١٧٢٤–١٧٦٠) اول بطريرك على الروم الكاثوليك وتلاه خمسة عشر بطريركا آخرهم البطريرك ديمتريوس القاضي (١٩١٩)

وبعده كيراس مقار (١٨٩٩–١٩٠٨) الذي اقيم بطريركا على الاقباط الكاثوليك فلما توفي لم يقم له خلف

٢) المنقادون الى البروتستانية

ان المرسلين البروتستان كانوا اقل نجاحاً من مرسلي اللاتين. لان المبشرين البروتستان كانوا يطالبون المنقادين اليهم بخلع كل ثوب قديم والاستمساك بالمبادئ. والعادات التي ابرزها الاصلاح الظاهر في الغرب في اوائل القرن السادس عشر. وبما ان تغيير العادات عند الطبقة العامة اصعب من تغيير العبادات لقيت مهمتهم

صعوبة اكثر من مناظريهم . لكن السهولة الطبيعية الموجودة في النظام البروتستاني . وحلهم قيودا كثيرة مما ارتبط المشرقيون بها لاول عهدهم مختارين . سهلت عليهم نجاح مهمتهم و انالتهم حظاً كبيرا من امانيهم

وكان مرسلوا الاميركان اكثر نجاحاً من سائر المرسلين البروتستان وقد وصلت اول ارسالية منهم الى الشرق (١٨٢٠) ودخل المبشرون بين النساطرة منذ (١٨٣٠) واول اسقفية بروتستانية تاسست في اورشليم (١٨٤١) بالاتفاق بين الانكليز وبروسيا واول من اعترف بالبروتستانية كطائفة رسمية من سلاطين العثمانيين انما هو السلطان عبدالمجيد (١٨٤٧) (١)

ومن اهم مساعدات البروتستانية على الانتشار في الشرق مدارسها ومطابعها ومن اهم هذه المدارس مدارسها اللاهوتية الست التي انشئت في اسيوط وعبيه ومرسوان ومرعش وخربوط واورومیه وقد تخرج فيها عدد كبير من الشبان الذين كانوا واسطة لبث روح البروتستانية في صدور عدد كبير من ناشئة الشرق . كما ان الكراريس والكتب والنشرات المطبوعة بروح بروتستانية والموزعة بسخاء على القراء الشرقيين كانت تجد في الاذهان مقبلا نظيفاً خلوها مما يعارضها

ومن اهم هذه المطابع المطبعة الاميركية التي انشئت في مالطه

(١) موسهيم ص ٧٢٣ و ٧٢٤

(١٨٢٢) ثم انتقلت الى بيروت (١٨٣٤) وقد اصدرت الوقا من الكتب والكراريس حتى الان

ومن اهم الصحف الدينية التي يصدرها البروتستان النشرة الاسبوعية التي ظهرت للوجود في آذار سنة ١٨٦٣ بعنوان « اخبار عن انتشار الانجيل في اماكن مختلفة » وهي اول جريدة عربية مصورة » ثم صدرت في تموز من سنة ١٨٦٨ باسم « النشرة الشهرية » وظلت كذلك الى ان صدرت اسبوعية في ١٠ كـ ١ سنة ١٨٧١ . وقبيل صدورها اسبوعية صدرت « البشير الكاثوليكية » حالة محل المجمع الفاتيكاني وقد وقعت بين الجريدتين عدة مناظرات حمي وطيسها ثم هدأت بسعي محبي السلام وما برحت الجريدتان تصدران حتى الان وقد اجتازتا اليوبيل الذهبي

ويقدر عدد تابعي الطائفة الانجيلية في الشرق بنحو مئتي الف نسمة منهم ثلاثون الفاً في القطر المصري وسبعون الفاً في الاناضول والباقون في العراقين والجزيرة وسوريا وفلسطين واكثرهم تابعون ترتيب الكنيسة القسوسية

. . . . .

تشبث زعماء الشرقيين في ما ليس من اصول الدين ولا من جوهرياته ؛ وتضييقهم النطاق على العامة لدرجة احرج معها مركزهم في المجتمع الانساني . وعدم تميز الطبقة العامة في الشرق بين الاتحاد والخضوع ؛ والتساهل والمروق ؛ واكرام الضيف والتذلل له ؛ والعفو

عن اساءة معتذر وقبول الاهانة من متطرمذ . ذلك من اهم الاسباب التي سهلت على الشرقيين الافلات من الرابطة الشرقية ؛ واحناء الهام للزعامة الغربية

فهل يفيق الشرقيون يوماً ما من غفلتهم هذه و يشعرون بما فرطوا به و باعوه رخيصاً وهو ثمين ؟

ذاك سوال المستقبل وجوابه عند عالم الغيب

استدراك

التماساً للايجاز اعرضنا عن ذكر كثير من فرق البروتستان في الدور السادس تاركين بسط اخبارها الى المطولات في هذا الفن ولكننا نذكرنا اخيراً ان من هذه الفرق ما له صلة بالشرقيين . لان بعض مبشريها أموا هذه الاصقاع واتبعهم بعض الشرقيين فوجب الالمام ببعض ما يقال فيها ومن هذه الفرق

١) اخوة بليموث

اخوة بليموث او الدربيون فرقة انشأها الواعظ الانكليزي المستر دربي المشهور وتأسيسها حصل كما يأتي :

شعر بضعة اشخاص اتقياء من كنائس بروتستانية مختلفة بما اصاب المسيحيين من الفتور الديني فحاولوا ايقاظ الحياة الروحية في ابناء الجماعات المسيحية المتعددة وعقدوا لذلك اول اجتماع في دوبلين (ايرلاندا) سنة ١٨٢٩ برئاسة المستر كروفس قرروا فيه بذل الوسائل الناجعة لنيل غرضهم الذي اجتمعوا لاجله . ولما سافر المستر كرفس الى بلاد العجم تحولت الزعامة الى المستر دربي الذي قرر متابعة العمل بنشاط وجد . ولمنع نكوص الافراد عقد اجتماع هام في مدينة بليموث (انكلترا) تعين فيه المستر نيوتن مديرا للجماعة التي اتخذت لها اسماً خاصاً «اخوة بليموث» وفي سنة ١٨٣٥ عاد المستر كروفس الى انكلترا فوجد ان الاخوة المذكورين قد

استقلوا كل الاستقلال عن الجماعات التي كانوا منتمين اليها وقاموا فرقة مستقلة فلم يرق له ذلك واعتزلهم اما المستر دربي فواصل عمله وقد وضع لجماعته نظاماً خاصاً جمعه مما انتقده على الطوائف المسيحية . وقامت من ذلك الوقت فرقة مسيحية جديدة (١٨٤٨) لها اراء جديدة في كثير من الشؤون المسيحية . وقد لقيت تعاليم هذه الفرقة رواجاً في اول امرها فنمت نمواً عظيماً في انكلترا (١٨٥٠) حتى بلغت مواضع العبادة فيها عندهم ١٣٢ محلاً ثم امتدت الى سويسرا وفرنسا وايطاليا وجرمانيا ومستعمرة الراس واوستراليا وكندا ونيوزيلندا والهند الشرقية والولايات المتحدة وغيرها

وفي الربع الاخير من القرن التاسع عشر بلغ مرسلوهم الشرق ونشروا مبادئهم في سوريا فيما بين بروتستانت بيروت وحمص واماكن اخرى بواسطة رجل اميركي اسمه بنيامين بنكرتن الذي اقترن ارملة سورية في بيروت وانشأ مطبعة اصدر منها كتباً كثيرة تتضمن تعاليم الفرقة المذكورة وفسر اسفار العهد الجديد وبضعة من اسفار العهد القديم وفي جميع ما يبرز من قلمه روح تقوى ظاهرة لولا ما شاب اقواله من الاراء الخصوصية في الناموس الادبي والقسوسية ويوم الرب واعتقاده بمجيء المسيح ليملك على الارض الف سنة. لذلك سمي السوريون البليموثيين بنكرتيين نسبة اليه

وبعد وفاته اخذت طائفته تتقهقر في سوريا ولم يبق الان في حمص منهم سوى شخص واحد قد بلغ من الكبر عتيا

٢) تعاليم الفرقة

ان مؤسس هذه الفرقة انما هو تشارلس تاز رصل المعروف بالقس رصل وكان في اول امره من شيعة الميثوديست في اليغاني بنسلفانيا ثم انتقل الى نيويورك وقد عراه شيء من التغيير في افكاره في اواخر الربع الثالث من القرن التاسع عشر اذ خطر له اثناء درسه الكتاب المقدس ان المسيح سيحضر الى العالم قريباً واخذ يترقب علامات حضوره فلما كانت سنة ١٨٧٥ اعلن فكرته هذه بصراحة

في كراس نشره مطبوعاً بعنوان «الغرض من مجيء الرب وكيفية حضوره» فانتشر هذا الكراس بسرعة ولقي من المطالعين اهتماماً بهذا الشان فشرع سنة ١٨٧٩ باصدار مجلة «برج المراقبة» وما برحت هذه المجلة تصدر الى الان بعدة لغات والف بضع سنتي (١٨٨١—١٩٠٦) ستة مجلدات سماها «دروس التوراة» قيل ان عدد ما طبع منها بلغ ١١ مليون نسخة بثلاثين لغة وقد رددت المحافل العديدة في الولايات المتحدة صدى افكاره بين مستحسن ومستهجن ويقول بعض مريديه ان الذين انقادوا الى آرائه يناهز عددهم خمسة وعشرين مليونا على ان نبوءته الهامة — بان ازمنة الامم (لو ٢١ : ٢٤) تنتهي سنة ١٩١٤ وتعقبها السعادة المشتهاة (قيثارة الله ص ٢٩٧ —٩٨) — لم تتحقق واعترف قبل وفاته (١٩١٦) بانه اخطأ فيها لتشابه ظروف المعصرين اليهودي والانجيلي في الكتاب (لاحظ مقدمة كتابه «دنا الوقت»)

واهم ما اختص بابدائه من الاراء اعتقاده ان ملك المسيح على الارض قد ابتدا منذ سنة ١٨٧٣ مسيحية وذلك لانه اعتبر ان النظام البشري سيسير طبقاً للنظام الالهي وكما ان الله خلق العالم في ستة ايام واستراح في السابع هكذا يتعب الناس ستة آلاف سنة (كل الف سنة مقابل يوم من ايام الخليقة) ويرتاحون في الالف السابعة وبما ان المدة بين آدم والمسيح على حسابه انما هي ٤١٢٨ سنة (لا ٤٠٠٤) فتكون نهاية الالاف الستة سنة ١٨٧٢ ويبتدئ عصر الرب او ملك الالف سنة في سنة ١٨٧٣

ولما راى هو ومريدوه ان المدة التي مرت من العهد الذي حدده الى الان قد حوت معظم اهوال البشرية اعلنوا ان شقاء العالم ينتهي بالانقلاب الذي يستغرق خمسين سنة تنتهي سنة ١٩٢٤ والذين يتبح لهم الحظ البقاء الى سنة ١٩٢٥ يظلون احياء الى الابد

هذه اهم آرائه الخاصة وهنالك بعض افكار خصوصية خالف فيها اشهر الطوائف المسيحية منها انكاره خلود النفس وابدية العذاب وطبيعة المسيح الالهية

(قيثارة الله ص ٤٨ و٥٣ و١١٦)

واكبر المؤيدين لفكرته القاضي ج . ف رثرفورد الذي والى اصدار مجلة برج المراقبة بعد وفاته الى الآن . وسعى لنشر هذه الفكرة في سوريا الحواجا ميخائيل نصرالله عبود الطرابلسي الاصل الذي تعرف بتلامذة التوراة يوم كان في الولايات المتحدة

توجيه نظر

احتاطتنا شواغل قاهرة وقت طبع الكتاب حالت دون تدقيقنا في مراجعة مسودات الطبع عدا اضطرارها ايانا لتقديم المواد للطبع على المسودات فوقع بعض هفوات . ولكن لما كان اكثر هذه الهفوات مما ترشد القرائن الى صوابه ، او مما يدركه القارىء بالبداهة ، ولم يكن لدينا متسع من الوقت للتنقيب على ما بدر ، اعرضنا عن فتح باب خاص لاصلاح الخطأ واكتفينا بما وقع تحت نظرنا كانموذج يتتبع القارىء الذكي اصلاحه لنفسه وهو لا يكاد يتجاوز ابدال رقم بما يماثله او زيادة حرف او سقوطه كما ترى :

صفحة	سطر	خطا	صواب
٣	١٢	التصورات	التطورات
٥	١٠	الحند	الجند
٧	٩	واسنقرت	اسنقرت
١٦	١٧	اثينا	ازمير
٢٠٩	٤	واعادة	واعادت
٣٣٢	١٦	١٨١٢	١٨١٤
٣٧٠	٤	١٨٤٨	١٦٤٨
٣٧٨	١٢	١٨٧٤	١٧٧٤
٤٣٢	٧	مليون	مليوني
٤٦٢	١٥	بطريركا خاصاً	بطريرك خاص

ومما يحسن تنبيه فكر القارىء اليه انه لا منافاة بين القول ان باسل في المانيا (كما في صفحة ٢٢٩ س ١١) وانها في سويسرا (كما في صفحة ٢٥٥ سطر ٥) لان باسل او بازل التي هي احدى مدن سويسرا الان لم تكن وقت عقد المجمع (١٤٣٧) قد دخلت في الاتحاد السويسري بل كانت تابعة لالمانيا

كما انه لا منافاة بين ما ورد في ص ١٢٥ سطر ١٥ وبين ما ذكر ص ٤٢٩ سطر ١ تاريخاً لمجمع ثيب الارمني اذ اريد بما ذكر اولا تاريخ المجمع الذي اعلن فيه رفض المجمع الخلكيدوني و بداءة الانفصال (٥٣٦) و بما ذكر اخيرا تقرير استقلال الارمن التام بشكل نهائي جازم (٥٥٤)

خـتام

قبل ان امسح القلم لا ارى لي بـداً من توجيه نظر القارىء العزيز الى ما ياتي

١) ان المؤرخين لم يتفقوا في كل ما رووه

٢) انهم اخطأوا في بعض ما اوردوه

٣) ان علة ذلك الاختلاف وهذا الخطا تعصب بعضهم وجهل البعض الآخر او انقياد بعضهم الى سلطان العاطفة وسهو البعض الآخر لذلك

لايجوز لمحب الوقوف على الحقيقة ان يسلم بشيء ما او يرفضه بدون تثبت . بل يجب ان يكون تسليمه بالحقائق التاريخية مبنياً على اسباب كافية لاعلى تقديرات واهية . وان يطالع ما يدون بنزاهة وصحو واحترام لما يراه غير موافق لما الفه من الاراء والاخبار

ويوثق بصحة كلام المؤرخ او يرجح صدقه بالامور التالية :

١) اذا كان قارئوه على ثقة تامة من نزاهته وخبرته في ما يرويه

٢) اذا كان قد رأى ما رواه او نقله عمن رآه بذاته ورواه من يوثق بصدقه

٣) اذا كان اختلاق ما روي متعذراً لاستسهال معاصريه تكذيبه

٤) اذا وافقه عليه كثيرون من المؤرخين الصادقين

فارجو اذاً

من قارئي الطرفة العزيز اذا مر تحت نظره ما هو مخالف لما يعرفه او لما الفه من الاخبار ان لا يسرع بعذلي . بل يجرب ان يتجرد من العاطفة الجنسية والمذهبية وقت المطالعة ويعرض ماقرأه على محك الانتقاد الصحيح . ولاسيما القواعد الآنفة الذكر . فان جاز النبأ الامتحان اكتسب شهادة جديدة تؤيده . والا فلست اول معترف بخطأ علم الله اني لن اتعمده والعصمة لله وحده

فهرس

الطرفة النقية

من

تاريخ الكنيسة المسيحية

لوطنة

ماهية التاريخ الكنسي ، مواضيعه ، مصادره ، ادواره

الدور الاول

منذ نشأة المسيحية الى انتصارها العظيم سنة ٣٢٣

صفة هذا الدور

الفصل الاول

الكنيسة في العالم

صفحة

٤ **الاحوال الموافقة – انتشار المسيحية**
الاستعداد للانقلاب ، الخطوة الاولى ، المقاومة ، المجمع الرسولي ، اعمال بولس الرسول ، الرسل الاثنا عشر ، المسيحية بعد الرسل

١٨ **الاحوال المضادة**
المقاومة اليهودية – المقاومة الوثنية

طور الاضطهادات الاول

٢٠ **محاولة ايقاف المسيحية**
الاضطهاد الاول ، الثاني ، الثالث ، الرابع ، الخامس ، السادس ، السابع

طور الاضطهادات الثاني

٢٤ **محاولة استئصال المسيحية**
الاضطهاد الثامن ، التاسع ، العاشر ،

فوز المسيحية

٣٠ النزاع بين الفلسفة الوثنية والمسيحية
الرواقيون ، الابيكوريون ، النيو بلاطونيون ، احتجاجات الكتاب

الفصل الثاني

التعاليم الكنسية

٣٦ ١) **التعاليم القويمة**
قانون الكتاب والتقليد ، قوانين الايمان ، ايضاح العقائد

صفحة

٢) البدع والانقسامات

٤١ البدع

منشاها ، بدع متنصري اليهود ، الغنوسسيين، المانيين ، نفاة التثليث .

٢٦ الانقسامات والمنازعات

المونطانية ، الخيليازم ، النزاع لاجل الفصح،معمودية الهراطقة ، التاديبات الكنسية؛

الفصل الثالث

المعارف الروحية

٥٢ الرجال الرسوليون

برنابا ،الاريوباغي، اكليمنضوس الروماني،اغناطيوس الانطاكي ،بوليكربوس هرماس ، بابياس

٥٥ بعد العصر الرسولي

٥٦ المدارس اللاهوتية الاربع

١) مدرسة اسيا الصغرى — من ممثليها

ايريناوس الليوني ، ايبوليطوس ، يوليوس الافريقي

٥٧ ٢) مدرسة شمالي افريقية

ترتوليانوس القرطجني ، كبريانوس

٥٩ ٣) مدرسة الاسكندرية

بانتين ، اكليمنضوس الاسكندري ، اوريجانوس

٦٢ ٤) المدرسة الانطاكية

صفحة

دوروثاوس ، لوكيانوس

الفصل الرابع

الادارة والعبادة والتهذيب

٦٣ ١) الادارة الكنسية

نشاة الادارة . المواهب والخدم الممتازة . الدرجات العالية . الرتب الصغيرة . تكريس الاكليركيين . الحقوق الكنسية والاسقفية . امتياز بعض الكراسي . اساس الفقه الكنسي

٦٧ ٢) الخدمة الالهية

مواضع الخدمة (الكاتاكومبات ، الاحراج) اوقات الخدمة (الساعات الثالثة والسادسة والتاسعة والغروب والقداس) الاعياد (الاحد . الفصح الخمسين الصعود . اول الشهداء . هامتي الرسل) الاصوام (الاربعا والجمعة اسبوع الالام الصوم الاربعيني) الاسرار (الوعظ قبل التعميد — الكفلاء — وضع اليد في المسحة — الدهن بالميرون — تسليم السر للكهنة — موائد المحبة — المسالمة قبل التناول — الاعتراف الجهري — درجات الامتحان الاربع للتائبين — تسليم الرسل حق السيامه للاساقفه — مناولة العروسين قبل الاكليل — الخواتم والاكاليل النباتيه استعمال الزيت لاجل المرضى)

٧٤ ٣) الادب المسيحي

قداسة المسيحيين الاولين

الغيرية ، الاخاء العمومي ، الاشتراكية الصحيحة ، مواساة المعوزين ان غير مسيحيين ، موازرة الارامل ، افتداء الاسرى . الاخلاص

صفحة

للهيئة الحاكمة . اعتبار العبد كالسيد . عفة المرأة المسيحية . التعفف عن المباح التماساً للكمال الانجيلي

العادات المسيحية

رسم الصليب قبل كل عمل . دفن الموتى باحترام . تذكاراتهم السنوية

الدور الثاني

من فوز الكنيسة (٣١٣) الى نهاية نمو الكنيسة العقائدي (٦٩٢)

صفة هذا الدور

الفصل الاول

الكنيسة في العالم

٧٦ الملوك والمسيحية

قسطنطين الكبير، اولاده ، يوليان ، يوفيان ، فالنت وفالنتيان ،غراتيان ثيودوسيوس الكبير ، اركاديوس وانور يوس ، ثيودوسيوس الثاني يوستنيان

٨١ انتشار المسيحية

اولاً — في افريقيا

٨٢ الحبش

ثانياً — في آسيا

٨٣ القوقاس — الارمن — الفرس — العرب

صفحة

ثالثاً - في اوربا

٨٦ القوط - الافرنج - البريطان - الجرمان

الاحوال المضادة

٨٩ اقتراءات فلاسفة الوثنيين ، المهاجرات الشعبية ، الحروب الفارسية ، الفتوحات العربية

الفصل الثاني

الهرطقات والمجامع

٩٥ الاريوسية والمجمع الاول (٣٢٥)

١٠٢ دونات وابوليناريوس ومكدونيوس والمجمع الثاني (٣٨١)

١٠٧ بلاجيوس ونسطور والمجمع الثالث (٤٣١)

١١٥ المونوفيزيت والمجمع الرابع (٤٥١)

١٢١ الاوريجانية والفصول الثلاثة والمجمع الخامس (٥٥٣)

١٢٥ المونوثيليت والمجمع السادس (٦٨٠)

١٢٩ خلاصة تاريخية لمشاغبات الدور الثاني

١٣١ « عقائدية « «

الفصل الثالث

المعارف الدينية وعلم اللاهوت

١) ممثلو المدرسة الاسكندرية

اثناسيوس ، باسيليوس ، غريغوريوس اللاهوتي ، غريغوريوس النيسي

صفحة

ديديموس الاعمى ، كيرلس الاسكندري ، ايسيدورس البيلوسيتي

(٢) المدرسة الانطاكية

١٤٠ كيرلس الاورشليمي ، يوحنا الذهبي الفم ، تيودوريت المغبوط افرام السرياني

كتاب الغرب في القرنين ال ٤ و٥

١٤٣ ايلار يوس — امبروسيوس — ايرونيموس — روفينوس — أوغسطينوس لاون الكبير — بطرس الذهبي الكلام

كتاب الشرق والغرب الى نهاية الدور الثاني

١٤٧ ديونيسيوس الصغير — ليونديوس البيزانطي — مكسيموس المعترف غريغوريوس الذيالوغوس

الفصل الرابع

الادارة والعبادة والتهذيب

١) سياسة الكنيسة

١٤٩ الكنيسة والحكومة — نفقات البيعة — استثناء الروحيين من الضرائب الحماية الكنسية — الاقسام الادارية — الكرامي لممتازة

٢) الخدمة الالهية

مواضع الخدمة —

١٥٤ كنائس القيامة والصعود واجيا صوفيا ، تعدد المذابح ، الاندمنسي الايقونات ، الناقوس

اوقات الخدمة —

صفحة
نصف الليل ، الساعة الاولى ، السهرانة
الاعياد —
الاحد، القصح، الميلاد : الظهور: الختانة : الدخول الى الهيكل: الشعانين
الاصوام —
الميلاد: الرسل : السيدة
الوعظ —
من الكاثدرا ثم من المنبر
التراتيل —
الناظمون — افرام السرياني : الاقمار الثلاثة: امبروسيوس: اناطوليوس
رومانوس : الذيالوغوس : صفرونيوس
الاسرار —
تعميد الاطفال : خدمتا يعقوب ومرقس : باسيليوس والذهبي الفم
والذيالوغوس

٣) السيرة المسيحية

١٥٧ اضعاف العبودية : ابطال الصراع ومشاهد الخلاعة : زيارة الاماكن
المقدسة : تحويل المراة من امة الى مدبرة أولى في الاسرة : تبادل
الحب بين الاباء والبنين : تفضيل الايمان على الحياة : اعتزال المرائين
١٥٨ الرهبنة في الشرق
بولس الثيبي : انطونيوس الكبير : آمون : ايسيدور : افثيميوس : سابا
سمعان العمودي : اسكندر
١٦١ الرهبنة في الغرب
مرتينوس الطوري : يوحنا كاسيان : بنيديكتوس النورسي

صفحة

الدور الثالث

من نهاية ضبط العقائد (٦٩٢) الى الانشقاق العظيم (١٠٥٤)

صفة هذا الدور

الفصل الاول

الكنيسة في العالم

١) الاحوال الموافقة — انتشار المسيحية

١٦٣ **اولاً — تنصر الصقالبة**

الخزر — البلغار — مورابيا و بانونيا — بوهيميا — بولونيا — المجر سربيا و كرواتيا — روسيا

١٧٢ **ثانياً — تنصر الشعوب التوتونية**

الجرمان — (السكسون : الوند) السكندينافي (الدانيمارك اسوج نروج)

١٧٨ ٢) الاحوال المضادة

تقهقر الدول البيزانطية وتقدم دول العرب

الفصل الثاني

البدع والانقسامات

١٨١ اولاً — حرب الايقونات

حرب الايقونات الاولى (٧٢٦—٧٨٧) والمجمع السابع

حرب الايقونات الثانية (٨١٣—٨٤٢)

صفحة

١٨٨ ثانياً — البدع الثلاث
الزيادة على الدستور (٥٨٩—١٠١٤) المصلين (٣٨٣—١٠٦٠)
البولسيين (٦٥٧—١١١٥)

١٩١ ثالثاً — المنازعات في الغرب
بنوة المسيح (٧٨٥—٧٩٩) القدر (٨٤٩—٨٦٨) الانخاريستيا
(٨٤٤—١٠٧٩)

١٩٥ رابعاً — الانقسام العظيم
اسباب الانقسام، بداءته، تمامه

الفصل الثالث

المعارف الروحية في الشرق

يوحنا الدمشقي — بولس اسقف صيدا — ثيودوسيوس ابو قرة — تيوفان المؤرخ — فوتيوس — سمعان المترجم — ايكومينوس تريكي — سمعان اللاهوتي الحديث — ابن بطريق — نيكيتا ستيتات — ميخائيل بسيلوس ميخائيل كيرولاريوس — بطرس الانطاكي

٢٠٥ المعارف الروحية في الغرب

بيدا المحترم — بولس اللومباردي — الكوين — بفلينوس — كارلوس الكبير — رافانوس ماقروس — انستاس حافظ المكتبة — يوحنا سكوت هنكمار اسقف ريمس، سلبسترس الثاني، بطرس داميان، همبرت الكردينال

الفصل الرابع

الادارة والعبادة والتهذيب

صفحة

١) الادارة الكنسية

الكنيسة والحكومة — الوظائف الكنسية — طموح الباباوات الى الرئاسة العامة — مواد الفقه الكنسي القانونية

٢) الخدمة الالهية

الاعياد — الايقونات — الجرس — الاسرار — الاصوام الاربعة الكتاب المقدس والوعظ — التراتيل (متروفانس الازميري ، اندراوس الكريتي ، جرمانوس القسطنطيني ، ثيودورس ويوسف السطوديتي ثيودورس وثيوفان المنشئان ، كاسياني المتوحدة لاون الحكيم قسطنطين البرفيري ، يوحنا مفرو يوس)

الاحداثات الغريبة — اللغة اللاتينية ، الارغن ، القطير ، التثبيت عدة خدم في وقت واحد

٣) الحياة الادبية

القياصرة والبطاركة — الشعوذة والسيمونيا

سطوديت وآثوس — كلوني وكاملدون

الدور الرابع

من الانشقاق العظيم (١٠٥٤) الى سقوط القسطنطينية في الشرق (١٤٥٣) وظهور الاصلاح في الغرب (١٥١٧)

صفة هذا الدور

الكنيسة الشرقية

(١٠٥٤ — ١٤٥٣)

الفصل الاول

صفحة **حالة الكنيسة الخارجية**

٢٢٢ تنظيم الكنيسة الروسية

٢٢٣ تقهقر « اليونانية

فتوحات السلجوقيين ، الحملات الصليبية ، زحف العثمانيين

٢٢٥ محاولة الاتحاد بين الشرق والغرب

ليون ، وفلورانسا

الفصل الثاني

البدع والانقسامات

٢٣١ ١) بدعة بوغوميلي

٢٣٢ ٢) منازعة برلام وبالاماس

الفصل الثالث

٢٣٤ **المعارف الروحية**

بسيلوس ، البلغري ، زيغافينوس ، افستاثيوس التسالونيكي ، نقولا ميتوني ، بلسامون ، زوناراس

لميدي ، ماشامبار ، الاكرو بوليت ، كفاسيلا بالاماس ، كوندا كوزين

تيوفانس النيقي ، سمعان التسالونيكي ، مرقس الافسسي

الفصل الرابع

الادارة والعبادة والتهذيب

صفحة

٢٣٨ ١) الادارة الكنسية
الادارة البطركية ، مشاهير البطاركة ، الاوقاف وواردات الاكليروس
٢٤١ ٢) الخدمة الالهية
الاعياد (الاقمار الثلاثة ، زياح الصليب) التراتيل (قوانين — نيقولاوس يسوع الحلو ، الملاك الحارس ، السابق ، البار كليبسي ، رئيس الملائكة — استيشيرات وطروباريات وقناديق)
٢٤٣ ٣) الحياة المسيحية
السقوط الادبي العام ، الملوك يضحون الارثوذكسية لاجل مساعدة سياسية
الموظفون يسرقون الخزينة ، الشعب يستسلم للخرافات
ثبات السطوديتيين والآثوسيين على الاداب والتقى

الكنيسة الرومانية

(١٠٥٤—١٥١٧)

الفصل الاول

الكنيسة في العالم

٢٤٤ اولاً — انتشار المذهب اللاتيني
تنصير الفاندال ، البروسيان ، الجزر الشمالية ، ليثوانيا جهود اسبانيا الكنغو ، اميركا
٢٤٥ ثانياً — الباباوات وملوك الغرب
التولية الكنسية ، الطموح الى السلطة الزمنية ، الاسر في افينيون

صفحة

مجامع بيزا وكونستانس وباسل، تضييق نطاق السلطة البابوية

الفصل الثاني

٢) البدع والانقسامات

٢٥٦ نظريات جديدة

نوافل القديسين، الغفرانات، المطهر

٢٥٨ الشيع الغربية

الالبيجنيون، الفالديون

٦٢٠ طلائع الاصلاح

وكليف، هوس، سافانارولا

الفصل الثالث

٣٦٧ **المعارف الروحية**

الطريقة اللاهوتية المدرسية، الطريقة الباطنية، انسيلم كنتربري الاكويني، برنارد، بوناونتورا، الكمبيسي

الفصل الرابع

الادارة والعبادة والتهذيب

٢٧٢ ١) تأثير الجمع بين السلطتين

استخدام القوة ضد المخالفين، تعدد الاساقفة على اسقفية واحدة

٢٧٣ ٢) انحرافات جديدة في الطقوس

صفحة

معمودية الرش ، منع الكاس عن العامة ، التماثيل ، ادخال الالات الموسيقية الى الكنيسة

٢٧٤ ٣) السقوط الادبي

حب الرئاسة ، الجشع ، الشبق ، الشراسة

الرهبنات الغربية

اولا — ناذرو الفقر

البرناردين : الكرمليين : الفرنسيسكان : الدومنيكان : الاوغسطينيين

ثانياً — طغمات الفرسان

اليوحناويون : الميكليون : السيافون

الدور الخامس

من سقوط القسطنطينية وظهور الاصلاح الى مجمع اورشليم ومعاهدة وستفاليا

صفة هذا الدور

٢٨١ اولا — الكنيسة الشرقية

(١٤٥٣ — ١٦٧٢)

الفصل الاول

٢٨١ الكنيسة والحكومة

محمد الفاتح : بايزيد : سليم الاول : سليمان الثاني : سليم الثاني : مراد الثالث : محمد الثالث

صفحة

١٨٦ اهتمام الكنيسة الروسية بالشرق
باسيلي المظلم : ايفان الثالث : باسيلي الثالث : يوحنا المهائل : ثيودور
بوريس غودنوف : ميخائيل رومانوف : اليكسي

الفصل الثاني

مناظرات ومشاغبات

٢٨٨ ١) الارثوذكسية واللاتين
الارساليات اللاتينية : اللاتين والاماكن المقدسة
٢٩٢ ٢) الارثوذكسية والبروتستان
لاهوتيو الشرق والمصلحون : مشاغب البروتستان

الفصل الثالث

المعارف الروحية

٢٩٦
جنادیوس سخولاریوس : مانوئيل البلوبونيسي : بخوميوس روسان
غفرئيل سيفير : مكسيم مرغوني : ملاتيوس بيغاس : جيورجيوس كريز
نكتاريوس الاورشليمي

الفصل الرابع

الادارة والعبادة والتهذيب

٣٠٠ ١) الادارة الكنسية
مشاهير الاداريين في البطركيات الاربع

صفحة

٣٠٣ ٢) الخدمة الالهية

الهياكل : الايقونات : الحلل : الاواني : الوعظ : الخدم الجديدة الاعياد : التراتيل

٣) الحياة المسيحية

انتشار روح الاستثمار والنميمة والكبرياء والطمع وقلة الاكتراث بالدين والاداب: ثبات الآثوسيين على مبادئهم وادابهم —

ثانيا ـ الكنيسة الغربية

(١٥١٧ — ١٦٤٨)

الفصل الاول

اصلاح جرمانيا

٣٠٧ ١) الاصلاح قبل مجمع سبير

٣١١ ١ ٢) « الى معاهدة وستفاليا

٣١٤ اللوثرية في غير جرمانيا

اسوج وفينلاندا ، الدانيمارك ونروج ، بروسيا وتوابعها

الفصل الثاني

اصلاح سويسرا وتأسيس الكلفينية

زوينكل وتعليمه ، كلوين وتعليمه

صفحة

٣١٩ امتداد الكلوينية
فرنسا ، تذرلاندا ، سكوتلاندا
٣٢١ الشيع البروتستانية
الاناباپتست ، السوسينيون ، الارمينيون

الفصل الثالث

اصلاح انكلترا وتأسيس الانكليكانية

هنري الثامن ، ادوارد السادس ، ماري واليصابات

الفصل الرابع

محاربة اللوثرية والبروتستانية

مجمع تريدنت ، الجزويت

الدور السادس

من مجمع اورشليم ومعاهدة وستفاليا الى الآن

صفة هذا الدور

اولاً ـ الكنيسة الشرقية

من (١٦٧٢ — ١٩٢٣)

الفصل الاول

٣٣٤ الكنيسة والحكومة

صفحة

تركيا في التوازن الدولي ، عشر الاولاد ، الغاء وجاق الانكشارية ، خط كلخانة ، مذابح البانيا ، وسوريا ، وارمينيا ، والاستانة ، وازمير

الفصل الثاني

مناظرات ومشاغبات

٣٣٨ ١) بين الارثوذكس واللاتين

جمعيات التبشير ، الاراضي المقدسة ، مساع جديدة لاجل الاتحاد .

٣٤٢ ٢) بين الارثوذكس والبروتستان

مبشرو البروتستان ، الانكليكان والاتحاد ،

الفصل الثالث

المعارف الروحية

١) المدارس

بانيا ، مخطوبول ، بطمس ، آثوس ، كيف ، خالكي ، المصلبة ، البلمند

٢) مشاهير كتاب الشرق

دوسيثاوس الاورشليمي ، ملاتيوس الاثيني : المنياتي : جلاديوس البلغري : ثيوطوكي : مخلع الدمشقي : الايكونوموس : قسطندي الاول القسطنطيني : الخوري يوسف مهنا الحداد : زخريا ماقا : جراسيموس بارد

الفصل الرابع

الادارة والعبادة والتهذيب

٣٥٥ ١) الادارة الكنسية

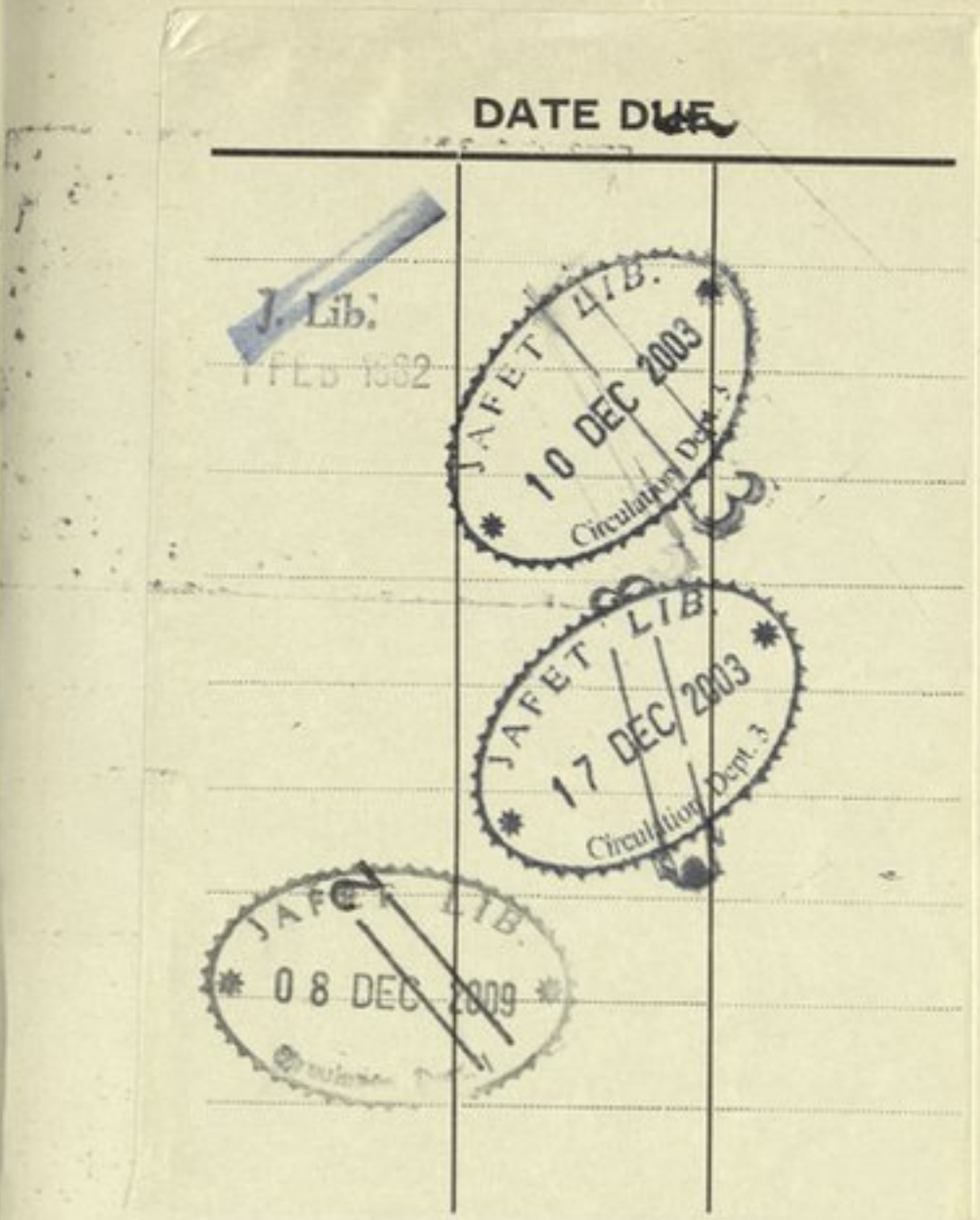
DATE DUE
J. Lib.
JAFET LIB.
10 DEC 2003
Circulation Dept. 3
JAFET LIB.
17 DEC 2003
Circulation Dept. 3
JAFET LIB.
08 DEC 2009

CB270:A79tA:c.1
اسعد ،عيسى
الطرفة النفية من تاريخ الكنيسة المسى
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01000935

CB
270
A79tA